

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل
حاسة داسا
البحر جمع
حاسة داسا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الآداب أقسام التاريخ

حركة التيار الإصلاحى النجفى (١٩٠٨ – ١٩٣٢ م)

رسالة تقدم بها :
عدي حاتم عبد الزهرة

الى
مجلس كلية الآداب جامعة الكوفة وهي جزء من متطلبات نيل
درجة الماجستير في التاريخ المعاصر

بإشراف
أ.د. عدنان حسن محبوبه

٢٠٠٢ م

١٤٢٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ

صدق الله العظيم

آل عمران ، آية : ١٠٤

الإهداء

الى اللذين قاداني بصبرهما وكفاحهما وشقائهما الى هذا الطريق

...

أبي وأمي ...

عرفانا ووفاءً لهما .

الباحث

شكر وتقدير

بعد الشكر والثناء لخالق السموات والأرض الذي يعجز اللسان عن شكره لرحمته ، أود أن أشكر كل من ساند هذه الدراسة وساهم في زيادتها رصانة علمية .
وأبدأ بأستاذي المشرف الدكتور عدنان حسن محبوبه لتوجيهاته السديدة ، وأتوجه بالشكر أيضا لحضرة السيد العميد الدكتور كاظم الهاشمي لرعايته الأبوية التي أولاني إياها ، وأشكر كلا من الدكتور حسن عيسى الحكيم والدكتور علاء حسين الرهيمي والدكتور حسين صولاغ الذين سددوا خطى الباحث ، والشكر والتقدير لكل من إدارة مكتبة أمير المؤمنين لتعاونها مع الباحث في إغناء هذه الدراسة بالمصادر والمراجع والأستاذ علاء حميد جاسم لمراجعته اللغوية لمتن هذه الرسالة ، والأستاذ هادي عبادي الذي أعان الباحث في ترجمة طائفة من المصادر المكتوبة باللغة الإنجليزية .

الباحث

المحتويات

رقم الصفحة

الموضوع

١	اي من الذكر الحكيم
ب	إقرار المشرف
ج	قرار لجنة المناقشة
د	الإهداء
هـ	شكر وتقدير
و	المحتويات
ط	المقدمة
الفصل الأول - (حركة التيار الإصلاحى النجفي وعوامل تبلورها)	
٣	المبحث الأول :
٣	أولا : ماهية الحركة الإصلاحية في مدينة النجف
٣	١ . تعريف الحركة الإصلاحية
٤	٢ . تعليل الحاجة الى الإصلاح
٧	ثانيا : مقدمات الوعي السياسي
٧	أ - العوامل الداخلية
٧	١ . المكانة العلمية التي تحتلها مدينة النجف
٩	٢ . المجالس النجفية
١٢	٣ . دور التعليم في نمو الوعي الفكري عند أبناء مدينة النجف
١٦	٤ . دور البيئة الأدبية في صقل الاتجاهات الإصلاحية
١٧	٥ . دور المساجد في نمو الوعي الفكري عند أبناء مدينة النجف
١٨	٦ . دور المكتبات
٢٠	ب - العوامل الخارجية
٢٠	١ . العوامل الفكرية الخارجية التي ظهرت في الوطن العربي
٢٣	أ - دور فكر التيار التحديثي وتأثيره
٢٧	ب - القومية العربية

رقم الصفحة

الموضوع

٢٩	٢ . العوامل الفكرية الخارجية الأجنبية
٢٩	أ - الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ، دورها وموقف الحركة الإصلاحية النجفية منها
٣٣	ب - دور الانقلاب العثماني ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ، وموقف الحركة الإصلاحية النجفية منه
٣٩	المبحث الثاني : حركة التيار الإصلاحى (النشأة والتكوين)
٣٩	أولا - نشأة الحركة الإصلاحية النجفية
٥١	ثانيا - تكوين الحركة الإصلاحية النجفية
٥١	أبرز أعضاء الحركة الإصلاحية ومراكزهم في مدينة النجف
الفصل الثاني - (وسائل التيار الإصلاحى النجفي)	
٦١	المبحث الأول : الصحافة النجفية
٧٢	أولا : (العلم) نموذجا لمجلة إصلاحية نجفية
٨٢	ثانيا : (النجف) نموذجا لصحيفة إصلاحية نجفية
٨٧	المبحث الثاني :
٨٨	أولا : دور الشعر والأدب في نشر المفاهيم الإصلاحية
٩٨	ثانيا : الوسائل الإصلاحية الأخرى
الفصل الثالث - (الدعوات الإصلاحية التي نادى بها التيار الإصلاحى النجفي)	
١٠٩	المبحث الأول : الدعوات الإصلاحية

١١٠	أولا : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الاقتصادية	الموضوع
١٢٣	ثانيا : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الاجتماعية	
	رقم الصفحة	

١٣٢	ثالثا : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب التعليمية	
١٤٥	رابعا : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الصحية	
١٥٢	المبحث الثاني : الصراع الفكري بين تياري (الإصلاحيين والمحافظين) في النجف	
	الفصل الرابع - (دور التيار الإصلاحي النجفي في التطورات السياسية للمدة ١٩٠٨ - ١٩٣٢)	
	المبحث الأول : دور التيار الإصلاحي النجفي في التطورات السياسية للمدة ١٩٠٨ - ١٩٢٠	
١٨٠	أولا : دور التيار الإصلاحي النجفي في التطورات السياسية ١٩٠٨ -	
١٨٠	١٩١٤	
	ثانيا : إعلان الجهاد أثر إعلان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ودور التيار الإصلاحي النجفي فيه ١٩١	
١٩٦	ثالثا : انتفاضة النجف ١٩١٥ ضد العثمانيين	
١٩٨	رابعا : دور التيار الإصلاحي النجفي في ثورة النجف ١٩١٨	
٢٠٤	خامسا : موقف التيار الإصلاحي النجفي من التطورات السياسية العراقية للمدة ١٩١٨ - ١٩١٩	
	المبحث الثاني : دور التيار الإصلاحي النجفي في التطورات السياسية للمدة ١٩٢٠ - ١٩٣٢	
٢١١	أولا : موقف التيار الإصلاحي النجفي من ثورة العشرين	
٢١١	ثانيا : موقف التيار الإصلاحي النجفي من الحكم الوطني الأول ١٩٢١ -	
٢٢٣	١٩٣٢	
٢٣٥	ثالثا : موقف التيار الإصلاحي النجفي من القضايا القومية	
٢٤٧	الخاتمة	
٢٥١	المصادر والمراجع	
A	ملخص باللغة الإنجليزية	

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

يعد تيار الحركة الإصلاحية في النجف أحد أبرز الحركات الفكرية التي ظهرت ملامحها في بدايات القرن العشرين في العراق إذ أسهمت اسهاما مؤثرا في تكوين حركة التحديث والإصلاح في الدولة العراقية المعاصرة فشكّلت هذه الحقبة الدافع الأول لاختيار موضوع الرسالة . أما الدافع الثاني فقد انبثق عن الإصلاح ومشاريع معالجته والطروحات المختلفة إزاءه رفضا وقبولا ، إيجابا وسلبا ، نتج عنه تناقضات أخذت في أحيان غير قليلة سمة صراع فكري تمخض عنه نشاط بين مختلف التيارات سواء كانت تقليدية أم تحديثية - تجديدية . أما الدافع الثالث فيتمثل ببروز العديد من رواد حركة الإصلاح والتجديد في النجف أمثال محمد كاظم الخراساني ومحمد علي الحسيني الملقب بـ (هبة الدين الشهرستاني) ، ومحمد سعيد الحبوبى ، والشببيبان (محمد رضا ومحمد باقر) ، ومحمد علي كمال الدين وغيرهم من المفكرين والأدباء ؛ فضلا عن تساؤلات دارت في ذهن الباحث منها : كيف عالجت الحركة الإصلاحية موضوع الحريات ؟ ومدى تأثير الحركات الدستورية الاقليمية في مسار الحركة ؟ والى أي مدى كان تأثير موجات الفكر العربي الحديث داخل النجف وهل كانت عملية الإصلاح ترفا فكريا أم مطالب اجتماعية عامة هذه الأسئلة شكّلت بمجموعها الدافع الرابع لاختيار موضوع الرسالة .

تكونت الرسالة من هذه المقدمة وأربعة فصول وخاتمة تضمن الفصل الأول تعريف عن ماهية التيار الإصلاحي النجفي وشكل الرسالة التي يحملها وتوضيح الظروف التي مكنت الحركة المناداة بالإصلاح ؛ ودرست في الفصل الثاني وسائل التيار الإصلاحي النجفي فكل حركة فكرية تستغل وسائل وأساليب تضمن إيصال أفكارها الى المجتمع ، وسلطنا الضوء في الفصل الثالث على أبرز القضايا التي يراها المصلحون النجفيون تحتاج الى اصلاح والتي سببت صراعا فكريا متشددا مع التيار القديم (المحافظ) ؛ وتضمن الفصل الرابع الدعوات الإصلاحية في الجوانب السياسية فمنذ عام ١٩٠٨ - ١٩٣٢ شارك التيار الإصلاحي النجفي في أبرز القضايا السياسية الحاسمة في بدايات القرن العشرين المتمثلة بالحركات الدستورية (الايرانية - العثمانية) وخلال مرحلة السيطرة البريطانية للعراق وللمدة ١٩١٤ - ١٩٣٢ .

أكثر المشاكل التي واجهت الباحث هي قلة المصادر فضلا عن قلة المصادر التي تتحدث عن التيارات الفكرية وبخاصة الداعية الى الإصلاح في معاني (التحديث - التجديد) فإن المصادر التي كتبت عن مدينة النجف في مدة الدراسة قليلة ، فضلا عن فقدان الدوريات في مدة انبثاق التيار الإصلاحي النجفي .

المصادر التي اعتمدها الباحث متنوعة تقسم الى خمسة أنواع : الأول - (المصادر الأولية) وهي التي تتعلق بالتيار الإصلاحي النجفي وتنظيمه وعن أبرز رجاله العاملين بصوفه وبخاصة المصادر التي كتبت بأقلام أصحابها مصلحين منها : كتاب " الدين والاسلام " لمؤلفه المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء بجزئين ١٩١٢ وهو صورة معبرة ودقيقة تدعو الى النهوض والأخذ بمبادئ الإصلاح ووضع المهمات الملقة على كل من ينادي بالإصلاح فضلا عن محاكاة العقل والعلم في علاج الواقع المتدني بطروحاته التي دمجت بين العقل والشريعة . ووضع المصلح محسن أمين العاملي سنة ١٩٢٩ كتاب يحوي على المعاني الإصلاحية في بعض المسائل الدينية ويدعى " رسالة التنزيه لأعمال التشبيه " واقتصرت طروحاته الإصلاحية في إصلاح ما أدخل على بعض الشعائر الدينية من عادات بعيدة عن روح الدين وحاكم العقل والمنطق في طروحاته بل أثبت صحة آرائه بمقارنتها بنصوص الشريعة الإسلامية ، ومخطوطة المصلح محمد رضا المظفر " آراء صريحة " التي كتبها عام ١٩٥١ والذي وضع في ثانيا مخطوطته الرموز الأساسية لبدايات نشاط التيار الإصلاحي النجفي وما تعانیه كردة فعل من قبل التيار المحافظ والذي لخص أفكارهم (المحافظين) وإيثارهم بابقاء القديم واصرارهم بالتمسك بأفكارهم المحافظة ، وكتاب " الأحلام " للمصلح علي الشرفي الذي وضعه عام ١٩٦٣ مجسدا أفكار التيار الإصلاحي النجفي ونشاطه بعبارات فلسفية ناقدة وساخرة لأوضاع المجتمع .

النوع الثاني (المصادر الثانوية) وهي بدورها تقسم الى قسمين (الأول) : المصادر التي تتحدث عن مدينة النجف أو الأحداث والمتغيرات التي عاشتها خلال مدة ١٩٠٨ - ١٩٣٢ ومنها كتاب " ماضي النجف وحاضرها " لمؤلفه جعفر باقر محبوبية التي تتناول مدينة النجف وأوارها وما تحتضنه من موروث ودورها في عهد السيطرة العثمانية والاحتلال البريطاني وما رافق من تغييرات بالمدينة فضلا عن ملامح بعض نشاط التيار الإصلاحي النجفي ، وكتاب " التطور الفكري في العراق " للمصلح محمد علي كمال الدين الذي وضع ملامح انبثاق الفكر في العراق وبداياته في مدينة النجف للمدة ما بعد عام ١٩٠٨ ، ويوضح نشاط المصلحين وتفاعلهم مع أحداث الحركات الدستورية الايرانية والعثمانية ، وكتاب " ثورة العشرين (الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية

والاستقلالية) " لمؤلفه وميض جمال عمر نظمي فقد وضع الجذور والعوامل الممهدة لثورة العشرين مدعومة بالوثائق والأسانيد المختلفة حتى اندلاعها ، وذكر نشاط مدينة النجف بهذه الجذور ودورها بعد عام ١٩٠٨ ورسم سمة مدينة النجف بهذه المدة بسمه القومية وحمل رسالة العروبة والأصالة وهي نتيجة سياسة الاتحاديين العنصرية ؛ (الثاني) : وهي " المصادر المساعدة " فقد اعتمد الباحث على عدد من المصادر التي أغنت الدراسة بمعلومات عن نشاط التيار الإصلاحي النجفي أو الأحداث التي عاصرت نشاطه للمدة ١٩٠٨ - ١٩٣٢ ومنها كتاب " شعراء الغري أو النجفيات " لمؤلفه علي الخاقاني بأجزاء الاثنتي عشر فهي موسوعة عن شعراء مدينة النجف وأدبائها ، فضلا عن ذلك حصولنا ترجمة لعدد من المصلحين النجفيين . وكتاب " الصراع بين القديم والجديد " لمؤلفه محمد حسين الأعرجي الذي يوضح صراع رواد الفكر القديم (المحافظين) ورواد الفكر الحديث (المجددين) وبرر صراع الطرفين وأخرج وجهة نظرهما ، وهو بشكل عام يقارن بين الحركات الفكرية التي تفجرت في بدايات القرن العشرين ؛ ومن المصادر المساعدة التي أغنت الدراسة " تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربي (١٩٣٠ - ١٩٧٠) " لمؤلفه محمد جابر الانصاري الذي سلط الضوء على التيارات الفكرية التي تبحرت على ساحة الوطن العربي وظروف نشأتها وبخاصة الفكر التحديثي ودور الاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨ ونفوذهم في بلاد الشام في بناء المدارس والجمعيات العلمية ، ويوضح " الفكر السلفي " ودوره في اثبات كيانه والبيغة التي يرمي إليها ثم يقارن بين التيارين التحديثي والسلفي وإظهار وجهي المقارنة والاختلاف بين التيارين .

والنوع الثالث من المصادر التي اعتمدها الباحث هي (الوثائق البريطانية غير المنشورة) وتقسّم الى قسمين (الأول) : هي وثائق الاحتلال البريطاني وهي مجموعة من الوثائق التي أرسلتها سلطة الاحتلال البريطاني في العراق الى مراكز النفوذ البريطاني في لندن وكانت تلك التقارير معنونة بأسماء تلك المراكز الاستعمارية وهي " أسملا ، السورات " ومن بين تلك الوثائق المهمة التي عثر عليها الباحث هي البرقيات المشفرة التي يبعثها القنصل الإيراني في مدينة النجف والتي ينقل أحداث مدينة النجف مدعومة بالأدلة والبراهين والتحليلات وكثير ما كانت وجهة نظر القنصل الإيراني تتفق مع البريطانيين في شكل هذه الأحداث ، والقسم (الثاني) من الوثائق هي ملفات البلاط الملكي - وهي مجموعة من التقارير السرية التي يرسلها ضباط المناطق السياسية في مدن العراق عن أحداث مناطقهم . والنوع الرابع من اعتمادنا للمصادر هي " الدوريات " إذ كان " مجلة العلم ١٩١٠ - ١٩١٢ " دور في إغناء الدراسة بمعلوماتها خاصة وإنها أداة من أدوات التيار الإصلاحي النجفي ، و (صحيفة النجف) السنة الثانية ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ، وكان للدوريات ما بعد عام ١٩٣٢ دورا مهما في إغناء الدراسة فوجدنا كتابات بأقلام مصلحين كعلي الشريقي ومحمد علي الحسيني ومحمد علي كمال الدين وجعفر الخليلي الذين سجلوا ذكرياتهم عن بدايات التيار الإصلاحي النجفي ونشاطه فضلا عن كتابات غير المصلحين . والنوع الخامس من اعتمادنا للمصادر هو " كتب التراجم " والتي تقسم الى قسمين (الأول) : التي تكتب عن ترجمة شخصية ما وبخاصة التي كتبت بحق عدد من المصلحين ومنها كتاب " المصلح المجاهد محمد كاظم الخراساني " لمؤلفه عبد الرحيم محمد علي الذي ترجم ولادة ونشأة هذا المصلح وأهم المراحل الدراسية التي اجتازها وجهوده في الكتب التي ألفها ومدى منفعتها للطلبة ثم ينتقل الى المرحلة الهامة من حياته وهي مرحلة نشاط التيار الإصلاحي النجفي الذي يقترنها بردود فعل المجتمع النجفي جراء الحركة الدستورية الإيرانية التي عنونها بـ " المشروطية الإيرانية " وذكر التيار المحافظ وزعامته ودوره في صراعه مع التيار الإصلاحي . وكتب عن المصلح " سعد صالح " مؤلفين الأول : " سعد صالح " لمؤلفه محمد علي كمال الدين سنة ١٩٤٩ والذي يوضح فيه معالم الحركة الفكرية التي عاشتها مدينة النجف بعد الانقلاب العثماني ؛ وكتاب " سعد صالح في مواقفه الوطنية (١٩٢٠ - ١٩٥٠) " لمؤلفه علي كاشف الغطاء الذي يذكر فيه الحياة السياسية لمدينة النجف وطبيعة المبدأ الذي اتخذه المصلحون النجفيون وسمات المنهج التوفيقي الذي ساروا عليه ثم يدخل الى الحياة السياسية التي عاشتها مدينة النجف ودور المصلح سعد صالح فيها ؛ القسم (الثاني) هو " الموسوعات " أو كتب التراجم التي تذكر رجال الفكر والأدب والدين ولا يخلوا صاحب هذه المؤلفات من الميل الى كفة أو أخرى فوجدنا علي الخاقاني في كتابه " شعراء الغري أو النجفيات " يميل الى التيار الإصلاحي النجفي بينما وجدنا محمد حرز الدين في كتابه " معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء " يميل الى التيار المحافظ ويدافع عنه بل يكيل النقد للحركة الإصلاحية النجفية . وأخيرا يضع الباحث جهده المتواضع بين يدي أعضاء لجنة المناقشة الموقرة للاستلهام والأخذ بملاحظاتهم القيمة لترصين الدراسة منهجيا وموضوعيا جزاهم الله خير الجزاء والله خير الموفق .

الباحث

The Movement Of The Reformatory Current In Najaf (1908 – 1932)

Abstract

It was one of the thinkable movements in Iraq whose emergence was owing to decline and hard conditions in life besides what society had been suffered. There appeared a thinkable movement in Najaf, a group of well – minded reformers had the responsibility of waking up the society from stagnation and retrogression.

Those reformers whose principles were to harmonize between the sublime virtues of Islam and the progress that the world witnesses during the commencements of the 20th century.

Those principles tended to be renewal and recent which represented the word “ reformation “ at last.

This reformation was of three types: economical, social and political. It was economical, by building a society in the middle of flourish, prosperity and adoption the best usage of the economical theories.

It was social, by getting rid of the negative traditions, stagnation and ignorance which accompanied the society during the Ottoman occupation; moreover, bringing up a pure society a way from all figures of mockery.

It was political, by getting liberty and independence which both of them were thoughts and concepts reflected the consciousness of those reformers in the political life.

There must be styles and means for those reformers so as to advertise their thoughts and theses; therefore, “ An-Najaf reformers “ made use of the press, for example, (Majallat Al-Elm 1910 – 1912) the magazine of Elm was a great reformatory paper in An-Najaf society, also there was a great effect for (An-Najaf 1926 – 1927) a newspaper which published the reformatory claim of recency and renewal.

The reformers made use of their knowledge in literature and poetry in which poems were called “ The reformatory poetry “. They criticized the unfamiliar manners and the bad social conditions for which they tried to put solutions. Their solutions focused on “ Education “ as the best treatment, thus they encouraged people to learn, but their claims were unacceptable to be listened by what so – called “ The preserved current “ whose thoughts and principles were so strict that they obstructed the reformatory current in Najaf. The difference in thoughts resulted in a conflict, which was much represented by the ancient and recent.

At the commencements of the 20th century, the reformatory current in Najaf participated in the political cases as in the revolution of (Ottoman – Iranian), and also it look part in the revolutions that took place during the British occupation (1914 – 1932).

الفصل الأول

(حركة التيار الإصلاحى النجفى وعوامل تبلورها)

المبحث الأول :

- أولاً : ماهية الحركة الإصلاحية في مدينة النجف .
١ . تعريف الحركة الإصلاحية .
٢ . تعليل الحاجة الى الإصلاح .

ثانياً : عوامل تبلور الحركة الإصلاحية في مدينة النجف

أ - العوامل الداخلية :

- ١ . المكانة العلمية التي تحتلها مدينة النجف .
- ٢ . المجالس النجفية .
- ٣ . دور التعليم في نمو الوعي الفكري عند أبناء مدينة النجف .
- ٤ . دور البيئة الأدبية في صقل الاتجاهات الإصلاحية .
- ٥ . دور المساجد في نمو الوعي الفكري عند أبناء مدينة النجف .
- ٦ . دور المكتبات .

ب - العوامل الخارجية :

- ١ . العوامل الفكرية الخارجية التي ظهرت في الوطن العربي :
أ - دور فكر التيار التحديثي وتأثيره .
ب - القومية العربية .
- ٢ . العوامل الفكرية الخارجية الأجنبية :
أ - الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ، دورها وموقف الحركة الإصلاحية النجفية منها .
ب - دور الانقلاب العثماني ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ، وموقف الحركة الإصلاحية النجفية منه .

المبحث الثاني : حركة التيار الإصلاحى (النشأة والتكوين)

أولاً - نشأة الحركة الإصلاحية النجفية :

- ثانياً - تكوين الحركة الإصلاحية النجفية :
١ . أبرز أعضاء الحركة الإصلاحية ومراكزهم في مدينة النجف .

المبحث الأول :

أولا - ماهية الحركة الإصلاحية في مدينة النجف .

تحت تأثيرات داخلية وخارجية برزت في مدينة النجف حركة إصلاحية حاولت تغيير الموازين والأمور التقليدية السائدة في المدينة ، وبرزت الحاجة إلى مثل هذه الحركة التي عبرت عن مضامين إنسانية مدنية الصفة انعكس هذا الأمر على رجالها الذين مارسوا وجوه الإصلاح على الرغم من الظروف والقيود التقليدية التي تضيق على كل متنفس إصلاحى ، وأبرز ما في هذه الحركة أنها خرجت عن نطاقها الداخلى فكانت وطنية وقومية ، بفعل عروبته وأصالتها ، وبفعل الظروف الدولية التي حتمت على بث فكرة الأصالة والعروبة في الحركات الفكرية الثقافية . لم تكن هذه الحركة منعزلة عن وطنها العراق ، كما لم تكن منفردة في التوجه والسياق عن بقية الحركات الإصلاحية الأخرى .

١ - تعريف الحركة الإصلاحية :

توسع مفهوم الحركة الإصلاحية النجفية من حيث التجديد والتحديث ، لأن الحداثة " الهاجس الذي يتحرك في داخلنا كلما قرأنا شيئا ، أو سمعناه ، يتحول الى موقف من التجديد والتحديث ، أو الإبداع . لأن كل مبدع هاجسه التغيير " (١) ، والحركة الإصلاحية النجفية هدفها الأساسي التغيير .
فالفكرة الإصلاحية النجفية بما اقترنت به من تطور عام من أحداث ومتغيرات (٢) داخلية في نطاق هذا التطور ، لكنها تتخذ سيرا خاصا وخطة ، ومنهج معين ، ويتفاوت سيرها مع الأحداث . نظرا لـ " أن لكل فكرة بل لكل حالة من حالات الإنسان ، ظروفها الزمانية من نمو واندثار ، وظروفها المكانية من عوارض البيئة ، وإن لكل فكرة من نتائج الإنسان أوضاعها الاجتماعية الملامسة لتلك الظروف ، تعمل فيها رقايا وركودا وانتكاسا " (٣) .
وتطورت معاني الرسالة الإصلاحية الحديثة ، بل إنها أخذت تشمل جميع الظواهر الاجتماعية ، والظروف التي رافقتها من أحداث ومتغيرات (٤) .

٢ - تعليل الحاجة الى الإصلاح :

تظهر الحاجة الى الإصلاح من الإنسان نفسه فإن الإنسان يسعى الى أن يتابع التغييرات التي تحدث في البيئة الاجتماعية المحيطة به ، وفي الوقت نفسه عليه أن يخلق من الأسباب ما يؤدي الى تغيير هذه الهيئة ، ومحاولة التأثير فيها (٥) .

فضلا عن ذلك إن الإنسان يطالب بالإصلاح لأنه " مدني الطبع أخذ دائما بالتطور والتقدم والرقى " (٦) . ويجد الإنسان نفسه مرتبنا بالتطور والإصلاح " فكل شيء لا يتطور فهو عرضة للإزالة وهدف للاختفاء وغرض للإبادة " (٧) .

واتسم الإصلاح بأهميته التي تدخل جميع نواحي الحياة ، إذ إن " لا صلاح للأسرة إلا بصلاح أفرادها ، ولا صلاح للامة إلا بصلاح أسرها ، ولا ارتقاء للدولة إلا بارتقاء شعبها " (٨) . وهذا يفسر عظم الرسالة الإنسانية التي تحملها حركة التيار الإصلاحى النجفى .

وكان العراق بصورة عامة يحظى بقاعدة ضخمة من المصلحين والمفكرين (٩) ، ممن لهم الدور في عملية الإصلاح والتجديد ، إذ جاء في أحد التقارير البريطانية التي بينت عدم ملائمة فرض الموظفين الهنود على العراق ، فوصف الميل باتجاه الإصلاح قائلا : " أنه من الخطأ الفادح إذا ما قمنا منذ البداية بالسعي لفرض أناس غرباء ذوي

(١) " الجمهورية " ، (صحيفة) ، بغداد ، ٢١ / تشرين الثاني / ٢٠٠٠ ، العدد (١٠٤٢١) ، ص ٤ .

(٢) تعرضت الحركة الإصلاحية النجفية الى أقوى واشد التطورات والمتغيرات السياسية . وهي الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ذات التأثير غير المباشر ، والانقلاب العثماني ١٩٠٨ الذي وضع بصماته المباشرة على مدينة النجف الخاضعة ضمن ولايات العراق الأخرى لسلطان الدولة العثمانية . للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث ينظر : مجذوب ، طلال ، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، دار الرشيد للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .

(٣) كمال الدين ، محمد علي ، التطور الفكري في العراق ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٧ .

(٤) " الثقافة " ، (مجلة) ، القاهرة ، ٢٠ / آب / ١٩٤٠ ، العدد (٨٦) ، ص ٥ .

(٥) خاطر ، التغيير الاجتماعي والتحديث (مدخل تكاملي لفهم واستيعاب ظاهرة التغيير الاجتماعي) ، القاهرة ، بلا ، ص ٦٤ .

(٦) الإسلام دين الحياة ، (نشرة) ، تصدر عن مدرسة الشيرازي ، نجف ، ١٩٦٨ ، ص ٧ .

(٧) " التوحيد " ، (صحيفة) ، النجف ، ١٥ / شباط / ١٩٥٩ ، العدد (٢) ، ص ٧ .

(٨) " المقطف " ، (مجلة) ، القاهرة ، كانون الثاني ١٩٢٤ ، العدد (١) ، م (٢٤) ، ص ٢٧ .

(٩) ظهرت في العراق الكثير من الحركات الإصلاحية التي رافقت التيار الإصلاحى النجفى ، منها الحركات الإصلاحية في بغداد والموصل . ينظر : تحسين العسكري ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية ، بغداد ، ١٩٣٦ ، ج ١ ، ص ١٠٩ ؛ عبد الغني الملاح ، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٨٤ . وفي البصرة ظهرت جمعية إصلاحية تدعى (جمعية البصرة الإصلاحية) التي تأسست سنة ١٩١٢ ، بزعامة طالب النقيب التي دعت الى منهج وطني رافض لبوادر السيطرة الأجنبية ، يذكر بأنها ذات علاقات مع جمعيات في الأستانة ولبنان ، وهي الجمعية التي ابرق زعيمها طالب النقيب ببرقية تأييد الى المؤتمر العربي المنعقد في باريس ١٩١٣ الذي أيد المفاهيم اللامركزية للحكم العثماني على البلاد العربية ، وهي جمعية إصلاحية ثورية سيطرت على القوى الشعبية وامتد تأثيرها حتى منطقة الفرات الأوسط . ينظر : " المستنصرية " ، (مجلة) ، بغداد ، ١٩٨٣ ، العدد (٧) ، ص ٤٢٦ .

مستوى متدن على أناس يمتلكون ((ميلا طبيعيا الى الارتقاء بحالة اجتماعية اكثر تقدما))^(١٠) . وتحاول الحركات الإصلاحية ومنها (النجفية) استثمار هذا الميل بنشاطاتها المستمرة .
وحينما سئل (علي الشرقي) عن دور الرسالة الإصلاحية في تطوير المجتمع ؟ كانت إجابته تعبيراً عن مدى الحاجة والميل الى حاجة الإصلاح . حيث قال بوصفه شاهد عيان : " إن المجتمع العراقي وخاصة منذ بدايات القرن العشرين في حاجة الى التطور في جهات عديدة ، سياسية كانت ، واقتصادية ، أو اجتماعية "^(١١) .
ولبيان حاجة الإنسانية الى الإصلاح وبخاصة مع المتغيرات الجديدة التي تطلعت بها سنوات القرن العشرين الأولى ، يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء^(١٢) : " أما التربية والتثذيب والتنقيف والتشذيب ، والتكميل والأدب ، والتحديث ، فالحاجة إليها اليوم ومن ذي قبل قد بلغت الى مكان من الضرورة والظهور إعادة القول فيها والحث عليها "^(١٣) .

وأخذت الحركة الإصلاحية النجفية في بواكير نشاطها وعملها جانبا كبيرا من التوعية السياسية ، حينما شعر الأحرار بوجوب اللحاق بركب الإنسانية المتطور واستخدام (المنحى التوفيقي) بين روح الدين وبين مقتضيات العصر الحديث^(١٤) .

كان موقف العامة حول تلك الحركة موقفا يثير الأمل في النفوس ، بسبب ظلمة سواد الاستعمار العثماني ، ويبرر هذا الموقف وميض جمال عمر نظمي إذ قال : " وفي الواقع كان بعض أفراد طبقة الأفندية^(١٥) ، وملوك الأرض يعارضون إجراء أية إصلاحات خشية تهديد مصالحهم الراسخة في النظام القديم وكان (السواد الأعظم من الناس يخشى التجديد) لأنه ضحية مزيج من التعصب الديني والاجتماعي والجهالة "^(١٦) .
يتضح مما سبق أن الحركة الإصلاحية النجفية إنسانية ووطنية وقومية ، متحضرة نابعة من صميم عروبة الأمة إضافة الى كونها حركة شاملة ، لم تقتصر على مدينة النجف وحدها ، وهذا لا يعني أنها تصدر مفاهيمها فحسب بل أنها مستقبلة لمفاهيم وأفكار جديدة وجدتها في الحركات الإصلاحية في بغداد والبصرة والموصل فهي حركة تاريخية ، لأنها حاولت أن تحدث شيئا .
ومما ساعدها على الظهور جملة من العوامل الداخلية والخارجية وغيرها ، التي ظهرت تأثيراتها على مدينة النجف ، وكانت أرضية مناسبة لانبثاق فجر الحركة الإصلاحية النجفية .

ثانيا - مقدمات الوعي السياسي

أ - العوامل الداخلية :

وفرت الكثير من الظروف الخاصة بمدينة النجف ولادة جيل إصلاحي شعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه بإصلاح كل ما هو شاذ غير مقبول في المجتمع ، فالمكانة المحترمة التي أعزها الله سبحانه وتعالى مدينة النجف من قدسية دينية وهيبة علمية فرضت نفسها على حواضر العالم الإسلامي ، المجالس التي تعد السمة العلمية للمدينة ، والتي أصبحت فيما بعد مقرات لرواد الحركة الإصلاحية الذين شربوا من مناهل التعليم الخاص بمدينتهم . فكانت كخلفية نحل تجذب الكثير من الطلبة . ومن ثمارها الجو الأدبي المتذوق للمعاني السامية والنقد الساخر لكل ما هو رجعي متخلف ، وهيات المساجد جوا ملائما للتوعية وقوة الإدراك تساعدها المكتبات الشخصية والعامة المحتضنة لشتى صنوف الكتب العلمية والأدبية الخاصة والعامة .

١ - المكانة العلمية التي تحتلها مدينة النجف :

تحتل مدينة النجف بإدارة ذاتية شبه مستقلة استمرت حتى بدايات القرن العشرين في ظل السيطرة العثمانية ، وأفرزت تلك الاستقلالية بدافع المكانة الدينية والعلمية " أنها قد استثنيت من الخدمة العسكرية منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين "^(١٧) . ولا يخفى ما لهذا من دور في توجه أعلام مدينة النجف وأبنائها نحو المعرفة وإدراك مناحي الحياة والثقافة والتعليم .

(١٠) مقتبس من قرانجي ، فواد ، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥ - ١٩٣٠) ، مراجعة عبد الرزاق الحسني ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٣٧ .

(١١) " الحوزة " ، (صحيفة) ، النجف ، ٣٠ / شباط / ١٩٥٨ ، العدد (٥) ، ص ٦ .

(١٢) ولد المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء سنة ١٨٧٨م من أسرة علمية مرموقة ، وهو ابن الشيخ علي بن محمد رضا بن موسى بن الشيخ جعفر ، وأصلهم من مدينة الحلة ، درس هذا المصلح العلوم العربية والدينية في معاهد النجف العلمية . ومن أشهر أساتذته المصلح (محمد كاظم الخراساني) و (محمد كاظم اليزدي) ، وقد اجتذبت رسالة الإصلاح منذ شبابه ، ساهم بالجهاد ضد البريطانيين بالحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ، تتميز إصلاحاته في التوغل بالمسائل القومية إضافة الى الوطنية ، أشهر مؤلفاته (الدين والإسلام ١٩١٢) ، توفي عام ١٩٥٤ . للمزيد عنه ينظر : بصري ، مير ، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، سلسلة الكتاب الحديثة (٣٨) ، بغداد ، بلا ، ج ١ ، ص ١١٠ - ١١٣ .

(١٣) مقتبس من كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية ، صيدا ، ١٩١٢ ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(١٤) مغنية ، محمد جواد ، الشيعة والحاكمون ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٧ .

(١٥) طبقة الأفندية أو ما يسمون بالموظفين النظاميين وهي نتيجة من نتائج الإصلاحات العثمانية ، كانوا من المتعلمين ويصرون بالتحدث باللغة التركية . للمزيد من التفاصيل ينظر : الورد ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (١٨٧٦ - ١٩١٤) ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ج ٣ ، ص ٦ .

(١٦) مقتبس من نظمي ، وميض جمال عمر ، ثورة العشرين (الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية والاستقلالية) ، بغداد ، ٢٤ ، ١٩٨٥ ، ص ٣٤ .

(١٧) الملحة ، محمد علي رشيد ظاهر ، رجال المقاومة العربية في النجف ، نجف ، ١٩٩٨ ، ص ٢٦ .

وامتازت النجف منذ تأسيسها بطابع خاص ، وهو طابع القدسية والاحترام ، والأسباب الرئيسة لانطباعها بهذا الطابع " هو وجود مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، والجامعة العلمية " (١٨) .
ونظرا لتلك القدسية والمكانة العلمية التي حظيت بها مدينة النجف ، كان لها الدور في انتقال النتاج الفكري إليها من كل المدن العراقية ، فلأجل التلمذة والتعلم هاجر إليها العشرات من الطلاب العراقيين بدوافعهم ، ومبولهم ، وأدبهم ، وأفكارهم ، فأوجدوا " فيها حركة فكرية تمتاز عن الحركة الفكرية في أمهات المدن العراقية مثل البصرة والموصل وبغداد " (١٩) .

وتعدى نطاق الهجرة غير العراقيين أيضا ، فمن الدول الأجنبية التي يأتي طلابها إلى مدينة النجف " إيران والهند وأذربيجان والقوقاز وباكستان " ، والعربية " لبنان وسوريا واليمن وبعض مناطق الخليج العربي كـ (السعودية ، البحرين ، عمان) " ، وكان هؤلاء الطلبة يأتون بشرواتهم المادية ، والأدبية والفكرية . وأهمها أمهات الكتب المخطوطة في الفلسفة والرياضيات والأدب والفلك والتاريخ والسياسة . إضافة إلى أفكارهم وثقافتهم وعادات وتقاليد بلدانهم (٢٠) ، ولهذا دور في تنبيه الفكر واتقاده وتنوعه في ربوع الأوساط النجفية ، حتى أنها وصفت بـ " المدينة التي اجتمع فيها العالم " (٢١) .

وللعقبات المقدسة في مدينة النجف دور مؤثر في مكانة المدينة ، فكان للزوار القادمين لزيارة تلك العتبات دور في زيادة الوعي الفكري لدى النجفيين ، وخاصة الشعراء والأدباء والمثقفين الذين كانوا ينظمون لهم القصائد ، وخاصة الزائريين من الأمراء والملوك (٢٢) ، ولهذا الأمر دور في تنمية الوعي الحسي لدى شعراء النجف ومفكرها .
ومن جهة أخرى كان لمقبرة مدينة النجف دور آخر . ففضلا عن المقابر التي يدفن فيها العراقيون موتاهم ، هنالك مقابر خاصة بالدول الإسلامية التي اعتادت أن تدفن موتاها في هذه المدينة ، فمن المقابر الخاصة : " أن كل الغرف السفلى للصحن قبور لبعض العائلات الإسلامية كشاهات إيران ، وأمراء الهند ، وعائلات سورية وغيرها " (٢٣) ، حتى أن مجلة العرفان اللبنانية وصفتها بأنها " ثاني مقبرة عالمية إذ اعتبرت أن (مقبرة الفاتيكان) الأولى " (٢٤) .

٢ - المجالس النجفية :

المجالس بيوت عامرة لمختلف الطبقات يجد فيها العالم ما يلتذ بها ، والأديب ما يشبع رغبته ، وذو الحاجة ما يسد به حاجته (٢٥) . و " المجالس العراقية تعالج ظواهر المجتمع وعلله في إطار تحركه الفكري " (٢٦) . لأنها " كانت المنتفس الكبير للتعبير عن الأماني الوطنية والقومية ، وتحاول إحياء وبعث التراث العربي الأصيل بصياغة منطلقات جديدة للتخلص من الواقع الفاسد " (٢٧) .

وتعد الدواوين أو ما تسمى بالمجالس النجفية واحدة من العوامل القوية التي ساعدت على تبلور الوعي الفكري لدى أبناء النجف ، ففي هذه المجالس تطرح الأفكار ، والآراء السياسية المختلفة القديمة منها والحديثة ، وما تصلح مع تطور الزمن (٢٨) . حتى أعتبرها النجفيون " وسائل جبارة تعمل على تنوير الأذهان " (٢٩) .
وهي إنسانية شاملة " فإن أغراضها لم تكن سياسة فقط ، بل كانت في جملتها أغراضا إصلاحية " (٣٠) .
كان دور المجالس النجفية متميزا حيث أثمرت رجالا ثقافية علمية واعية ومدركة للظروف والحقائق التي يمر بها المجتمع (٣١) ، فلا تخلو أسرة علمية في مدينة النجف من أن يكون لها منتدى أدبي أو مجلس علمي (٣٢) . حتى عرف

(١٨) الأسدي ، حسن ، ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٥ .

(١٩) الشرفي ، علي ، الأحلام ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٤٠ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٢١) " العرفان " ، (مجلة) ، صيدا ، آب / ١٩٤٨ ، ج ٨ ، م ٣٥ ، ص ١١٥ .

(٢٢) يزخر تاريخ مدينة النجف بزيارات عدد من الملوك والأمراء وشخصيات مهمة ، ومنهم زيارات الخلفاء العباسيين ، فقد زارها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور وأيضا زارها الخليفة هارون الرشيد سنة ١٢٣٢ م ، والخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ١١٠٧ م ، والخليفة المستنصر بالله وأيضا عضد الدولة =

= البويهبي وملك شاه السلجوقي ، وفي العهد العثماني زار النجف السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤٣ ، وزارها في العهد الصفوي إسماعيل الصفوي سنة ١٥١٦ ، وزارها السلطان الفاجاري ناصر الدين الفاجاري سنة ١٨٩٦ ، وزارها السلطان محمد خان ١٨٩٢ (سلطان الهند) . للتفاصيل عن هذه الزيارات ينظر : فخر الدين ، محمد جواد نور الدين ، تاريخ النجف في العصر العباسي (٧٤٩ - ١٢٥٨ م) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ .

(٢٣) مقتبس من " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ١٧ / تشرين الأول / ١٩٣٤ ، العدد ٣٨ ، ص ١٧ .

(٢٤) صيدا ، آب / ١٩٤٨ ، ج (٨) ، م (٣٥) ، ص ١١٥ .

(٢٥) " النجف " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٠ / تشرين الثاني / ١٩٥٦ ، العدد ٢ ، ص ٣٠ .

(٢٦) النصيري ، عبد الرزاق ، دور المجددين في حركة التجديد ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣ ؛ الوائلي ، إبراهيم ، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١١٨ .

(٢٧) البستاني ، مهدي جواد حبيب ، " مواقف قومية في الأدب النجفي الحديث " ، (كلية الفقه - الجامعة المستنصرية) ، مؤتمر هيئة كتابة التاريخ المنعقد تحت شعار " الندوة القومية لمواجهة الدس الشعبي " وللمدة من ٢٠ - ٢٣ / كانون الأول / ١٩٨٩ ، ص ٨ ؛ علوان ، علي عباس ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٢ .

(٢٨) الخليبي ، جعفر ، هكذا عرفتهم ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٢٩) " الفرات " ، (صحيفة) ، النجف ، ١٥ / تشرين الثاني / ٢٠٠٠ ، العدد ٣٠ ، ص ٦ .

(٣٠) ديوان محمد رضا الشبيبي ، نشر وتقديم جمعية الرابطة الأدبية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص د .

(٣١) الخليبي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٣٢) البستاني ، المصدر السابق ، ص ٨ .

عن النجف أنها " عبارة عن نادي واسع " ، إذ " لا نرى إلا القليل من البيوت خال من الدواوين " (٣٣) . فهذه المجالس هي فعلا " عنوان النجف " (٣٤) ، وسمعتها .

كان المثقف أو الطالب النجفي لا يرتاد مجلسا واحدا في اليوم ، بل عدة مجالس ، فيقول جعفر الخليلي وهو من مرتادي تلك المجالس : " مضيت الى ديوان بيت الشرقي وكنت أعرف يقعد بالناس في غرفة الطابق الثاني الخ " ثم يقول : " وإذا ما انتهى مجلسه أقصد ديوانا آخر وهو ديوان الشيخ جواد الجواهري ثم أتوجه بعد الانتهاء الى ديوان السيد محمد علي بحر العلوم " (٣٥) .

ويهتم أصحاب المجالس بتوفير مستلزمات انعقاد مجالسهم ، فهي من حيث الشكل تقع في مقدمة بيوتهم على هيئة مدخل مسقوف مستدير أو مستطيل ، وتحتوي على المكتبات العامرة بالمخطوطات المتيسرة لصاحب المجلس ، فضلا عن احتواء المجلس نزلا مستقلا للضيوف (٣٦) .

كانت طبيعة الأجواء العلمية التي تحتضنها المجالس النجفية هي ألوان التنافس والمطارات العلمية . فبعد اجتماع حضار المجلس من العلماء والطلبة والمثقفين والأعيان حتى بعض رؤساء القبائل ، فيبتدئون بصيغة البحث الفقهي والأصولي ، كطرح أحد الحاضرين سؤالا فيرد عليه المقابل ، فيقاطعه آخر فيحتم النقاش وهكذا (٣٧) . أو يأخذ المجلس شكل تطارح فيه الأفكار والمعارف المختلفة ، حتى أن الخليلي يؤكد أنها تؤدي دورا في " وضع الخطط وتعد المناهج ، وتصبح أشبه بقاعة محاضرات والدرس " ويتعدى دورها فتصبح أشبه بمحكمة إذ قال " وتحل العديد من المشاكل " (٣٨) .

والمجالس الأخرى التي ساعدت على بلورة الوعي الفكري لدى أبناء مدينة النجف هي " مجالس الاستفتاء " (٣٩) .

وأشهر المجالس النجفية "مجلس آل الجزائري" الذي يسعى الى تحقيق النزعة الإصلاحية ، وكان لها الدور الكبير في تكوين الرأي العام وتوجهه والوقوف من القضايا السياسية أو غيرها ، كقيام مسألة (المشروطية في ايران ١٩٠٥) ، و (الانقلاب العثماني ١٩٠٨) ، حتى كون الرأي السياسي في مطالبة الحركة الإصلاحية بالحكم اللامركزي للعراق في عهد السيطرة العثمانية (٤٠) . ومن هذه المجالس (٤١) مجلس محمد صالح الجزائري (٤٢) .

وتنبري مجالس العلماء بنزعة أدبية ، وإصلاحية وعلمية فضلا عن أنها متعددة الأماكن فمجلس (المصلح محمد سعيد الحبوبى) في ثلاثة أماكن الأول (٤٣) : في داره ، والثاني في إحدى حجرات الصحن ، والثالث في مكان مشرف على بحر النجف وهو سطح قبة اليماني (جامع صافي صفا) بمقبرة النجف (٤٤) . ومن المجالس النجفية الأخرى هي "مجلس آل شيخ راضي" (٤٥) ، و"مجلس آل بحر العلوم" ، و" الطريحي " ، و" البحراني " (٤٦) ، و" مجلس محمد البغدادي " ، و"مجلس محمد رضا آل ياسين " ، و"مجلس محمد أمين الصافي " ، و"مجلس علي شبر " (٤٧) ، و"مجالس تعقد في الصحراء التي تحيط بمدينة النجف خارج السور في منطقة تسمى بـ"الشواطئ" بالجهة الغربية للمدينة لمسافة ثمانية كيلومترات (٤٨) .

وأصبحت المكانة الاجتماعية لهذه البيوت التي تحتضن المجالس سامية ومحترمة في مدينة النجف ، إذ جعل من بيوتها منتدى لكل من طلب العلم وتاق الى المعرفة ، وهي بدورها " أصبحت مركزا إصلاحيا غير مدرك لأنها أخذت تشد من أواصر العلاقات والروابط الاجتماعية " (٤٩) .

وعظمت مسؤولية المجالس وبخاصة التي يديرها المصلحون . فهي الى جانب وظيفتها العلمية والأدبية تنشد رسالتها الإصلاحية ، فإذا وقع المصلحون في مشكلة مالية ، أو إنشاء مشروع إصلاحى يتبرع أحد المحسنين في المجلس لسد هذه الحاجة (٥٠) .

(٣٣) " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ٢٨ / تشرين الثاني / ١٩٣٤ ، العدد (٤٤) ، ص ١٩ .

(٣٤) " النجف " ، (مجلة) ، نجف ، ٢٢ / تشرين الثاني / ١٩٦٠ ، العدد (٥ - ٦) ، ص ٥ .

(٣٥) الخليلي ، جعفر ، هكذا عرفتهم ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٣٦) البستاني ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٣٧) محبوبه ، جعفر باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، صيدا ، ١٩٣٣ ، ص ٢٧٥ .

(٣٨) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٣٩) وهي عبارة عن مجالس دينية علمية ، تجيب عن الأسئلة الشرعية التي ترد النجف من مدن العراق ، والأقطار الإسلامية فيما يتصل بشؤون المسلمين الدينية ومناحي الحياة الأخرى . التميمي ، منى جابر ، شعر محمد سعيد الحبوبى (دراسة فنية) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ ، ص ٧ .

(٤٠) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

(٤١) الخاقاني ، علي ، شعراء الغري أو النجفيات ، نجف ، ١٩٥٦ ، ج ٩ ، ص ٢٧٥ .

(٤٢) هو محمد بن صالح بن الشيخ أحمد الجزائري ولد عام ١٨٧٤ م ، عالم جليل وشاعر موهوب وإصلاحى الفكر قال عنه الخاقاني " تدرع بالجرأة العربية فراح يقاوم كثير من الأفكار المزعومة والآراء غير الناضجة التي تدل على الرجعية والجهل " . ينظر : الخاقاني ، علي ، شعراء الغري ، نجف ، ١٩٥٦ ، ج ٩ ، ص ٢٧٥ - ٢٩٨ .

(٤٣) ديوان محمد سعيد الحبوبى ، جمع وتقديم عبد الغفار الحبوبى ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢ .

(٤٤) يتميز هذا المكان بموقع جغرافي جميل مشرف على بحر النجف الجاف ، فيكون منظر يدل على جمال الطبيعة فيبعث الاستلها على المناقشة والحوار العلمي . للمزيد ينظر : شنون ، إبراهيم ، الصفا منطقة مضيئة في النجف ، بحث مطبوع بالآلة الكاتبة ، غير منشور ، ١٩٩٣ ، ص ١٨ .

(٤٥) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٤٦) " المجمع العلمي العراقي " ، (مجلة) ، بغداد ، نيسان ١٩٨٠ ، م ٣١ ، ص ١٢٤ .

(٤٧) محبوبه ، جعفر ، المصدر السابق ، صيدا ، ٢٧٥ .

(٤٨) مركز دراسات الكوفة (الأرشيف الوثائقي) ، ملف النجف الأشرف المرقمة (٥١) ، ص ١٧٤ .

(٤٩) البستاني ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

ولتوضيح أهمية دور المجالس النجفية في الجانب الإصلاحى يقول جعفر الخليلي فيها : " والى مثل هذه المجالس يعود الفضل الأول في بذرة الاستقلال ، ووضع أول خطة لكيفية المطالبة باستقلال العراق ، والى مثل هذه المجالس انبثقت فكرة ثورة النجف الأولى في وجه الإنكليز " (٥١) .

٣- دور التعليم في نمو الوعي الفكرى عند أبناء مدينة النجف :

اقتترنت فرائض العبادة في الدين الإسلامى بفرىضة التعلم والتعليم من قوله تعالى " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (٥٢) ، وأيضاً ما أوصاه الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم " طلب العلم فرىضة على كل مسلم ومسلمة " (٥٣) ، ولمكانة مدينة النجف العلمية العالية ، اندفعت جماعات كثيرة من مدن العراق والجزيرة العربية وغيرها للدراسة فيها ، فهي المدينة المقدسة التي تحتضن جثمان ابن عم رسول الله الأمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - (٥٤) ، ومركزاً علمياً (٥٥) .

ان اكبر المؤسسات التعليمية في النجف والتي [يمكن ان نسميها الجامعة التعليمية] هو الصحن الشريف لتنوع الدراسة والامكنة فيه . فيقول الخليلي عنه: " كان الزائر يستطلع الكثير من المدارس التعليمية او الحلقات او الدواوين في الصحن الشريف ... وكانت العمائم من بيض وسود تتلحق هنا وهناك في الصحن الشريف " (٥٦) . والمتخرج منها يعرف بالمصطلح (خريج مدرسة الصحن) (٥٧) . ومن رجال الحركة الاصلاحية الذين تخرجوا في هذه المدرسة المصلح (محمد سعيد الحبوبى) ، والمصلح (محمد رضا الشيبى) ، والمصلح (أحمد الصافي النجفى) (٥٨) .

ساعدت الحلقات الدراسية على اثاره النيرة الاصلاحية فضلا عن نهج المسلك التعليمى ، اذ رقد المصلح (محمد علي الحسينى) واعوانه الدعوات الاصلاحية بحلقته الدراسية فقال : " وكان لآخوانى الذين انضموا الى حلقتى الاثر الكلى في نشر الفكرة الاصلاحية وايصالها الى اكبر عدد من الناس " (٥٩) . ويتخذ طلبة العلم في مدينة النجف مجلساً خاصاً بهم ، فبعد انتهاء دراستهم ، يراجعون فيما بعد ما لقي عليهم من مادة دراسية مع زملائهم ، ولهذه الاجتماعات العلمية دور في تنمية الوعي بينهم حتى ساد الاعتقاد بينهم " ان الدرس حرف والتكرار الف " (٦٠) . ويأخذ الطلبة ساعات استجمام فيذهبون الى شواطئ نهر الكوفة كل اسبوع . وبخاصة ان دروسهم ترهقهم وهي تلقى عليهم صباحاً ومساءً . ولكن هذه السفارة ايضا تنقلب الى سفرة علمية تلقائياً عندما يستحدث شيء يدعو الى السؤال والجواب حوله فيحتدم النقاش (٦١) .

وقد انعكس الجو الدراسى عند طلبة العلم على اطفال مدينة النجف ، فحينما يجتمعون في ازقة المدينة " يستعلمون اللفظة الغليظة المفخمة ، والصياح والعريضة ، فيقفز بعضهم في وجه الاخر معترضاً محتجاً على الاخرين كما يفعل اولئك الطلاب اصحاب الحلقات " (٦٢) . وهذا يوضح دور التعليم واثره في الاوساط النجفية . واشهر المدارس النجفية التي كونت النخبة المثقفة الواعية ومنها رجال الحركة الاصلاحية النجفية - هي : اولاً - المدارس القديمة (٦٣) :

- ١ . مدرسة المقداد السيورى : اسسها جمال الدين المقداد الاسدي سنة ١٤٢٣ م وهي تعرف بـ (السليمية) . وتقع في سوق المشراق ، وتحتوي على عشر غرف .
- ٢ . مدرسة الشيخ عبد الله : بنيت في اواخر القرن السابع عشر الميلادى .
- ٣ . مدرسة الغروية : اسست اوائل القرن الثامن عشر الميلادى .
- ٤ . مدرسة الصدر : اسسها محمد حسين ، مساحتها تسعمائة متراً مربعاً ، تاريخ بنائها الى سنة ١٨٢٣ م ، وتقع في مدخل السوق الكبير في النجف .
- ٥ . مدرسة المعتمد : اسست سنة ١٨٤٥ م وتقع في محلة العمارة باشراف حسين بن جعفر آل كاشف الغطاء

(٥٠) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ٣١٦ .

(٥٢) " القرآن الكريم " ، سورة الزمر ، الآية : (٩) .

(٥٣) الترمذى ، (سنن الترمذى) ، محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح ، تحقيق أحمد شاكر وآخرين ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

(٥٤) الشرقى ، حمدي علي ، تاريخ الأسر الخاقانية في النجف ، نجف ، ١٩٦٢ ، ص ١٤ .

(٥٥) الأمينى ، محمد هادي ، عبد الرحيم محمد علي ، مصادر الدراسة عن النجف والشيخ الطوسى ، النجف ، ١٩٦٤ ، ص ٧٦ ؛ علي الشرقى ، الأحلام ، ص ٤٠ .

(٥٦) جعفر ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

(٥٩) مقتبس من مذكرات (محمد علي الحسينى) ، علي الخاقانى ، شعراء الغري أو النجفيات ، النجف ، ١٩٥٦ ، ج ١٠ ، ص ٨٥ .

(٦٠) مقابلة مع الشيخ (مجيد البغدادي) بتاريخ ١٤ / ٧ / ٢٠٠١ وهو احد معلمي الجامعة الدينية في النجف ويوضح ان هذا المفهوم يسمى حالياً (المباحثة) او (البحث) ، ويجري بين اثنين و اكثر بعد انتهاء حصة الدرس .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٦٢) الشرقى ، طالب علي ، النجف الاشراف عاداتها وتقاليدها ، النجف ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٦ .

(٦٣) الشريس ، ناجى وداعة ، لمحات من تاريخ النجف الاشراف ، نجف ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٣٨ .

٦. المدرسة المهدية : بناها الشيخ مهدي بن الشيخ علي آل كاشف الغطاء سنة ١٨٦٧ م . وتقع في محلة المشارق .
٧. مدرسة القوام : اسست سنة ١٨٨١ م وتقع في محلة المشارق وتسمى ايضا بـ (الفتحية) .
٨. مدرسة الخليي الكبرى : وتسمى ايضا بـ (القطب) تاسست سنة ١٨٩٨ م ، وتقع في محلة العمارة .

وقد اسست المدارس النجفية بناء على حاجة المدينة وهي " بغية نشر العلوم والمعارف وتعلم العامة وتهينتهم ((وخاصة الشباب لممارسة المحاماة)) وتعلم مسك الدفاتر واصول المحاسبات التجارية ، وبعض اللغات الاجنبية (٦٤))

وكان للمدارس التي انشئت مع مطلع القرن العشرين دورها المتميز في صقل افكار رجال الحركة الاصلاحية النجفية وذهنيتهم .

ثانيا - المدارس الحديثة(٦٥) :

١. مدرسة الشربباني : اسسها الشيخ احمد الشربباني عام ١٩٠٢ وتقع في محلة الحويش ، وفيها عشرون غرفة .
 ٢. مدرسة الاخوند الكبرى : اسسها المصلح محمد كاظم الخراساني سنة ١٩٠٣ وتقع في محلة الحويش .
 ٣. مدرسة الخليي الصغرى : بذل لتشييدها حسين الخليي عام ١٩٠٤ وهي تقع في محلة العمارة وتبلغ مساحتها ٢٣٠ مترا مربعا .
 ٤. مدرسة القزويني : اسسها محمد امين الكروي عام ١٩٠٦ ، وتقع في محلة العمارة تبلغ مساحتها ثلاثمائة وخمسين مترا مربعا .
 ٥. مدرسة البادكوبي : اسسها علي تقي البادكوبي سنة ١٩٠٧ وتقع في محلة المشارق .
 ٦. مدرسة الاخوند الوسطى : اسسها المصلح محمد كاظم الخراساني سنة ١٩٠٨ ، وتقع في محلة البراق .
 ٧. مدرسة محمد كاظم اليزدي : اسسها محمد كاظم اليزدي سنة ١٩٠٩ .
 ٨. مدرسة الهندي : بناها ناصر علي خان من اهالي (لاهور) في الهند عام ١٩١٠ وتقع في محلة المشارق .
 ٩. مدرسة الاخوند الصغرى : اسسها المصلح محمد كاظم الخراساني سنة ١٩١٠ وتقع في محلة البراق .
 ١٠. مدرسة البخاري : شيدها محمد يوسف البخاري سنة ١٩١١ وتقع في محلة الحويش ، وفيها احدى عشرة غرفة ، وتوسع لسكن اربعين طالب .
- ومما تقدم يتضح ان العقد الأول من القرن العشرين شهد حركة بناء العديد من المدارس الدينية التي اسهمت في نشر الوعي والفكر اللذان كانا الاساس للحركة الاصلاحية النجفية .
- وكان السكن للطلبة متوفرا فقد بنيت لهم غرف في الطابق الأعلى والاسفل من بناء الصحن الشريف(٦٦) .
- أما العنصر الاخر الذي ساعد الحركة التعليمية في مدينة النجف فهو (الكتابيب) الذي يقارب عددها العشرين . " وهؤلاء الكتابيب يدرسون الطلاب القرآن والخط وبعض الحساب والانشاء بصورة ((قديمة جدا)) " (٦٧) .
- أما عن مواد الدراسة في هذه المدارس فقد كانت المدارس القديمة تدرس العلوم الدينية فيبتدئ الطالب بتعليم النحو والصرف واللغة ، ثم المعاني والبيان . فاذا مرت هذه المرحلة واتقن تلك العلوم اشتغل بعدها لدراسة الفقه واصول الاحكام الشرعية ، واخيرا يدرس المنطق وفرعا من الفلسفة يسمى (الحكمة الالهية) ، أما المدارس الحديثة فهي تعلم الطالب علوما حديثة كالفلك والحساب والطبيعة(٦٨) .
- والراجح عندي نتفق مع الشرقي في " ان مدينة النجف كلها مدرسة " (٦٩) . وبالتالي اصبحت " مصدر الحركات الفكرية ومهد العلم " (٧٠) .

(٦٤) البراك ، فاضل ، المدارس اليهودية والارمنية في العراق (دراسة عامة) ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٦ .

(٦٥) الشريس ، ناجي وداعة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨ . وينظر الاسدي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٦٦) " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ٢٤ / تشرين الاول / ١٩٣٤ ، العدد (٣٩) ، ص ٩ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٦٨) " العرفان " ، آب / ١٩٤٨ ، ج ٨ ، م ٣٥ ، ص ١١٥ .

(٦٩) الشرقي ، طالب علي ، النجف الاشرف ... ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٧٠) " العرفان " ، آب / ١٩٥٠ ، ج ٨ ، م ٣٧ ، ص ٨٦٩ .

٤- دور البيئة الادبية في صقل الاتجاهات الاصلاحية :

تعد المجالس الادبية واحدة من المظاهر العلمية التي ساعدت في ايقاظ الروح من مساؤها لتأخذ شكلها الاصلاحى والتجديدي . اذ ان معظم من يرتاد تلك المجالس هم اصحاب ادواق في الادب والعلوم وتربطهم صداقات قوية ، فاغنت الشعر بكثير من المساجلات ، والمطارحات ، والمراسلات والمدائح والمراثي^(٧١) .
ادت المجالس الادبية دورا كبيرا لا في رقد الحركة الاصلاحية النجفية بشعر ومراثي ادبية فحسب بل في الحفاظ على سلامة اللغة العربية والتراث الثقافي العربي ازاء تحديات سياسة التتريك ومخاطر العجمة في مفرداتها واساليبها^(٧٢) .

ومن العوامل التي ضاعفت نشاط المفكرين المتنورين في مدينة النجف (العطل الاسبوعية) فقد كانت عطل مدينة النجف الدراسية يومي (الخميس والجمعة) والذي حوله الابداء والمفكرون الى ايام حلبات ادبية ، وتاريخية سميت باسم اليوم مثل (معركة الخميس) وممن شارك فيها من رجال الحركة الاصلاحية (مهدي بحر العلوم) ، (جواد الشيبلي)^(٧٣) ، وسميت ايضا بـ (وقعة الخميس) لانها تجري بين صفتين متنافسين^(٧٤) .
انقسمت الحياة الادبية في مدينة النجف على ثلاثة انواع : الأول يسمى (ادب المناسبات) اذ كان مجاله ودواوينه الاعراس ، والوفيات ، والمناسبات الدينية ، والاجتماعية الاخرى^(٧٥) . وهو لون يختلف عن باقي الالوان ، كونه يمثل مشاعر صادقة في التعبير عن الخواطر ، ويتميز هذا اللون عن غيره بتنوع المعارف والعلوم ، ولا يخلو من نكتة أو مساجلة أو واقعة تاريخية ، أو قاعدة فقهية ، أو اصولية ، أو حدث معاصر ، أو تطور هام يتناقشون فيه ويشتد حوله الحوار والاستفسار^(٧٦) .

وتعقد في مدينة النجف خلال الاشهر الدينية (المحرم) و (صفر) و (رمضان) ، (المجالس الحسينية) وهي تنفرع عن (ادب المناسبات) ، ومجالس اخرى هي (مجالس التعازي) التي تقام في وفيات الفقهاء والعلماء ، وتقام ايضا مجالس الافراح كمجالس العرس والختان والمواليد^(٧٧) . فكان لهذه المجالس دورها في انطلاق النفوس الادبية بشيء جديد دائما .

والنوع الثاني هو (ادب الاخوانيات) ومجاله هو الاستئناس والغزل والوصف^(٧٨) . وكان لها دور متميز في نمو الوعي الفكري النجفي اذ يجتمع المثقفون من ابداء وشعراء ومتنورين في حادثة ما كالزواج ، حينها يحتدم النقاش حول احدى قضايا التاريخ أو الاحداث المعاصرة^(٧٩) .

والنوع الثالث هو (ادب المفاكهات) ومجاله ومجالسة المثقفون ، والابداء والمتنورون وادبهم " لم يخل من ادب المعارضة السياسية للحكم الاجنبي "^(٨٠) .

ان هذه الاجواء المفعمة بالادب والفكر والحوار تستدعي الاجابة لسؤال طرحته (مجلة الغري) وهو " كيف لا يتكون منها هزة فكرية عنيفة في مدينة النجف "^(٨١) وخاصة وان " المجالس الادبية لا تقتصر على النبرة الادبية فحسب ، بل وتعالج المشاكل الشرعية والمدنية ايضا "^(٨٢) .

٥ - دور المساجد في نمو الوعي الفكري عند ابناء مدينة النجف :

كان للمساجد دور متميز في نمو الوعي الفكري عند ابناء مدينة النجف ، فالدراسة في النجف لا تنقيد بمكان معين ، بل تجري في اماكن متعددة كالمساجد والمدارس^(٨٣) .

وتجري في المساجد وسيلة للتوعية الاسلامية كان اثرها واضحا في نفوس رجال الحركة الاصلاحية الا وهي (الخطابة الدينية) . فالخطباء النجفيون ينتشرون في مساجد المدينة وخاصة في شهر رمضان وشهر محرم ، وصفرو ومناسبات دينية اخرى ، ليقوموا بواجباتهم الاسلامية من توجيه وارشاد ودعوة ، ونشر المفاهيم الثقافية ، بل ويتعدى امر خطباء المساجد ان يخرجوا باصواتهم الى خارج العراق في (افغانستان وباكستان ويران والهند وسوريا ولبنان وبعض دول الخليج العربي)^(٨٤) ، وبخاصة ان بعضهم يعرف اربع او خمس لغات^(٨٥) . واطلق على الدراسة في المساجد بـ (المدارس المسجدية) ، لتمييزها عن المدارس المستقلة^(٨٦) .

(٧١) ديوان محمد سعيد الحويبي ، ص ٣١ .

(٧٢) البيستاني ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٧٣) الخاقاني ، علي ، شعراء الغري ، ج ١ ، نجف ، ١٩٥٤ ، ص ٢٦ .

(٧٤) حرز الدين ، محمد ، معارف الرجال في تراجم العلماء والابداء ، نجف ، ج ٢ ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣ ؛ البيستاني ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٧٥) البيستاني ، المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

(٧٦) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٧٧) ديوان محمد سعيد الحويبي ، ص ٧٠ .

(٧٨) البيستاني ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٧٩) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٨٠) البيستاني ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٨١) مقتبس من " الغري " ، (مجلة) ، نجف ، ١٩ / آب / ١٩٤١ ، العددان (٧٧ - ٧٨) ، ص ١٢٩١ .

(٨٢) مركز دراسات الكوفة ، ملفه النجف الاشرف ، رقم (٥١) ، ص ١٧٦ .

(٨٣) عبد الحسين ، علي عباس ، النجف اصالة الماضي واشراقه الحاضر ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٤٦ . وينظر : " الكوثر " ، (مجلة) ، نجف ، ١٣ / تموز / ٢٠٠٠ ، العدد ١٣ ، ص ١٣ .

(٨٤) المرجاني ، حيدر صالح ، خطباء المنبر الحسيني ، النجف ، بلا ، ج ١ ، ص ٤ ؛ محبوبه ، جعفر ، المصدر السابق ، صيدا ، ص ٢٧١ .

وتتضمن بعض المساجد فضلا عن وظائفها الدينية والتعليمية - اقسامها الداخلية للطلبة^(٨٧) . وابرز المساجد ذات الدور العلمي في حياة النجف فضلا عن وظيفتها الدينية^(٨٨) :

١. مسجد عمران : من اقدم المساجد الدينية في مدينة النجف ويقع في الجهة الغربية من الصحن الشريف .
٢. مسجد الشيخ الطوسي : كان دارا للشيخ الطوسي بعد هجرته من بغداد عام ١١٥٠ م .
٣. مسجد الخضراء : يقع مجاورا للجهة الشرقية للصحن الشريف .
٤. مسجد الهندي : اكبر المساجد في مدينة النجف يقع في بداية سوق الحويش .
٥. مسجد الشيخ الانصاري : اسس سنة ١٨٦٤ م .

٦ - دور المكتبات في نمو الوعي الفكري عند ابناء مدينة النجف :

اهتم العراقيون بالمعارف واشكال العلوم وهذا نابغ من رغبتهم في العلم والتعلم لذا فان العراق هو اسبق البلدان الاسلامية في انشاء مخازن الكتب المتنوعة^(٨٩) .

كان في مدينة النجف عدد لا يستهان به من المكتبات العلمية التي تحتوي على مصادر داخلية وخارجية ساعدت على نمو الافكار الجديدة^(٩٠) . فالنجفيون " يعتبرون ضرورة الكتب كغذاء فكري ، كضرورة الهواء للجسم " ^(٩١) ، ومن هذه المكتبات " المكتبة الحيدرية " وهي خزانة كتب الصحن الشريف ، و " مكتبة آل بحر العلوم " ، و " مكتبة آل كاشف الغطاء " ، و " مكتبة آل الطريحي " ، و " مكتبة القزويني " ، ومجموعة كتب " احمد الجزائري " ^(٩٢)

وكان في بعض المساجد مكتبات عامرة ضمت مختلف الكتب^(٩٣) . وكان هناك عدد من المكتبات المندثرة الزاخرة بانواع الكتب السياسية والادبية وغيرها ، واهمها التي كان اصحابها ذي الفكر والاصلاح المناشدين للافكار التحريرية الاصلاحية وهي^(٩٤) :

١. مكتبة قاسم محيي الدين لكنها وزعت بعد وفاته .
٢. مكتبة السماوي ، صاحبها محمد السماوي تحوي ستة آلاف من الكتب ، وحيث انحصرت الوراثة بابنته تعرضت المكتبة للبيع وتفرقت كتبها .
٣. مكتبة المصلح محمد كاظم الخراساني الملقب بـ " ابو الاحرار " حوت بضعة آلاف من الكتب لكنها وزعت بعد وفاته .
٤. مكتبة المصلح حسين الخليلي ، وهي من المكتبات العامرة حوت بضعة آلاف من الكتب لكنها وزعت بعد وفاته .
٥. مكتبة عبد الحسين الحلي ، اسسها عبد الحسين الحلي ، وقد بيعت ولم يبق منها شيء فتفرقت .
٦. مكتبة المصلح محمد سعيد الحبوبى ، اسسها السيد محمد سعيد الحبوبى وقد تفرقت بعد استشهاده بين العامة

ان هذه المكتبات قد تفرقت بعد وفاة اصحابها ، وهذا دور من ادوار الوعي الفكري بين الاوساط النجفية حتى بعد وفاة اصحابها ، اذ ان كتبهم تتوزع بالكثرة وبصورة عامة على النجفيين بالشراء او الاهداء وغيرها ، خاصة وان مدينة النجف تحتضنها عادة قديمة : " انه في كل يوم خميس وجمعة تقوم سوق تعرض فيها الكتب وتباع بالميزاد العلني " ^(٩٥)

اهم مكتبات المدارس التعليمية^(٩٦) :

- أ. مكتبة مدرسة الاخوند الكبرى : تحوي ألفي كتاب في مختلف العلوم .
- ب. مكتبة مدرسة الخليلي الكبرى : تحوي على عدد ضخم من الكتب المتنوعة العلوم .
- ج. مكتبة مدرسة الاخوند الصغرى .
- د. مكتبة مدرسة الخليلي الصغرى .

(٨٥) " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ٢٨ / تشرين الثاني / ١٩٣٤ ، العدد (٤٤) ، ص ١٠ .
(٨٦) البهادلي ، محمد باقر احمد ، السيد محمد علي " هبة الدين " الحسيني اثره الفكرية ومواقفه السياسية (١٨٨٤-١٩٦٧م) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٨ .
(٨٧) عبد الحسين ، علي عباس ، المصدر السابق ، ص ٤٦ ؛ محبوبه ، جعفر باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، النجف ، ط ٢ ، ١٩٥٨ ، ج ١ ، ص ٩٨ .
(٨٨) عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
(٨٩) محبوبه ، جعفر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٧ .
(٩٠) الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف) ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ؛ الاسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٩١) " العرفان " ، آب / ١٩٤٨ ، ج ٨ ، م ٣٥ ، ص ٨٧١ .
(٩٢) الاسدي ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٩٣) " الكوثر " ، (مجلة) ، نجف ، ١٣ / تموز / ٢٠٠٠ ، العدد (١٣) ، ص ١٣ .
(٩٤) الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ؛ محبوبه ، جعفر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٧ ؛ الشريس ، ناجي وداعة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٦ .
(٩٥) محبوبه ، جعفر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٨ .
(٩٦) الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ؛ الشريس ، ناجي وداعة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٦ .

لقد ساعدت هذه الاجواء الفكرية المتشعبة بالمعاني العلمية والثقافية على تبلور فكر اصلاحي متجدد ذي افكار سامية واصيلة هضمتها المجالس وساندتها البيئة الشعرية والجوامع والمكتبات المنتشرة في مدينة النجف ، وهي تسويغ وتعليل كاف لشق رجال مثقفين صفوفهم بين ثنايا مجتمعهم . الا ان للعوامل الخارجية العربية والاجنبية الدور المكمل والاقوى لانبثاق فجر الحركة الاصلاحية النجفية .

ب - العوامل الخارجية :

ساندت الظروف الداخلية في مدينة النجف عوامل خارجية كان لها الاثر الواسع في بلورة فكر المصلح النجفي الذي ما لبث ان سمع او قرأ عنها ، فيطرحها في مجالس الاصلاح للدراسة والتحليل ، ومنها ما انبثقت في تربة الوطن العربي وبخاصة القريبة من العراق الداعية الى الاصلاح ولكن على الطريقة السلفية ، وبوسيلة اثار تارت جوهر الحركة الاصلاحية في النشاط الا وهي وسيلة (العنف) ، والاخرى التي انبثقت بسبب الحاجة الى التغيير والخروج من قفص الاستبداد الذي فرضته سلطة الباب العالي العثمانية ، فاخترت التحديثة وسيلة لكسر طوق هذا القفص ، والفكرة الثالثة التي هضمها التيار الاصلاح النجفي هي الشعور بالانتماء والعروبة لمواجهة الذوبان في كنف السلطان العثماني ، واثبات الهوية لكي تكون لديهم ارضية ثابتة وقوية لمواجهة شتى انواع الاستعمار ، وعوامل خارجية اجنبية فرضت سلطانها الفكري على الحركة الاصلاحية النجفية خاصة تساعدها ظروف الموقع الجغرافي القريب من العراق ، وشدة احتضانها للافكار الاصلاحية الدستورية . فكان للحركة الاصلاحية النجفية دور مؤثر ومتأثر كان من شأنه أن يبيلور الفكر الاصلاحى لديها .

١ - العوامل الفكرية الخارجية التي ظهرت في الوطن العربي :

أ - دور فكر التيار التحديثي وتأثيره :

التحديث (Modernization) كلمة مشتقة من الحداثة ، وبمعناها " المزاج الحديث " . وهي ظاهرة تاريخية اصلاحية متطورة يعبر عنها بالعمليات التي تستهدف احداث تغييرات في جانب أو أكثر من جوانب الحياة من اجل اللحاق بالتقدم الحاصل لدى الحركة التي تنشدها^(٩٧) . والتحديثية مبدأ منظم عند المصلحين الذين ينشدونها في جوانب التنمية وبخاصة في الدول المختلفة^(٩٨) . والتحديث يتسم بالشمولية وليس في حقل من حقول المعرفة البشرية وخاصة بمجال من مجالات النشاط الانساني ، وخاصة النظم الاجتماعية^(٩٩) .

قسم التيار التحديثي الاوربي الحياة بوجهة نظر علمانية الى ثلاث مراحل متتالية . الأولى مرحلة الخرافة والثانية مرحلة الدين^(١٠٠) ، والثالثة مرحلة العلم^(١٠١) . والمرحلة الأخيرة أصفها ، اذ قلبت اذهان الأوربيين الى مفاهيم وصيغ عدوانية للانسانية تكونت شكلها الأخير (الاستعمار) ، ولما كان العالم الاسلامي وخاصة العراق يتمتع بمصادر الشبهة لبوادر استعمار فكريا ثم عسكريا من خامات ، ومواد اولية ، واسواق وجهل ، وجمود وتخلف في ظل السيطرة العثمانية ، كان استقباله وافر الحصة من التيار التحديثي^(١٠٢) .

ظهرت البوادر الأولى للتحديث في الولايات العثمانية بعدما اخذت ولاياتها حتى العاصمة (اسلام بول) بالانحطاط من فساد الادارة ، وتخلف الوسائل والاساليب ، وتدهور النظم الاقتصادية^(١٠٣) ، وبعد عام ١٨٣٩ م (إعلان البيان الاصلاحى خط شريف كولخانه) اتجهت الحكومة العثمانية للبحث عن علاج شاف يوقف هذا التدهور . فكان امامها طريقان الأول : اتباع النظم الاسلامية والتقاليد العثمانية الاصلية ، ثانيا : اتباع النظم الاوربية الحديثة . فكانت بوادر الاختيار للاتجاه الثاني بسبب مراحل التفوق الاوربي^(١٠٤) الذي وصلت اليه أثر انبثاق الثورة الصناعية^(١٠٥) . وانتشار المفاهيم الديمقراطية في العالم ومنها مناطق الوطن العربي^(١٠٦) .

(٩٧) بردابري ، مالك ، ماكفان ، جيمس ، الحداثة (١٨٩٠ - ١٩٣٠) ، ترجمة مؤيد حسن فوزي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٢٢ .
(٩٨) David, E. Apter, Some comcatonal approaches to study of modernization, London, 1963, p. 334.

(٩٩) " القادسية " ، (مجلة) ، جامعة القادسية ، ١٩٩٩ ، العدد (٢) ، ص ٢٤١ ؛ خاطر ، احمد ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(١٠٠) تمثل المرحلة الاولى (الخرافة) عهد الاساطير والخرافات والبطولات القديمة البعيدة عن الايمان بوجودية الله ووحديته ، ثم الثانية تمثل مرحلة (الدين) وهي عهد سيطرة الكنيسة المسيحية منذ ظهور الديانة المسيحية وحتى نهايات القرن الثالث عشر الميلادي ، برتراند رسل ، حكمة الغرب ، ترجمة دار عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(١٠١) الاسلام دين الحياة ، (نشرة) ، عن مدرسة الشيرازي ، نجف ، ١٩٦٥ ، ص ١٠ .

(١٠٢) الجندي ، الاسلام والغرب ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١١٥ .

(١٠٣) ونتيجة لهذه المظاهر التي ظهرت في العراق ايضا ولدت تذبذبا شعبيا رافضا للسيطرة الاستعمارية العثمانية . للمزيد من التفاصيل ينظر : نورس ، علاء موسى كاطم ، رؤوف ، عماد عبد السلام ، العراق في التاريخ (عهد الاحتلال العثماني الاخير) ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٦٤٨ .

(١٠٤) " كلية الآداب " ، (مجلة) ، جامعة بغداد ، كانون الأول ١٩٦٣ ، العدد (٢) ، ص ١١١ .

(١٠٥) انبثق فجر الثورة الصناعية في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر وبداياته الاولى في بريطانيا ثم انتشرت الى اواسط اوربا وبرز مظاهرها : التطور العلمي في مجالات الزراعة ، ونشوء المعامل ، ونمو الرأسمالية الصناعية ، وظهور ونمو طبقة العمال . للتفاصيل عن الثورة الصناعية واثرها الفكري في العالم ينظر : =

= هـ . ل . فيشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) ، ترجمة نجيب هاشم ، وديع الضبع ، مصر ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٢ - ص ١٣٥

(١٠٦) " العلوم " ، (مجلة) ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٦٠ ، العدد (٢) ، ص ٢١ .

ونرى هناك اسباب اخرى لاختيار الاتجاه الثاني هي :

أ - ان الحكومة العثمانية تحاول ان تصلح شغلها الشاغل الا وهي (الامور العسكرية) تدفعها عدة دوافع منها " الصراع الفارسي العثماني " و " فرض السيطرة على ولايات الحكومة العثمانية " .

ب - التدخلات الاوربية العميقة في الحكومة العثمانية ، وما عكسه في دخول افكار ومفاهيم اوربية حديثة . اتخذت التحديثية وسائل متعددة ومتنوعة في جهاز الحكومة العثمانية ، منها :

الأولى : البعثات العسكرية الفرنسية ، وخاصة ان الضباط العثمانيين بعد تعلمهم اللغة الفرنسية والمفاهيم العسكرية الاوربية ، اخذوا يطالعون الكتب السياسية الاوربية وبخاصة الفرنسية .

الثانية : البعثات الدبلوماسية العثمانية الى دول اوربا وخاصة فرنسا^(١٠٧) .

وقد ولدت مظاهر التحديث التي انتشرت في العاصمة العثمانية (انعكاسا واضحا ومؤثرا على المثقفين العراقيين) ، فالعاصمة (اسلام بول) سميت " كعبة رجال العراق " ^(١٠٨) . والطلاب العراقيون توجهوا للدراسة في المدارس الحربية العثمانية التي يدرس فيها ضباط ألمان وفرنسيون حتى توجه قسم منهم الى سوريا وفرنسا^(١٠٩) . وقد بلغ عدد الطلاب العراقيين الدارسين في العاصمة العثمانية وخدم الف واربعمئة طالب^(١١٠) .

وبدون شك فإن دور المصلح العثماني مدحت باشا^(١١١) الاصلاحى (١٨٦٩ - ١٨٧٢) مؤثر في بواكير التحديث في العراق . فخلال مدة حكمه القصيرة تم انشاء المدارس الحديثة ، والطباعة فكان لها دورها في اليقظة الفكرية عند العراقيين ، خاصة وان لهذين المنجزين دوره في ايصال الافكار الجديدة المتعلقة بالمنحى القومي والحكم الدستوري والديمقراطية^(١١٢) .

ووصلت بوادر الحاجة الى الافكار التحديثية في الاوساط المتقفة العراقية حينما وصلت الحاجة اليها ضاربة اطنابها في الولايات العربية حيث شعر الكثير من المفكرين العراقيين اسوة بالمفكرين العرب في سوريا ومصر بضرورة اعادة النظر في التراث الفكري العربي^(١١٣) فقد تعرض العراقيون الى اشبه بما يعرف بـ " الانبهار والاستيقاظ " ، فالانبهار هو التعجب والانبهار بتفوق الغرب وإنجازاته ، والاستيقاظ هو يقظة الآخرين منهم بما وصلت اليه الغرب مقارنة مع واقعهم السائد^(١١٤) .

موقف النظام الاسلامي من التحديث العلمي وانظمته المعرفية موقف متزن لا متشدد ولا رافض لان الاسلام هو الدين الذي يدعو الى العلم والتأمل والتوغل في المعرفة وحقيقتها^(١١٥) . والدين اذ " دين بدون علم لا ينمو في ظله الا النكبات ، والفوضى ، والاضطراب " ^(١١٦) .

تعرض التيار التحديثي العلماني بالرفض من قبل الحركة الاصلاحية النجفية . فقد عبر مصلحهم علي الشرقي واصفا اياها بالبذرة اذ قال : " ان الكثير من التجديد والتحديث ، لا يثبت في تربتنا الا بعد تهذيب وتشذيب [بما يلائم عاداتنا وتقاليدنا وديننا وما ينفع ولا يضر] فلا يصلح ان نلقح نهضتنا من تلك الحقول الغربية بدون تمحيص والا فنكون قد افسدنا ممارسنا ولم نحصل لا على ثمرتنا ولا على ثمرة التجديد والتحديث " ^(١١٧) .

نتج عن هذا المخاض الفكري الذي مرت به الامة العربية ، ولادة تيارين تحديثيين يحمل لوائهما مدرستين اصلاحيتين اولهما : مدرسة التغرب او محاكاة الغرب [العلماني] Westernizatio وهو الذي ينطلق اساسه ومفاهيمه من التراث الاوربي واستلهمه . الثانية : مدرسة التجدد او التحديث Modernization ، التي وجهت عنايتها الى الانتقاء من الثقافة الاوربية مع الثقافة العربية الاسلامية ، ولكنها تجعل انطلاقها " الدائم " من اسس الثقافة العربية والاسلامية . واهتمامها بالثقافة الاوربية انتقائيا وتعديليا حسب الحاجة^(١١٨) ، فالاسلام " حركة مستمرة وتجدد لا يكلان " ^(١١٩) . والمدرسة الثانية هو ما تأثرت به المدرسة الاصلاحية النجفية .

ولهذا فان الحركة الاصلاحية النجفية لم تحرف باتجاه السلفية " فالاسلام ذم التقليد الاعمى غير النافع " ^(١٢٠) ، ولا وراء التحديثية العلمانية " التي حاولت غرس جذورها في اوساط لم تكن مستعدة لتقبلها " ^(١٢١) .

(١٠٧) " كلية الآداب " ، كانون الأول / ١٩٦٣ ، العدد (٢) ، ص ١١٢ .

(١٠٨) مشتاق ، طالب ، اوراق ايامي ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٣٦ .

(١٠٩) حسين ، فاضل ، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤ - ١٩٥٨ ، معهد البحوث والدراسات ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٣٢ .

(١١٠) النصري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(١١١) ولد مدحت باشا (١٨٢٢ م) في اسلام بول وهو ابن الحاج حافظ محمد اشرف (احد علماء الدين) فنشأ مدحت نشأة دينية فحفظ القرآن في اوائل عمره ، زار باريس وبلجيكا ولندن والنمسا فاطلع على المعالم الحديثة فيها ، وهو مصلح اجتماعي وسياسي دستوري ، وكانت فكرة الاصلاح في ذهنه بالرجوع الى المدنية ومناهج الامم ، للمزيد ينظر : موسوعة احمد امين الاسلامية (زعماء الاصلاح في العصر الحديث) ، احمد امين ، بيروت ، بلا ، ص ٢٦ - ص ٥٩ .

(١١٢) " كلية الآداب " ، كانون الأول / ١٩٦٣ ، العدد (٢) ، ص ١٢٣ .

(١١٣) كاشف الغطاء ، علي ، سعد صالح في مواقف الوطنية (١٩٢٠ - ١٩٥٠) ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٢٦ .

(١١٤) " الموقف الثقافي " ، (مجلة) ، بغداد ، كانون الثاني - شباط / ٢٠٠١ ، العدد (٣١) ، ص ٥٥ .

(١١٥) القزويني ، امير محمد ، الاسلام وشبهات الاستعمار ، النجف ، بلا ، ص ٣٨ .

(١١٦) عبد الباقي ، ابراهيم ، الدين والعلم الحديث ، مصر ، ١٩٦٤ ، ص ١٢ .

(١١٧) مقتبس من الشرقي ، الاحلام ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(١١٨) كاشف الغطاء ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٦ . وينظر نظمي ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(١١٩) " العدل " ، (مجلة) ، نجف ، حزيران ١٩٦٦ ، العدد (١٥) ، ص ٢٣ .

(١٢٠) مقتبس من جب ، هاملتون ، الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، ترجمة كامل سليمان ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ٨٦ .

(١٢١) " العلوم " ، كانون الثاني ١٩٦٠ ، العدد (٢) ، ص ٢٣ .

جـ - القومية العربية :

تعني (القومية) عقيدة يؤمن بها جماعة من الناس يرتبطون مع بعضهم بروابط كثيرة يطلق عليها اسم (الروابط القومية) مثل رابطة الوطن ، واللغة ، والتاريخ ، والثقافة ، والمصالح المشتركة ، والشعور المشترك . والقومية ليست عقيدة فحسب بل حركة سياسية واجتماعية ايضا ، لأنها تستهدف تحرير البلاد ، وتحقيق سيادتها ، واستقلالها واعطاء الشعب حقه في تقرير مصيره ثم رفع مستواه من كافة النواحي ، وتوفير الامن ، والاستقرار والرفاهية له ، والقومية العربية اوفر حظا لان الدين الاسلامي يسندها ولا يناقضها ، او يناقض العروبة ، وهي فكرة وطنية تحترم حرية الفرد والرأي العام والعمل والتطور ، وتحاول الاستفادة من تجارب الامم ، وهي متشعبة بمفهوم العروبة وترفض الصراع الطبقي ، ان حركة القومية العربية تستهدف تنبيه كل مواطن عربي على حقيقة وجوده أي على انه عربي ينتمي الى الامة العربية^(١٢٢) .

والقومية العربية فكرة وطنية تقدمية اصلاحية ترفض الواقع الفاسد وتنشد المعاني السامية في ظل امة واحدة تعتمد على التقاليد العربية والاصالة الاسلامية^(١٢٣) .

ولدت القومية العربية حينما تعرضت مصر للغزو الفرنسي ١٧٩٨ وساعدتها مساعي احياء التراث العربي^(١٢٤) . وحاول العثمانيون وبخاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) اتباع سياسة اضعاف مبدأ القومية العربية فبطش بالاحرار^(١٢٥) ، وشدد الخناق على كل من يجاهر بالقومية ومنعهم من الاتصال بالخارج ، بل التفت الى سياسة الجامعة الاسلامية محاولا تذويب مبدأ القومية العربية^(١٢٦) .

تكونت في " دمشق " حلقة وطنية كان محورها " الشيخ طاهر الجزائري " ^(١٢٧) ، الذي عرف بالنزعة الاصلاحية وبخاصة في نشر العلوم ومحاربة الجهل ، فأنشأ جمعية تعرف بـ (الجمعية الخيرية) ونتيجة معرفة السلطان عبد الحميد بأمرها اضطر للفرار الى مصر ، ومن ثمارها انها ولدت جمعيتين قوميتين عام ١٩٠٣ وكانت " اعمالها من اجل الاعمال القومية الواعية المنظمة ، وهي من اكبر التأثيرات في جميع الحركات العربية " ^(١٢٨) .

وظهرت جمعيتان عربيتان في باريس في اوائل القرن العشرين ، الأولى انشأها (نجيب عازوري) باسم (جمعية رابطة الوطن العربي سنة ١٩٠٤) وكانت تدعو الى تحرير بلاد الشام والعراق من سيطرة العثمانيين ووسيلتها الدعوة الى الثورة ، والثانية انشأها خير الله خير الله^(١٢٩) باسم " عصابة الوطن العربي سنة ١٩٠٥ " وكانت تدعو الى تحرير العرب عموما من الهيمنة العثمانية والدعوة الى قومية عربية واحدة^(١٣٠) .

اخذت القومية العربية بعدا ذا تأثيرا واسع في اذهان رجال الحركة الاصلاحية النجفية ، فإن (الرؤية الجديدة للاسلام كما بشر بها المجددون قد اجتذبت عقول المصلحين الا انها كانت مستمدة الى حد كبير من تقاليدهم الخاصة متوافقة مع حاجاتهم العملية وفي مقدمتها هوية قائمة على المساواة والعروبة والاصلاح) ^(١٣١) . وهذا نابع من الحاجة اليها ، لان القومية العربية احساس ووجدان يشعر به الفرد^(١٣٢) .

والدليل على قومية التيار الاصلاح النجفي من حيث التأثير والاندماج بالمخاض القومي العربي ، ما ذكره نظمي عن احرار النجف اذ قال : " كان بعض الشيعة العراقيين ، أول من تقبل ودافع عن الافكار الداعية الى التجديد والقومية العربية ، فلكونهم عربا رفضوا الاندماج بالفرس من جهة وبمضطهدهم الاتراك من جهة أخرى ، الشيعة كانوا ناقلين على الحكم الطائفي والاستبدادي للعثمانيين ولكنهم في الوقت نفسه - لم يكن بوسعهم التخلي عن الاسلام ، او القبول باتجاه محاكاة الغرب [رفض التيار التحديثي العلماني]

(١٢٢) حسين ، فاضل ، المصدر السابق ، ص ٣٢ . المؤتمر الاول لطلاب العرب في اوربا لسنة ١٩٣٨ ، بيروت ، ١٩٣٨ ، ص ١٤ ؛ الشهابي ، مصطفى ، القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميتها) ، معهد الدراسات العربية ، مصر ، ١٩٥٩ ، ص ٤ ؛ افاق عربية ، (مجلة) ، بغداد ، تشرين الثاني ، ١٩٧٦ ، العدد (٣) ، ص ٥ .

(١٢٣) السامراني ، عبد الله سلوم ، الاسلام والقومية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٢ .

(١٢٤) الرفاعي ، عبد الرحمن ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، مصر ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٠١ .

(١٢٥) انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) ، ترجمة ناصر الدين الاسد ، د. احسان عباس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ١٩ .

(١٢٦) اليوزبكي ، توفيق سلطان ، د. محيي الدين توفيق وآخرون ، دراسات في الوطن العربي " الحركات الثورية والسياسية " ، الموصل ، ط ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٤٨ .

(١٢٧) احد الاعلام والمفكرين في دمشق عرف بالنزعة الاصلاحية والعربية القومية وداعيا الى المعاني الاسلامية ، قال عنه دروزه " عرف الشيخ بالنزعة الاصلاحية العلمية والافق الاسلامي " والنشاط " في سبيل نشر العلم " اتهمه السلطان عبد الحميد الثاني بالتآمر فاضطر للسفر الى مصر ومواصلة دعواته القومية منها . للمزيد =

= ينظر : محمد عزت ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، صيدا ، ط ٢ ، ١٩٧١ ، ص ٩٨ .

(١٢٨) الدروز ، المصدر السابق ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ وينظر ايضا : الشهابي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(١٢٩) نجيب عازوري وخير الله خير الله هما من الرواد العرب في اوربا الذين عملوا لصالح حركة الثورة العربية كانا يكتبان مقالات نارية في الصحف الفرنسية ، ينددان باستبداده وقمع سلطة الدولة العثمانية ويدعوان العرب الى الثورة ضد فساد هذه الامبراطورية ، اصدرت صحيفة باللغة الفرنسية في باريس اسمها " الاستقلال " والفا كتابا باللغة الفرنسية اسمه " يقظة العرب " ، وسبب استقرارهما في باريس هروبا من بطش السلطان عبد الحميد ، للمزيد ينظر : الدروز ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(١٣٠) الدروز ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، الشهابي ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(١٣١) نظمي ، وميض ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(١٣٢) اليوزبكي ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .

، لقد كان من المنطقي بالنسبة لهم ان يتطلعوا الى حكم دستوري وكيان قومي عربي
(١٣٣)»

٢- العوامل الفكرية الخارجية الاجنبية :

أ - الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ . دورها وموقف الحركة الاصلاحية النجفية منها :

سيطر الدين الاسلامي بسماته الروحية على الكثير من الشعوب الاسلامية ، واصبح تأثيره واضح المعالم
بأثارة تلك الشعوب ضد حكوماتها ، ونظراً لقدسية مدينة النجف ومكانتها العلمية اصبحت واحدة من اهم المراكز ذات
الشعور الديني بالنسبة للعراق أو غيره من الدول الاسلامية الاخرى كالهند وافغانستان ولبنان وايران وغيرها . وقد
وجدت الحركات الدستورية الثورية في ايران الاستشارة القانونية الدينية في مدينة النجف(١٣٤) .

وبالرغم من ان جذور الثورة الدستورية الايرانية تخص ايران وتعنيها ، الا ان لهذا الحدث دور في تاريخ نمو
الوعي الفكري لدى ابناء النجف ، حينما فوضت الحركة الدستورية الايرانية المسائل الاصلاحية السياسية في (الحرية
، الديمقراطية ، والدستور) لرجال الاصلاح في مدينة النجف(١٣٥) .

وصلت الى مدينة النجف عام ١٩٠٦ رسائل الاحرار من ايران يطلبون فيها المشورة الاصلاحية في مسائل " ضرورة
ايجاد مجلس دستور أو لم يكن ، وكيف يكون " وهل " بوجود الملك ورئيس الوزراء وبقيّة اجهزة الدولة
السابقة " ، ووصلت الرسالة الحائرة الأولى(١٣٦) الى زعماء الحركة الاصلاحية النجفية كل من المصلحين (محمد
كاظم الخراساني ، وحسين الخليلي ، وكاظم اليزدي) الذين اجابوهم بنصيحة جواز انشاء النظم الدستورية ، واكدوا ان
من الضروري تنفيذها . اذ جاء في جوابهم : " بسمه تعالى وبه نستعين ... ان قوانين المجلس المذكور على الشكل
الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة وهي فرض على جميع المسلمين ان يقبلوا هذه القوانين وينفذوها . وعليه
نكرر قولنا : ان الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الاقدام على مقاومة احكام الدين الحنيف . فواجب المسلمين
ان يقفوا دون أي حركة ضد المجلس (١٣٧)» .

كان لهذه المحاورات الاصلاحية دورها في تفجر الوعي الفكري في النجف حيث قال المصلح محمد علي
الحسيني عنها : " وأنداك صار كل انسان يحمل فكراً نقياً وثقافة واسعة وعقلاً ناضجاً ينظم الى هذه الحلقة الذهنية التي
قلبت تاريخاً واسعاً وخلقت تاريخاً جديداً ، وصار الرجال الابطال واعلام الدين والمصلحون يهتفون بالحرية ... الخ
(١٣٨)» .

وحينما تولى محمد علي شاه منصب الملكية على ايران في ٨ / كانون الثاني / ١٩٠٧ ، وتوج في التاسع من
الشهر نفسه ، ارسل المصلح كاظم الخراساني وصايا عشر كاساس لنظام دستوري(١٣٩) . الا انه لم يلتزم بها ولا
بمنجزات ومفاهيم الثورة الدستورية الايرانية . بل قام بتصفية المبادئ الدستورية فقام بالتحالف مع النظام القيصري
الروسي ، والمستبد الايراني " فضل الله نوري " لضرب منجزات الدستور في ايران ، لكنه يفهم ان مصدر ربح
الدستورية التي تلهب ايران قادمة من مدينة النجف من قبل اصلاحيين ، فقام باجراءات لتضييق الخناق عليهم منها
ضرب الجالية الفارسية الموجودة في النجف وكربلاء لانهم حلقة الوصل بين المصلحين النجفيين واحرار ايران ،
والطريقة لضربهم عن طريق تحريض الدولة العثمانية التي قامت بالفعل بمطلع عام ١٩٠٧ بفرض ضرائب باهضة
وثقيلة . فالتجأ افراد الجالية الى الحركة الاصلاحية النجفية الذين وقعوا في حيرة وعجز كامل عن مساعدتهم فهم لا
يستطيعون مساعدتهم لانهم لا يمتون للعراق وغير مرتبطين به كونهم اجانب ، ومن جانب اخر انهم لا يريدون ان يفجروا
مع الحكومة العثمانية بمشاكل التي نجح الشاه محمد علي القاجاري في اثارها . اذ اكد الحسيني هذا النجاح بقوله : "
وصدرت الاوامر من استنبول بوضع الرصد عليهم [المصلحين] وحجرهم بصورة غير مباشرة ، وحجب الصحف
عندهم وهذا الحال اوجب ان ينشق بين صفوف الاحرار ... الخ (١٤٠) . ووجه المصلح الحسيني اصعب الاتهام الى الشاه
محمد علي القاجاري بخلق هذه الاجواء اذ قال : " وهذه المصادمة لا استبعد كما سبق انها نتيجة توجيه الحكومة
الايرانية للحكومة التركية ، وافهامها مغبة المصير فيما اذا قويت شوكة علماء الدين المصلحين (١٤١)» .

(١٣٣) مقتبس من وميض جمال عمر ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(١٣٤) محبوبه ، جعفر باقر ، المصدر السابق ، صيدا ، ص ١٢٠ ؛ الاسدي ، المصدر السابق ، ص ٩ .

(١٣٥) محبوبه ، المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .

(١٣٦) اجمع الاحرار في ايران بارسال قضيتهم (للمشورة) الى مدينة النجف فقد نصت الرسالة الاولى : " الى حضرات المجتهدين حفظة الحكمة الالهية :
لا بد وانكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبي وانتم تعرفون جيدا ان هذا المجلس الذي يعمل على حفظ القوانين المستمدة من الدين لمحو الظالمين والخائنين
ونشر العدل ... الخ " . للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد علي كمال الدين ، التطور الفكري في العراق ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٢٣ .

(١٣٧) كمال الدين ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(١٣٨) مقتبس من (مذكرات محمد علي الحسيني) ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

(١٣٩) للتفاصيل حول الوصايا العشر الاصلاحية ينظر : كمال الدين ، محمد علي ، التطور الفكري في العراق ، المصدر السابق ، ص ٢٢ ؛ حرز الدين ،
محمد ، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء ، نجف ، ١٩٦٤ ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ؛ محمد علي ، عبد الرحيم ، المصلح المجاهد كاظم الخراساني ،
نجف ، ١٩٧٢ ، ص ٧٥ - ص ٧٨ ؛ الشريسي ، لمحات من تاريخ النجف الاشرف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

(١٤٠) مذكرات الحسيني ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٣ - ص ٨٤ .

(١٤١) المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

حاول الشاه محمد علي ضرب الحركة الاصلاحية النجفية بنفوذ دولة اخرى مستبدة متهما الاصلاحيين النجفيين كونهم مصدرى المفاهيم الدستورية الحرة ، وكان هذه المرة النفوذ الروسي الذي وصف تدخلها المصلح الحسيني اذ قال : " غير ان الروس اتصلوا بالشاه محمد علي وعملوا على تاسيس قنصلية مشاغبة بطهران واسست في النجف قنصلية (مشاغبة) وقنصلا فخريا في النجف هو ابو القاسم الشيرواني ، الذي انضم الى فريق من الرجال من جماعة اليزدي ، وهم الحاج محمود اغا وعبد الرحيم اليزدي خادمه وامثالهما وهؤلاء هم الذين استطاعوا ان يستميلوا السيد اليزدي الى جانب الاستبداد ويفصلوه عن الشيخ الخرساني وجماعته " (١٤٢).

ازدادت الثورات الاصلاحية بعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، إذ أسسوا جمعية اصلاحية تدعى (العلم) لدعم افكارهم (١٤٣) . وقام المصلحون النجفيون بتشكيل جبهة اصلاحية تضم (الهيئة العلمية) واعضاء من (فرع حزب الاتحاد والترقي) ومهمتهم الدفاع عن المبادئ الدستورية ، وبث المفاهيم الدستورية (١٤٤).

اشدت اجراءات الشاه محمد علي القاجاري بتهديم البرلمان ، ومطاردة الدستوريين الذين استنجدوا مرة اخرى بالحركة الاصلاحية النجفية التي ارسلت بدورها فتوى مفادها : " ان هذا المجلس يساعد على محو الاستبداد وازالة العادات الرذيلة ونشر القانون في البلاد . والخاصة ان المسلمون ملزمون ان يتبعوا الاصول الجديدة في الحكم ... الخ " (١٤٥) . ولكن الشاه محمد علي لم يتوان عن مواصلة استبداده حيث اصدر بيانا ملكيا قال منه : " ان افتتاح المجلس وتحقير الاسلام شيء واحد " (١٤٦).

قامت قيامة المصلحين في النجف الذين كتبوا اليه رسالة تدل على المعاني السياسية والنضوج الدستوري وفي الوقت نفسه نمو افكار الحركة الاصلاحية إذ جاء منها : " ... ونحن بحسب اطلاقنا على البلاد التي يطبق فيها الدساتير الملكية المقيدة بدستور نعلم انها تدار وفق قوانين عادلة ، ونحن نقول بكل صراحة ليس في المشروطية ما يخالف الدين الاسلامي... الخ " (١٤٧).

اضطر الشاه محمد علي القاجاري بعد ادراكه قوة نشاط الحركة الاصلاحية في النجف بأنه مخلوع عن السلطة فتوجه الى احضان روسيا القيصرية التي تدخلت عسكريا في شمال ايران (١٤٨) . وهذا الاجراء اجبر الحركة الاصلاحية النجفية ان ترسل فتوى باسم المصلح محمد كاظم الخرساني الى جميع الدول الاسلامية عن طريق القناصل الدبلوماسية الموجودة في العراق ونص الفتوى " استنهضوا فيها الاسلام للدفاع عن الشريعة المحمدية والذب والمحاماة عن الجامعة الاسلامية ... الخ " (١٤٩).

اصبحت الحركة الاصلاحية النجفية تنظر الى الدستور والمفاهيم الاصلاحية نظرة انسانية شاملة تخص جميع المسلمين فتحول موقفها الى موقف مستميت في سبيل تحقيق اهدافها فقامت (١٥٠) :

١ . المبادرة بتسوية الخلافات والعمل الموحد مع التيار المحافظ فاتصلوا مع زعيم المحافظة (كاظم اليزدي) الا انه رفض التعاون .

٢ . الاعلان عن تأييد الحركة الاصلاحية النجفية بالوقوف مع المفاهيم الدستورية الايرانية والدفاع عنها .

٣ . ترك المحادثات بطلب التعاون مع التيار المحافظ (١٥١).

٤ . ابلاغ جميع الاقطار الاسلامية ومنها الهند والقوقاز وافغانستان وغيرها بالاضطرابات .

٥ . قام التيار الاصلاحى النجفي بكتابة برقية الى السلطان العثماني (محمد رشاد) حول موقف التيار الاصلاحى النجفي تجاه مسألة الدستور وما جاء منها : " ... اتفقنا بوجود الجهاد والدفاع عن الدين وعلى جميع المسلمين فرض عين ان يضربوا ايدي المسبيين لاراقة الدماء ... " (١٥٢).

تعاطفت الفئة المثقفة الواعية العراقية مع حركة الاصلاح الدستوري التي تبنتها مدينة النجف في مسألة المشروطية الايرانية ، التي شكل هذا التفاعل في محصلته النهائية رافدا مهما من روافد بلورة وعيهم السياسي وانضاج المفاهيم الديمقراطية والدستورية المبكرة (١٥٣) . حيث سعى عدد من مثقفي العراق الى تنظيم انشطتهم السياسية بتأسيس

(١٤٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(١٤٣) الشريقي ، الاحلام ، ص ٩١ ؛ الرهيمي ، علاء حسين ، حقائق عن الموقف في العراق من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ، كلية الاداب - جامعة الكوفة ، مطبوع بالليزر ، ١٩٩٩ ، ص ٢ .

(١٤٤) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات محمد علي كمال الدين من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٩ .

(١٤٥) مقتبس من الاسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(١٤٦) مقتبس من الاسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(١٤٧) كمال الدين ، محمد علي ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٢٥ ؛ وينظر الاسدي ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(١٤٨) للمزيد من التفاصيل ينظر : الندوي ، عبد مناف شكر جاسم ، العلاقات الايرانية السوفيتية (١٩١٧-١٩٤١) ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٥ .

(١٤٩) محمد علي ، عبد الرحيم ، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخرساني ، النجف ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٧ .

(١٥٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ - ١١١ .

(١٥١) رفض التيار المحافظ رسل الحركة الاصلاحية النجفية عند قدومهم لطلب التعاون مع زعيم المحافظة كاظم اليزدي . فقد رفض مقابلة رسول الحركة الاصلاحية الشيخ محمود النجفي ولم يفتح له الباب واعتذر بانه منحرف الصحة لا يتمكن من مواجهته ، وايضا رفض مقابلة الشيخ حسين القمي عند بيته (اليزدي) =

= فاصر بمقابلته فتوجه الى مدرسته (مدرسة اليزدي) حيث اصر على مقابلته فاخذة نجل اليزدي ويدعى (محمد) الى غرفة ابيه ولما دخل لم يؤذن لحسين القمي من الدخول رغم انه شيخ من شيوخ الدين المعروفين ! ورجع بعد دقائق محمد ليخبره من الشباك ! عدم استطاعة ابيه بمقابلته ، ورفض اليزدي مقابلة اسماعيل الصدر ايضا . للمزيد ينظر : عبد الرحيم محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

(١٥٢) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(١٥٣) الرهيمي ، حقائق عن الموقف في العراق ... ، المصدر السابق ، ص ١ .

المنظمات والجمعيات السياسية ومنها " جمعية المساواة في كربلاء " و " جمعية الاخوة في بغداد (مدينة الكاظمية)
(١٥٤) .

ب - دور الانقلاب العثماني ١٩٠٨ - ١٩٠٩ :

كانت الاتجاهات الثقافية في العراق تتطلع الى ان يحدث فجر جديد في الدولة العثمانية فقد قال المصلح محمد رضا الشيبيني^(١٥٥) : " كنت معتبطا بالحرية الغالية التي كنا نجاهد من اجلها مع جمهرة من شباب الدولة العثمانية للتخلص من فساد العهد الحميدي"^(١٥٦) . وكان (التغيير) العامل الأول الذي دفع الناس وبخاصة المتقنين الى الالتفات حول رجال الانقلاب العثماني^(١٥٧) . والحرية في مجال الفكر والقول^(١٥٨) . وهي " مرحلة من مراحل تطور الفكر البشري"^(١٥٩) .

يعتبر الانقلاب العثماني من المثيرات الرئيسية للوعي السياسي الفكري والاصلاحي في العراق ، " فلا يجوز لرجل الفكر ان يقف موقف المتفرج متجرد من شؤون عصره"^(١٦٠) . حمل الانقلاب العثماني^(١٦١) منذ انطلاقه شعارات براءة ، (الحرية ، الاخاء ، المساواة) الاسس الثلاثة التي اراد تحقيقها دون تمييز ديني أو قومي ، ويعطي المصلح محمد رضا الشيبيني تقييما للانقلاب حينما اضى و اجبه الاجتماعي الاصلاحى قبل غيره ان يقول " ثورة عامة على سائر نظم البلاد غايتها قلب " النظم الاجتماعية " قبل النظم السياسية"^(١٦٢) .

جاء الاتحاديين الى الحكم بشعارات تنلج صدور الاحرار في العراق خاصة بتطبيق النظم الدستورية . وعلى هذا النهج كانت دعاوى الحكومة الجديدة على لسان قادتها وولاتها من تشريع الدستور وانتخاب ممثلي الامة لمجلس المبعوثان ، وسمحت بتشكيل احزاب وخاصة " حزب الاتحاد والترقي"^(١٦٣) ، وأرسلت المندوبين الى مختلف الولايات لتفتح فروع لحزبها ، وشجعت فروع الحزب على فتح المدارس الحديثة ، والغت القيود والرقابة على الصحافة والنشر ومنحت امتيازات الصحف والمجلات لكل طالب بغض النظر عن مؤهلاته وقابلياته^(١٦٤) . وقد وضع هذا الامر بصماته في المدن العراقية ومنها النجف التي افتتح فرعا لحزب الاتحاد والترقي فيها .

فتحت ثورة الاتحاديين الابواب على مصرعها للمؤثرات الفكرية من الشام ومصر والعاصمة العثمانية وغيرها الى العراق ، ومما شجع هذا الانفتاح " تخفيض اجور البريد الى خمس الاجور عما كانت عليه مما سهل تدفق الصحف والمجلات"^(١٦٥) . فلهذا دوره في تشجيع التيارات الاصلاحية على التفتح والنمو .

وظهرت الاتجاهات الاصلاحية الداعية الى بناء المدارس الحديثة المتطورة ، تشجعها اهتمام الاتحاديين بشؤون التعليم ونشره بين الناس ، ويهدف الاتحاديين من نشرها الى تحقيق غاية نشر الطورانية ، إلا ان هذا الهدف لم يفوته المصلحون فقد عملوا على اثاره الوعي القومي العربي منذ وقوع الانقلاب العثماني بطريقتين [وهذا يعني ان المصلحون النجفيون ادركوا غاية الاتحاديين الطورانية منذ وقوع الانقلاب ١٩٠٨] الأولى : تجديد واحياء تراث العرب الثقافي وخاصة " اللغة العربية " . ثانيا : بعث كيانهم السياسي في تطبيق النظم الدستورية في البلاد^(١٦٦) .

(١٥٤) الشريقي ، الاحلام ، ص ٩١ .

(١٥٥) ولد بمدينة النجف سنة ١٨٨٤ وهو ابن الشاعر المعروف جواد الشيبيني ، كان احد رجالات الشعر والادب والفكر والعلم والسياسة لا في العراق بحسب وانما في البلاد العربية وهو من المشاركين في جل الاحداث السياسية التي عصفت في مدينة النجف والتي توجت بثورة العشرين وهو من العاملين في وضع الشكل النهائي في تأسيس الحكم الوطني وبمساعدة جماعة من التيار الاصلاحى المتجدد تسلم الوزارة [وزارة المعارف] عدة مرات واخذ الخط المعارض في المجلس النيابي ، وهو احد ابرز رجالات التيار الاصلاحى النجفي الذي رفدهم بشعره وافكاره حتى كان سفيرهم السياسي لحمل مطالبهم الى الحجاز ومن ثم الى دمشق ، توفي سنة ١٩٦٥ . زميزم ، سعيد رشيد مجيد ، رجال العراق والاحتلال البريطاني ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ج ١ ، ص ٤١ - ص ٤٤ .

(١٥٦) مقتبس من طبانه ، بدوي ، معروف الرصافي (دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية) ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، (تصدير لمحمد رضا الشيبيني) .

(١٥٧) للمزيد عن تفاصيل ردة فعل العامة حول مبادئ الانقلاب العثماني وبخاصة الطبقة العراقية المثقفة وبشكل عام ينظر : نديم ، شكري محمود ، احوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية (١٩٠٨ - ١٩١٨) ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، ١٩٨٥ . النصيري ، المصدر السابق .

(١٥٨) " الهاتف " ، (صحيفة) ، بغداد ، ١١ / كانون الأول / ١٩٥٢ ، العدد (١٢٧٧) ، ص ٤ .

(١٥٩) " المصرية " ، (مجلة) ، القاهرة ، نيسان ١٩٣٧ ، العدد (٧) ، ص ٣٠ - ص ٣١ .

(١٦٠) " المرشد العربي " ، (مجلة) ، دمشق ، ١ / آب / ١٩٤٠ ، العدد (١٨) ، ص ٣١ .

(١٦١) للمزيد من التفاصيل حول ظروف وتفاصيل الانقلاب العثماني ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ينظر : يحيى ، جلال ، العالم العربي الحديث ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٤١ ؛ الشهابي ، مصطفى ، القومية العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٩ ، ص ٦١ ؛ الواظ ، مصطفى نور الدين ، الروض الازهر في تراجم آل جعفر ، الموصل ، ١٩٤٨ ، ص ٢٢٨ ؛ الدروزه ، محمد عزت ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٦ - ص ٢٩٥ ؛ انطونيوس ، جورج ، (يقظة العرب) ، ترجمة ناصر الدين الاسد ، احسان عباس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٥ - ص ٢٠٤ .

(١٦٢) مقتبس من طبانه ، بدوي ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(١٦٣) حزب عثماني سري انشأه (الشبان الاتراك) من جماعة (تركيا الفتاة) في مدينة سالونيك التركية (في اليونان حاليا) ، وهدفه القضاء على استبداد السلطان ، وكانت تضم مختلف الاديان " فكانت الكثرة الغالبة من الاتراك ، ويليهم اليهود " ، للمزيد من التفاصيل ينظر : انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ - ص ١٧٦ .

(١٦٤) الارحيم ، فيصل محمد ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ، الموصل ، ١٩٧٥ ، ص ٣٨ - ص ٣٩ ؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ، ج ٨ ، ص ١٧٢ .

(١٦٥) " العلم " ، (مجلة) ، النجف ، ٢١ / آب / ١٩١٠ ، العدد (٧) ، ص ٢٨٧ .

(١٦٦) احمد ، ابراهيم خليل ، تطور التعليم الوطني في العراق [١٨٦٩ - ١٩٣٢] ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٧ .

لا ينكر ان الانقلاب العثماني فتح ميادين ساعدت على نمو الافكار الاصلاحية ، فقد انتشرت المطبوعات ، وتنبهت الافكار ، وانتشرت الصحف ، ففي الجانب الاخير كان " مجموع ما يصل العراق من صحف استبول وبلاد الشام ومصر واوربا كان يصل الى خمسة عشر الف نسخة اسبوعيا " (١٦٧) ، خاصة وان الكتابات العربية الجديدة تدعو العرب الى النهوض والتقدم عن طريق الإصلاح في كل الميادين وخاصة العلم (١٦٨) . وتحمل المصلحون بذلك مسؤوليتين (١٦٩) :

الاولى : تنقيف الناس ليزيدوا وعيهم ويرتفعوا بهم الى مستوى الاحداث التي وصلت اليها الدولة العثمانية (١٧٠) .

الثانية : تعميق المفاهيم الاصلاحية ونشرها بين ثنايا المجتمع العراقي .

ساعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ في نمو حركة التيار الاصلاحى النجفي . فبعد الانقلاب ولد في الدولة العثمانية تنظيم لجمعية اصلاحية تحررية تدعى " أنجمن سعادة " التي تعني " جمعية السعادة " ومقرها في العاصمة اسلام بول " كانت رابطة اصلاحية بين تركيا والنجف وغيرها من المدن العراقية ، وهدفها بسط الفكرة الاصلاحية واهدافها الى دول العالم والاحرار فيها ، وتساند الحركات الاصلاحية المختلفة ومثل التيار الاصلاحى النجفي فيها (اسد الله الممامغاني) عندما التحق باسلام بول لدراسة الحقوق هناك " (١٧١) .

وتواصل المصلحون النجفيون مع الاحرار في تركيا حتى زار مؤيد جمعية الاتحاد والترقي " ثريا بك " مدينة النجف واجتمع بالمصلحين في بيت يقع بمحلة " العمارة " استؤجر ليكون مقر حزب الاتحاد والترقي التي شكلت كفرع في مدينة النجف ، واهم اعضائها الشيخ " علي مانع " وسعيد كمال الدين ، ومسلم زوين (١٧٢) ومحمد رضا الشيبيني (١٧٣) . وقام المصلحون باحتفال كبير في مدرسة حسين الخليلي ، وتحدث " ثريا بك " من منبر المدرسة موضحا مزايا الحياة الدستورية وفوائدها ومضار الحكم المستبد (١٧٤) . وهذا دور متميز في نمو الحركة الاصلاحية النجفية ونشاطها .

ويذكر المصلح علي الشرقي ان الموالين للحركة الاصلاحية النجفية من اعضاء فرع حزب الاتحاد والترقي في مدينة النجف يجتمعون في مقر اسمه " القلوب " (١٧٥) . وهو بمثابة ناد اصلاحى لحزب الاتحاد والترقي في النجف (١٧٦) . فله الدور في بث الفكرة الاصلاحية وتطورها . وظهرت أمام الحركة الاصلاحية النجفية ظرف اخر ساعد على اطلاق حريتهم بنشاط واسع ، فلقد الغيت شعبة الجاسوسية (١٧٧) في العراق بعد ان ظلت قابضة على صدور الاحرار تحد من تحركهم (١٧٨) .

حاول السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بالرجوع بمنجزات الانقلاب ١٩٠٨ الدستورية فقد وصف الواعظ (١٧٩) بعودة الرجعية قائلا " ثم بات الامر ان مقصد هذا الجمع [مجلس المبعوثان] القاء الفساد وابطال المشروعية وتعطيل المجلس ، فاتخذوا اسم الشريعة ذريعة الى جمع الحشرات من الناس وألوف من الخواص والعوام لهذه كلمة حق ارادوا بها باطلا " (١٨٠) . الا ان الاحرار في تركيا خلعوه ١٩٠٩ ، وأيد رجال الحركة الاصلاحية النجفية الخلع (١٨١) .

وقبيل خلعها توالدت اجتماعات المصلحين وكثرت التظاهرات في الصحن الشريف والجوامع والمدارس الدينية ، حتى انتهى الامر بتكليف المصلح محمد كاظم الخراساني بابرار كتاب (١٨٢) الى السلطان المستبد

(١٦٧) النصيري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ١١٦ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : الجابري ، محمد هليل ، الحركة القومية في العراق (١٩٠٨ - ١٩١٤) ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

(١٦٨) دروزه ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

(١٦٩) الارحيم ، المصدر السابق ، ص ٤١ .

(١٧٠) نادى الاتحاديون اول الامر بمفاهيم الحرية والدستور ومنها مراقبة الحكومة وتحديد مسؤوليتها أمام مؤسسة تشريعية " مجلس المبعوثان " ، وتوسيع نطاق التعليم وتيسير النشاط الاجتماعي والسياسي ، والقضاء على الفساد والرشوة والاستبداد وغيرها من المفاهيم . للمزيد ينظر : دروزه ، محمد عزت ، المصدر السابق ، ١٩٧١ .

(١٧١) مذكرات محمد علي الحسيني ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٨٧ .

(١٧٢) الحسني ، عبد الرزاق ، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٧ .

(١٧٣) شنارة ، علك عبد ، محمد رضا الشيبيني ودوره الفكري والسياسي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ٣٢ .

(١٧٤) الاسدي ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(١٧٥) يبدو ان هذه التسمية مأخوذة من احد المصطلحين (club) وهو بمعنى فريق او نادي او مجموعة او من المصطلح (Group) وهو بمعنى مجموعة او عدد من الافراد . ونحن نميل الى ان كلمة القلوب مأخوذة من الاصطلاح الاول .

(١٧٦) الشرقي ، الاحلام ، ص ١٩١ .

(١٧٧) شعبة للشرطة السرية اسسها السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) لمراقبة الحركات والآراء الحرة والقضايا الفكرية شمل نشاطها ولايات الدولة العثمانية بأسرها وقد الغي هذا النظام في العهد الدستوري اثر الانقلاب الاتحادي ١٩٠٨ وتسريح جواسيس هذه الشبكة الذين تعرضوا بالوقت نفسه الى خطر البطالة والتشرد . للمزيد من التفاصيل ينظر : لبيب حسين ، تاريخ الاثراك العثمانيين ، بيروت ، بلا ، ج ٣ ، ص ١١ .

(١٧٨) لبيب ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١ ؛ لونكرينك ، ستيفن هسلي ، العراق الحديث ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(١٧٩) كان مصطفى نور الدين الواعظ نائباً في مجلس المبعوثان ممثلاً لمنطقة الديوانية للمزيد من التفاصيل ينظر : الواعظ ، مصطفى نور الدين ، الروض الازهر في تراجم آل جعفر ، الموصل ، ١٩٤٨ .

(١٨٠) مقتبس من المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .

(١٨١) نظمي ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ ؛ كمال الدين ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(١٨٢) يقول محمد علي الحسيني وهو من معاصري هذه الاحداث واحد اعضاء الحركة الاصلاحية النجفية بشأن هذه البرقية قائلا " استنجد احرار تركيا عندما احسوا بان السلطان عبد الحميد سيفتك بهم ويغتالهم ، فطلبوا من احرار النجف وزعيمهم الخراساني [كاظم] ، ان يبرقوا الى عبد الحميد ببرقية ينصحونه ويؤنبونه واجابة الى تدعيم الفكرة ، فقد بادر ابو الاحرار ، وتسلمناها منه وذهبنا توا الى مامور البرق (زينل افندي) ، فامتنع عن بعثها ، وكلما اصررنا عليه لم يجد ذلك نفعا ، غير ان الامام الخراساني بعث عليه وطمئنه ووثقه بالعهود انه يدفع عنه كل خطر ياتيته من جراء ذلك ، واخيرا

يطلب الاسراع بتنفيذ الدستور^(١٨٣) . وجاء في البرقية منها " ليت شعري ، فهل يمكن قيام الاحكام الشرعية بغير المشروطة ، وهل يمكن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا بقطع عرق الاستبداد ومتى عارض القانون الاساسي الاحكام الشرعية ، وفي أي مادة عارض الصوم والصلاة ومتى اوجب غير المشروع ، وبديل اصول الدين والفروع ... الخ"^(١٨٤) .

ظهرت بوادر الطورانية ، التي تعد علامة الزيف الاتحادي والوجه السلبي للانقلاب العثماني بانتهاج مبدأ العنصرية والتعصب العثماني المرتمي في احضان الغرب ، فعملوا على زرع بذور الحقد ضد العرب^(١٨٥) .
يمتاز مبدأ الطورانية^(١٨٦) بالمخطط الاستعماري وهذا ما يؤكد محمد توفيق حسين بغربية الانقلاب حين قال " ان انقلاب ١٩٠٨ قام به ضباط اترك في الظاهر ، واما في الواقع فان المخطط له انما هم اليهود والماسونيون . وكان هدف اليهود المباشر هو السيطرة على الدولة العثمانية اقتصاديا ، وهدفهم البعيد هو ان يكون لهم في الدولة العثمانية مركز نفوذ يستخدمونه لتحقيق هدفهم الأعلى الا هو انشاء دولة يهودية في فلسطين او في العراق"^(١٨٧) .
حاول التيار الاصلاحى النجفي مجابهة النزعة العنصرية الاتحادية ، فقد اكد (المصلح محمد رضا الشيبى) حول مواجهة عنصريتهم ورفضها " عن طريق التأكيد على اللغة العربية وحفظها"^(١٨٨) .

كانت للعوامل الخارجية العربية دورها الرائد في بلورة الفكر الاصلاحى النجفي ، الذي افاد منها في ضرورة الرجوع الى السلف مع دمجها بالعلم والمدنية والحفاظ على المعاني السامية للعروبة بما يلائم مقتضيات العصر . وافترزت الاحداث الاجنبية الخارجية الدستورية والاجواء الدستورية الإيرانية العثمانية مناخا فكريا ناميا كان له الدور في وعي الطبقة الاصلاحية المتجددة وادراكها ، فكلا الحدثين وان وقعا في ارض اجنبية - كان لهما التأثير الواضح في مدينة النجف ، إذ انها قريبة جغرافيا ومتفاعلة مع مستوى الاحداث والتطورات الحاصلة سواء في ايران أو الدولة العثمانية . وشعورا بالمسؤولية حينما اوكلت اليها الاستشارة في قضايا دولة عمقها ليس بسيط في صفحات التاريخ ، حتى قال عن مدينة النجف واطرافها " اتبحت للنجف فرصة ممتازة لظهور نفوذها ، عندما اندلعت موجة عارمة لحركة ديمقراطية تبنتها الطبقة المثقفة وعمت الشرق لعشر سنوات خلت تلك الموجة التي اسفرت عن نجاح الحركة الدستورية في ايران وتركيا ، قد قامت قيامة النجف في هذه الفترة ، واصبحت مركزا للمناورات السياسية"^(١٨٩) . وقال (كمال الدين) عن اوضاع المصلحين النجفيين بتلك المدة : " احتدم النقاش بين علماء الدين في نظام الحكم ونظرياته الفلسفية والاجتماعية منها الحكم الملكي الاستبدادي والحكم الديموقراطي الدستوري ومنها الحكم الجمهوري ... الخ"^(١٩٠) . وهي الظروف التي بلورت الوعي الاصلاحى عند رجال الحركة الاصلاحية النجفية .
تكون في المحصلة تيار إصلاحى نجفي يدعونا الى ضرورة تسليط الضوء في معرفة نشأته وتكوينه ومراكزه وممثليه .

المبحث الثاني : حركة التيار الاصلاحى النجفي (النشأة والتكوين)

اثمرت العوامل الفكرية الداخلية و الخارجية في ولادة التيار الاصلاحى النجفي ، الا انه ساعد في نشأته مؤثرات اخرى انضجت جهازه الاصلاحى برسالة انسانية كان لنموها في وسط ميدان المجتمع النجفي (الشديدي التعقيد) . بالرغم من المميزات والصفات المتمدنة التي يحملها لواء التيار الاصلاحى . الذي انعكس ايجابيا على افراد لوائه ، واتخذ لون التوفيق أو الموازنة في معالجة الامور يساندها محاربة كل ظاهرة رجعية متخلفة . وتحمل عبئا ثقيل في بداية نشأته ، فضلا عن محاولاته في نشر الرسالة الاصلاحية في ثنايا مجتمعه اوجب مسابرة الظروف الدولية التي القت مجمل ثقلها على الحركة الاصلاحية النجفية ، فتجسدت في تنظيم اعضاء من شبوخ وشباب مثقفين ومجربين وبمراكز متعددة من الجمعيات والتنظيمات التي يجتمع حولها رجال الاصلاح الذين وضعوا بصماتهم في المسيرة الفكرية حتى كان منهم وزراء ونواب في الحكم الوطني الأول .

رضخ الى رأيه بعد ان استكتبه كطلب شخصي من الخرساني ليرتكز عليه ، وبعث بالبرقية ولكن من الصدق قبل وصولها كان احرار الاتراك قد اجهزوا على عبد الحميد فاقصوه عن العرش وجعلوا مكانه محمد رشاد " ، مقتبس من مذكرات الحسيني ، المنشورة في ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٩ .

(١٨٣) الاسدي ، المصدر السابق ، ص ٧٣ . وينظر : كمال الدين ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(١٨٤) الرهيمي ، حقائق عن الموقف في العراق ... ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(١٨٥) الجندي ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(١٨٦) هو الحكم المركزي المباشر ويتبنى سياسة التتريك وتتكسر لمبادئ الدستور ١٩٠٨ وبمجد العنصر التركي =

= ويرون دولتهم انهم اترك اولاً ثم مسلمين ثانياً للمزيد ينظر : الارحيم ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

(١٨٧) للمزيد من التفاصيل حول غربية الانقلاب العثماني انظر : الوثيقة البريطانية المترجمة التي تفصح دور اليهود في الانقلاب للدكتور حسين ، محمد توفيق ، (دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني ١٩٠٨) ، " افاق عربية " ، (مجلة) ، بغداد ، ايار ١٩٧٨ ، العدد (٩) ، ص ٥٦ .

(١٨٨) دار صدام للمخطوطات ، ملفة محمد رضا الشيبى ، رقم (٣٥١) ، رسالتان من محمد رضا الشيبى الى انستانس الكرملى ، (٢٠ رجب) (١٥ شوال ١٣٣٠) - (٦ تموز ١٩١٢) (٢٨ ايلول ١٩١٢) .

(١٨٩) نقلا عن الفياض ، عبد الله ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٧٥ ، ص ١٣١ - ص ١٣٢ .

(١٩٠) مقتبس من محمد علي ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٢٢ - ص ٢٣ .

أولا - نشأة الحركة الإصلاحية النجفية: ظهرت الكثير من الحوادث التي نمت الوعي الاصلاحى في مدينة النجف ، ومنها حركات الاستقلال في اوائل القرن العشرين كحوادث البلقان^(١٩١) ، حيث كانت المدن العراقية تتلقى اخبار هذه الحركات بكثير من اليقظة والوعي^(١٩٢) . والمعاملات التجارية وخاصة مع الهند ، حيث كانت مصدرا لطبع المؤلفات الفكرية ومنها ما يصل مدينة النجف^(١٩٣) .

ويعد انتصار اليابان على روسيا القيصرية في حربيها ١٩٠٤ - ١٩٠٥^(١٩٤) تأثير واضح . حيث اثار تساؤل المصلحين النجفيين على امكانية دولة صغيرة كاليابان التي استطاعت الانتصار على امبراطورية قيصرية كبيرة كروسيا ؟ والتي ارجعوا الانتصار الى اتباع اليابان النظم الدستورية^(١٩٥) .

وعاشت بلاد الشام حياة بعض المظاهر الفكرية بسبب انشاء عدد من المطابع والمدارس التي اصبحت نواة النهضة الثقافية العربية ، وهذه النواة أو النهضة وصلت الى العراق عن طريق الصحف والمجلات التي كان لها الاثر في تطور الفكر الاصلاحى اذ : " عدت من اهم روافد نقل الفكر الاوربي والحضارة الغربية ، والتمدن الحديث الى العالم العربي "^(١٩٦) . وتحدث عنها المصلح الحسيني : " في هذه المرحلة [النشوء] كنا نقف على كثير من الحقائق التي اخفيت علينا فالافكار الحديثة تصل بواسطة صحف مصر وبلاد الشام ، وحتى من استانبول والهند "^(١٩٧) .

وتعدى الامر ان يقوم المصلح الحسيني بتدريس مبادئ العلوم الحديثة المستوحاة من المجلات والصحف العربية وخاصة المصرية . فاثار ذلك ضجة في المجتمع النجفي واعتبروه متفرنجا وزنديقا^(١٩٨) .

تأثر المصلحون النجفيون بالافكار الاصلاحية التي كانت تجوب ذهن (المصلح جمال الدين الافغانى) خاصة وانه جاء الى مدينة النجف سنة ١٨٤٨ لغرض الدراسة والتعلم ، وهو زميل المصلح محمد سعيد الجبوي ، ثم تركها سنة ١٨٥٢ لكي يستقر في الهند ، ثم رجع لزيارة مدينة النجف ١٨٩١ واجتمع مع المصلح محمد سعيد الجبوي لتدارس المهام الاصلاحية ، وزار عددا من الاقطار الاسلامية ناشدا جوانب الاصلاح . ولشدة صلته مع المصلحين النجفيين كاتبه احد اعلامهم بالاتفاق مع جماعته الاصلاحية وهو المصلح (حسين الخليلي) سنة ١٨٦٦ لمحادثة الباب العالي العثماني بغية اعفاء سكان المدن المقدسة في العراق من الخدمة العسكرية^(١٩٩) . واتخذ في مصر المصلح محمد عبده^(٢٠٠) طرق الاصلاح بتحديث وتطوير وسائل التعليم والتهديب^(٢٠١) . وبلغ تأثر المصلحين النجفيين به الى درجة ان احد اعضاءها وهو المصلح (محمد علي الحسيني) بأن يطلق احدى دعواته الاصلاحية الاقتصادية المشابهة لدعوات المصلح محمد عبده الذي قال بشأن الاستثمار في المصارف المصرية بـ " جواز الربا في صناديق التوفير " . وما شجع التأثير باعلام الاصلاح العرب وغيرهم هي المراسلات التي يمكن ان اسميها " المراسلات الاصلاحية " ومنها مراسلات الحسيني مع المصلح محمد عبده وعبد العزيز جاويش والشيخ الطنطاوي جوهرى واصحاب مجلتي الهلال والمقتطف ، وكان يرسل مندوب جمعية الاتحاد والترقي (ثريا بك) ، ومراسلات المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء مع امين الريحاني وغيرها من المراسلات الاصلاحية^(٢٠٢) . ومنها المراسلات السياسية مع المصلح جمال الدين الافغانى^(٢٠٣) .

^(١٩١) ترجع هذه الحوادث بسبب المعاهدة التي عقدت بتاريخ ١٣ / اذار / ١٩١٢ التي سميت بمعاهدة الصداقة والحلف الصربي - البلغاري وجاء في مقدمة المعاهدة انه " بعد اقتناع رئيسي الدولتين بوحدة مصالحهما ووحدة مصير دولتيهما وشعبيهما قررا الدفاع عن تلك المصالح بقوتهم الموحدة والعمل على تحريرهما " واتفقا كل منهما للاخر استقلاله الوطني وكيان اراضيه الوطنية وبعد شهرين تم التوقيع على الاتفاقية العسكرية في ١٢ / ايار / ١٩١٢ ونصت المادة الاولى على ان تقدم صربيا وبلغاريا كل منهما للاخرى مساعدة عسكرية وبذلك اصبحت هذه المعاهدة النواة للتحالف البلقاني ضد الدولة العثمانية تساعدها حالة الضعف التي وصلت اليه الامبراطورية العثمانية مما ادى الى اندلاع حرب بلقانية ١٩١٢ . عباس ، علي هادي ، الحروب البلقانية ١٩١٢ - ١٩١٣ (دراسة تاريخية) ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٧ ، ص ٥٧ - ص ٦٥ .

^(١٩٢) الاسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

^(١٩٣) " النجف " ، (صحيفة) ، النجف ، ٨ / ايار / ١٩٢٦ ، العدد (٤٠) ، ص ٣ .

^(١٩٤) للمزيد من التفاصيل حول الحرب اليابانية الروسية وتأثيراتها الاقليمية ينظر : هـ . أ . ل . فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) ، ترجمة احمد نجيب هاشم ، وديع الضبع ، مصر ، ١٩٥٨ ، ص ٤٠٢ ؛ شويل ، فوزي خلف ، ايران في سنوات الحرب الاولى ، البصرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٤ ؛ مجذوب ، طلال ، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٥٣ .

^(١٩٥) المقدسي ، انيس خوري ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٠ ، ص ٣٠ . كان التيار الاصلاحى النجفي متأثرا جدا بالحركة الاصلاحية المنبثقة في اليابان كونها " مزجت بين القديم والحديث " وهذا يتلاقى مع خطتهم كون رسالتهم ايضا توفيقية بين القديم والجديد ، ففي احدى المقالات التي كتبها المصلح محمد علي كمال الدين في مجلة (اللسان) سنة ١٩١٩ ، جاء منها " فليس القصد من حثنا على منافستهم هو ان نقلدهم في جميع احوالهم حذو النعل بالنعل فنترك ديانتنا ولغتنا وعاداتنا وادابنا الحسنة التي هي روح قوميتنا ووطنيتنا بل ان نسلك معهم سلوك الامة اليابانية التي نالت قسطا وافرا من العلم مع المحافظة على عوائد بلادها " ينظر : " اللسان " ، (مجلة) ، بغداد ، حزيران ١٩١٩ ، العدد (٩) ، ص ١ ، ص ٢٥٢ .

^(١٩٦) للمزيد عن تفاصيل ازدهار الثقافة والحرية والفكر في بلاد الشام ينظر : الدروزه ، محمد عزت ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

^(١٩٧) مقتبس من مذكرات الحسيني المنشورة ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٥ .

^(١٩٨) الوردى ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٨٧٦ - ١٩١٤ ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ج ٣ ، ص ١٠ .

^(١٩٩) " العراق " ، (صحيفة) ، بغداد ، ١٤ / نيسان / ١٩٩٣ ، العدد (٥٢٥) ، ص ٤ .

^(٢٠٠) ولد عام ١٨٤٩ في قرية صغيرة تدعى (نصر) تابعة لمركز شبراخيت ، من اسرة مصرية عربية متوسطة الحال معظم افرادها يشتغل بالزراعة الا ان والده وجد فيه النكاه وحب الدرس فتعهد بتعليمه العلوم الدينية وتثقيفه اذ توقع له حظا في حياته ، ومنهجه الاصلاحى قائم على ضرورة معرفة الشعب بحقوقه وواجباته التعليمية وتهديبه . للمزيد من التفاصيل ينظر : عيسى ، شحاته ، زعماء الوطنية في مصر في العصر الحديث ، مصر ، ١٩٧٧ ، ص ١٤١ .

^(٢٠١) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

^(٢٠٢) العلوي ، محمد مهدي ، هبة الدين الشهرستاني ، تعليق حسن بن هاشم ، بغداد ، ١٩٢٩ ، ص ١٠ . وينظر " الاسبوع " ، (مجلة) ، بغداد ، ١٤ /

^(٢٠٣) ولد في مدينة كابل ١٨٣٨ ولقي ثقافة دينية على يد والده سافر الى الهند ومن ثم الى العراق لمواصلة علومه ، اشتغل في سلك الحكومة الافغانية الا ان الحروب الممزقة وسيطرة البريطانيين ومضايقتهم اضطر الى المغادرة فسافر الى الهند الا انه تعرض للمضايقة فتوجه الى مصر وبقي اربعين يوما ثم

كان الاهدال في جوانب الحياة السائدة في العراق بسبب سيطرة العثمانيين دور في تشجيع التدخل الاجنبي ، تساعدها الاجراءات التعسفية العثمانية في جباية الضرائب ، مما حفز الوعي الفكري في ضرورة التخلص من كابوس المستعمر . ووصف هذا الكابوس جعفر محبوبه اذ قال : " ضغط على النجفيين القائمقام العثماني بهجت بك حتى كاد ان يستأصل اموالهم بتحميلهم الضرائب الباهضة وساق الرجال وشردهم بلا رحمة ومس الكرامات المقدسة " (٢٠٤) . وتندرج فلسفة التنافس الاستعماري على العراق بثلاثة مبادئ (٢٠٥) :

الأول : ان العراق يقع على راس الخليج العربي وعلى طريق المواصلات البرية الرئيسة للهند . الثاني : ان بريطانيا وجهت الاهتمام في ربط الهند تلغرافيا بلندن عن طريق العراق . وما يوضح الاهمية الحيوية للعراق والتي ادركها المصلحون النجفيون منذ بدايات حركتهم الاصلاحية في ضرورة التخلص من المستعمرين الذين وصفوا العراق " بالبقعة الوحيدة التجارية الجميلة في العالم اليوم " (٢٠٦) . وصف المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء تغلغل وتنافس القوى المستعمرة في ارض العراق حينما تحدث بصراحة مباشرة مع السفير البريطاني (جون تروتيك) قائلا : " نزيدك ايضاحا ان المساعي التي تبذلها بريطانيا للاستيلاء على العراق واستغلال خيراته وبركاته ليس اولها في بدء الحرب العالمية الاولى بل قبل ذلك بمائة سنة او اكثر ايام حكومة الاتراك فقد نشأنا قبل سبعين سنة والسلطان يومئذ (عبد الحميد) والياليوزخانه [الحكومة العثمانية] ، وذيولها من اعوانها العراقيين الذين استعبدتهم (بالروبيات) ينشرون اكبر دعاية لبريطانية في العراق واجتهدت في تحبيب الانكليز وجعلت عنصر السكسون مثاليا حتى شاع في لهجة العراقيين ان الدولة العادلة هي بريطانيا فاذا اراد احدهم ذكر الانكليز يقول : " الدولة العادلة بريطانيا " وتشبعت الاهدان حتى ان رجل الشارع صار يعتقد ان الانكليز اذا حكموا العراق يجعلوها جنة من جنات الفردوس " (٢٠٧) .

كان موقف التيار الاصلاحى النجفي من هذا التغلغل والتنافس موقف رافض ومقاوم لاشكاله . فالمصلح محمد علي كمال الدين احد اقطاب الحركة الاصلاحية النجفية يؤكد بأن : " للطبقة الاصلاحية الخاصة بالنجف تعمل على مكافحة الدعاية البريطانية منذ الدستورين الايراني والعثماني سنة ١٩٠٨ وبذلت قصارى جهدها فلم تغلج ، بل زاد نشاط الدعوة [الدعاية البريطانية] وتمركزت الثقة بالانكليز في نفسية السواد ، على ان هذه الطبقة لم تكن قليلة او المكانة بل كان في ضمنها كثير من علماء الدين واتباعهم وحاشيتهم اضافة الى طبقة المتجددين الذين انتموا الى الاحزاب السياسية القائمة حينذاك ، وكان لها الاثر الكبير على العشائر التي دفعت بهم باسم الجهاد واسندت الجيش العثماني " (٢٠٨) .

ابتعدت مدينة النجف في عهد السيطرة العثمانية (١٥٣٤ - ١٩١٨) ، لفترة زمنية تقارب الاربعمئة عام سوداء عن كيان الدولة المستعمرة ، واصبحت في شبه عزلة تامة يعزوها الباحثون إلى عدة اسباب : فمنها الاختلاف الطائفي (٢٠٩) ، او الطبيعة الجغرافية (٢١٠) ، او كونها مركز اضطراب وبخاصة انها تشرف على قلب الفرات الاوسط (٢١١) . الا ان الباحث يرى ان تلك العزلة نجفية المنشأ تسبق تلك الاسباب فبعد تأسيس المدرسة العلمية الاولى عام ١٢٤٨ م . اخذت تستمر بعبائها العلمي وتتهل من شتى صنوف العلم والمعرفة (٢١٢) . لكن هذه الحياة الفكرية اخذت تظهر بشيء من الانكماش والانطواء على الذات في عهد السيطرة العثمانية وكيانها . وسبب ذلك الانكماش هو التقدم الفكري والسبق الحضاري لمدينة النجف (٢١٣) . وان هذا التقدم الفكري لم يجد تلك الارضية الملائمة في كيان الدولة المستعمرة التي كان هدفها جباية الضرائب واستغلال ثروات البلاد كمستعمر ، مما جعل مدينة النجف شبه معزولة . وفي الوقت نفسه شجعت هذه العزلة التيار المحافظ (القديم) على نمو كيانه . الذي اصطدم بعد

سافر الى اسلام بول ثم الى باريس ليستقر ويصدر مجلة (العروة الوثقى) مع المصلح محمد عبده . للمزيد من التفاصيل ينظر : التكريتي ، معد صابر ، جمال الدين الافغاني واثره في الفكر السياسي العراقي ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ .

(٢٠٤) جعفر ، باقر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٢٠٥) العكام ، عبد الامير هادي ، محاضرات في تاريخ العراق المعاصر (القيت في كاية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد للمرحلة الثالثة ١٩٩٧ - ١٩٩٨) ، غير منشورة . وللمزيد عن تفاصيل جذور فلسفة الاستعمار الغربي السياسية واساليبهم في السيطرة والتوسع في العراق وخاصة من قبل (بريطانيا - المانيا - فرنسا) .

(٢٠٦) " الاستقلال " ، (صحيفة) ، بغداد ، ١٣ / آذار / ١٩٢٢ ، العدد (٥٥) ، ص ٢ . وحول تفاصيل انعكاسات الصراع الدولي على العراق ودوره في خلق مقاومة وطنية رافضة لنفوذه ينظر : محبوبه ، عدنان حسن ، دور النفط في بناء العراق المعاصر ١٩٣١ - ١٩٥٨ (دراسة تاريخية) ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٦ ؛ صالح ، زكي ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ (دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري) ، بغداد ، ١٩٦٨ .

(٢٠٧) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، محاوره الامام المصلح كاشف الغطاء الشيخ محمد الحسين مع السفيرين البريطاني والامريكي في بغداد (بمناسبة زيارتهما لسماحته في مدرسته في النجف) ، نجف ، ١٩٥٤ ، ص ٨ - ص ٩ .

(٢٠٨) " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٩ / حزيران / ١٩٤٦ ، العدد (١) ، ص ٤ .

(٢٠٩) للمزيد من التفاصيل ينظر : الوردي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

(٢١٠) أبو رجة ، عدنان رشيد ، الاستيطان القبلي في منطقة منخفض بحر النجف ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، المقدمة ص ب .

(٢١١) للمزيد من التفاصيل حول طبيعة قيادة وريادة النجف للمد التحرري ضد الاستعمار العثماني ينظر : محبوبه ، عدنان حسن ، مقاومة العراقيين للنفوذ الاجنبي (١٧٥٠ - ١٨٣١) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .

(٢١٢) للتفاصيل ينظر : ويسين ، ناهدة حسين ، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير ١٨٣١ - ١٩١٧ ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ .

(٢١٣) من ملخص البحث الذي تقدم به د. طارق نافع الحمداني ، " التحديث في النجف بين الاصالة والتجديد " ، المؤتمر العلمي الاول لجامعة الكوفة المنعقد للعدة ١٤ - ١٥ نيسان ١٩٩٦ .

الانقلاب العثماني ١٩٠٨م بجدار الحركة الاصلاحية المتتورة ، التي رأت ان الانكماش والانطواء على الذات مهما كانت اسبابه سيؤدي الى العزلة والانفصال عن المجتمع ومن ثم الموت^(٢١٤) .

كانت رسالة الحركة الاصلاحية النجفية تنبع من المناهل الوطنية والقومية . وهي انسانية تعني عناية فائقة بالاخلاق الفاضلة ، وحب الخير والتضحية^(٢١٥) . وهي مندفعة من صميم الحاجة الى الوان التجديد والتحديث ، ونبذ ما تعلق بالقديم غير النافع^(٢١٦) . وراعت في اسلوب عملها المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي يمر بها المجتمع النجفي^(٢١٧) . ورجال الحركة الاصلاحية مطلعة على الافكار الداعية الى التجديد والاصلاح ، متأثرة الى حد بعيد بالافكار الحديثة التي كانت ثمرة النهضة العلمية والادبية التي ظهرت في مصر وسوريا ، فكان من الطبيعي للطبقة المصلحة ان تتطلع الى كيان قوي وحكم دستوري ، وان تظهر نزوعا قويا الى التحرر والتسامح الديني ، ولذلك كانت استجابة هؤلاء المصلحين للافكار القومية والاصلاحية استجابة عميقة وتلقائية ، فالشاعر (محمد مهدي الجواهري)^(٢١٨) ، يتحدث عن نفسه في بواكير شبابه وشباب الحركة الاصلاحية اذ قال : " كنت اتطلع الى الجديد في الاصلاح بالاستعانة بالشيخ محمد رضا الشبيبي ، والشيخ علي الشرفي مما يقع في ايدهم من جرائد ومجلات وكتب مما يطبع في مصر "^(٢١٩) .

ظهرت في مدينة النجف مدرستان اصلاحيتان " كانتا من اوائل المظاهر الاصلاحية " فيها:

الاولى : المدرسة الاصلاحية ، التي يمكن ان نسميها [المدرسة التوفيقية] . التي تدعو الى الاصلاح والمعرفة العلمية وتحكيم العقل في القضايا الفقهية ، وكان من روادها المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء ، والمصلح محمد سعيد الحبوبى . والمصلح جواد الشبيبي ، والمصلح محمد على الحسيني الذين حاولوا التوفيق بين الاسلام والعلوم الحديثة .

الثانية : مدرسة القوميين العرب الاصلاحية ، الذين تغنوا بامجاد العرب وعبروا عن آمالهم وامال امتهم في الحرية والاستقلال وابرز روادها (محمد رضا الشبيبي) و (محمد علي اليعقوبي) و (عبد المنعم الفرطوسي وغيرهم)^(٢٢٠) .

وقد استقطقت المشاعر الادبية ايضا في نفوس رواد الحركة الاصلاحية النجفية فأخذوا يرفدون دعواتهم بالادب نثره وشعره^(٢٢١) فاستطاع المصلحون من ذوي الميول الادبية والنضج الفكري والوعي السياسي والآراء الحديثة بث الدعوات الاصلاحية في ثنايا المجتمع النجفي ان لم يكن في ارجاء العراق كله ، وهذا نابع من مكانة المدينة " فان مكانة النجف الدينية والعلمية والثقافية هي التي رعتها ان ترتقي مكان الذروة في افاق العلوم والادب منذ امد بعيد "^(٢٢٢)

اتسمت الحركة الاصلاحية النجفية بسعة الرقعة . فكان نشاطها ملحوظا في مدن الكوفة وكربلاء^(٢٢٣) فضلا عن مدينة النجف . وكان التناغم الفكري الاصلاحى بين الحركة الاصلاحية النجفية ورواد الفكر في مدينة بغداد بدرجة عالية من التفاهم والارشاد ، فحينما حاول مفكروا بغداد القوميون تأسيس مدرسة علمية حديثة عام ١٩٠٦ على وفق المناهج الحديثة تدرس بها اللغات الاجنبية والعلوم الحديثة تعرضت الى موجة من الاعتراضات من قبل جماعات المستبدة (المحافظة) في بغداد التي بلغ بها الامر الى أن تتهمهم بالكفر^(٢٢٤) . فأضطر المتتورون البغداديون التوجه الى رجال الحركة الاصلاحية النجفية للاستشارة والدعم ١٩٠٨ فاجابهم المصلح محمد سعيد الحبوبى بالتأييد والقبول اذ قال " ان ايجاد معهد يهيئ للمسلمين تعلم اللغات الاجنبية ، ويكون منهم كتبة ومحامين يعد من الامور الحيوية "^(٢٢٥) . وتناغمت الحركة الاصلاحية النجفية مع الجمعية الاصلاحية البصرية (١٩١٣) ، اذ يؤكد اكثر من باحث ان (المصلح علي الشرفي) هو احد اعضاء الجمعية البصرية^(٢٢٦) .

(٢١٤) محبوبه ، المصدر السابق ، صيدا ، ص ٢٨٣ .

(٢١٥) كمال الدين ، محمد علي ، سعد صالح ، بغداد ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٢ .

(٢١٦) ديوان محمد سعيد الحبوبى ، ص ٢٢ .

(٢١٧) بصري ، مير ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥ .

(٢١٨) ولد عام ١٩٠٠ في مدينة النجف من اسرة عريقة اكتسبت شهرتها ومجدها العلمي من جدهم الشيخ محمد حسن صاحب كتاب " جواهر الكلام " فتسموا بال الجواهري ، انضم للحركة الاصلاحية التي ردها بنتائجها الادبية في العشرينات من القرن العشرين ، عين معلما بمدرسة ابتدائية في بغداد سنة ١٩٢٦ ثم عين امينا لتثريفات البلاط الملكي ثم استقال وتفرغ للعمل الصحفي عام ١٩٣٠ . للمزيد ينظر : علي الخاقاني ، شعراء الغري ، ١٩٥٦ ، ج ١ ، ص ١٣٩ - ص ٢١٧ .

(٢١٩) ديوان محمد مهدي الجواهري ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٤٢ .

(٢٢٠) كاشف الغطاء ، علي ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٢٢١) بصري ، مير ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(٢٢٢) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٣ .

(٢٢٣) " الرابطة " ، (مجلة) ، النجف ، كانون الثاني ١٩٧٦ ، العدد (٦) ، ص ١٧٦ .

(٢٢٤) البزركان ، علي ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٩١ ، ص ٦٧ . وللزيد عن تفاصيل أحداث إنشاء المدرسة الحديثة البغدادية (الجعفرية) ودور الحركة الاصلاحية النجفية في تأييدها ينظر : الدراجي ، عبد الرزاق ، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٣١ - ص ٣٩ ؛ نظمي ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، البزركان ، المصدر السابق ، ص ٦٧ - ص ٧٧ .

(٢٢٥) مقتبس من ديوان محمد سعيد الحبوبى ، ص ٤٠ .

(٢٢٦) فراتي ، على هامش الثورة العراقية الكبرى ، بغداد ، بلا ، ص ٢٨ ؛ عواد ، عبد الحسين مهدي ، الشيخ علي الشرفي حياته وأدبه ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣٦ ؛ كمال الدين ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

ويؤكد عبد الرحيم محمد علي في كتابه (المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني) ان المفاهيم الاصلاحية الناطقة بتحسين الاحوال الاجتماعية والاقتصادية لاقت قبولا وصدى في بعض اوساط القبائل العراقية في وسط العراق وجنوبه^(٢٢٧) . وهذا دليل على وعي العراقيين ونمو أفكارهم الذين استقبلوا تلك المفاهيم .

تندرج الصفة الانسانية التي يحملها لواء حركة التيار النجفي هي صفة المدنية . واقتضت هذه المسؤولية ان يتبع التيار الاصلاحى منهجا انسانيا وبخاصة ان مدينة النجف في مطلع القرن العشرين كان عليها ان تحدد موقفا بشيء من الاحتياط من الاحداث السياسية ، وقضايا الساعة التي عصفت بالعالم ، فأتخذ رجال الحركة الاصلاحية النجفية مبدأ التوافق في سياق حركتهم حينما اخذوا باسباب التجديد والاصلاح باحثين عن المعاني العصرية ومطالب النهضة والحرية ، لكنهم يحافظون على تراثهم الاصيل^(٢٢٨) .

وينبني (المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء) الى وصف الاصلاح وما فيه من عظيم الفائدة على الامة اذ ما تنشئ طريقا واحدا لبلوغ ما يبتغيه من مواكبة التطور والرقي فيقول : " أنه الطريق الذي يرفع الامة الى اوج المجد "^(٢٢٩) ، ووصفه ايضا برسالة الشرف التي من شأنها لو اتخذت مفهومها الصحيح لتحقيق الاصلاح المبتغى فقال : " الشرف خدمة تعود بالهنا والراحة عليهم ، او دفع شيء من الشرور عنهم ، الشرف حفظ الاستقلال ، وتنشيط الافكار ، وتنمية غرس المعارف "^(٢٣٠) .

قدر رجال التيار الاصلاحى النجفي المسؤولية الملقاة على كاهلهم ، فيذكر المصلح محمد رضا الشيباني في مقدمة ديوانه : " كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم ففكر تارة في رسم اهدافنا وطوراً في الوسائل التي توصلنا اليها ، ولم نكن نستهدف في الواقع الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والحريات وتفلح في كنفه المساعي وتسير النهوض بالبلاد "^(٢٣١) .

يتميز المصلح النجفي بأنه يبين مميزات الدين الاسلامي ودعوته الى التعلم^(٢٣٢) . ويتميز بالعنف الشديد واللباقة والمنطق ، والاسلوب الرصين : " لأنه سيخوض معتركا قويا يحاول ان يغير ما في قومه من الرجعية ، ويرشدهم الى الطريق الصالح السوي "^(٢٣٣) . وكان المصلح النجفي مثقفا ، والمتقف دوره مهم في المجتمع " فالرجل المثقف هو ان يوقظ روح الطفل من نومه الطويل ويساعده في قصده الى مطعمه الجليل "^(٢٣٤) وصادقا^(٢٣٥) .

عرضت صحيفة " الحاصد " وصفا للمصلح وهو " النضوج " لأن " الناضج الفكر : هو الذي يشعر بأنه يستطيع ان يتمسك بفكرة ما وجد انها صحيحة بعد فحصها وتدقيقها "^(٢٣٦) . بالرغم من العزلة التي يعيشونها^(٢٣٧) .

ظهرت تسميات متعددة وصف بها رجال الحركة الاصلاحية النجفية . فقد تسموا بـ " الائتلافين "^(٢٣٨) ، وعلي الخاقاني يسوغ تلك التسمية بـ " كونهم جاهروا ونادوا بالفكرة العربية السامية الداعية الى قومية عربية واحدة "^(٢٣٩) . وسمو بـ " المصلحين "^(٢٤٠) ، لأنهم يحاولون اصلاح ما فسد^(٢٤١) ، وسمو بـ " المجددين "^(٢٤٢) ، لأنهم ارادوا تجديد الحسن والاثر الخالد الاصيل ، وبصياغة عصرية متطورة مواكبة لمتطلبات العصر^(٢٤٣) . وسمو بـ " التحديثيين "^(٢٤٤) ، كونهم ناشدوا مواكبة التطور والتحضر^(٢٤٥) . وسمو بالقوميين والمنتورين والاحرار^(٢٤٦) .

(٢٢٧) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٢٢٨) كاشف الغطاء ، علي ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٢٢٩) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الاتحاد والاقتصاد ، نجف ، ١٩٣١ ، ص ١٤ .

(٢٣٠) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الدين والاسلام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٢٣١) مقتبس من مقدمة ديوان محمد رضا الشيباني .

(٢٣٢) دراسات اسلامية ، (نشرة) ، تصدر عن جامعة النجف ، ١٩٦٨ ، ص ١٥ .

(٢٣٣) الخاقاني ، علي ، شعراء ... ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٣٥١ .

(٢٣٤) " الهلال " ، (مجلة) ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، العدد (٧) ، ص ٧٧٠ .

(٢٣٥) " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ١١ / آب / ١٩٤٦ ، العدد (٣ - ٤) ، ص ١٢ .

(٢٣٦) مقتبس من " الحاصد " ، (صحيفة) ، بغداد ، ٢ / كانون الاول / ١٩٣٧ ، العدد (٣٢) ، ص ١٤ .

(٢٣٧) الشريقي ، الاحلام ، ص ٣٨ .

(٢٣٨) جمع " ائتلافي " نسبة الى (ائتلاف) مصدر الفعل " ائتلف يأتلف " بمعنى " اتفق " . ابن منظور ، ابو الفضل محمد جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٥ ، مادة " ألف " . وينظر الزبيدي ، ابو الفيض محب الدين محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق طائفة من المحققين ، الكويت ، ١٩٦٥ ، مادة " ألف " .

(٢٣٩) الخاقاني ، شعراء ... ، المصدر السابق ، ١٩٥٥ ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .

(٢٤٠) جمع " مصلح " اسم الفاعل من الفعل اللازم " اصلاح يصلح " اذا جاء بالشيء الصالح ، او من الفعل المتعدي " اصلاح الشيء " يصلحه " اذا جعله صالحا ، وهو الاتون بالاشياء الصالحة ، او الذين يجعلون الاشياء صالحة ، للمزيد ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة (صلح) ؛ الزبيدي ، المصدر السابق ، مادة (صلح) .

(٢٤١) الخاقاني ، شعراء ... ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .

(٢٤٢) جمع " مجدّد " اسم الفاعل من الفعل اللازم " جدد يجدد " ، اذا جاء بالشيء الجديد ، او من الفعل المتعدي " جدد الشيء " ، يحدده اذا جعله جديدا . وهم الاتون بالاشياء الجديدة ، او الذين يجعلون الاشياء جديدة . للمزيد ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة (جدد) ؛ وينظر : الزبيدي ، المصدر السابق ، مادة (جدد) .

(٢٤٣) ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة (جدد) .

(٢٤٤) جمع " تحديثي " نسبة الى " تحديث " مصدر الفعل اللازم " حدث يحدث " ، اذا جاء بالحدث ، او مصدر الفعل المتعدي " حدث الشيء يحدثه " اذا جعله حديثا . ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة (حدث) ؛ وينظر : الزبيدي ، المصدر السابق ، مادة (حدث) .

(٢٤٥) الخاقاني ، شعراء ... ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .

(٢٤٦) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٦٣ .

والتسمية الشائع اطلاقها هي " المصلحون " ، و " المتجددون " ، و " التحديثيون " فحينما سئل عنهم المصلح علي الشرقي في بواكير انضمامه اليهم اذ قال : " فقال لي هذه طائفة من " المتجددين " الذين تملدوا على التقاليد وتعاطوا كما يقولون وجوه الاصلاح والتحديث " (٢٤٧) .

تميزت الحركة الاصلاحية النجفية بعدم الانعزال عن طبيعة الصراعات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية (٢٤٨) ، وتحدث المصلح عبد الكريم الزنجاني في (مجلة العدل) حول طبيعة توفيقية التيار الاصلاحى النجفى قائلا : " ان حركة الاصلاح التي ظهرت في مدينة النجف حاولت ان ترشد الشباب الى اتخاذ طريق وسط لا جامد على القديم ولا مسرفا في تقليد الجديد ، حتى يحتفظ بعقيدته ويدافع عن الاسلام باعتباره صديقا للعلم والمدنية ، ليفوز بالحضارة الحديثة من غير ان يفقدوا في سبيلها عقيدتهم ومميزاتهم وفضائلهم " (٢٤٩) .

فالالاتجاه الذي نشدته الحركة الاصلاحية النجفية هو التجدد في الاسلام بما يلبي حاجة الناس مع مواكبة التطورات الاجتماعية فيما يتصل بشؤون الحضارة البشرية فيما يلائم روح العصر ، وحتى في المجال الادبي فان المصلح محمد سعيد الحبوبى استخدم المنحى التوفيقى في الشعر بين القديم (وهو اعتزاز بالموروث العربى الاصيل) وبين الجديد محاولا احياؤه وتجديده بما يلائم مقتضيات العصر (٢٥٠) . فالتوفيقية التي دعا اليها التيار الاصلاحى النجفى تندرج بالحفاظ على روح الدين وما يرتبط به وترك ما لا علاقة به والابتعاد عن التطفل غير المدروس على الجديد الحديث ، بحيث يصبح المصلح النجفى يميز بين ما يرتبط بالدين وينفعه وبين ما لا يرتبط به ويضره (٢٥١) .

واتخذ رجال الحركة الاصلاحية النجفية من مجالسهم العلمية والادبية مركزا اصلاحيا نشطا لتداول جميع القضايا المتعلقة برسالتهم الاصلاحية ، ولتسليط الضوء حول مصادر عمل رجال الحركة الاصلاحية النجفية عند مناقشة ما يحدث في العالم الخارجى . اذ يطرح السؤال عن ماهية طرق الاستلهام الفكرى للتيار الاصلاحى النجفى ؟ وجوابه ان المصلحين يأخذون افكار العالم الخارجى ويناقشونها في مجالسهم عن طريق ما يلي (٢٥٢) :

اولا : الصحف والمجلات الخارجية : التي كانت تصل الى مدينة النجف بين مدة واخرى من مدن عربية ك (بيروت ، القاهرة ، دمشق) ، وحتى من الدول الاجنبية (ايران ، اسلام بول ، الهند) ، فتدخل هذه الصحف المجالس الاصلاحية وتناقش موضوعاتها وما يشهده العالم من تغير وتجدد .

ثانيا : (الجنازين) : وهم حملة الجنائز الذين يأتون بامواتهم لتدفن في مدينة النجف ، والميزة التي جذبت رجال الحركة الاصلاحية النجفية لهذا المصدر ، ان الجنازين يأتون بسرعة لا يستطيعون التأخير خشية تفسخ الجثة فيأتون معهم باخبار مدنهم ، والمأخذ على طريقة الاستلهام بطريقة (الجنازين) هو انهم كثيرا ما يكونون غير متأكدين من الاخبار والاحداث في بلدانهم ، فيلاحظ المصلح الناقل لاخبارهم للمجلس ينقلها كما هي مضخمة ، حتى ظهر المثل الشعبى في مدينة النجف " اخبار جنائز " كناية عن عدم الدقة والمبالغة في اخبارهم .

ثالثا : بوساطة الطلبة الخارجيين من النجف لغرض الدراسة ، اذ يقومون بارسال رسائل تبحث في احوالهم واحوال واخبار البلدان الساكنين فيها . وبوساطة الطلاب العرب والاجانب الوافدين الى مدينة النجف اذ يتحدثون عن اخبار بلدانهم وما الت اليه من تطور .

رابعا : بوساطة زوار العتبات المقدسة القادمين من الهند ، وافغانستان ، وايران ، وباكستان وسوريا ، ولبنان وغيرها من الدول ، اذ ينقلون اخبار بلدانهم واحوالها ، وما يميز هذه الطريقة ان المصلح النجفى حينما يعرض ما يسمعه من الزوار ينسب معلوماته الى المصدر المأخوذ منه ، فيقول (الزائر الهندي) ، وحتى عند الجنائز فأنه ينسبها الى مكانها اذ يقول " جنائز ايران " .

خامسا : ولاهمية مدينة النجف العلمية ، لكونها مركزا منتورا في العلوم الدينية ، كانت تصل اليها العشرات من المكاتيب والرسائل المختلفة من البلدان الاسلامية التي تسأل فيها عن اجوبة الاستفتاءات الشرعية ، وطريقة استلهام الاخبار من هذا المصدر هو بمعرفة احوال البلد القادمة منها الرسالة التي يذكر بها حالته . وهذه المعلومات تطرح في مجالس المصلحين لمناقشة القضايا الاصلاحية والاستماع لجواب السائل .

سادسا : استضافة بعض البيوت النجفية شخصيات علمية او دينية ، او تجارية او (احدى العوائل الغنية) ، فيبعد تناول الضيف عشاءه ، يتوجهون به الى احدى المجالس حيث يتعرض الى شبه محاكمة ، وهو السؤال عن

(٢٤٧) مقتبس من الشرقي ، الاحلام ، ص ٧٤ .

(٢٤٨) البستاني ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٢٤٩) مقتبس من " العدل " ، (مجلة) ، النجف ، ١٥ / اب / ١٩٦٥ ، العدد (٦) ، ص ٤٠ .

(٢٥٠) ديوان محمد سعيد الحبوبى ، ص ٨٤ .

(٢٥١) المظفر ، محمد رضا ، اراء صريحة (مذكرات) ، مخطوطة ، ١٩٥١ ، ورقة (٤٥) . (موجود في خزانة الكتب الدكتور حسن عيسى الحكيم) مستنسخة ()

(٢٥٢) الخليلي ، جعفر ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٩ - ص ٣٧٠ ، الفياض ، عبد الله ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٠ ، الشهرستاني ، هبة الدين ، تحريم نقل الجنائز ، بغداد ، ط ٣ ، ١٩١١ ، ص ٨ ؛ البهادلي ، علي احمد ، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية (١٩٢٠-١٩٨٠) ، بيروت ، ١٩٩٢ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : الشريس ، ناجي وداعة ، لمحات من تاريخ النجف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ١٩٧٣ .

لدهو طبيعة العمران وعاداته وتقاليده وما وصل اليه من تطور وحتى منتصف الليل ، وفي اليوم التالي تدوي مجالس النجف بما اخبرهم الضيف عن بلده^(٢٥٣) .

كانت بداية القرن العشرين زاخرة بمفاهيم اصلاحية تنبأها رجال الفكر في العراق^(٢٥٤) ، والمصلحون النجفيون ممتحنون بحالة اجتماعية ثقيلة ، فهم لم يجدوا الموافقة والترحيب الكامل من مجتمعهم " وكادت تكون حياتهم في عزلة وانقطاع"^(٢٥٥) ، حتى ان الحكومة العثمانية قبل الانقلاب العثماني ١٩٠٨ شددت من اجراءتها التعسفية لكبح الحركة الاصلاحية النجفية اذ منعت الصحف الخارجية ومصادرة حرية الفكر حتى ذكر شاهد عيان وهو الحسيني واصفا اجراءات التعسف العثماني اذ قال : " وكانت (حبل المتين)^(٢٥٦) ، تأتي بغداد بلا رقابة غير ان وصولها الى كربلاء والنجف كان عسيرا لوقوف السلطة الادارية (العثمانية) ضدها وضد الفكرة (فكرة الحركة الاصلاحية) ولكن التجار الاحرار وهم الحاج علي اكبر الاهرايبي والحاج ملا احمد اليزدي هما اللذان كانا يوصلانها الى اصحابنا الذين يتلهفون عليها بواسطة موادهم التجارية"^(٢٥٧) .

وكانت الحركة الاصلاحية النجفية تتراس وتناقش في مجالسها قضايا مهما ومنها مبادئ الديمقراطية للحركات الدستورية التي هزت العروش الاستبدادية الايرانية والعثمانية وقبل تفجرها وبموضوعية تامة فيؤكد حسن الاسدي : " انه لم يصدر الدستور الايراني ١٩٠٦ [بداية تحرك الجماهير ١٩٠٥] والتركي ١٩٠٨ حتى كانت النجف قد اشبعت الموضوع بحثا بل اصبح العلماء يتدخلون في وجوب تحقيق المبادئ الاصلاحية الدستورية الديمقراطية وافضلها بالنسبة لروح الاسلام وتعاليمه ومقتضيات العصر ، ثم انواع الحكم بما (يتفق) مع روح الاسلام وتحقيق الانسجام مع مستلزمات العصر"^(٢٥٨) .

وبعد نشر الدستور العثماني ١٩٠٨ انتشر في مدينة النجف وعي دستوري واسع فازداد قراء الصحف وتكونت حركة التيار الاصلاح النجفي التي عرف منتسبيها بـ " طبقة الاحرار " ، المعتنقين للفكرة العربية القومية^(٢٥٩) ، وحاول المصلحون النجفيون ان يتدخلوا في جميع شؤون مدينة النجف صغيرها وكبيرها ، وان يتعصبوا امام الرأي العام لفكرتهم^(٢٦٠) .

ثانيا - تكوين الحركة الاصلاحية النجفية :

ابرز اعضاء الحركة الاصلاحية ومراكزهم في مدينة النجف :

وجدت الحركة الاصلاحية النجفية رجالا يتمتعون بالجرأة ويتحملون الكثير بغية توحيد الكلمة ونبذ الخصومة واصلاح الشأن^(٢٦١) ، وكان رجال الاصلاح قبل الدستور ١٩٠٨ ولنتيجة سيادة الاستبداد والخوف من بطش الرجعيين - يعتقدون اجتماعاتهم بصورة سرية في سراديب مدينتهم . وذكر محمد علي الحسيني عن ابرز اعضائها قائلاً : " واهم رجالاتها عبد الرحيم البادكوبي ، علي هينت ، عبد علي لطفي ، محمد المحلتي ، مهدي كاظم الخرساني ، جواد الجواهري ، محمد علي بحر العلوم ، موسى النوري ، محمد تقي حسين الخليلي ، حسين النائيني ، محمد رضا الشيبيني ، سعيد كمال الدين ، احمد الصافي النجفي ، عبد الكريم الجزائري ، هادي آل كاشف الغطاء ، شريف رشتي ، مسلم زوين . وكان الاخير عضوا مهما في تحصين الكثير من المصلحين بسبب سطوة اسرته وقوتها"^(٢٦٢) .

اصبح اعضاء الاصلاح بعد التطورات السياسية التي شهدتها مدينة النجف ابان اندلاع الحرب العالمية الاولى^(٢٦٣) ، اعضاء نشطاء تلتفت حول جهاز الحركة الاصلاحية النجفية فالذين كانوا مرجعاً للاستشارة ومناقشة الاعمال والنشاطات الاصلاحية كل من " سعيد كمال الدين ، محسن ابو عجينة ، كريم السيد سلمان ، حسين كمال الدين ، كاظم سيد سلمان ، عبد الرزاق مسعود ، امين شمس ، يوسف عجينة ، جواد الجواهري ، عبد الكريم الجزائري ، محمد علي بحر العلوم ، عبد المحسن شلاش واخيه رؤوف شلاش ، وعبد الحميد مرزه ، وجعفر شمس ، وغني

^(٢٥٣) وهناك مصادر اخرى للاخبار منها ما يرد بالصحافة النجفية التي تنقل اخبار عن بعض البلدان العالم ، ودخول مصادر عربية واجنبية (الكتب - الدوريات) واخبار سفرات التجار النجفيين لبعض دول العالم وخاصة الذين يتأخرون بمعاملاتهم التجارية فيروون ما شاهدوه عند رجوعهم وغيرها من المصادر .

^(٢٥٤) عن الحركة الثقافية التي نادى بحرية الفكر بشكل عام في العراق ودورها في تكوين طبقة واعية مثقفة ينظر : النصيري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ؛ ياسين ، نمر طه ، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، اجيزت من معهد الدراسات القومية والاشتراكية الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٤ .

^(٢٥٥) الشرقي ، علي ، الاحلام ، ص ٣٨ . وعن معاناة المصلحين النجفيين ورجال التيار المحافظ الذين خلقوا ظروفنا واقامة ورافضة ضد فكرة التيار الاصلاح النجفي سلطانا الضوء في خطوطه بفصلنا الثالث في المبحث الثاني .

^(٢٥٦) احدى الصحف الهندية التي تعد لسان حال الاحرار في العالم الاسلامي وكانت تهاجم كل حكومة مستبدة رئيس تحريرها جلال الدين الحسيني الملقب بمؤيد الاسلام الذي ولد بكاشان ١٨٦٣ م تتلمذ على المجتهد محمد حسين الشيرازي والتقى بالمصلح جمال الدين الأفغاني سنة ١٨٨٧ م ، ومدير ادارتها الاغا محمد جواد الشيرازي ، صدر العدد الأول منها في ١ / جمادى الآخرة / ١٣١١ هـ لسنة ١٨٩٣ .

^(٢٥٧) مقتبس من مذكرات محمد علي الحسيني ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٥ .

^(٢٥٨) مقتبس من الاسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

^(٢٥٩) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

^(٢٦٠) " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ١١ / اب / ١٩٤٦ ، العدد (٣ - ٤) ، ص ١٢ .

^(٢٦١) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

^(٢٦٢) مقتبس من مذكرات محمد علي الحسيني ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٨ .

^(٢٦٣) شهدت مدينة النجف بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ، تطورات سياسية عنيفة فالثورة ضد العثمانيين ١٩١٥ وطردهم من ارض النجف ، وثورة ١٩١٨ ضد الوجود البريطاني ومقتل الحاكم البريطاني = (مارشال) والتي سوف نسلط عليها الضوء في فصلنا الرابع .

الجواهري ، عبد الرسول الشريف ، علوان الخرسان ، محمد مرزه ، جعفر الاعسم ، عيسى الخلف ، نوري كموه ، علي كبة ، عبد علي الطرقي ، حسون شربة ، وحمود الحار " ، وخير من مثل طبقة الاحرار المنفذون لتوجهات الحركة الاصلاحية النجفية الذين اصبحوا (كجهاز تنفيذي) فهم : " ضياء الخرسان ، ابراهيم البهبهاني ، محمد علي كمال الدين ، مكي الشكري ، محمود الغروي ، عبد الصاحب هويدي ، ضياء الحكيم ، عبود مرزه ، عبد المنعم العكام ، سلمان علي ، علي قاسم ، علي السكافي ، حسن الاسدي ، صالح شمس ، عبد الوهاب كموه ، حسن زيني ، عبد الغني الغروي ، يوسف رجب ، محمد الطريحي ، عبد الحميد زاهد ، وحسن الرفيعي وغيرهم " (٢٦٤) .

واصبح اعضاء الحركة الاصلاحية النجفية بعد عام ١٩١٩ اكثر مسؤولية واقتدارا ، اذ اضيفت عناصر جديدة ، واستحدثت تنظيمات اخرى ، ونرى سبب هذا التحول في جهاز الحركة الاصلاحية في هذه الفترة الى ما يلي :

- ١ . استمرار الرسالة الاصلاحية النجفية في مقاومة النفوذ الاستعماري البريطاني الذي اوجب ضرورة تنشيط وتقوية الحركة الاصلاحية النجفية وتفعيلها .
- ٢ . وفاة المرجع الديني زعيم التيار المحافظ (كاظم اليزدي) سنة ١٩١٩ مما ساعد على تمتع المصلحين النجفيين بحرية اوسع في الانضمام والنشاط والتوسع .
- ٣ . تولي احد اقطاب الحركة الاصلاحية النجفية المرجعية الدينية وبتأثير المصلحين النجفيين وهو المصلح " محمد تقي الشيرازي " .

وعلى الرغم من جراءة اعضاء الحركة الاصلاحية النجفية وشجاعتهم الا ان بعضهم كان يتجنب الاعلان عن نشاطه الاصلاحية ، ويتجنب الاعلان عن كونه مصلح ، بل تردوا حتى في مجارة وتأييد الحركة الاصلاحية النجفية ، ومنهم من اعلن انه لا مع المؤيدين ولا مع المناهضين ومنهم محمد حرز الدين وهو من المعاصرين للاحداث الذين لم يؤيدوا الثورة الدستورية الايرانية والعثمانية(٢٦٥) .

كان المركز الاول لتنظيم نشاط الحركة الاصلاحية النجفية قبل الدستور العثماني ١٩٠٨ هو (نقابة الاصلاح العلمي) التي اسست سنة ١٩٠٥ ، وكان هدفها اصلاح مسائل الدراسة ، وتقويم الجامعة الدينية واصلاحها ، وتقويم امور التجديد والتحديث ، والمؤسس الاول لها هو " المصلح محمد جواد الجزائري " (٢٦٦) .

ولبعض المجالس النجفية دور في اتخاذها مراكز اصلاحية فضلا عن وظيفتها الدراسية والادبية فمجلس المصلح " محمد علي بحر العلوم " يتميز بالاتجاه العلمي والادبي الاصلاحية حتى اطلق على مرتاديه من المصلحين اسم " الصفة " (٢٦٧) .

وبعد انبثاق فجر الانقلاب الدستوري العثماني ١٩٠٨ الف المصلحون النجفيون جمعية اصلاحية متشعبة بالفكر العلمية والتقدمية ، وكانوا يوصفون بالتجديد والتمرد على التقاليد البالية ويدعون الى الاصلاح والتجديد وسميت جمعيتهم " جمعية مكافحة الفقر " ، فدرس اعضاؤها ما يصل اليهم من افكار علمية وادبية من خارج العراق عن طريق المجالات والصحف العربية والاجنبية ، وجمعوا كتب التراث العراقية المنثرة وجددها ونقحوها ، واخرجوها بثوب عصري جديد جاهز للنشر والطباعة(٢٦٨) . وجمعية (اخوان الصفا) التي اخذت مهامها الاصلاحية في توزيع الصحف ونشر الافكار الجديدة بين الناس(٢٦٩) . وجمعية " العلم " الداعية الى نشر العلوم والمعارف(٢٧٠) ، وتشكيل مقر اسماء علي الشرقي (القلوب) يجتمع حول رجال الحركة الاصلاحية النجفية للتباحث في القضايا الدستورية والاصلاحية(٢٧١) .

وكانت في مدرسة الاخوند الكبرى غرفة اصلاحية اتخذت مجمعا للاحرار ويقول جعفر الخليلي عنها : " كانت وكراً اصلاحيا وخاصة حلقة المصلح محمد علي كمال الدين الذي يدرس ضمن حلقه علمية الا انهم يتدارسون الاحوال والشؤون الوطنية ، وبت الافكار السياسية التحريرية الجديدة ويسمى بـ " الوكر الادبي السياسي " وكذلك سمي بـ " معقل الاحرار " (٢٧٢) .

تشكلت في مدينة النجف وبجهود مصلحيها جمعية اصلاحية تدعى بـ " الهيئة العلمية " سنة ١٩١٠ تهدف الى نشر العلوم والمعاني الاصلاحية(٢٧٣) ، وتشكلت جمعية اخرى لا تقل اهمية ايضا عن بقية المؤسسات الاصلاحية الاخرى خاصة وان من اعضائها زعماء القبائل وساداتها ، وتدعى " جمعية النهضة الاسلامية " وبإشراف المصلحين محمد علي بحر العلوم ، ومحمد جواد الجزائري ، ومن اعمالها اعلان وتنظيم ثورة النجف ١٩١٨ ، ونشاطها نشر

(٢٦٤) كمال الدين ، محمد علي ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ ؛ الاسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٢٦٥) الرهيمي ، حقائق عن الموقف ... ، المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢٦٦) محفوظ ، حسين علي ، الذكرى السنوية الاربعون للشيخ محمد جواد الجزائري (١٨٨١ - ١٩٥٩) ، بحث مقدم الى مركز دراسات الكوفة ، ١٩٩٨ ، مطبوع بالليزر ، ص ١١ .

(٢٦٧) " النجف " ، (مجلة) ، النجف ، ١٥ / تشرين الثاني / ١٩٦٠ ، العدد (٦ ، ٥) ، ص ٥ .

(٢٦٨) عواد ، عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٢٦٩) النصيري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٢٧٠) الشرقي ، علي ، الاحلام ، ص ٩١ .

(٢٧١) المصدر نفسه ، ص ١٩١ .

(٢٧٢) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٢٧٣) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

المناسير وتحريض العامة على الاضطراب ، وكسب وانتهاز كل فرصة تعزز موقف الجمعية ، والعمل على دعم التوجه الوطني التحرري^(٢٧٤) .

وباستمرار وتزايد بطش المستعمر البريطاني ببناء الوطن ، دفع الى تصعيد التذمر لذوي الافكار التحررية ، حتى اجمع المصلحون النجفيون بعد فشل ثورتهم النجفية ١٩١٨ [عسكريا] على تشكيل كتل اصلاحي سياسي يعرف بـ " الحزب الاسلامي " عام ١٩١٩ . وكان نواة التفاهم بين المصلحين في مدن كربلاء والنجف وبغداد ونواحي الفرات^(٢٧٥) . أما قاعدته فهو مركز سياسي وهو بناية مكتبة عبد الحميد زاهد الذي تعمد التيار الاصلاحي النجفي الى توسيع قاعدته فانضم اليه عدد من القبائل العراقية والعشرات من الجماهير النجفية الوطنية^(٢٧٦) .

وكان المصلح (محمد باقر الشبيبي) همزة الوصل بين المراكز الاصلاحية عند انفجار ثورة العشرين وقبلها فيذكر المصلح محمد علي كمال الدين عنه : " انه رحمه الله احد الذين كانوا صلة الوصل في العمل للقضية العراقية بين الاحرار النجف و احرار الموصل ، ثم بين النجف وبغداد "^(٢٧٧) . حتى : " ان المصلح محمد تقي الشيرازي يعتمد عليه ويثق به حتى اوكله مهام التفاهم مع البغداديين "^(٢٧٨) .

والف التيار الاصلاحي النجفي عام ١٩٢٥ احدى الجمعيات الاصلاحية وهي التي قال " محمد رضا المظفر " عن نشأتها ونظامها : " تألفت ابتداء من ١٣٤٣ هـ [١٩٢٥] ، من قبل عدة جماعات اشبه بجمعيات سرية^(٢٧٩) او مجالس تمهيدية للتفكير في طريق واكتساب الشعور العام واتذكر جيدا اني اشتركت في احداها وكنت كاتبها واعضاؤها كلهم من الشباب المصلح ذلك اليوم "^(٢٨٠) .

قام المصلحون النجفيون بأعمالهم الاصلاحية التي كان من شأنها غيرت الكثير من المفاهيم الرجعية ، فقد قام المصلح محمد علي الحسيني ببث افكاره الاصلاحية بصورة مباشرة ومواجهة الخصوم وجها لوجه حتى قبيل الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، فنزل الى ميادين المناقشة العلمية في الحلقات الدراسية في الجوامع وفي أي مجلس علمي او دراسي . فرد على الكثير من المعتقدات الرجعية ، وناقش اسانيده بطريقة علمية صحيحة ، كحلقات الدرس التي كان يعقدها في جامع الطوسي والتي امتازت من بين حلقاته الدراسية الأخرى . اذ بدء بتدريس العلوم الحديثة ومنها (علم الهيئة - الجغرافيا) ، والرياضيات وعلم الهندسة (حسب افكار اقليدس) ، وكانت طريقة التدريس متطورة تعتمد على درجة عالية من اساليب البحث والمناقشة ، واقامة الحجج والبراهين^(٢٨١) .

واثرت الحرب العالمية الاولى في نفسية بعض رجال الحركة الاصلاحية النجفية نتيجة السياسات التي مارسها الاحتلال البريطاني منها اتخذوا من استخباراتهم العسكرية بين افراد القبائل وسكان المدن واسطة لشراء الضمان^(٢٨٢) . حتى انهم ألفوا قوة ضاربة من سكان المدن وخاصة الأرياف عام ١٩١٦ سميت بـ " البوليس القبلي " . الذين وصفوا بـ " يمكن القول بأن " شابانا " يمكن ان تأخذ دور الجندمة التركية في العراق فهم شرطة مدنيون "^(٢٨٣) . وهذا من شأنه يضيق الخناق ويحد من نشاط المصلحين النجفيين اذ لم يستثن هذا التأثير بعض رجال الحركة الاصلاحية النجفية حتى وصل الامر الى ان يتباحث احد رجالاتها مع السلطة المحتلة بشأن تخصيص راتب شهري فقد جاء في رسالة بعثها المصلح جواد الجواهري في اوائل كانون الاول ١٩١٨ وما ورد في رسالته : " ... بلغنا حضرته السامية (حاكم الشامية والنجف القائد ونكت) امر بتعيين معاش شهريا للداعين وقد حرر وقتئذ حاكم النجف الكبتن كرين هوس وحيث طال الزمان واشهر بين الاخوان وجب المطالبة في انفاذ وانجاز الوعد وبمقتضى الاخلاص وشدة العلاقة مع دولة بريطانيا ... الخ "^(٢٨٤) . وكان جواب نائب الحاكم المدني ويلسون في برقية بتاريخ ١٨ / كانون الاول / ١٩١٨ ، يوضح مراوغة المستعمر وسلوبه في تخدير الشعوب اذ ابدل الراتب بالمكرمة وقدرها ٢٠٠٠ روبية^(٢٨٥) . وانيطت بالمصلحين النجفيين ايام ثورة العشرين مهام قيادية ومعنوية ، اذ اصبحوا المراجع السياسية في الشؤون العسكرية والسياسية للثورة ، وتنظيم الادارة العامة والحسابات المالية ، وما تتطلبه مناطق الثورة من امدادات ودفن الشهداء والعناية بأسرى الاعداء^(٢٨٦) وباستغلال الوسائل الاعلامية بغية ترويج نشاطهم السياسي اذ نشرت صحيفة الاستقلال : " داهم الانكليز قرية الامام الحمزة وجعلوا بيوتها هدفا لنيران مدافعهم حتى هدمتها وقد هرب سكان

(٢٧٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ؛ العكام ، عبد الأمير هادي ، الحركة الوطنية في العراق ، نجف ، ١٩٧٥ ، ص ٤٥٠ .

(٢٧٥) " رسالة الشرق " ، (مجلة) ، كربلاء ، حزيران ١٩٥٥ ، العدد (٢) ، ص ٥٩ .

(٢٧٦) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ، ص ٢٥ - ص ٢٧ .

(٢٧٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .

(٢٧٨) مقتبس من " الاقتصاد " ، (مجلة) ، كربلاء ، ٢٧ / حزيران ١٩٣٥ ، العدد (٥٧) ، ص ٢٠ .

(٢٧٩) يمكن تحليل سبب مزاوله نشاطها الاصلاحي بالسرية لأنها لا تزال تخشى رجعية التيار المحافظ وما قد يسببه من اعمال طائشة قد تؤذي حياة المصلحين النجفيين فضلا عن سطوة الحكومة الوطنية ورفض الاستعمار البريطاني لاي تشكيل اصلاحي يعمل على قضية تطوير وتحديث بلده .

(٢٨٠) مقتبس من المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٣٢) .

(٢٨١) مقتبس من الخليبي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٩ - ص ٢٠١ ؛ مذكرات محمد علي الحسيني ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٠ .

(٢٨٢) المبارك ، عبد الحسين ، ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ .

(٢٨٣) Main, Arnest, Iraq through the duration from mandate to independence, London, 1932, p. 66.

(٢٨٤) د. ك. و. ، ملفات الاحتلال البريطاني ، ملف (٩٥٤) ، الادارة المركزية للاحتلال البريطاني ١٩١٨ ، رسالة جواد الجواهري الى القائم مقام الحاكم الملكي في العراق ، وثيقة (٩) ، ص ١٣ .

(٢٨٥) D. K. W, The British occupation folds, fold N: (954), The central Administrative of the British occupation 1918, Answer A. T. Welson, Document (10), p. 14.

(٢٨٦) " الاستقلال " ، (صحيفة) ، النجف ، ١ / تشرين الاول / ١٩٢٠ ، العدد (١) ، ص ٢ .

القرية عند اول طلقة ناربية صوبت نحوهم هائمين على وجه الجزيرة رجالا ونساء تاركين اموالهم وحيواناتهم ، ولم يتخلف في القرية غير العجزة وبعض الاطفال الذين لا يزيدون عن سبعة عشر نسمة فما دخلت الجنود القرية حتى قتلت اولئك البؤساء وسلبت ما كان هناك من حلي ودراهم وحيوانات واتفقت كل ما يصعب نقله من اثاث البيوت و هتكت حرمة الحرم و حرق القرائين وقد اصيب حرم الحمزة بثلاث قنابل مدفعية خربت قسما منه وخربت الجنود الحرم وقلبت شباك القبر والصندوق الذي فوقه وكسرتهما وخربت شبابيك النوافذ وكسرت جميع ما هناك من المعلقة ولم يقتصروا على ذلك بل احرقوا القرائين الموجودة في الحرم وغيرها من الكتب المقدسة^(٢٨٧) .

والتف حول الحركة الاصلاحية النجفية رجال كان لهم شأن في العالم الادبي وعلى مساحة الوطن العربي خاصة ان دعواتهم وانضمامهم للحركة الاصلاحية زاد شهرتهم ففي عام ١٩٢٣ انتخب المصلح محمد رضا الشيبيني عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق^(٢٨٨) .

وكان دور رجال الحركة الاصلاحية النجفية في الحكم الوطني الاول (١٩٢٠-١٩٣٢) متميزا فمنهم وزراء وهم^(٢٨٩) :

١. في ٢٥ / تشرين الاول / ١٩٢٠ ، اسند للمصلح محمد مهدي بحر العلوم في الوزارة النقيبىة الاولى منصب وزير للمعارف .
٢. في ٢٠ / ايلول / ١٩٢١ ، اسند للمصلح (عبد الكريم الجزائري) وزارة المعارف ، الا انه تنازل عن منصبه لمصلح اخر وهو المصلح محمد علي الحسيني .
٣. في ١٨ / ايلول / ١٩٢٢ اسند منصب وزارة المعارف الى المصلح (عبد المحسن شلاش) في الوزارة النقيبىة لكنه رفض محتجا بانه منشغل لاعماله التجارية .
٤. في ٢٢ / تشرين الثاني / ١٩٢٣ اسند منصب وزارة المالية الى المصلح (عبد المحسن شلاش) في الوزارة العسكرية الاولى ووافق على المنصب .
٥. في ٢ / اب / ١٩٢٤ ، اسندت وزارة المعارف الى المصلح (محمد رضا الشيبيني) في الوزارة الهاشمية الاولى .

وكان من اعضاء الحركة الاصلاحية النجفية في (مجلس الاعيان) المصلح محمد علي بحر العلوم ومنذ بدايته ، وفي (مجلس النواب) المصلح محمد رضا الشيبيني واخوه محمد باقر الشيبيني للمدة ١٩٢٤ - ١٩٢٦^(٢٩٠) .
اضافة الى مناصب ادارية مهمة ظفرت بها عدد من رجال الحركة الاصلاحية النجفية اذ سعوا بكل الوسائل والقدرات ما يعلي شأن بلدهم العراق .

بعد تسليط الضوء على العوامل المشجعة لولادة تيار فكري في مدينة النجف كانت نشأته المنطلق الاساسي لرسالته ، فبعد عوامل حاسمة في انبثاق فجر الحركة الاصلاحية النجفية وخاصة المرتبطة بالمصلحين الرواد كجمال الدين الافغاني ومحمد عبده اللذان اغنوا وبلا شك فكرة الحركة الاصلاحية النجفية ذات الطبيعة التوفيقية ما بين الشرائع والاسلام ومقتضيات وحاجة العصر الذي كان اعضاءها في تكاثر مستمر ، ويمكن تفسير هذا التزايد ١- التوعية الاصلاحية المستمرة التي جذبت العديد من المؤيدين ، ٢- حاجة الظروف السياسية الى تيار فكري اصلاحي يطالب بحقوق بلده ، ٣- تشدد وتصلب التيار المحافظ . وكانوا يستغلون كل ملتقى تلتقي حوله العامة بل واتخذوا مراكز خاصة لهم كالمجالس والاندية وغيرها . الذي وضع مسار لنشاطاتهم فالمدرس يرفد دعواته الاصلاحية عن طريق الدرس والشاعر بشعره وادبه ، والوزير بوزارته والنائب بمجلس النواب والصحفي بقلمه وصحافته . وهذا يدعونا الى ضرورة التباحث في ماهية وسائل التعبير عن صوت الحركة الاصلاحية النجفية .

^(٢٨٧) المصدر نفسه ، ٣ / تشرين الاول / ١٩٢٠ ، العدد (٢) ، ص ٢ .

^(٢٨٨) بصري ، مير ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

^(٢٨٩) للمزيد من التفاصيل ينظر : الحسني ، عبد الرزاق ، تاريخ الوزارات العراقية ، بيروت ، ط٣ ، ج ١ ، ١٩٦٥ .

^(٢٩٠) للمزيد من التفاصيل ينظر : الرهيمي ، علاء حسين ، المعارضة البرلمانية في العراق في عهد الملك فيصل الاول (دراسة تحليلية) ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٦ .

الفصل الثاني (وسائل التيار الاصلاحى النجفى)

المبحث الاول :

الصحافة النجفية

أولا : (العلم) نموذجا لمجلة إصلاحية نجفية
ثانيا : (النجف) نموذجا لصحيفة إصلاحية نجفية

المبحث الثاني :

أولا : دور الشعر والأدب فى نشر المفاهيم الاصلاحية
ثانيا : الوسائل الاصلاحية الاخرى

الفصل الثاني وسائل التيار الاصلاحى النجفى

المبحث الاول - الصحافة النجفية :

تتخذ التيارات الفكرية وبخاصة الاصلاحية وسائل واساليب تضمن لتلك التيارات ايصال صوتها الى اذهان الناس لتحقيق الغاية التي تتبناها ، والحركة الاصلاحية النجفية تدرك ما للصحافة من دور رائد في نشر افكارها في التجديد والتحديث خاصة ان الصحافة النجفية زاخرة بمساندة المصلحين . والمصلحون النجفيون ساندوا انبثاق فجر الصحافة النجفية اثر الانقلاب الدستوري العثماني ١٩٠٨ ، فتعهدت مجلة العلم تبني هذه الوسيلة الاصلاحية لتوعية المجتمع ، وهو الامر الذي دفعنا على تحليلها كوسيلة اصلاحية ، والمصلحون النجفيون يدركون ما لهذه الوسيلة (الصحافة) من دور في جمع وتحشيد القوى المؤمنة لمقاومة المستعمر البريطاني فاصدرت صحافة سياسية سرية نشطة التي انتهت بتبلور صحف ثورة ١٩٢٠ ، والمصلحون النجفيون تيقنوا ما لهذه الاداة من عظيم الانجاز فاستمروا بوسيلتهم الاصلاحية في عهد الحكم الوطني الاول ١٩٢١ - ١٩٣٢ الذي تحول فيه موقف التيار الاصلاحى النجفى الى موقف حرج وصعب اذ اصبح خاضعا لقانون ودستور هو المصلح لا غير الا ان الحركة الاصلاحية النجفية استمرت باطلاق النيرة الاصلاحية بوسيلة الصحافة او غيرها من الوسائل .

وشهدت مدينة النجف روجا اعلاميا للمبادئ الدستورية اثر الانقلاب العثماني ، اذ شجعت المبادئ الدستورية قيام المصلحين النجفيين باستخدام اجهزة تنشر وتوزع منشوراتهم^(٢٩١) . واحتلت مسألة حرية الفكر مساحات واسعة في الصحف بعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، واخذ المثقفون المجددون بالوقت نفسه في ظل الدستور يدعون بشكل متزايد الى " مبدأ حرية الصحافة وتوجهاتها"^(٢٩٢) .

وادرك المصلحون النجفيون ما للصحافة من دور رائد في ايصال اصواتهم الاصلاحية الى المجتمع ، فوصفها المصلح محمد علي الحسيني " عينا مراقبا ، ولسانا ناطقا ، وخطيبا صادقا ، ودرعا واقيا ، ومعلما هاديا ، ومؤدبا وناصحا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لا تحمي في الباطل حميما ، ولا تهضم في الحق خصيما ، وكل صحيفة اخطأت هذا الصراط فعلى الامة تأديبها ولو بالسياط"^(٢٩٣) .

وأصبحت الصحف في مدة ما بعد الانقلاب الدستوري العثماني ١٩٠٨ : " تكتب ما كان يعز كتابته او التطرق اليه في العهد السابق فليست الصحافة الا ثوبا زاهيا من المقالات الحرة والاقوال الصريحة والاخبار الطريفة فعظم اقبال القراءة عليها وزاد انتشارها زيادة هائلة واقبل ارباب الاقلام ورجال الفكر على اصدار الصحف ولم يكتفوا بالصحائف اليومية او الاسبوعية بل انشئوا المجالات والنشرات الدورية المنوعة"^(٢٩٤) .

وتجسدت هذه الرؤيا في مدينة النجف باصدار المجالات والصحف وهي مجالات (الغري ، درة النجف ، العلم) (وصحيفة نجف اشرف الفارسية) ومن المواضيع الاصلاحية والسياسية المهمة لتلك المجالات والصحف (القضايا الدستورية والحريات والتوفيقية بين الاسلام والمدنية ، ودور العلم في تحديث المجتمع ، وحتى توضيح مفهوم الاشتراكية وعلاقتها بالدين ، واهم ما يميزها دونت بأقلام اكثر اصحابها مصلحون)^(٢٩٥) .

وساهمت مجلة " العلم " بطروحاتها الفكرية في التحديث والاصلاح متأثرة برجال الحركة الاصلاحية النجفية (منهم محمد سعيد الحبوبى ، محمد كاظم الخراساني ، محمد علي الحسيني)^(٢٩٦) ، ولمجلة (الغري) دورها الاصلاحى في توجيهاتها الاكثر في البلدان الاسلامية اضافة الى توزيع اعدادها في العراق^(٢٩٧) .

كانت صحافة ثورة العشرين من اكثر المصادر التثقيفية للقضايا الوطنية والقومية . وبخاصة الصحافة النجفية (الفرات ، الاستقلال) ، التي تعد من المصادر المهمة في الثورة ودورها الاصلاحى اذ انها طرحت الى جانب تأجيج شرر الثورة ، شجعت مبادئ وافكار جديدة في ضرورة اقامة الحكم الوطنى والتخلص من الاستعمار البريطانى والدعوة الى حرية الفكر ، والوحدة العربية ومصير العرب^(٢٩٨) . وبفضل صحف (الفرات والاستقلال النجفيين) اصبحت الصحف النجفية مصدرا اعلاميا ثوريا في العراق رغم ما عانى محرروها مثلما عاناه صحفيو اوربا في وقائع حروبهم " حيث كتبوا ابوابها تحت ازيز القنابل التي ضربت النجف"^(٢٩٩) .

(٢٩١) علوان ، نجاة عبد الكريم ، بواكير الاتجاه التوفيقي في النهضة الفكرية الحديثة في العراق ١٩٠٨ - ١٩٣٢ ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة البصرة ، ١٩٩٨ ، ص ٤٢ .

(٢٩٢) النصيري ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٢٩٣) " العلم " ، (مجلة) ، نجف ، ٢٩ / آذار / ١٩١٠ ، العدد (١) ، ص ٧ .

(٢٩٤) بطي ، صحافة العراق نتاج رفائيل بطي ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٢٩٥) الكبيسي ، عناد اسماعيل ، الادب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين ، النجف ، ١٩٧٢ ، ص ٦٤ .

(٢٩٦) العامري ، كاظم مسلم ، الاتجاه الوطنى والقومى للصحافة النجفية ١٩١٠ - ١٩٣٢ ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٤ .

(٢٩٧) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

(٢٩٨) العامري ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ ؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر : احمد ، كمال مظهر ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر (دراسة تحليلية) ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٥٧ .

(٢٩٩) بطي ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

أصبحت الصحف النجفية في مدة ١٩٢١ - ١٩٣٢ وبفضل مواهب محرريها صحفا رائدة في الإصلاح^(٣٠٠) ، إذ تطلبت هذه المرحلة حاجة ضرورية وكبيرة الى صحافة نشيطة تتسجم مع الوضع وتقوم بواجبها القومي في تهيئة الأذهان لمتغيرات واحداث حكوماتها^(٣٠١) . ويمكن توضيح مراحل تكوين صحف مدينة النجف ومجلاتها على وفق ما يأتي :

المرحلة الأولى : صحف مدة ١٩١٠ - ١٩١٢ :

وهي المرحلة التي دخلت فيها مدينة النجف المعتزك الصحفي إذ شاركت بقية مدن العراق في الدعوة الى الثقافة العامة والصالح وهي :

أ - مجلة العلم : هي اول مجلة صدرت في مدينة النجف واول مجلة تصدر في العراق وباللغة العربية ، ورئيس تحريرها المصلح محمد علي الحسيني^(٣٠٢) ، ومديرها المسؤول الشاعر عبد الحسين الأزري حتى عددها التاسع من سنتها الأولى ، وكان لها مكتبة عامة يؤمها الناس . واصبح مسلم زوين مديرها منذ عددها التاسع وحتى عددها الثاني عشر من سنتها الأولى ، إذ رجع مديرها السابق عبد الحسين الأزري الذي بقي بإدارتها حتى اصدار اعدادها الخمسة الأولى من سنتها الثانية ، ليتولى بعده الادارة وحتى اصدار اخر اعدادها في ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، الصحفي سليمان الدخيل ، وبلغ عدد صفحاتها ثمانيا واربعين صفحة (بحجم ٢٠ × ١٣,٥ سم) ، وكان صدورها مستمرا لسنتين ، صدر منها اثنا عشر عددا في سنتها الأولى وفي الثانية تسعة اعداد فقط . وكان العدد الواحد يطبع بالف وخمسائة نسخة وطبعت معظم اعدادها في بغداد إذ طبعت الثمانية الاعداد الأولى في مطبعتي الاداب والشابندر البغداديتين . وطبعت اعدادها الاربعة الاخيرة من سنتها الأولى في مطبعة (حبل المتين في النجف) من سنتها الأولى فقط لتستأنف مرة اخرى عملية طباعتها في مطبعة الاداب البغدادية طيلة سنتها الثانية ، ويمكن ايضاح ذلك بالجدول الآتي :

جدول رقم (١) للمطابع وسنتها لأعداد مجلة العلم النجفية

مكان الطبع	اسم المطبعة	السنة	الأعداد
بغداد	الأداب	الأولى	(١) ، (٢) ، (٣) ، (٨)
بغداد	الشابندر		(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧)
النجف	حبل المتين		(٩) ، (١٠) ، (١١) ، (١٢)
بغداد	الأداب	الثانية	(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩)

وكانت مصادر معلومات مجلة العلم متنوعة منها الاستلهاج من الاخبار العالمية التي تصل عن طريق الصحف والمجلات الخارجية ، فضلا عن كتابات مشاهير الإصلاح والعلم فيها كـ " جميل صدقي الزهاوي ، وعلي الشريقي ، وعبد الرحمن البناء " ، وكان اسلوب الكتابة فيها يتميز برشاقة الالفاظ وجزالة المعاني والابتعاد عن غريب اللغة وشاردها وحاولت مجلة العلم ان تتواصل مع قرائها فوضعت في خاتمة عددها الأول اثنا عشر بنداً نصت من خلالها القراء على النشر والتحاوور معها ، واعدادها منتشرة في انحاء الوطن العربي وبعض دول اوربا واليابان والامريكتين^(٣٠٣) .

ب - مجلة الغري : صدرت في مدينة النجف سنة ١٩١٠ و (بحجم ٢٠ سم) و (طول ١٤ سم) وعدد صفحاتها اثنان وثلاثون صفحة ، وتوقفت عن الصدور بعد عددها الثاني . وهي مجلة اصلاحية تبث فكرة تحديث المجتمع الاسلامي ، صاحبها ومديرها المسؤول محمد المحلتي ، طبعت اعدادها في المطبعة العلوية في مدينة النجف وهي " مؤمنة بأن الافكار الإصلاحية المنبثقة من مدينة النجف تكون سريعة الانتشار والتقبل من قبل المسلمين " ^(٣٠٤) .

^(٣٠٠) الدراجي ، محمد عباس ، صحافة النجف تاريخ وابداع ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٦ .

^(٣٠١) بطي ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

^(٣٠٢) هو محمد علي بن حسين بن محسن بن مرتضى بن محمد بن السيد علي الكبير الحسيني ولد بسامراء ٢٠ / ايار / ١٨٨٣ ودرس بها ثم قصد مع عائلته الى مدينة كربلاء ثم مدينة النجف ١٩٠٢ ونهل من معارفها وتحصيل العلوم العربية والدينية وآلم بطرق العلوم الحديثة وعلم الاصول والكلام وشب داعيا الى الإصلاح ونبذ الخرافات وبدء بفتح ابواب التدريس في العلوم ، البلاغة ، المنطق ، الفلسفة ، الهيئة والنجوم ، اصول الدين وفروعه فانهالت عليه من الجموع وبخاصة الشباب المتحرر من الاسر العلمية كالجواهري آل كاشف الغطاء وآل الشبيبي وآل الجزائري وامثالهم . وابرز مؤلفاته " الهيئة والاسلام ١٩١٢ " ساند التيار الاصلاحي النجفي منذ نشأته فدعا الى المشروعية ومبادئ الحرية والدستور ، اصدر مجلة (العلم) بدعوة من الشباب المتحرر عام ١٩١٠ - ١٩١٢ ، وسافر الى العواصم الشرقية في الخليج العربي ويران والهند فدخل سوريا ولبنان ومصر والحجاز واليمن وزار الهند فمكث فيها اكثر من عام واستمرت رحلاته من سنة ١٩١٢ - ١٩١٤ ساهم بحملة الجهاد ١٩١٤ وشارك في الاحداث السياسية في ثورة ١٩٢٠ وساهم في الحكم الوطني كوزير للمعارف في حكومة عبد الرحمن النقيب الثانية . للمزيد من التفاصيل ينظر : البهادلي ، محمد باقر ، السيد محمد علي " هبة الدين " الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية (١٨٨٤ - ١٩٦٧) ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي والترات العلمي ، ٢٠٠٠ .

^(٣٠٣) محبوبه ، جعفر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٨ ؛ الرهيمي ، علاء حسين ، العلم النجفية من المجلات العراقية في مرحلة الريادة والتأسيس ١٩١٠ - ١٩١٢ ، اصدار مركز دراسات الكوفة - النجف ، ٢٠٠٠ ، ص ٦ - ص ٨ ؛ علوان ، قصي سالم ، الشبيبي شاعرا ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٤٤ .

^(٣٠٤) العامري ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

ج - مجلة در النجف : مجلة سياسية دينية اصلاحية . مديرها المسؤول وصاحبها محمد المحلاتي صدر عددها الأول في اوائل سنة ١٩١٠ ، اهتمت بالمواضيع السياسية الاصلاحية كحركة المشروطية الدستورية ، وكانت اعدادها توضح المساواة والثورة والاسلام والمدنية والعدل واهداف الديمقراطية وغيرها من المفاهيم الاصلاحية ، كانت تطبع في المطبعة العلوية في النجف ثم في مطبعة حبل المتين ، عدد صفحاتها اربعة وستون صفحة ، حاربت الطائفية ودعت الى وحدة اسلامية متضامنة ، ونادت بادخال الناس الى المدارس الحديثة والتعليم الحديث^(٣٠٥) ، وحاولت التوفيق بين الدين والعلم .

د - صحيفة نجف اشرف : انشئت في ١١ / نيسان / ١٩١٠ . وهي اسبوعية ناطقة باللغة الفارسية^(٣٠٦) ، وهي موسوعية في جوانب المعرفة والعلوم . ساهم في تحريرها رجال الحركة الاصلاحية الذين حاولوا نشر افكارهم الى جميع افراد المجتمع ، وكان يديرها (مسلم زوين) ودام صدورها ثلاث سنوات ، وابرز دعواتها الاصلاحية تأييد المفاهيم الدستورية التي ارسيت ايام التحولات الدستورية في عهد الثورة الدستورية الايرانية وعهد الانقلاب العثماني ، وعملت على توضيح ما للقرآن الكريم ودور رسول الله محمد (ص) الرائد في نقل البشرية من ظلمات الجهل الى مسار النور ، وحاربت الانظمة المستبدة المحافظة^(٣٠٧) .

المرحلة الثانية : مرحلة الاحتلال البريطاني المباشر ١٩١٤ - ١٩١٨ :

فرضت ظروف الحرب العالمية الأولى ومن دوافع دينية الوقوف الى جانب الدولة العثمانية في محاولة انقاذ العراق من المحتل الغاصب الجديد ، فقامت الحكومة العثمانية بحملة دعائية كان نصيب المصلحين النجفيين ان ساهموا في تأجيج المواقف الوطنية في صحيفة " صدى الاسلام " البغدادية التي كانت تصدر باللغتين التركية والعربية بادارة رؤوف الجادري ، إذ نشرت مقالات وطنية للمصلح علي الشريقي وتحت توقيع (ع . ش) فكان لها الدور في تحشيد العامة من الناس ضد المحتل الجديد^(٣٠٨) .

وبغية اشعال الروح التحررية اصدر المصلحون النجفيون منشورات تدعوا الى الثورة والتحرر من برائن الاحتلال البريطاني ، واقاموا التجمعات واللقاءات الحزبية السرية ، واطهروا استعدادهم للثورة ، وعملت المراكز الاصلاحية النجفية على توزيع هذه المنشورات (الثورية السرية) ، منها تنظيم جمعية النهضة الاسلامية في النجف ١٩٤٨ التي كانت ذات منحى ديني اصلاحي ، والجمعية الوطنية الاسلامية في كربلاء ١٩١٩ ، ومكتبة عبد الحميد زاهد التي تقع بجوار صحن الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وكان صاحبها مؤيدا للمصلحين اذ يقوم بتوزيع النشرات السرية والصحف الواردة من دمشق ومصر وغيرها من الحواضر العربية التي الهبت مشاعر المصلحين الوطنية ، وكان للمكتبة معتمدون في معظم مدن العراق يوزعون تلك النشرات والصحف^(٣٠٩) ، ومن الدعوات الاصلاحية التي يبيغها اصحاب تلك المنشورات (التحريض ضد الاستعمار ، والتوفيق بين رؤساء القبائل ، وتوسيع قاعدة الحركة الوطنية وغيرها) ، ومن المنشورات السرية المهيجة للعامة والداعية الى الثورة وباسلوب يدل على براعة المصلحين النجفيين في اثاره العامة واستمالة قلوبهم وكسب عواطفهم - منشور للمصلح عباس الخليلي نشر في مذكرة بريطانية ذكرت عنوان المنشور باسم " السعادة هي نتيجة الثورة " (" السعادة هي زهرة في عرين الاسود ، ولؤلؤة من باطن البحر وتاج تحت سيوف المنتصرين الثورة هي مكسب لأمن الامة كما الفلاح للحقل فهو يشذب الفروع لفائدة النمو ، لا يمكن لامة ان تحرز أي تقدم او تعيش بسعادة مستديمة ان تبقى ساكنة مسالمة ، فحينما تثور الامة ممتلكة هدفها السامي ومشاركة بنظرتها كنجم هاد وليس كلهب مشتعل فأنها ستحقق ذلك وبعكسه يكون الفشل حتميا والتقدم يتحول الى ركود في الامة "^(٣١٠) .

ومنشور سياسي اخر دونته المذكرة البريطانية لحسون علي عبد الله البدر القطيفي الذي جاء عنوانه حسب ما ورد بالمذكرة البريطانية بـ " الجهاد والدفاع " جاء فيه : " لان الهدف النهائي لكل حكيم في هذه الحياة هو ليس الاصنع التقدم في كل من هذه الحياة والعالم المقبل . ان التقدم العالمي ذو خير قليل ان لم يكن مصدرا للخير في العالم المقبل ، فمن المؤكد ان فتح المشركين للبلاد الاسلامية هو ضد كل من التقدميين ، وغياب التقدم في العالم المقبل هو واضح تماما ، وان التقدم في العالم يقع أما في الاعتبار والشرف او في الثروة ، فما يخص الاعتبار والشرف فقد وقعا ضحايا الفتح وتحولا من المسلمين إلى اعدائهم باي صورة عادلة قد يعاملونهم بها ، أما فيما يخص الثروة ، فبإمكانك ان تحكم

(٣٠٥) العامري ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٣٠٦) ان مدينة النجف منذ أن عرفها التاريخ كانت دار هجرة لطلبة العلم ولا يمكننا ان نحصر الفضل في سبق الهجرة الى هذه المدينة المقدسة بفترة واحدة او مكان واحد او زمان واحد فان الهجرة عرفت مدينة النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي (١٠٠٨ م) باربعين عاما الا ان ثقل الهجرة ازداد بعد هجرة الطوسي اليها من بغداد ليس لاجل طلب العلم فحسب بل الارتزاق ومجاورة الامام علي عليه السلام من الدواعي المهمة للهجرة اليها ومن المهاجرين وباعداد كبيرة جدا الجالية الفارسية التي فرضت كثرتهم على زوايا مدينة النجف .

(٣٠٧) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ؛ العامري ، المصدر السابق ، ص ٦٤ . لم يتمكن الباحث من العثور على اعداد صحيفة (نجف اشرف الفارسية) في المكتبات العامة او الخاصة لفقدان اعدادها .

(٣٠٨) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٣٠٩) زاهد ، توفيق ، التاريخ السائر في ذكرى عبد الحميد زاهد الثائر ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٣١٠) D. K. W, The British occupation folds, fold N: (951), The central Administrative of the British occupation 1918, (Article headed), From chief political officer, To the civil service Baghdad, Found documents in ABBAS ALKHALLILE Home's " Happiness is the result at revolution", Document (2), 23 - 4 - 1918, p. (3).

جيدا من خلال ظروف الشعب في الهند ، مصر ، تونس ، والهنود والاوربيون (الذين منعوا من الذهاب الى حج مكة وزيارة قبر الرسول) واقطار اسلامية اخرى محتلة من المشركين ، فبامكانك ان تسأل هؤلاء الذين سافروا الى هذه الاقطار وشهدوا هذه الاحداث ، والاختبار عن ظروفهم المتردية تستسلم يوميا بتكرار ، وعلينا ان تسأل عن أثر النار من الجسد الذي اکتوى " (٣١١) . حتى تطورت المناشير السرية الى قيام المصلحين النجفيين باعمال تدل على براعتهم الاعلامية الثورية ، اذ عملوا على تبسيط المسائل العلمية الداعية للثورة ومنها " يقول الشهيد الثاني (٣١٢) في المسالك ان الجهاد على عدة انواع نوع يستنهض المسلمين انفسهم ليدعوهم الى الاسلام ولكنه شرطي مع الشعور بالواجب الحرية ، الرجولة ، الاعتراف بالاسلام ، أما الثاني فهو يهاجم عدو كافر المسلمين ليحتل بلدهم ويأسرهم ويسلب ممتلكاتهم نساءهم واطفالهم فالجهاد هو ضد العدو هو واجبا على كل مسلم حر وعيد ذكر وانثى ... الخ " (٣١٣) .

وفي منشور اخر " ما قاله الشيخ في الجواهر لو هدد الكافرون المسلمين وان هناك خوفا من مهاجمة العاصمة او أي مدينة اسلامية اخرى او أسر المسلمين ، وسلب ممتلكاتهم ففي هذه الحالة يكون الجهاد واجب على كل حر المولد او عبيد ، ذكر وانثى ، المعافى والمريض ، الاعمى والبصير ... الخ " (٣١٤) .

المرحلة الثالثة : صحف ثورة العشرين النجفية :

تعد صحافة ثورة العشرين النجفية (الفرات والاستقلال) ابرز المصادر الاصلية لفهم الجوانب الوطنية والقومية ، فقد تناولت مختلف القضايا الوطنية والاجتماعية والقومية وتحدثت سياسات الاحتلال البريطاني . لقد استطاعت صحافة النجف في ثورة العشرين ان تغرس في نفوس الثوار الروح الوطنية وتحريض العراقيين على اقامة حكم وطني والتخلص من الادارة البريطانية (٣١٥) .

أثر اندلاع ثورة العشرين في ٣٠ / حزيران / ١٩٢٠ تطورت جمعية النهضة الاسلامية الى تنظيم اخر وهو " الحزب الوطني " الذي اصدر صحيفته الثورية (الفرات) التي احتجبت فيما بعد فتحول اسمها الى صحيفة " الاستقلال " (٣١٦) . وهي :

١- صحيفة الفرات : صدرت (الفرات) في عددها الاول يوم السبت الموافق ١٥ / أيلول / ١٩٢٠ (٣١٧) . في اربع صفحات وبحجم صغير نسبيا (٣٤ × ٢٠ سم) (٣١٨) ، مبتدئا عددها الاول بعبارة " بسم الله الرحمن الرحيم وشكرا وسلاما وبعد ، لقد ألمنا خلو البلاد من الصحافة [القصد بصحافة ثورية] " وكل صفحة من صفحاتها تحتوي على ثلاثة اعمدة ، رئيس تحريرها المصلح محمد باقر الشيببي ، ودورها الاصلاحية تغطية اخبار ثورة العشرين وتحريض العامة على الجهاد ، وكانت قيمة الاشتراك ليرتين في النجف وربع الليرة خارج النجف سنويا تدفع سلفا ، ويبدل كل شهر مجيدي وربع مجيدي في خارج النجف ، وقد صدر منها اربعة اعداد فقط . وقد غيرت منهاجها في العدد الثاني بادخال الادب الثوري المهيح للمشاعر (٣١٩) .

٢- صحيفة الاستقلال : هي احدى الصحف الثورية الاصلاحية التي تصدر اربع مرات في الاسبوع وكتب كوربا عن سبب صدورها اذ قال : " عندما حرر الثوار مدينتي النجف وكربلاء من سيطرة سلطات الاحتلال البريطاني واقر تعيين السيد نور السيد عزيز الياسري قائمقاما للنجف تقدم المحامي السيد محمد عبد الحسين الى القائمقام المذكور يطلب الحصول على امتياز اصدار صحيفة باسم " الاستقلال " (٣٢٠) . عبرت هذه الصحيفة عن التطورات العسكرية والسياسية في منطقة الفرات ومارست عملية تعبئة الجماهير والدعاية المضادة لسلطة الانتداب البريطاني فمما نشرته في عددها الخامس : " انباء القتال ، جبهة الحلة ، ٩ محرم ٣٩ (١٣٣٩ هـ) خرجت فصيلة من الانكليز لاحتلال قلعة عمران آل زنبور الواقعة على مقربة من الخط الحديدي في مقاطعة المحاويل فقابلهم المجاهدون بقيادة صلاح الموح (الموحان) والمعامرة بقيادة هزاع وارجعهم الى مواقعهم في بابل تاركين كثيرا من الخرطوش وخسر المجاهدون اربعة من الخيل واستشهد مجاهد وجرح اربعة " (٣٢١) ونشرت تحت عنوان " فضيحة انكليزية " وجاء فيها : " لم ننس اربعة من سبب صدورها اذ قال :

(٣١١) D. K. W, The British occupation folds, fold N: (951), The central Administrative of the British occupation 1918, An in complete Article on " Jihad and Difa " by Hasoun Ali Abdulla Al-Badar Al-Qutaifi, Document (2), p. (7).

(٣١٢) هو الشيخ زين الدين بن علي بن احمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح الجبعي العاملي ولد في جبل عامل في لبنان ١٥١٢ م ودرس على يد ابيه ثم انتقل الكرك واخذ العلوم من السيد حسن الموسوي ثم رجع الى جبع عالما فضلا عن دراسته في دمشق علوم الطب والهيئة وعلم القرآن ثم رحل الى القسطنطينية ثم الى بيت المقدس ثم رحل الى مصر لتحصيل العلوم والمعارف ودرس في الازهر فقه المذاهب والاصول والتفسير والمنطق والحساب وعلم الكلام والتجويد وعلم الحديث ترك للمكتبة الاسلامية تسعة وسبعين مؤلفا اشهرها " الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية " ، توفي مقتولا سنة ١٥٦٧ م . مغنية ، محمد جواد ، مع علماء النجف الاشرف ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣ ؛ بحر العلوم ، محمد صادق ، رجال السيد بحر العلوم ، النجف ، ج ١ ، ١٩٦٥ ، ص ٢١٨ . أما الشهيد الاول فهو ابو عبد الله بن جمال الدين مكي بن شمس الدين محمد الدمشقي العاملي ولد بعامل ١٣٣٦ م وقتل في دمشق فاعتبر شهيدا سنة ١٣٨٨ م . القمي ، عباس ، الكنى والالقب ، النجف ، ١٩٧٠ ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .

(٣١٣) D. K. W, The British occupation folds, fold N: (951), The central Administrative of the British occupation 1918, Unanimous opinions of the Ulamas, Document (2), p. (7).

(٣١٤) D. K. B, The British occupation folds, fold N: (951), The Shaikh said in Jawahir, Document (2), p. (8).

(٣١٥) العامري ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ ؛ كوربا ، يعقوب يوسف ، صحافة ثورة العشرين ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢ .

(٣١٦) زاهد ، توفيق ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٣١٧) وهذا يناقض ما ذكره الدراجي الذي يؤكد ان العدد الاول لصحيفة الفرات صدر في ١ / تشرين الاول / ١٩٢٠ . ينظر : الدراجي ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٣١٨) العامري ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

(٣١٩) الدراجي ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٣٢٠) كوربا ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٣٢١) " الاستقلال " ، (صحيفة) ، النجف ، ٨ / تشرين الاول / ١٩٢٠ ، العدد (٥) ، ص ٢ .

القنابل التي رمت الطيارة بها مسجد الكوفة المقدس في ابان النهضة وما قتلته من النفوس البريئة من نساء واطفال وشيوخ ما يفتت الاكباد وقد شاهدنا ... " (٣٢٢)

المرحلة الرابعة : الصحف النجفية في عهد الحكم الوطني الأول ١٩٢١ - ١٩٣٢ :

اصدرت في هذه المرحلة صحيفتان ومجلة واحدة ، خاضعة للرقابة الدستورية للحكم الوطني ولكنها لم تتردد في دعم الحركة الاصلاحية النجفية وبخاصة (صحيفة النجف) :

١- صحيفة النجف : هي صحيفة ادبية اجتماعية انتقادية صاحبها المصلح يوسف رجب ، صدر عددها الأول في مدينة النجف بتاريخ ١٧ / نيسان / ١٩٢٥ ، وانتهت سنتها الأول بالعدد (٤٠) الصادر بتاريخ ٨ / نيسان / ١٩٢٦ ، وكانت تصدر لبعض اعدادها ملاحق . وكان العدد الأول من سنتها الثالثة ١٩٢٧ العدد (٨١) في يوم الثلاثاء المصادف ١٩ / ٦ / ١٩٢٧ ، وقد احتجبت بعد هذا العدد ، وكانت صحيفة النجف من الصحف النجفية الاصلاحية اذ عالجت موضوعات اجتماعية وسياسية وادبية ، وهي تصدر مرة واحدة في الاسبوع في اربع صفحات وبثلاثة اعمدة عدا العدد (٨١) فإنه صدر بصفتين فقط ، وسعر العدد الواحد (أنه واحدة) والاشترار عن سنة كاملة في النجف (خمسة روبيات) وفي الخارج (٧ روبيات) ، وقد تعرضت لمضايقة السلطات كثيرا وعلقت احيانا بسبب الخطة الاصلاحية التي انتهجتها في مناقشة بعض الامور المهمة التي يعاني منها المجتمع . ولذلك تميزت الصحافة النجفية ابان الحكم الوطني الأول بالنضج ويرجع ذلك الى اخذها عرض هموم المجتمع العراقي وازماته وقضاياه المصيرية بجرأة وبشدة فاصبح حجم (صحيفة النجف) الاعتيادي (٤٩ × ٣٢ سم) لكن العدد الممتاز يصبح (٢٥ × ١٧ سم) ، وتطبع في المطبعة العلوية بمدينة النجف ومنحت طلاب المدارس خصم روبيتين من سعرها تشجيعا ودعما لنشر المفاهيم الاصلاحية جمعت صحيفة النجف بين الفكر والرأي واهتمت اهتماما خاصا بقضايا التحرر العربي وما يعانيه العرب من تكاليف استعماري شرس ومحاربة مخلفات السيطرة العثمانية من بدع وخرافات واعتبرها العامري من " صحف المعارضة " (٣٢٣) ، ويمكن تفسير ذلك بأنها كانت تنادي بالاصلاح . ونشرت في احد اعدادها ما يأتي " لو حدثنا في امراضنا الاجتماعية المزمنة وشؤوننا الداخلية لوجدنا من المبررات عددا كبيرا جدا يسوغ لنا الخوض في الانتقاد والانتقاد القاسي المحرق - لردع الظالم الغاصب ولتفنيذ مزاعم اولئك الدجالين المضللين " (٣٢٤)

٢- مجلة الحيرة ، مجلة شهرية علمية ادبية اجتماعية " مدرسية " سنتها عشرة اشهر ومديرها المسؤول ومحرر القسم الادبي عبد المولى الطريحي ومحرر القسم المدرسي المصلح جعفر اسد الخليلي صدر عددها الأول في مدينة النجف يوم ١٥ / كانون الثاني / ١٩٢٧ باربعين صفحة من القطع الصغيرة وعلى ورق اسمر . وصدر منها ثلاثة اعداد فقط ، اوضحت هدفها عندما توسم عنوانها ب " مجلة شهرية علمية ادبية اجتماعية تاريخية مدرسية " ونشرت في بداية العدد غايتها ب " ففي اليوم الذي تتطلب النجف ان تكون بنهضتها ويقتطها اكبر شاهد واقوى حجة ، على احقية النهضة العراقية ، وفي الحين الذي تعد عدها لتبرهن للملأ العام على استعدادها لتلقي كل ما من شأنه النهوض بها الى مصاف غيرها من حواضر العالم العربي المهمة " (٣٢٥)

٣- صحيفة الفجر الصادق : صحيفة وطنية كانت تصدر مرة في الاسبوع مؤقتا في ثماني صفحات ، صاحبها ومحررها جعفر اسد الخليلي ، عبرت عن النهضة الفكرية الاصلاحية في منطقة الفرات . صدر عددها الأول في ١٨ / ٣ / ١٩٣٠ ، وكانت من الصحف التي تبنت الحركة الادبية وكان من كتابها ومحرريها محمد علي البلاغي وصالح جعفري وعبد الرزاق محي الدين . وكان سعر العدد (انة واحدة) واشترارها السنوي (١٠) روبيات داخل العراق وخارجه . وكانت ادارتها في فندق الغري وحجمها نصف الصحيفة الاعتيادية . ومن ابوابها حقل الشعر ، وصندوق الدنيا ، واخبار القطر ، ومثلثات ، وقصة العدد (٣٢٦)

أولا - (العلم) نموذج لمجلة اصلاحية نجفية ١٩١٠ - ١٩١٢ :

فكرة اصدار مجلة علمية اصلاحية كانت تراود ذهن المصلح محمد علي الحسيني ، ولا سيما ان العراق تلك المدة لم تصدر فيه مجلة بمستوى المجالات التي كانت تصدر في الاقطار العربية ، كالمقطف والهلل في مصر والمقتبس في سوريا ، تلك المجالات التي كان احد قرائها المصلح الحسيني . فضلا عن ذلك ادراك اهمية التطور العلمي في نهضة وتقدم الشعوب ، ذلك التطور الذي اخذت اوربا تحت الخطى فيه ، فاوصلها الى رتبة الامم الراقية . ولمواصله دعم الحركة الاصلاحية المنبثقة في ارض مدينة النجف لتكون وسيلة اصلاحية تعبر عن مبادئ رسالتها

(٣٢٢) المصدر نفسه ، ١٢ / تشرين الاول / ١٩٢٠ ، العدد (٧) ، ص ٢ .

(٣٢٣) كاظم مسلم ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

(٣٢٤) مقتبس من " النجف " ، (صحيفة) ، النجف ، ٨ / ايار / ١٩٢٦ ، العدد (٤٠) ، ص ١ .

(٣٢٥) " الحيرة " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٧ ، العدد (١) ، ص ٢ .

(٣٢٦) الدراجي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

الانسانية . تلك الحقائق كان لها الدور في توجيهات المصلح محمد علي الحسيني الى اصدار مجلة تحمل اسم " العلم " تصدر غلافها بيتان شعريان يدلان على غاية المجلة الاصلاحية هما :

العلم انفس شيء انت ذاخره
اقبل على العلم واستقبل مباحثه
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
فاول العلم اقبال واخره^(٣٢٧)

ويرجع سبب تسمية المجلة بـ " العلم " الى ان اكثر دعوات الحركة الاصلاحية النجفية تدعو الى العلم والمعرفة فضلا عن نشأة محررها الحسيني العلمية الدينية ، وظهور نتائج هذا المصطلح على بعض دول اوربا التي تبنت سياستها جوانب العلم والمعرفة ، وقد برر المصلح الحسيني تسمية المجلة بـ " العلم " منطلقا من دعوة الاسلام الى الاهتمام بالعلم ، فخصصت لافتتاح اعدادها بقوله تعالى " يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات " ^(٣٢٨) ، وقول الرسول (ص) " من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة " ، وقوله (ص) " ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا به " ^(٣٢٩) .

ادركت الحركة الاصلاحية النجفية ما يتعرض اليه العالم الاسلامي من محاولات التنكيل والقضاء عليه وكانت مجلة العلم دافعا قويا لايقاظ الناس بما يدور حولهم من مكائد وسياسات تسيء للعالم الاسلامي ، وهو سبب قوي لانبثاق فكرة مجلة تدعى (العلم) ، تلك المجلة التي احصت عدد ما يطبع في العالم في صبيحة كل يوم ردا على الاسلام بقلم اعدائه ما يقدر " مليون ورقة " ما بين صحيفة ومجلة ونشرة ورسالة وكتاب^(٣٣٠) . فضلا عن مبررات اخرى في تسميتها (العلم) منها الى ان تكون منبرا علميا وفكريا للتعريف باهمية العلم والدين من اجل " تكميل الافكار واصلاح الشعوب وفك مقاليد التقاليد المضرة عن عقولهم " ^(٣٣١) . الامر الذي جعل خطة المجلة اداة مهمة لتحقيق منافع اصلاحية ومعرفة قيمة العلم والمعرفة التي يفنقر اليها عالما فانه " لم يجد في هذا العصر ناصرا للاسلام ولا عون له غير العلم " ^(٣٣٢) .

تمثلت مجلة العلم وسيلة اصلاحية ناجحة فقد تمكنت من تحقيق الاهداف التي رسمها رجال الحركة الاصلاحية النجفية ، وملخص طروحات التيار الاصلاحى النجفي الذي اصبح بمساعدتها تيارا قدر له ان يؤدي دوره الوطني في تطور العراق المعاصر فجمعت الطروحات بـ :

١. نشر موافقة الشريعة الاسلامية مع العلوم الحاضرة .
٢. اشاعة تقدم الاسلام على الفلاسفة المتأخرين في بيان الحقائق الخفية والاكتشافات الفلكية والمباني العصرية ولا يخفى ما في ذلك من اظهار علوم الاسلام واثبات صدقها وصحتها.
٣. خدمة مبدأ الاتحاد الاسلامي (الجامعة الاسلامية) .
٤. تنوير الرأي العام (الافكار العمومية) وتعميم المعارف وتهذيب الناشئة وتبديل السنن الاستبدادية وتحرير الوجدان عن أسارة التقاليد الباطلة .
٥. تقوية الروابط والاتصال الثقافي مع الاعلام وصحف الدول الاجنبية^(٣٣٣) .

فصارت مجلة " العلم " بهذه الطروحات وسيلة مهمة من وسائل حركة التيار الاصلاحى النجفي الامر الذي سبب لحياء محررها التهديد من قبل التيار المحافظ (المستبد) الذي مارس ضغوطا كثيرة على هذه المجلة لتعطيل اداة من الادوات الحركة الاصلاحية النجفية^(٣٣٤) .

فاصبحت مجلة العلم وسيلة اصلاحية عالمية تنشر معاني العلم والمعرفة في انحاء متعددة من العالم ، بوجود وكلاء لها في المدن العراقية والعربية والاجنبية ، فضلا عن انها كانت ترسل الى الخارج على سبيل التبادل مع الصحف والمجلات العربية والاجنبية ، فمن تلك المجالات على سبيل المثال " البشير ، الكوثر ، الاتحاد العثماني ، الرأي العام ، العرفان ، الوجدان ، الاجيال " في لبنان ، و " المقتبس والعصر الجديد والحقائق " في دمشق و " الشعب والتقدم " في حلب و " المؤيد ، المنار " في القاهرة ، وفي الجزائر " كوكب افريقية " ومجلة " بهار " في ايران ، و " بيسة الاخبار ، حبل المتين ، البيان ، الاصلاح " في الهند ، و " الزمان " في امريكا ، و " الاتحاد الاسلامي " في اليابان ، و " نهضة العرب " في فرنسا ، و " السياسة " في ايطاليا ، و " الوطن والاصلاح " في سنغافورة ، و " مرشد الامة " في تونس^(٣٣٥) .

(٣٢٧) " العلم " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٩ / آذار / ١٩١٠ ، العدد (١) ، ص ١ .

(٣٢٨) " القرآن الكريم " ، سورة المجادلة ، آية : ١١ .

(٣٢٩) مقتبس من " العلم " ، ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، العدد (٩) ، ص ٣٨٥ .

(٣٣٠) الحسيني ، محمد علي ، حياة مجلة العلم في العام الاول ، النجف ، ١٩١١ ، ص ٣ - ص ٤ .

(٣٣١) " العلم " ، ٢٩ / آذار / ١٩١٠ ، العدد (١) ، ص ٢ .

(٣٣٢) الحسيني ، حياة مجلة العلم ... ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(٣٣٣) الحسيني ، حياة مجلة ... ، المصدر السابق ، ص ٦ - ص ٧ . كتبت مجلة العلم في التعريف عن حياتها : ان الصحف العربية والاجنبية تنهال على ادارة مجلة العلم من مختلف انحاء العالم وبمختلف اللغات والتي ارتأت ادارة العلم الى توزيعها بين المكتبات العمومية ودور القراء وبين الفضلاء والاعلام ، وكتبت بانها استطاعت من تسهيل التراسل والوسايط بين النجف والبلاد الاجنبية من نوابغهم واعيانهم وصحفهم ومكاتبهم ومكتباتهم وغيرها وذلك بنشر قوائم الكتب وبرنامج المكتبات وتقارير المطبوعات وغيرها ، حياة مجلة العلم في العام الاول ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٣٣٤) فصلنا هذا الموضوع في المبحث الثاني من الفصل الثالث الذي يعكس طبيعة الصراع الفكري بين التيار المحافظ (القديم) والتيار الاصلاحى (المتجدد) .

(٣٣٥) الحسيني ، حياة مجلة ... ، المصدر السابق ، ص ٣٠ - ص ٣١ .

فكانت مجلة العلم تقتبس معلوماتها واخبارها من مصادر شتى ، وكان من بينها تقتبس اخبار وكالات الانباء العالمية كوكالة " رويتر " (٣٣٦) ، ومن محطات كثيرة لها في اسيا واوربا (٣٣٧). ومصادر اخرى للاستلها من طريق الصحف والمجلات العربية ومثال ذلك ، نقلها عن مجلة " المنار " القاهرية جانباً مما جرى في احدى جلسات مجلس الدوما الروسي وتحت عنوان " بحتمهم جرى في مجلس الدوما " (٣٣٨) ، فضلا عن ان مجلة العلم النجفية كتب فيها خيرة كتاب العراق وادبائه ومنهم (جميل صدقي الزهاوي - اديب ومفكر من بغداد) ، و (خيري الدين الزركلي - كاتب وصحفي من دمشق) و (فؤاد حداد - كاتب وصحفي من الارجنتين) ، و (فارس المنشي - كاتب من مصر) و (محمد شكري الحفظي - مثقف من المدينة المنورة) وكان دور الوسيلة الاصلاحية النجفية (مجلة العلم) متميزا ومثمرا من خلال النشاطات الفكرية والمعرفية التي قامت بها . فقد عملت على ارشاد وتعريف القراء بالانجازات الفكرية والثقافية داخل العراق وخارجه " وعلى المستويين العربي والاجنبي " ، فسلطت الاضواء على المطبوعات من صحف ومجلات وكتب فضلا عن اهم ما توصل اليه العلم المعاصر من اكتشافات واختراعات ، واثمرت نتاجات كان للحركة الاصلاحية النجفية هدف وغاية في تحقيقها منها الحوارات الفكرية (اسلوبا لكسب العامة) للرد على الاستشراق ، والتحذير من الاستبداد وماهية المؤسسات (الدستور ، البرلمان ، القضاء المستقبل ، الاحزاب السياسية) وماهية الاستعمار وهدفه في تمزيق العالم الاسلامي ، ومواصلة عمليات الاصلاح والتحديث ونبذ الفرقة بين المسلمين (٣٣٩) .

أما طبيعة مجلة العلم الاصلاحية التحديثية فهي تتضمن من خلال الدليل الموجود على غلافها الدال على هويتها : " في النجف اخر ربيع الأول سنة ١٣٢٨ هـ الموافق ٢٩ مارت (آذار) ١٩١٠ " ، فضلا عن مآثرات وحكم تحض على العلم منها " قال النبي (ص) اطلبوا العلم ولو بالبعين " واخرى " اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " ثم يتوسطها عنوان المجلة " العلم مجلة شهرية دينية فلسفية سياسية علمية صناعية " . وهي بالفعل تحتوي هذه العناوين ، ففي العدد الأول من السنة الأولى (سنة ١٩١٠) تطرقت إلى بحث بعنوان " باب العقائد الاسلامية والمطالب الدينية (ابحاثنا في النبوة العامة ، وجوب النبوة ، وجوب النبوة العامة) " اذ تطرقت إلى كيفية ان الدين الاسلامي يدعو إلى التمدن . وفلسفية في بحث " تبصر جماعة من فلاسفة الافرنج " وهي حلول لعدد من الاسئلة الفلسفية . ومجلة " العلم " تجيب على الكثير من الاسئلة ومنها سؤال من سوريا حول " ان التثليث النصراني امر يأباه العقل والكتب السماوية الحقه فما هو ما بين مصرحية او بيطلانه " وكان الجواب في مجلة العلم " ان النصراني تسامحوا في الفروع وعدم التزامهم باداء الاعمال الشرعية من شرعنا ومن ساير الشرائع مطلقا " ، وتنقل مجلة العلم بعض عادات الشعوب وتقاليدها منها عنوان : " نقض على مانع ذبح الحيوان " (٣٤٠) بل وتعرض تلك العادات الى محكمة العدل الاسلامي . ثم النبرات الاصلاحية التي تخضعها المجلة بدراسة توفيقية مع الدين الاسلامي . منها عنوان " الخمر ام الخبائث " و " ضرر المسكرات بعالم الصحة " ، ثم يتطرق الى موضوع التوافق في مسألة " توافق العلم والدين في النجوم المذنبة " اذ يتطرق الى العلوم والفنون مع ما جاء منها في احكام الدين الاسلامي ، ومواضيع نفسية كـ " مخاطبة الارواح والنفوس بعد الموت " ومواضيع طبية اذ دخلت مجلة العلم الى عالم التطورات الغربية في مجال الطب منها طرحها موضوع " استخدام السبما توغراف لاطهار حركة الميكروبات " ومواضيع فلكية تحاول المجلة ارشاد العامة في المعرفة والعلوم منها " اكتشاف حركة للارض جديدة " ومواضيع علمية تحسس القارئ ما وصل اليه العالم المتمدن منها " صنعة البارومتر " و " البارومتر الزئبقي " (٣٤١) .

واستمرت مجلة العلم في سنتها الأولى بالتوجيه والاصلاح سواء كان في الدين كموضوع " الاسلام مستعد للانتشار " و " الاسلام في اليابان ، في روسيا ، في امريكا ، في المانيا ، في فرنسا ، في انكلترا " وكأنها اداة ووسيلة تنقيف توضح مزايا الاسلام . وايضا في توعية العامة بمضار المسكرات ، حتى عززت دعوتها الاصلاحية بمضار الخمر بحديث لرسول الله محمد (ص) : " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام " . وتجيب على اسئلة العامة منها سؤال من بغداد بتوقيع " مسلم يطلب الحقيقة " يسأل فيه " من البين ان الدين الاسلامي يحث على التمدن والترقي والمشورة ... الخ " وملخصه هل يجوز ان تستعرض الصحف والمجلات للبدع والخرافات للانسانية وتعالجه ام لا يجوز كي لا يتطلع الاجنبي على كشف حقيقة المجتمع العربي الاسلامي ، فأجابته المجلة من لدن محررها المصلح محمد علي الحسيني " الواجب ان تفتح الجرائد والمجلات باب الكلام على البدع والخرافات وتتوسع في بحثها وتحذر الجهلة وعوام المسلمين بكلام بسيط يفهمه العموم " [ويبدو ان صاحب السؤال هو احد محرري صحف بغداد] . ويستمر المصلح الحسيني بوسيلته الاصلاحية (مجلة " العلم ") في مسائل الدين تحت عناوين " المآثرات النبوية في الحث على محو البدع " و " الافتضاح في القعود عن وضع الجبال اوتادا للارض " ، ويتعرض مرة اخرى الى إشعار الناس بما وصل اليه التطور في موضوع " تلغراف بلا سلك يوضع في الجيب " ، ومتابعات فلكية عن مذنب هالي

(٣٣٦) سميت بهذا الاسم نسبة الى مؤسسها جول دي رويتر (١٨١٦ - ١٨٩٩ م) ، وهو الماني الاصل انكليزي الجنسية ، ينظر : المنجد في اللغة والاعلام ،

٣ ، دار المشرق - بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٣١٥ .

(٣٣٧) الرهيمي ، العلم النجفية ... ، المصدر السابق ، ص ٩ .

(٣٣٨) " العلم " ، ٢١ / اب / ١٩١٠ ، العدد (٧) ، ص ٢٥٨ .

(٣٣٩) الرهيمي ، العلم النجفية ... ، المصدر السابق ، ص ٩ - ص ١٠ .

(٣٤٠) " العلم " ، ٢٩ / آذار / ١٩١٠ ، العدد (١) ، ص ١١ - ص ١٧ .

(٣٤١) " العلم " ، ٢٩ / آذار / ١٩١٠ ، العدد (١) ، ص ١٧ - ص ٤٢ .

فكانت مجلة العلم تعرف العامة وتثقفهم بما يدور حولهم، وتتطرق الى باب اصلاحي جديد وهو " اقتراح مهم " وكان موضوعها الأول " لم سقطنا وبم نرتقي " الذي يحاول مشاركة العامة في طرق الاصلاح ووسائله^(٣٤٢).

واستمرت بتوجهها الاصلاحى في سنتها الأولى مبتدئة العدد الرابع بعنوان " لم سقطنا وبم نرتقي " اذ شخصت السقوط بالجهل والفقر والكسل ، وتضع العلاج في محاولة الارتقاء بـ " لا نرتقي الا بقرع ابواب العلم لا غير " . وحاولت توعية الناس مرة اخرى بمضار الخمر حتى اثبتت علميا ببحث طبي فلسفي ان الخمر تنسب في مرض السل ، وتحاول مجلة العلم تهذيب العامة والتدخل في شؤون حياتهم لنبذ الاساليب والطرق القديمة ومنها (بث الوعي الصحى داخل المجتمع عن طريق نشرة لارشادات صحية وقائية كالغاية بنظافة (دورات المياه) والقضاء على الكوام القمامة وغسل الايدي قبل تناول الطعام لاتساخها وعلى حد تعبيرها بـ (الميكروبات) الناقلة لمختلف الامراض ، ومما هو لافت للنظر اطلقت دعواتها حتى في الاكل بعنوان " الاكل بالسكين والشوكة " ومستندين من الشريعة المحمدية ذلك عن طريق الخبر الذي يفيد " ان الرسول (ص) غرز شوكة النخيل في اللحم متجنباً الاكل باليد محذراً من جراثيم اليد وميكروبها " ، ومواضيع اقتصادية منها " احصاءات مالية " والتحدث فيها عن ثروة دول (فرنسا ، والولايات المتحدة الامريكية ، وبريطانيا ، والمانيا ، ومصر) مع اسعار تبادل العملة بين هذه الدول . ولا يخفى ما في هذا من دور كبير في تنبيه العامة على اوضاعهم الاقتصادية^(٣٤٣).

واستمرت مجلة العلم في سنتها الأولى تنشُد التوعية الاصلاحية في الجوانب الدينية والفلسفية والسياسية والعلمية والصناعية ، اذ اخذت ترفد اعدادها الجديدة بابواب حديثة ومفاهيم اصلاحية جديدة ، ومنها التوفيق بين القرآن الكريم والحياة العامة بما يضمن الرقي والسعادة والتطور لمجموع البشرية في بحث بعنوان " باب الاختراعات والكشفيات الجديدة والاعمال العلمية " . ومواصلة موضوعها الاصلاحى " لم سقطنا وبم نرتقي " واخذت مجلة العلم طريقة جديدة لاثارة الوعي الاصلاحى ، اذ عملت بتوجيه سؤال في كل عدد الى رؤساء تحرير المجالات العربية ، ومنهم (محمد علي القباني صاحب مجلة " روضة المعارف البيروتية " الذي اجاب عن هذا السؤال : " بسبب تركنا كتاب الله وسنن نبيه (ص) " وجوابه بم نرتقي : " باتباعهما "^(٣٤٤).

ومن تلك المواضيع التي كانت هذه المجلة تنشُد من ورائها الاصلاح - المواضيع الدينية . فقد نشرت موضوعا عن فوائد الصيام ووضحت ما له من اثار سياسية واجتماعية ، وتوافق الصوم مع الحاجات الاقتصادية في المجال السياسي والمنافع السلوكية والانسانية في الجوانب الاجتماعية ، واشعرت الناس بالتطور العلمي الذي وصل اليه العرب في موضوع " اخطار الطيران ونجاحه " ، وموضوع " ضرر الكهرباء " ، فضلا عن الدعوات الاصلاحية الخاصة بالمجتمع منها توعية بمضار الخمر واثرها في موضوع " اقتلوا الخمر قبل ان تقتلكم "^(٣٤٥).

واصبح موضوع الخمر وتأثيرها اشبه بمسلسل صحفي يعرض في كل عدد ، اذ استمرت مجلة العلم تحذر من الخمر وتوضح مضارها بعنوان " محاربة الغربيين مع الخمر "^(٣٤٦) ، واستحدثت مجلة العلم ابوابا اصلاحية جديدة تدعو الى انصاف المرأة وحقوقها وواجباتها وتوفيق اعمالها وفق مقتضيات الدين الاسلامي في موضوع " الاسلام والمرأة " ، وحاولت مجلة العلم اصلاح المعاني الواجب تنفيذها في الشريعة الاسلامية ؛ ففي بحث " غفلة المسلمين عن مباني دينهم " دعوة اصلاحية الى تطبيق نوااميس الواجبات المقدسة في الصلاة والزكاة وحب الخير للناس والصلاة في الجوامع . وموضوع انصاف المرأة في بحث " الاسلام والمرأة " يوضح ما اراده الاسلام من المرأة لكي ترتقي بشعبها ، ودعوة اصلاحية في فوائد الحجاب في موضوع " فوائد الحجاب " ، وغيرها من البحوث في حياة المرأة ودورها الصحيح في الحياة^(٣٤٧).

واستمرت دعوات المجلة الهادفة الى اصلاح وتحديث المجتمع فكتبت في مجلة العلم مواضيع " المرأة والاسلام " ، و " المرأة في الشرق " ، و " المرأة في اوربا " ، وزرعت الثقة في قلوب النساء بقدراتهن ودورهن في خدمة المجتمع اذ نشرت : " ان الست الشهيرة (كوري)^(٣٤٨) المعلمة بمدرسة العلوم الشرقية الكبرى في باريس صاحبة الاكتشافات العظيمة نالت العضوية في احد المؤتمرات الراقية ، وستكون عضوا في مجلس الامة " ، وموضوع " فضل الرجل على المرأة في العقل " ، وعندما لاحظ (الحسيني) ان استبداد الحكام في العالم الاسلامي متضامنين مع التيار المحافظ (القديم) ، الذي قادهم الى غرس اصول لا انسانية الا وهي الحكم بكفر المسلم دون حجة ، الامر الذي دفع اسرة تحرير المجلة الى فتح باب اصلاحي جديد تحت عنوان " الحكم بكفر المسلم " فعدت هذا العمل من ضمن اساليب السلطة الاستبدادية ، فالاسلام قد خط حول المسلم دائرة افقية ، حفظ مركزها العدالة السماوية ، مستندة في ذلك الى القرآن الكريم والسنة النبوية ، فوجهت الدعوة للعلماء بتجنب تكفير المسلم ، وعدم التسرع في " نسبة المروق عن الدين الى كل من يخوض تيار البحث في الفصول العلمية والاصول النظرية " مما قادها الى اعلان براءة الشاعر جميل صدقي الزهاوي الذي كتب مقالة عن حقوق المرأة في صحف بغداد ، فأتهم بالكفر والاحاد والمروق عن الدين ، فدعت

(٣٤٢) المصدر نفسه ، ٢٩ / نيسان / ١٩١٠ ، العدد (٢ - ٣) ، ص ٥٠ - ص ٩١ .

(٣٤٣) " العلم " ، ٢٨ / ايار / ١٩١٠ ، العدد (٤) ، ص ١٤٧ - ص ١٧٩ .

(٣٤٤) المصدر نفسه ، ٢٥ / حزيران / ١٩١٠ ، العدد (٥) ، ص ٢١٨ - ص ٢٣٤ .

(٣٤٥) المصدر نفسه ، ٢٣ / تموز / ١٩١٠ ، العدد (٦) ، ص ٢٤٣ - ص ٢٨٨ .

(٣٤٦) للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر نفسه ، ٢١ / اب / ١٩١٠ ، العدد (٧) ، ص ٢٤٦ .

(٣٤٧) " العلم " ، ٢٠ / ايلول / ١٩١٠ ، العدد (٨) ، ص ٣٨٥ .

(٣٤٨) ماري كوري (١٨٦٧ - ١٩٣٤) وزوجها بيار كوري (١٨٥٩ - ١٩٠٦) م فيزيوايان وكيمياويان نالا جائزة نوبل تقديرا لانجازاتها العلمية عام ١٩٠٣ ، كما نالت مدام كوري بمفردها جائزة اخرى عام ١٩١١ . ينظر : المنجد ، المصدر السابق ، ص ٥٩٨ .

مجلة العلم الى ضرورة توضيح صحة الامر بحقيقة المسلمين بأنه دين قويم حق في احكامه ، وان حقوق المرأة فيه اقرب الى الصيانة تحت لواء ممارسة الاسلام^(٣٤٩) .

وواصلت مجلة العلم دعواتها الاصلاحية ، اذ استعرضت نماذج من تاريخ السيطرة الاستعمارية بهدف استفزاز همم المسلمين وشحذها للتصدي للمحتل الاجنبي أولا ، وللتعبير عن مواقفها شجبا وتنديدا لسياسة القهر والتوسع الاستعماري ثانيا^(٣٥٠) . واستمرت بموضوعها الاصلاحى " لم سقطنا وبم نرتقي " ، وكان جواب هذه المرة لصاحب مجلة " المكتب الكندي " في كندا وجواب سؤال لماذا سقطنا يقول " ان علي ابن ابي طالب (ع) يقول (فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة تقسم الى اربعة اقسام (العلماء) وهم الادلاء على الله و (الزهاد) وهم الطرق الى الله و (التجار) وهم امناء الله و (الملوك) وهم رعاة عباد الله " أما الارتقاء فحصر جوابه فقط بدور المصلحين العلماء وغيرهم اذ قال " ان ذلك دائر على علمائها فتصلح اذ اصلحوا وتفسد اذا فسدوا أولا " . واستحدثت باب " كلمات حكيمية " وهي حكم وامثال من المأثور تهذب النفس وتدعو الى بناء شخصية قوية متمدنة منها حكمة " ليس بلد باحق بك من بلد خير البلاد ما حملك " . واستمر بتفسير الآيات القرآنية التي تدفع النفس الى العمل المثمر الصالح ففسرت آية " ان او هن البيوت لبيت العنكبوت " فكتب حولها ان كل خيط من خيوط العنكبوت مؤلف من اربعة خيوط ادق منه وكل من هذه الاربعة مؤلف من الف خيط يخرج كل منها من قناة خاصة في جسم العنكبوت على صغرها^(٣٥١) . واستمرت مجلة العلم حتى العدد الاخير من سنتها الأولى في دعم الحركة الاصلاحية النجفية ورفد قرائها بالدعوات الاصلاحية والتوعية الفكرية ومواصلة حلقات الاعداد التي سبقتها منها " قضية المرأة " فكتب بحث التوافق بين الرجل والمرأة في عنوان " فضل الرجال على النساء " ومواصلة اصلاحاتها في نبذ الخمر في عنوان " المسكرات مفاتيح الشرور " وعنوان " ضرر الخمر بمستقبل الامة " و " ضرر الخمر بالنسل والمستقبل " ونقد الاحكام الاشتراكية الهادفة الى تنظيم المجتمع بما تطرق اليه (سلامة موسى) ، ففي بحث " الاشتراكية الصحيحة " اكد الحسيني " ان السلطة سلطة الامة لكن مبادئ الاشتراكيين التي يراها سلامة تناهض كل ذلك أي انها ترجع بالحكم الذاتي الى اول نمط من الحكم المطلق فانهم لا يعتمدون في تنفيذ مشروعاتهم الا على حراب البوليس وبنادق الجنود "^(٣٥٢) .

وتطرقت (مجلة العلم) في سنتها الثانية ١٩١١ الى مضامين اصلاحية جديدة فضلا عن منهجها الاصلاحى السابق ، ومنها بحث يوضح ماهية الاصلاح وواجبات المصلح بعنوان " العلماء سلم الارتقاء في الشرق " وتتشهد بكلمة للمصلح جمال الدين الافغاني " لا يصلح الشرق الا بعد تيقظ العلماء " ومنها ما ذكر " ان الهرج والمرج الالعدم نهضة العلماء الدين بالاصلاح " ويحذر من التمدن ما لم يتوافق مع الدين الاسلامي اذ ذكرت المجلة ان التمدن الغربي تيار جارف لا تقف دونه عقبة كيف ودعائه في الشرق كثيرون ... وانهضوا بنصرة الدين على ما يقتضيه العصر الحاضر " . واستحدثت ابوابا جديدة اصلاحية هي " باب الاصلاحات المهمة ، واقسام الاصلاح المطلوب " الذي وضعوا بصماتهم في شكل سياسية الحكومة ، العلوم وادارتها ، والكتب المدرسية والمعتقدات في الامور الدينية ، والعقائد الشائعة (العادات) ، والتقاليد السيئة حتى هددت المجلة ببحث تظهر من عنوانه نبرة الوعيد ما لم ينفذ الاصلاح " لا تجدن من الدين اثرا بعد قرن اذا تقاعدنا عن الاصلاح " ، وتواصل مسلسل التحذير من الخمر ، واحصاءات لسكان روسيا ، ومن العبارات الاصلاحية في احدى المقالات التي تعبر عن رؤاها في الاصلاح موضوع بعنوان " تذكرة واجبة او لزوم الاصلاح " جاء فيه : " الواجب الالهم على حماة الدين^(٣٥٣) وحفاظه ان يظهروا للجميع دين الله المقدس عن كل باطل ، ويعرفوا الجمهور جوهريات الدين من عرضياته حتى يسان مجد الدين وشرفه ، ويتضح للمتفكرين نزاهته عن كل ما يخالف العلم والتهديب والحضارة ولا يجد احد لنفسه سبيلا الى الواقعية في اصل الشريعة "^(٣٥٤) . وتستمر مجلة العلم في منهجها الاصلاحى اذ انتقدت في بحثها " ديوان الحسنات والسيئات " العلمانيين المقلدين للغرب بدون ادراك فوائد الدين فذكرت " ان المتفرجين المتطرفين ، مفاعيل التقاليد المستحدثة من دون ان يتصوروا في تشبههم موافقة احكام حكوماتهم او ديانتهم ومناسبة مزاج أققهم وطقس بلادهم واحوالهم الحاضرة فيلبسوا البسة الافرنج الضيقة وهم في منطقة حارة لا يتحمل طقسها الملبوس او ضيقه او ثخنه ... الخ " ، واستحدثت بابا جديدا هو " باب الادب " بقصائد اصلاحية منها قصيدة " العلم والمال " و " انهضي يا شرق نهضة " وتدعوا الى الاتحاد والتضامن ففي عنوان " الاتحاد الاسلامي " نشرت مجلة العلم مقالا يقضي بأن " المسلمين لا ينهضون تلك القوة العظيمة التي تؤلف زهاء ثلاثمائة وخمسين مليون من النفوس من الهوة الهائلة التي سقطوا فيها منذ قرون الا بالاتحاد وارتباط بعضهم بالآخر ارتباطا ادبيا ماديا اجتماعيا سياسيا ... الخ " ومقالات تشعر القارئ بالتطور الذي وصل اليه العالم ك مقال " العين الكهربائية " ، و " مطبعة بدون حبر "^(٣٥٥) ، وتواصل مجلة العلم في صوتها الاصلاحى ، ومنها ردع الخرافات والبدع والالوهام منها بحث " باب بيان الخرافات واصلاح العادات " ، ودعوات لتنظيم الامور الاقتصادية بانشاء مصرف قائم على اضافة الارباح وحسابها^(٣٥٦) . وتستمر مجلة العلم في سنتها الثانية

(٣٤٩) " العلم " ٣ / كانون الاول / ١٩١٠ ، العدد (٩) ، ص ٣٩٤ - ص ٤١٦ .

(٣٥٠) المصدر نفسه ، ٢ / كانون الثاني / ١٩١٠ ، العدد (١٠) ، ص ٤٣٩ .

(٣٥١) " العلم " ، ١ / شباط / ١٩١١ ، العدد (١١) ، ص ٥٠٣ - ص ٥٠٧ .

(٣٥٢) المصدر نفسه ، ١ / آذار / ١٩١١ ، العدد (١٢) ، ص ٥٣٩ - ص ٥٥٧ .

(٣٥٣) لاشك انه يخاطب المقصود بهم رجال الدين من التيار المحافظ القديم .

(٣٥٤) " العلم " ، ٢٨ / ايار / ١٩١١ ، العدد (١) ، ص ١٧ - ص ٢٢ .

(٣٥٥) المصدر نفسه ، ٢٦ / آب / ١٩١١ ، العدد (٣) ، ص ٩٨ - ص ١٣٩ .

(٣٥٦) المصدر نفسه ، ٢٥ / ايلول / ١٩١١ ، العدد (٤) ، ص ١٥٥ - ص ١٧٥ .

بانشاء المعارف والعلوم في محاولة توعية العامة واصلاحهم ، وتنقل اخبار العالم عن طريق المقالات الصحفية المنشورة في صحف بعض الدول ومجلاتها كمقال " باب الاسلام وانظار الاجانب اليه " وكتب تحتها " جاء في مجلة المبشرين " التي تطبع في نيويورك بعدها الصادر شهر اكتوبر [تشرين الأول] الماضي [١٩١٠] تحت عنوان " انتشار الاسلام " وبها فضحت نوايا المبشرين ودسائسهم في العالم وبخاصة الغربي وهدفهم الاستعماري اللاديني . وتشرح مجلة العلم المعاني الصادقة في نفس الانسان فشرحت معنى الانسانية " هي العاطفة العظمى الضامنة بقاء البشر بحالة اجتماعية مع احترام بعضهم بعضا بدون تفريق ... " وشرحت معنى الوطنية " هي عاطفة قومية قابلة للتغيير نابعة من نظام بقاء الأصلح وقد وجدت وظهرت ايام كان البشر يرفلون بالهمجية ... الخ " وبقيت مجلة العلم تنقد كل شاذ سلبي وتسخر منه ، ففي عددها الخامس كتبت " اقيمت حفلة حافلة حضرها رجال حكومة الولايات المتحدة الامريكية ومستتر تفت رئيس الجمهورية الذي كان بين الراقصين والراقصات واخفهم قدما واسرعهم والطفهم حركة " ، واستمر صاحب مجلة العلم في منبره الاصلاحى يرفد الناس بالمواعظ والنصائح املا في اصلاحهم لنبذ العادات والتقاليد ، حتى جاء خبر تحذيره بالاغتتيال من قبل مراسل بغدادى لم يكتب اسمه ونشرت تحت عنوان " من بغداد " اذ ذكر البغدادي " ان الملائم ياتمرون بك ليقتلوك او يهينوك حماية منهم لعاداتهم " (٣٥٧) . وتستمر مجلة العلم في مواصلة نشر المعارف والعلوم اذ نشرت فتوى العلماء بالتأييد الكامل للاتحاد الاسلامي الذي تجسدت قضاياه في العدد السادس (٣٥٨) . واخذت توضح للامة كيفية معرفة التوفيقيات للهلال ويستمر باخذ المقالات من الصحف الخارجية كمقال " من كتاب (الابطال ، وعبادة البطولة) عن مجلة البيان المصرية " ، ومحاولة اشعار العامة بتطور العالم من حولهم ففي عنوان " باب الاختراعات والكشفيات العلمية " ذكر مقال " وقاية الخشب من الحريق " اذ نشرت " اخترع احد الاميركان طريقة يعالج بها الخشب فيقوى على مقاومة النار ، وذلك ان يبيل الخشب بلا مشبعا بسلفوريورات الامونياك بواسطة الكهربائية فيصير الخشب غير قابل للاحتراق " ، واتماما لجهودها في التنقيف والارشاد وبخاصة لمصادر المعرفة والعلوم ، خطت اسرة مجلة العلم خطوة فريدة من نوعها اذ اسست مكتبة عامة اسمتها " مكتبة مجلة العلم " اودعت فيها عدد غير قليل من الكتب والاصدارات ، وبلغات شملت العربية ، التركية ، الفارسية ، الفرنسية ، توخت من خلالها تنشيط الحركة الثقافية وبت الوعي داخل المجتمع (٣٥٩) . وتدخلت مجلة العلم في اصلاح حياة الملابس في عنوان " رائد الاصلاح في ارق الملابس " والزيادة في باب الشعر الاصلاحى (٣٦٠) . واستمرت في بيان العلم وفضله ودوره في تمدن المجتمع في صدد عددها التاسع والاخير من سنتها الثانية كتب بحث " فضل العلم من افضل الاحاديث " يوضح فيه ان الدين الاسلامي يدعو الى العلم لكي يكفل مجتمعا متطورا متقدما . وتحاول مجلة العلم في عنوان " خطبة للمؤلف " توعية الناس بمخاطر الاستعمار واساليبه في نهب ثرواتهم فقد كتب : " قلنا ايها المسلمون احذرو سياسية الافرنج فان غايتها امتلاك بلادكم واستلاب اموالكم وتغيير ادبكم [آدابكم] وتبديل شرايعكم واحكامكم يا ويحكم فقد تقاسموا اوطانكم بينهم قسمة مال لا صاحب له فهل انتم منتبهون ؟ " ، وتستعرض للامة قوة الاسلام ونجاحه في الانتشار ، فكتبت (نجاح الاسلام في بلاد اليابان) و " اسلام يهوديين في بغداد " . واستمرت مجلة العلم في الاجابة عن اسئلة القراء ومنها من خارج العراق كسؤال احمد علي الطباع من مصر وهو " لماذا لا يحجب الزجاج حرارة الشمس بل تكون مع وجوده قريبة منها مع عدمه في حين انه يحجب البرد كثيرا ؟ " (٣٦١) .

(٣٥٧) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الاول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ١٩٤ - ص ٢١١ .

(٣٥٨) للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر نفسه ، ٢٣ / تشرين الثاني / ١٩١١ ، العدد (٦) ، ص ٢٦٦ .

(٣٥٩) المصدر نفسه ، ٢١ / كانون الاول / ١٩١١ ، العدد (٧) ، ص ٢٨٩ - ص ٣٢٤ .

(٣٦٠) المصدر نفسه ، ٢٠ / كانون الثاني / ١٩١٢ ، العدد (٨) ، ص ٣٦١ .

(٣٦١) " العلم " ، ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، العدد (٩) ، ص ٤٠١ - ص ٤٢٢ .

ثانيا : النجف نموذج لصحيفة اصلاحية نجفية ١٩٢٦ - ١٩٢٧ (٣٦٢) :

توسم أعلى صدر الصفحات الأولى من اعداد صحيفة النجف عنوانها الذي كشف عن هويتها " جريدة اسبوعية ادبية انتقادية " فوقها كلمة بالخط العريض (النجف) ، محررها ومديرها المسؤول يوسف رجب (٣٦٣) ومدير ادارتها محمد علي البلاغي ، وتبغى اسرة تحريرها نشر الافكار الاصلاحية وبث التوعية واليقظة في ثنايا المجتمع النجفي ، وفي سنتها الثانية في عددها الأول افتتحت بمقال اصلاحي بعنوان " نوابغنا ونوابغهم " الذي يحرض في ثناياه المصلحين على مواصلة دعواتهم الاصلاحية في افتتاح المدارس الحديثة وانشاء النوادي ، وتأليف الجمعيات السياسية والاصلاحية التي سماها " معامل حقيقية تتقف لنا رجالا عظاما رجالا يشيدون صروح الحياة ويقومون لنا هياكل العدل والحق ، ولكن كيف اذا بلغ الجمود منا هذا المبلغ القاصي البعيد " ، وذكر المقال " ان الامة التي تعطي ابناءها النابغين واجبات حقوقهم معترفة لهم بما هم اهل له من منزلة ومكانة صاغية الى مواظمتهم وحكمهم البليغة فأنها تزيدهم تشجيعا على العمل ، وتواري نفوسهم جدوة افراد العمل والمثابرة في مواصلة الاصلاح المنشود " ، وتحرض المصلحين للخروج بقوة اكبر " فليخرج المصلح من مخدعه البعيد القعر مشمرا عن سواعده السديدة عاملا بما يوحيه اليه الضمير محببا نداء الامة المفقرة الى اراء واعمال قائما بما تمليه عليه الحوادث والظروف من دروس وحكم " (٣٦٤) . وتستمر صحيفة النجف في بث التوعية وتحذيرها من مخالب الاستعمار ، فقد نشرت مقالة بعنوان " (حول الحركة الفكرية في النجف) ان مدينة النجف عاقها عن سيرها العلمي وتقدمها في المعارف هي يد الاستعمار " ، واقامت صحيفة النجف نفسها في موضوع " خيرية اؤودة " المشكوك في امرها وامر توزيعها فنشرت بحثا بعنوان " دراهم الهند " اعلنت فيه ضرورة توزيع هذه الدراهم وفق قوائم لاسماء الفقراء . وتتابع اعمال وثمار المصلحين ففي مقال " يوم بين اخواني " نشرت : " وجدنا الشباب الناهض يتهافتون على اقتناء المعارف ومنازل العلم مما لا يستطيع وصفه حسن جدا ان اشاهد مثل هذا الروح سائد في محافل النجف ومنديباتها الخاصة والعامة ، ويصبح حديث العلم والتعليم هو المحور الوحيد وحقا ان هذه النهضة الطيبة التي نشاهدها اليوم انما هي ثمرة اتعاب بذلها المصلحون " (٣٦٥) .

وواصلت صحيفة النجف بث دعواتها الاصلاحية ومنها التخلص من العنصر الفارسي الموجود في مدينة النجف ونبذ واستمرت في رفض البدع والخرافات التي سمتها بـ (عصر الظلمة) ، وتابعت القضايا القومية التحررية وشرحتها لانياب مدينة النجف ، ومنها (القضية المغربية وثورة الخطابي) واستمرت بالتاكيد على طرد العنصر الفارسي والابقاء على هوية مدينة النجف العربية الاصلية والتي عدت " ان الفرس مانع قوي في الحركة الفكرية لمدينة النجف " ، واعترف صاحب المقال احمد جمال الدين بدور الوسيلة الاصلاحية (صحيفة النجف) المتميزة . اذ قال " ان مدرسة (الغري) وصحيفة (النجف) لمن اكبر الآثار الخالدة التي كونت للحركة الفكرية جوا تنشر فيه سلطتها في المستقبل " (٣٦٦) . وزاد الاهتمام بالمواضيع الادبية وانثاق حركتها التجديدية ، واطلقت صوتها الاصلاحى حتى للريف العراقي تحت عنوان " واحسرتاه على الريفيين " (٣٦٧) . وواصلت متابعة القضايا القومية فكتبت للقضية المغربية (٣٦٨) ومتابعة قضية الموصل التي عدتها قضية قومية ووطنية (٣٦٩) واستمرت الدعوات الراغبة في تهذيب طرق التدريس ووسائله (٣٧٠) ، وهي صدى لجماهير النجف في المطالبة بحقوقها من الحكومة ومنها مسألة توفير الماء للمدينة ، واستمرار النتاج الأدبي ، وتدخلت في الأمور الاقتصادية فنشرت مقال " صناعاتنا الوطنية وواجب ابن العراق نحوها " (٣٧١) . وتميز العدد الثالث والخمسون من السنة الثانية (١٩٢٦) بدعوات مباشرة الى الحكومة لتحقيق طلب توفير الماء (٣٧٢) ، واستمرت بمنهجها الاصلاحى فكتبت الافتتاحية " اصلاحنا يئن متى ينبغ فينا المصلح الجريء ينقصنا التفاهم والاتحاد " ، وبينت فوائد الاصلاح ودروسه والتغير بما يتفق مع تطورات العصر وما هي واجبات المصلح ودوره في التغيير ، اذ نشرت " وان لم تسعدنا الايام وتجود علينا الليالي (امهات العجائب) بالمصلحين الجريئين والمرشدين الناضحين ممن دربتهم الوقائع والحوادث العالمية فواصلوا الى اعماق الحقائق وكشف النقاب عن محياها اللامع ، وينيرون القلوب الخابطة في ببداء شاسعة معدومة المعالم فالسبيل اذن شائكة " (٣٧٣) .

(٣٦٢) لم يتمكن الباحث من الحصول على اعداد السنة الاولى (١٩٢٥) لصحيفة النجف فاكتفى بالتحليل والدرس بأعداد السنة الثانية (١٩٢٦) والعدد الاول والاخير من السنة الثالثة (١٩٢٧) العدد (٨١) التي بعدها احتجبت الصحيفة من الصدور .

(٣٦٣) ولد عام ١٩٠٠ في مدينة النجف فتأثر ببيئتها الفكرية والعلمية والاجتماعية ، ودرس في مدرسة الغري الاهلية صاحبة المناهج الحديثة سافر الى سوريا وعرف عنه بالتوجه الاصلاحى ونقد الجوانب السلبية في الحياة ، اشتغل صحفيا بصحيفة الزمان البغدادية سنة ١٩٢٧ وساهم في تحرير صحيفة البلاد ، ومارس مهنة التعليم في المدرسة الحسينية . للمزيد من التفاصيل ينظر التكريتي ، منير بكر ، يوسف رجب الكاتب ، الصحفى والسياسى ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٠ .

(٣٦٤) " النجف " ، (صحيفة) ، النجف ، ١٤ / نيسان / ١٩٢٦ ، العدد (٤١) ، ص ١ .

(٣٦٥) " النجف " ، ٢٥ / نيسان / ١٩٢٦ ، العدد (٤٢) ، ص ٢ - ص ٤ .

(٣٦٦) المصدر نفسه ، ٢٨ / نيسان / ١٩٢٦ ، العدد (٤٣) ، ص ٣ - ص ٤ .

(٣٦٧) للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر نفسه ، ١١ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٥) ، ص ٣ .

(٣٦٨) كان من نداعيات التنافس الاستعماري الأوربي في منطقة المغرب الأقصى ، سعى الدول الأوربية المعنية في شؤون المنطقة الى تقسيمها مناطق نفوذ فيما بينها ، فكان منها (اتفاقية الثالث من تشرين الأول ١٩٠٤) بين فرنسا وأسبانيا والتي بموجبها حظيت أسبانيا بالقسم الشمالي من مراکش (الريف والجبال) ، وواجهت مقاومة بطولية من قبل الثائر عبد الكريم الخطابي من ١٩٢٠ - ١٩٢٦ الذي تمكن الحلف الأسباني الفرنسي من القضاء عليه . المعاد ، صلاح ، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢٦ .

(٣٦٩) للمزيد من التفاصيل ينظر : " النجف " ، (صحيفة) ، ١٨ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٦) ، ص ٣ .

(٣٧٠) " النجف " ، (صحيفة) ، ٢٨ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٧) ، ص ٤ .

(٣٧١) المصدر نفسه ، ٣ / اب / ١٩٢٦ ، العدد (٥٢) ، ص ١ .

(٣٧٢) " النجف " ، ١٠ / اب / ١٩٢٦ ، العدد (٥٣) ، ص ٢ - ص ٣ .

(٣٧٣) المصدر نفسه ، ١٥ / ايلول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٤) ، ص ١ .

واستمر مقال رجب الاصلاحى " اصلاحنا يئن متى ينبغ فينا المصلح الجريء ينقصنا التفاهم والاتحاد " فوضح نيرة التوفيق بين الدين والحياة^(٣٧٤). واستمرت في نشر البحث الاصلاحى " اصلاحنا يئن " نشرت من خلاله دعوات صريحة الى نبذ التعصب والتفرقة ، وترك الطائفية^(٣٧٥) ، واصبح هذا الموضوع اشبه بمسلسل صحفى وصوتا مدويا وجريئاً ودخول باب جديد لأول مرة وهو باب اصلاح المرأة فنشر " الام الجاهلة داء مزمن " يبين حقوق وواجبات الام مما يقتضيه الدين والحياة^(٣٧٦). واستمر بحث " اصلاحنا يئن اسمعونا نغمات الاصلاح وارونا آياته " التي حذرت العامة من عدم فهم الكتابات والفتاوى الدينية ما لم يدخلها بمحكمة العقل ويفسرها ويخرج منها الصحيح^(٣٧٧) ، واصبحت لساننا ناطقا لاجوبة الاسئلة التي توجهها الصحف العراقية مثل سؤال صحيفة " نداء الشعب " البغدادية : " كيف تنهض زراعتنا؟ " فاجابته صحيفة النجف " بارصاد الاموال وتوزيع المياه وانشاء المصرف الزراعى " ، واستمرت الدعوات لاصلاح المرأة فنشرت : " الام الجاهلة داء مزمن " الذي وصف المرأة الجاهلة بقوله : " هي افعى بثوب انسان ووحش كاسر "^(٣٧٨) ، واستمرت الدعوات الاصلاحية المطالبة بتنظيم الشؤون الاجتماعية تحت مقال " عبر وعظات فلماذا شؤونا مهمة ؟ اين جمعياتنا ؟ واحتفالاتنا ، ومسابقاتنا ؟ " ومما كتب : " لماذا شؤونا مهمة ، واحوالنا مبعثرة واوراقنا ذاهبة سدى ، لا فائدة ولا عائدة "^(٣٧٩). واستمر هذا المقال في العدد الاخر بمطالبة الحركة الاصلاحية بانشاء مؤسسات اصلاحية اذ نشرت صحيفة النجف ساخرة " اصبحنا قلب ظهر عراقنا من شماله الى جنوبه وندخل مدنه وقراه للعثور على جمعية ادبية " عاملة " او اخلاقية ، او لجنة تقوم بمهمات مدنية ذات شأن وميزة عظيمنتين " حتى وصلت المطالبة بانشاء النقابات التي تمثل رجال القانون ، اذ نشرت " ولكن اين هي نقابتهم واين محاضراتهم وارشاداتهم ومراكزهم "^(٣٨٠).

وطالبت بالتنسيق بالعمل والتعاون بين الفرد ومؤسسة تقوم مهام تنظيم حقوقه وحمايته ليضمن مواصلة عمله بنجاح والهاب حماسة الافراد للعمل والتعاون وضربت لهم مثالا ليشد عندهم عنصر التضامن والتعاون لعمل مثمر اذ نشرت " لم يوجد الانسان الا للعمل والسعي والتعب ، وتأليف الجمعيات والاحزاب ، وقد امتاز الالمانيون بشدة الاهتمام بهذا الصدد حتى قالوا انه وجد ثلاثة من الالمان تألفت جمعية او شركة وهذا وان كان فيه شيء من المبالغة او المغالاة الا أنه بالنظر الى نشاط القوم وعظيم عنايتهم بشؤونهم الخاصة والعامة يهون علينا هذا وغيره " ، ودعت الصحيفة الى التوفيق بين ماهية الافكار التي غرسها الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد وبين مقتضيات العصر . وتناشد الدفاع عن حقوق الفقراء وبخاصة حصولهم على ماء عذب سوية مع الاغنياء^(٣٨١). ومن دعواتها الاصلاحية الوطنية " المسؤولية عامة تتوزع على جميع الافراد فليس معنى ذلك ان ينام البعض ، ويسهر البعض الاخر ، فأن توطيد العرش ، واخلاء الطريق لمواكب الدستور يتطلب النظار والتضامن والاتحاد من القاصي والداني ، من الرفيع والوضيع من الموظف والفلاح "^(٣٨٢) ، واستمرت الدعوات الاصلاحية الاقتصادية اذ نشرت " دواء داننا الاقتصادي اتخاذ الوسائل السديدة المستعجلة " واكدت " ان من الضروري ان نفهم الاساليب الاقتصادية وفنون الانتاج الحديثة "^(٣٨٣). واستمرت الدعوات الاصلاحية لنبذ التفرقة والتفكك والدعوة الى صف وطني واحد ، وساهمت في القضايا القومية اذ نشرت " العواطف الوطنية السامية لتضميد جراح الانسانية المتألمة " جروح سوريه الدامية " ، واستمرت دعواتها الاصلاحية الاقتصادية التي نادى باستخدام جميع الطاقات البشرية التي منحها الله عز وجل للانسان^(٣٨٤).

ونبهت الازهان الى خيرات بلدهم العراق وموارده اذ نشرت " ليس من المهارة والحكمة ، الاكتفاء باليسير من الاصلاح الاقتصادي ، وانما الواجب النظر في مواردنا وانماؤها واستخدام مواهبنا الطبيعية الغالية واخراج الكنوز الثمينة المدفونة بين طيات التراب "^(٣٨٥) ، واستمرت الدعوات الاصلاحية في مجال التعليم واقتترحت اختصار بعض الكتب العميقة المعنى وتبسيطها ، ووصفتها بـ " المعقدة "^(٣٨٦). وفتحت بابا جديدا اشبه بالمنوعات يعمل على تنقيف المجتمع وتنبيهه على ما يدور حولهم وهي " غرائب الافلاك "^(٣٨٧). وحاولت ان تشعر الفرد بما وصل اليه التطور بين دول العالم من اختراعات جديدة لكي تزرع في نفسه دافع المنافسة والطموح فنشرت مقال " التليفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك المخاطبات على اتم وضوح "^(٣٨٨) ، واستمرت في تشجيع الاصلاح فعرفته " بأنه كلمة قليلة الحروف تتداولها السن الناس ولكن لا يفقه معناها الا قليل منهم ، وليس ذلك الا لأن معنى الاصلاح عظيم وفوائده جمة " وتنفذ الصحف العراقية كانتقادها لصحيفة " العراق " بسبب ركة اللغة أو الموضوع ، ونشر مقالات علمية

(٣٧٤) للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر نفسه ، ٢٤ / ايلول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٥) ، ص ١ .

(٣٧٥) المصدر نفسه ، ١ / تشرين الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٦) ، ص ١ .

(٣٧٦) المصدر نفسه ، ١٥ / تشرين الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٧) ، ص ١ - ص ٣ .

(٣٧٧) المصدر نفسه ، ٢٢ / تشرين الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٨) ، ص ١ .

(٣٧٨) المصدر نفسه ، ٢٩ / تشرين الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٩) ، ص ٣ - ص ٤ .

(٣٧٩) المصدر نفسه ، (صحيفة) ، ١٩ / تشرين الثاني / ١٩٢٦ ، العدد (٦٢) ، ص ١ .

(٣٨٠) " النجف " ، ٢٦ / تشرين الثاني / ١٩٢٦ ، العدد (٦٣) ، ص ١ .

(٣٨١) المصدر نفسه ، ٣ / كانون الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٤) ، ص ١ .

(٣٨٢) المصدر نفسه ، ١٠ / كانون الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٥) ، ص ١ .

(٣٨٣) المصدر نفسه ، ٢٧ / كانون الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٦) ، ص ١ .

(٣٨٤) المصدر نفسه ، ٣١ / كانون الاول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٧) ، ص ١ .

(٣٨٥) المصدر نفسه ، ٤ / شباط / ١٩٢٧ ، العدد (٧٢) ، ص ١ .

(٣٨٦) " النجف " ، ١٤ / شباط / ١٩٢٧ ، العدد (٧٤) ، ص ٢ .

(٣٨٧) المصدر نفسه ، ٣ / اذار / ١٩٢٧ ، العدد (٧٥) ، ص ٢ .

(٣٨٨) المصدر نفسه ، ٥ / اذار / ١٩٢٧ ، العدد (٧٦) ، ص ٢ .

مقتبسة من " المقتطف المصرية " مقال " أ في شعاع الكوكب سر الحياة ؟ " (٣٨٩) ، واستمرت تصلح من اخطاء (صحيفة العراق) تحت عنوان " مرعى مرعى بهذه الاراء الناضجة لغة جديدة نسمعا من جريدة العراق " وواصلت عرض المواضيع العلمية والمحلية (٣٩٠) . فيكون الجدول التقريبي للدعوات الاصلاحية في (صحيفة النجف) في سنتها الثانية ١٩٢٦ كما يأتي :

الجدول ذو الرقم (٢)

العدد التقريبي للدعوات الاصلاحية التي اطلقتها صحيفة النجف في سنتها الثانية ١٩٢٦ للاعداد (٤١ - ٧٩) .

عدد الدعوات الاصلاحية للاعداد (٧٩ - ٤١) (الكل)		صدى الدعوات الاصلاحية في القضايا (الجزء)		النسبة المئوية
١٤٤		القضايا الاقتصادية (٩)		٦,٢٥ %
		القضايا الاجتماعية (٧٦)		٥٢,٧٥ %
		القضايا السياسية (٥٩)	الوطنية (٣٩)	٢٧ %
القومية (٢٠)	١٤ %			
				٤١ %

ولهذا كان للصحافة النجفية وجه مشرق في حمل امانة التيار الاصلاحى النجفي على الرغم من امتيازها بالقصر والتنوع وتعريف صنوف الثقافة والمعرفة ، بل تدخلت حتى بالاحصاءات المتنوعة من مالية ، سكانية ، طبية ، دينية وغيرها وهذا هدف من اهداف الحركة الاصلاحية النجفية وبوسيلتها الصحافة محاولة ايقاظ العراقي من سباته العميق الذي طمر في استبداد الحكومة العثمانية طيلة اربعة قرون من الاستعمار ويطرح السؤال نفسه لماذا اختار الباحث من وسيلة الصحافة (مجلة العلم ١٩١٠ - ١٩١٢ و صحيفة النجف ١٩٢٥ - ١٩٢٧) والجواب لانهما امتازا بالصراحة والحوار والمناقشة ونشر جوانب العلم والمعرفة ، لا بل ان الدراجي يؤكد ان لهاتين الوسيلتين دورهما في قيام وبناء (الحركة الاصلاحية النجفية) اذ قال : " واذا اردنا ان نحصر العوامل المنبهة للحركة الاصلاحية العلمية نجدها ما يأتي :

١ - الحرب الكونية العظمى (الأولى) ٢ - الكتب المصرية ٣ - رفع النير التركي وزواله عن الامة العربية (٤ - روح سوريا المجاورة) ٥ - الصحف التي ظهرت ولا ننسى ان لمجلة (العلم) وجريدة (النجف) الأثر الكبير " اذ كانتا تجرفان عقبات التأخر والجهل " (٣٩١) . فاحتلت مجلة العلم مساحة واسعة في العراق وخارجه الامر الذي دفع حاسديها ومناوئيتها الى كبح جماح عملها الاصلاحى ، وصحيفة النجف لا تقل اهمية عن مجلة العلم النجفية كونها منبرا اصلاحيا مدويا في ثنايا المجتمع العراقي في حقبة زمنية تحاول التيارات الاصلاحية اداء شيء من رسالتها الانسانية في بناء عراق متمدن في ظل حكومة دستورية ملكية ناشئة . فكانت الصحافة خير وسيلة للتعبير عن مضمون الحركة الاصلاحية النجفية واهميتها كوسيلة اذ جاء في مجلة العلم عنها " ان لكل عصر واسطة تنتشر بها المبادئ والافكار او يبلغ بها الارشاد والدعوة والجراند في عصرنا هذا هي الواسطة (الوحيدة) التي تنتشر بها تلك المبادئ والافكار " (٣٩١) . الا ان هذا لا ينفى وجود وسائل اخرى تبناها التيار الاصلاحى النجفي خاصة وانها تحاكي المشاعر الوجدانية للفرد .

(٣٨٩) المصدر نفسه ، ٣١ / اذار / ١٩٢٧ ، العدد (٧٨) ، ص ١ .
(٣٩٠) للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر نفسه ، ١ / نيسان / ١٩٢٧ ، العدد (٧٩) ، ص ١ .
(٣٩١) مقتبس من محمد عباس ، المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .
(٣٩٢) " العلم " ، ٢٦ / آب / ١٩١١ ، العدد (٣) ، ص ١٣٦ .

المبحث الثاني :

لكل رسالة اصلاحية خضعت افكارها لمفاهيم ومبادئ انسانية ووسائل ومحاولات فكرية تعمل على ايصال صوتها الاصلاحى الى زوايا المجتمع محاولة ان تضيء اركانها بنور اصلاحاتها وبسبب عوامل كثيرة فرضت سلطانها على المصلح النجفي من البيئة الادبية التي يمتاز بها المجتمع النجفي ، او الدراسة الدينية التي فرضت الادب منهاجا خاصا يدرس لكل طالب علم ، او الاعتزاز بالموروث العربي الاصيل وغيرها تحتم على المصلح النجفي ان يعبر عن مكنون ارادته بالشعر الاصلاحى الذي طالما امكن سماعه ، او قراءته او ترديده بسبب الموعظة التي يحملها (البيت الشعري) ، وسهولة حفظه وحب الناس ورغبتهم في تعاطي الشعر الذي كان خيرا وسيلة ترفيحية في ثانيا المجتمع النجفي ، وبرز الشعر الاصلاحى النجفي بدوره المتميز في مدة ما بعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، فأخذ التيار الاصلاحى النجفي يحارب بدع الرجعية ويجابهها حتى سيادة الاحتلال البريطانى على العراق ، فكانت هناك ثورة شعرية صارخة في اذهان العامة لتنبئهم وترشدهم بمسائى الاحتلال وبطرق رفضه ، وكان للشعر دوره الفاعل في ثورة النجف ١٩١٨ وثورته العشرين . واستمر منبره الاصلاحى في اثناء عهد الحكم الوطنى الأول ١٩٢١ - ١٩٣٢ . وهناك وسائل اصلاحية اخرى لا يقل تأثيرها عن الشعر الاصلاحى كالمقطع الادبية الاصلاحية التي تنشر في الصحف والمجلات التي تحاول ان توقظ المجتمع من سباته وارشاده الى النهج الاصلاحى الجديد ، ووسائل اخرى مباشرة مع افراد المجتمع كالخطب الاصلاحية ، والتنقيف الاخر هو الرسائل الاصلاحية التي تعمل حول قضية ما يحتضنها المجتمع النجفي ويشجعها التيار المحافظ ، ووسائل التقاريف والمقدمات التمهيدية في الكتب والدواوين وغيرها من المصادر .

أولا : دور الشعر والادب في نشر المفاهيم الاصلاحية :

بدأت الرسالة الانسانية للادب العربي تستعيد عظمتها منذ مطلع القرن العشرين ورسالة الادب هي مشاركة الحياة لان الحياة مليئة بالاحداث والوقائع في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذه المجالات متنوعة ومتباينة ، فاصبح الادب يتناول الحياة من حيث هي سعادة وشفاء او لذة وألم او سمو وانحطاط ثم يعبر عنها تعبيراً فنيا جميلا ، فيكون حينئذ قد ادى مهمته ورسم انفعالات الحياة وخطر الاحداث ، والشعر يعيش الحياة وينفعل بالاحداث وبخاصة ان رسالة الاديب [بالذات المصلح الاديب] هي سياسية اجتماعية الى جانب طبيعته الفردية والتعبير انما يكون تعبيراً انسانياً تتناقله الاجيال على مر الازمان ، وبهذا ولد الادب الاصلاحى ليعيش كما تعيش الاجيال بنزعاتها الانسانية^(٣٩٣) . والادب معبر صارخ عن مظاهر الاحباط واليأس والكبت والقمع^(٣٩٤) .

نهض الادب النجفي الحديث مع حركة النهضة العربية الحديثة وتطور معها وله دور في تسجيل الصراع الدائر في المجتمع بين القديم والحديث وحتى التيارات السياسية والفكرية^(٣٩٥) . حتى أنه اخذ يواكب الادب العربي وتطرف في الفاظ نتاجاته ومعانيه واوزانه وقوافيه ، واساليبه جديدة وحديثة لكي تلبي مقتضيات العصر وحاجاته من قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية ، وبالتالي فإن الادب النجفي تحرر من القيود التي كان مصفدا بها واصبح الشعراء المصلحون مدركين بضرورة ايقاظ الهمم واثارة الروح الجديدة وعبروا ان الشعر وساطة من اقوى الوسائط الفعالة في توجيه معاني الاصلاح والتجدد في نفوس العامة^(٣٩٦) .

وتتميز مدة ما بعد الانقلاب ١٩٠٨ بكونها عصر يقظة وتفتح في الفكر والشعور ومحاولة التعبير عن الاعجاب والاندھاش والتعبير عن هواجس النفوس (الطامحة) الى مجازاة الامم الناهضة الراغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال ، وخير ما اراد ان يمثل هذا الطموح هو الادب^(٣٩٧) .

شجع التيار الاصلاحى النجفي الثورة الاصلاحية التي لا يقصد بها (الاندفاع الارعن) والخروج عن النواميس بل الثورة التي تحدثت في الفرد نفسه استجابة للانفعال المستمر لما يشاهده حوله وترى ان ثورة الشاعر المصلح لا تتمثل الا ارادات قومه ولا تظهر في قلبه الا رغباتهم ومسراتهم واحزانهم ، ولا تنطبع في فكره الا صورة المثل الأعلى والعمل الصالح^(٣٩٨) . حتى اصبح شعراء الحركة الاصلاحية نظاميين مجيدين في التعبير عن خوالج نفوسهم ونفوس افراد شعبهم وفي عرض موضوع محلي بشكل اخر محاولة في رفع هذا الموضوع الى مستوى اوسع^(٣٩٩) . وهذا ما سوغ جواب الاديب اللبناني (أمين نخلة) حينما سئل من قبل صحيفة " الشعب " " أي الاقطار العربية كانت اسبق الى حمل رسالة الادب العربي وفي وسمه لخدمة الاجيال " فأجاب : " هو العراق " ^(٤٠٠) .

ساعدت الدراسة الدينية في مدينة النجف في صقل الاحاسيس الشعرية عند رجال الحركة الاصلاحية النجفية وتطورها ، فضلا عن دراستهم الكتب الدينية والفلسفية فأنهم يعنون عناية فائقة بدراسة علوم العربية المعتمدة كفرع

(٣٩٣) الواعظ ، رؤوف ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ١٩١٤ - ١٩٤١ ، بغداد ، ١٩٧٤ ، المقدمة .

(٣٩٤) البستاني ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٣٩٥) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٣٩٦) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١ - ص ٢٢ .

(٣٩٧) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

(٣٩٨) المجلي ، معن ، يوسف رجبى فقيد الادب والعرب ، النجف ، ١٩٤٧ ، ص ٣٥ .

(٣٩٩) " العدل " ، (مجلة) ، نجف ، حزيران ١٩٦٥ ، العدد (١١ - ١٢) ، ، ص ٥٣ .

(٤٠٠) مقتبس من طريق الشعب ، (مجلة) ، بغداد ، ١٩٥٦ ، العدد (٧٤) ، ص ٢٧ .

النحو والصرف والمعاني والبيان ، والبديع واللغة ، والشواهد الشعرية والرجز^(٤٠١) . والشعر العراقي ثورة سياسية اصلاحية وهو ثورة بوجه الجمود والتخلف ، ويمتاز بتعايشه مع مطالب الظروف على حساب القيمة الفنية^(٤٠٢) . وبصورة عامة فإن الثقافة الاسلامية تختلف كل الاختلافات عن ثقافات الاديان الاخرى ، فهي ثقافة تدور على محور الدراسات الادبية والاضطلاح بفلسفة اللغة العربية الواسعة المباني والمعاني التي لولاها لعجزنا عن معرفة القرآن وفهم كنهه ومغزى احكامه التشريعية والفلسفية والادبية ، ولذلك تحتم ان يكون الطريق الى فهم الاسلام وشريعته واهدافه مارا بالآداب العربية وفنونها شعرا ونثرا^(٤٠٣) . وفيما يأتي عرض لنماذج تعكس روح الدعوة الادبية الاصلاحية الشعرية : فقد خاطب التيار الاصلاحى النجفي مجتمع البشرية الذي انتزع منه الكثير من الصفات الانسانية اذ اخذت معاني الاخوة والسلام تضرر وتضمحل ، وكثرت الخصومات والمشاكل المتضاربة في سبيل المصالح ، فدعا المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء الى الرجوع الى الانسانية والصالح اذ قال :

بني آدم ، إنا جميعا بنو أب
 رأيتكم شتى الحزازات بينكم
 وقد عطفتني باللطائف نحوكم
 فأهديتكم بالود نصحي قائلا :
 لحفظ التأخي بيننا و بنو أم
 وما بينكم غير التضارب بالوهم
 عواطف جنسي لم تزل علم الضم
 عليكم سلامي دائما ولكم سلامي^(٤٠٤)

ووقف المصلح محمد رضا الشيبيني موقف المعارض والرافض لعدد من التقاليد المتوارثة التي لا تصلح للمجتمع ولا تنفعه فدعا الى الافكار الاصلاحية المتحررة اذ قال :

دجى التقليد منك اضل قوما
 ولولاه صباحهم تجلى

وقال :

وإذا تنازعت البقاء عوالم
 صح الاصح بقاؤه والاصح^(٤٠٥)

وانشد المصلح محمد علي الحسيني قصيدة اصلاحية بحق العلم وفضائله وما له من ادوار في نمو البشرية ورقبها ، وتبدو الابيات الشعرية مغالية الا ان هذا يفسر قوة سبات الظلام والجهل وسيادتهما المطبقة على اركان مجتمعه . ومن القصيدة :

العلم تاجي ومنهاجي ومستندي
 ايماني العلم ديني العلم غايتي الـ
 قانوني العلم بل شعبي وسيدي الـ
 أداتي العلم اقضي ما أريد به
 غذائي العلم لا ابغي به بدلا
 ومذهبي العلم بل شيخي ومعتمدي
 علم وما لسواها سير مجتهد
 علم وسلطاني الأولى بذات بدي
 والعلم حصني وسيفي ساعدي عضدي
 طول الحياة و من مهدي الى اللحد^(٤٠٦)

وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ نزلت الجيوش البريطانية في ارض الفاو ترمي الاحتلال الكامل للعراق ، ونشروا مع نزولهم بيانا يبيد اسفهم على اضطرارهم اعلان الحرب على الحكومة العثمانية ، وجاء دور اعلان الجهاد ، فاضطربت مدينة النجف وعجت بالضجيج والفوضى ، وتدخل التيار الاصلاحى في جمع القوى وتحشيدها بغية مقاومة المغتصب الجديد ، فنظمت القوائد الاصلاحية التي اخذت لونا اخر في الدعوة الى مناهضة البريطانيين ، وكانت توفق بين النزعة الدينية واحتضان مبدأ الوطنية والقومية العربية . اذ انشد المصلح خيرى الهنداوي : أيها القوم زحزحوا الدين عن هاذي البرايا وخففوا التشديدا

وارحموهم فهم وانتم سواء قد
 وإذا لم يكن من الحرب بد
 تماثلتم ابا وجدودا
 فلنثرها حربا تشيب الوليدا^(٤٠٧)

وحاول المصلح علي الشرقي ان يذكر النشء والمجاهدين بماضي العرب وهمهم وبطولاتهم في الذود عن العروبة والاسلام عاملا على تجديد المبادئ والقيم الاصيلية في نفوسهم اذ انشد مفاخر ا :

يوم ذي قار أنت في الأيام حلم طيب من الاحلام
 ظفر العرب فيك بالاعجام وبدأنا بالانقلاب الخطير

ثم فاخر بقادسية سعد ابن ابي وقاص اذ قال :

ان حرب الاحلام في القادسية
 فنهدنا لطيسفون سرية
 نكست كل راية فارسية
 واذا الغاب ما به من زئير^(٤٠٨)

رفض التيار الاصلاحى النجفي الطائفية والتعصب ودعا الى الاتحاد والتضامن لمواجهة ظروف الاحتلال البريطاني وسياسته العنصرية اذ انشد محمد رضا الشيبيني :

(٤٠١) "النجف" ، (مجلة) ، نجف ، تموز/١٩٦١ ، العددان (١٧-١٦) ، ص٤؛ الخاقاني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٥ .

(٤٠٢) المبارك ، عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٤٠٣) الخليلي ، جعفر ، العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية ، النجف ، ١٩٧١ ، ص ١٠ .

(٤٠٤) بصري ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٤٠٥) الخاقاني ، علي ، شعراء الغري او النجفيات ، ١٩٥٥ ، ج٨ ، ص ٣١ .

(٤٠٦) العلوي ، محمد مهدي ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٤٠٧) الواعظ ، المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٤٠٨) الشرقي ، طالب علي ، ذكرى الشرقي راند التجديد ، النجف ، ١٩٩٠ ، ص ٣٦ .

يا للرزية كم تفرق بيننا وتضللنا الاضغان والاحقاد
لا تبرد الاكباد فيما بيننا حتى تذوب وتعطب الاكباد^(٤٠٩)

وحاول التيار الاصلاحى النجفي اصلاح ذات البين وعدم تفريق الصف الوطنى لمواجهة البريطانيين فأنشد المؤيد للإصلاح الشاعر جواد الشيببى :

هو الشعب كن مستمسكا باخائه وصل بينه و ادرع بابائه
تقيأه ظلا فالمباني و ان علت هياكلها تندك دون بنائه^(٤١٠)

وصار شعر المصلحين النجفيين متغلغلا في اعماق الشعوب العربية وحرىاتها وامانيها ورغباتها في مجارة روح العصر ، فأخذ يعبر عن الافاق الواسعة من عوالم الدنيا اذ انشد المصلح محمد رضا الشيببى واصفا ما وصل اليه بلده العراق :

تعسف قوم بالعراق وساموا على وطن ما سيم يوما بأثمان
هم احتقوا الاوزار يقترفونها وقالوا جنى عمدا وما هو بالجاني
وقد تنكر الحر العراقى ارضه فينأى ليدنو منه من ليس بالداني^(٤١١)

ناشد التيار الاصلاحى النجفي شيوخ الاراضى الزراعية حول سهل الفرات وتأسف لما اصابها من خراب وتدهور في الثروة الزراعية وعدم الاستغلال الامثل لتلك الثروة ويسخر المصلح على الشرقى الوضع الجامد الباقي على شيوخه باساليبه الرجعية منذ عهد (بابل) ليلقى اللوم والسبب على شيوخه أولئك الاقطاعيين الاستغلابيين الذين لا يهتمهم سوى جمع المال ، وهي صرخة اصلاحية اقتصادية اجتماعية بوجه الاقطاع وفساد الاستعمار الذى عمل على تثبيته وتمركزه لكي يصبح مثل (راجات الهند) وبالتالي لتسهل السيطرة عليه فانشد :

هذا الفرات و هل ترى يتنازل الطاغى لسمع عتابى
هذا الفرات و هذه عاداته متقلت من عهد " حامورابى "
منه غدت ام العواصم " بابل " تزهو و منه غدت تلؤل تراب
يا خيبة الفلاح فى اماله من ضيعة الاموال و الاتعاب^(٤١٢)

وبوسيلة الشعر رفض التيار الاصلاحى النجفي ما فرضته الدوائر الاستعمارية بالقوة من صيغ الانتداب وقيودا اخرى فانشد الشرقى :

وماء لو سبحت به لغطى و لكن انت تسبح فى سراب
عراقى وانتداب وانتخاب خراب فى خراب فى خراب^(٤١٣)

وبلغ التذمر والسخط الى هيجان العامة بثورة تحريرية شاملة وبرز التيار الاصلاحى النجفي بوسيلة الشعر لجذب العراقيين والهابهم فانشد مصلحهم محمد جواد الجزائرى قصيدة شعرية يخاطب بها قبيلة كعب القاطنة جنوب العراق طالبا نجدتها ومساعدتها للثورة وقد بعث بها من جبهة القتال فى الحلة ومنها :

يا شعب كعب اليبس كعب عصب بنى يعرب ولدنا
سلوا خباكم و لا تمدوا للغرب حول السلام يمنا^(٤١٤)

وبوسيلة الشعر اصبحت بين حلقات المجتمع رابطة قوية^(٤١٥) للتعبير عن مكنون ارادتها ، وبخاصة ان الحركة الاصلاحية النجفية تدرك ما لهذه الوسيلة من دور فى سبيل التحضير للثورة ، كونه عنصرا محركا لاندفاع الجماهير ، حتى كان عدد من الشعراء ينتقلون بين المدن والارياف لتحقيق الغاية الوطنية بتحريض الناس على المقاومة^(٤١٦) .

وساند الشعر الشعبى الشعر الفصيح فى الحركة الاصلاحية اذ كان ملهبا لمشاعر العامة وبخاصة فى ميادين ثورة ١٩١٥ النجفية ضد العثمانيين ، وثورة النجف ١٩١٨ ضد الاحتلال البريطانى وثورة العشرين وغيرها من المآثر التى جمعت فى مؤلفات مطبوعة تعكس الاجواء الشعبية فى تلك المنازلات^(٤١٧) .

ويحرض المصلح حسين كمال الدين بالشعر العامة على القتال والكفاح فى ميادين الثورة مؤكدا ان نيل النصر لا يكون الا بالاخلاص للوطن اذ قال :

ببذل الدماء نزيل العدو و نلقيه فى اليم فى الساحل
بحرب يشيب عليها الوليد بجو كجمر الغضا قاتل
هو النصر يعقد للمخلصين و ما دام فى عهده البازل

(٤٠٩) الخاقانى ، على ، شعراء الغري او النجفيات ، النجف ، ١٩٥٤ ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

(٤١٠) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٣٢ .

(٤١١) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ - ص ١١٩ .

(٤١٢) الخاقانى ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢ .

(٤١٣) عواد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

(٤١٤) المبارك ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٤١٥) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

(٤١٦) الحبوبى ، انور على ، دور المثقفين فى ثورة العشرين ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٣٤ .

(٤١٧) اشهر المؤلفات التى تتحدث عن الشعر الشعبى ودوره فى المواقف الوطنية تجاه الاحتلال البريطانى للمزيد من التفاصيل ينظر : الخاقانى ، على ، شاعرات فى ثورة العشرين ومعه (الهوسات فى ثورة العشرين) ، مط التضامن - بغداد ، بلا ؛ نصار ، حسين ، الشعر الشعبى العربى ، دار القلم - مصر ، ١٩٦٢ .

فما امة بلغت عزها
ويتهم من لم يشارك في الثورة بالعمالة للمحتل الاجنبي ملوحا بعدد من علماء الدين في مدينة النجف الذين لم
يحركوا ساكنا من احداث ثورة العشرين اذ انشد :

أ يخدعنا علماء " الاوفيس " ونأبى على العالم العامل
اولئك عملاء الدخيل تفانوا على طمع زائل^(٤١٩)

وحول الحكومة المؤقتة (حكومة عبد الرحمن النقيب الأولى) قال المصلح محمد باقر الشيبلي ساخرا في

تشكيلها :

قالوا اشتملت في العراق حكومة
أ حكومة والاستشارة ربها
الحكم حكمهم بغير منازع
وتهكم التيار الاصلاحي النجفي بالتصويت على ملكية الملك فيصلا الاول وادعاء حصول الاجماع اذ قال
الشرقي (غناء الراعي) :

ارتقت عندنا الصناعة حتى
ونبغنا في الاختراع جميعا
يصدع الرأس بالمهام و لا خير
كل قول وكل فعل صناعي
فتأمل في وضعنا الاختراعي
برأس ما فيه غير الصداع

في مطاوي الاجماع قد تكثر البله
وبمناسبة الذكرى الثالثة لثورة العشرين كتب المصلح محمد صالح بحر العلوم قصيدة اصلاحية تنادي
بالاصلاح والحرية والمبادئ التي قامت من اجلها الثورة اذ قال :

اين ظلت اهداف شعب حزيرا
زفت الموبقات تاجا لبغدا
واستفادت من البريق الذي فيه
ما انتفاع البلاد من رفه التا

وبوسيلة الشعر رفض التيار الاصلاحي النجفي الاعتداءات الوهابية اذ قال الشرقي :

أتنحيتن أثلة تهدلت
وارحمته ليد مجنونة
كم يفتك الاخوان في اخوانهم
تحرز في عروقها وفي العصب
من اجل فقر وصخور وكتن^(٤٢٣)

ناشد التيار الاصلاحي النجفي الحكومة الوطنية بتحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وزرع الامل
في سبيل اصلاحها بالتذكير بماضي العروبة والاسلام اذ انشد الشرقي من قصيدته (عصر الكهرباء) :

أ عصور الحجر امنا
و من الانصاف ان يظ
خلت الدنيا و لم يند
وقال في قصيدة (مكوى العتب)

ارى قصورا من حديد نهضت
من يسأل القرية الامها
فكم جروح في القرى و كم ندب^(٤٢٥)

وبخصوص انتخابات المجلس التأسيسي وما حدث فيه من الوقائع (كمقاطعة الانتخابات) وغيرها رأى التيار
الاصلاحي النجفي ان مواد هذا المجلس بريطانية وبظاهر عراقي فانشد الشرقي :

في ذمة التاريخ اوطارنا
لو جمعت لم تك اقطارنا
غدا اذا هددنا جارنا
قد انقضى العرس وشهر العسل
دويلة فكيف صارت دول
كيف نلاقه بهذا الفل^(٤٢٦)

وبوسيلة الشعر عبر التيار الاصلاحي النجفي عن عدم فائدة التقليد الاعمى للغرب اذ انشد مصلحهم محمد

رضا الشيبلي :

إننا دعونا العصر عصر تقهقر
فليدع عصر تقدم و تجدد

(٤١٨) العباسي ، خضر ، شعراء الثورة العراقية (اثناء الاحتلال البريطاني في العراق) ، بغداد ، ١٩٥٧ ، ص ١٢٦ .

(٤١٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

(٤٢٠) المبارك ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٤٢١) مقتبس من الشرقي ، علي ، الاحلام ، ص ١٣٣ .

(٤٢٢) المبارك ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٤٢٣) الشرقي ، علي ، ديوان علي الشرقي (عواطف وعواصف) ، بغداد ، ١٩٥٣ ، ص ١٤٩ .

(٤٢٤) الخاقاني ، علي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٩٠ .

(٤٢٥) ديوان عواطف و عواصف ، ص ١٥٠ .

(٤٢٦) الشرقي ، علي ، الاحلام ، ص ١٣٣ .

عمي البصير بهل وضل المهتدي

ماذا يرجى من وراء حضارة

وقال ناقد العلمانية :

يظنون هذا العصر عصر هداية واجدر لو تدعوه عصر ضلالات^(٤٢٧)
وانتقدت حركة التيار الاصلاحى النجفي طرق الاصلاح باتباع العلمانية^(٤٢٨) في تركيا التي أفقدت الفرد
التركي قيمته الروحية فأنشد المصلح جواد الشبيبي في (امال وخواطر) :

تجاوز فينا الجائرون و أسسوا
قرون حديد اطلعوا من سيوفها
أما كان فرعون ابا قوم عبرة

بهذا الفضا احدثه من فضائح
وقالوا لها هذي السماء فناطحي
و تمشي بها الايام مشي اللوايح^(٤٢٩)

وناشد التيار الاصلاحى النجفي الشعب بضرورة النهضة بمناحي الحياة واتخذ وسيلة الشعر صرخة
لاستنهاض الهمم وتحقيق الغاية المنشودة في رقي البلاد والاستفادة من تجربة النهضة في مصر . اذ قال الشاعر محمد
مهدي الجواهري من قصيدة " الثورة العراقية " :

لنا فيك يا نشئ العراق رغانب
ستأتيك يا طفل العراق قصائدي

أيسعف فيها دهرنا ام يمانع
و تعرف فحواهن اذا انت يافع

...

وقد خيروني ان مصر بعزمها
وتناضل عن حق لها و تدافع^(٤٣٠)

وقال بحق ضرورة العلم والتعليم :

يا علم قد سعدت بك الاوطان
فليس منك على المدى سلطان

هذب لنا اخلاق اهلية فقد
غشى عليها الجهل والعدوان

يا أيها النشء الجديد تسابقا
بالعلم ان حياتكم ميدان

صونوا البلاد فانما عزماتكم
قضب ومن اقلامكم خرصان^(٤٣١)

وكتب الجواهري لصحيفة العراق في العدد (٢٩٥٠ في ١٩ كانون الاول لسنة ١٩٢٩) قصيدة بعنوان " الى الخاتون المس بيل " وبتوقيع عراقي رافضا ما تنشره الصحيفة من مذكرات بيل ومظاهر التفرقة والعنصرية ومنها :

قل للمس الموفورة العرض التي
لي قبيلة تلقى عليك بسمع

ان كان سرى في العراق ان تري
فلك التعازي عن سياستك

لبست لحكم الناس غير لباس
و بمحضر من زمرة السواس

ناسا له مضروبة بأناس
التي عادت عليك بصفقة الافلاس^(٤٣٢)

وبوسيلة الشعر عبر التيار الاصلاحى النجفي عن رفض الاصلاحات التي تهتم بالجوانب السياسية فقط
وتهمل الجوانب الاجتماعية . اذ انشد الشرقي :

دعوا نظم السياسية في هدوء
ارى ثوب التطور مستعارا

و ثوروا للنظام الاجتماعى
اذا هو لم تفصله المساعي

وقال ساخرا :

يا امة فصحاؤها
سكنت وقد كثر اللغظ

الفأر قرض ثوبنا الـ
بالي ونتهم القطط

انظر لوضع بلادنا
غلط يصحح في غلط^(٤٣٣)

وبوسيلة الشعر ناشد التيار الاصلاحى النجفي المزيد من الاصلاحات ، واتخاذ وسائل التجدد والتطور ففي
قصيدة " سبيل الجماهير " كانت صرخة لرجال السياسة في رسم طريق الاصلاح والتجدد اذ انشد الشاعر محمد مهدي
الجواهري :

...

أذن علمت ان لا حياة لأمة
لو الامر في كفي لجهزت قوة

لعمرك ما التجديد في ان يرى الفتى
تعود هذا الشعب ما لم يعود

يروح كما يهوى خليعا و يغتدي^(٤٣٤)

^(٤٢٧) " الرابطة " ، (مجلة) ، النجف ، كانون الثاني ١٩٧٦ ، العدد (٦) ، ص ١٧٨ .

^(٤٢٨) هي حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس وتوجيههم بالابتعاد عن الدين والاهتمام بمناحي الدنيا وحدها فهي تيار ذهني يقوم على حل مشاكل العالم

الذهنية بواسطة العلوم فهي تنطلق من الايمان بان للعلم قدرة فائقة على إعطاء تفسير كامل وعلمي للأشياء . للمزيد من التفاصيل ينظر : القاسمي ،

محمد ، العلمانية انتشارها شرقا وغربا ، سلسلة موافقات الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٩٤ ، ص ٢٤ .

^(٤٢٩) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٩٠ .

^(٤٣٠) ديوان الجواهري ، ص ٥٥ .

^(٤٣١) ديوان الجواهري ، ص ٨٦ .

^(٤٣٢) مقتبس من ديوان الجواهري ، ص ٢٧٤ .

^(٤٣٣) عواد ، عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

^(٤٣٤) ديوان الجواهري ، ص ٢٨٥ .

وللمصلح محمد صالح بحر العلوم قصيدة " الشغب او سوء العاقبة " نظمت عام ١٩٣١ ، تدعو الى النهضة والتجدد بالكفاح والمثابرة ، يقول في مقدمتها :

ايها الشيخ انتبه فالفجر لاح
قم معي واسمع فديك القوم صاح
واترك العزلة و ابرز للكفاح
و تيقظ قبلما يعلو النهار
احتكر فاليوم يوم الاحتكار
وبلك فالعزلة بئس الانتحار^(٤٣٥)

ان تمسك المصلحين النجفيين ببث دعواهم الاصلاحية بوسيلة الشعر انما هو دليل على التمسك بالمشاعر القومية العربية من جهة ، وهو دليل على قومية التيار الاصلاحى النجفي من جهة اخرى . وتجسدت هذه الرؤيا في مساندة المصلحين بوسيلتهم الشعرية و ابراز القضايا القومية العربية ، فكتب المصلح علي الشرقي سنة ١٩١٢ قصيدة (رفيف الارواح) تساند اخوانهم الليبيين حينما تعرضوا للاستعمار الايطالي^(٤٣٦) قال فيها :

ما لروما فلا استوى عرش روما
جبننت عن نضال كل قوي
نطحت برقة و برقة واحا
فتلت ذيلها و عجت نباحا
فاغارت على الزوايا اكتساحا
ت من النخل ما عرفن النطاحا^(٤٣٧)

وتجسدت هذه الرؤيا ايضا في رفض التيار الاصلاحى لجرائم جمال الدين السفاح بالقوميين العرب والتنكيل باحرار لبنان اذ قال علي الشرقي :

شلت فتلك الانمل القاسية
يا شجرا اثمر في (عالية)
هذا جزاء النية الصافية
قد علمتنا كيف شفق العلم
بالشمم الغالي وعالي الشيم
في سعيكم يا شهداء التهم^(٤٣٨)

وتجسدت ايضا في توحيد المشاعر القومية بين العراق ومصر اذ قال الشرقي :

جرح العراق وجرح مصر واحد
بين العراق وبين مصر شقة
فاذا نهضت تضمد الجرحان
وبسعيننا يتقارب المصران^(٤٣٩)

ولذلك فان وسيلة الشعر تمكنت من ايقاظ الروح القومية فاستنهضت همم العرب في اعادة مجدهم والتقدم من جهة الثورة على الظلم والاستعباد من جهة ثانية . ويرجع هذا كون الشعر رؤيا تنبثق من ذات الشاعر لتعكس حنين النفس الانسانية المتأرجحة بين مغارة الموت ونار الحياة ، يصفها الشاعر الاصيل في صورة فنية تحمل في عروقتها بقطعة الالم وخفقة الوجود^(٤٤٠) .

فقال بحق معاناة شعبنا العربي في فلسطين :

يا فلسطين ويا ارض الجدود
حرثنا من عهد عاد و ثمود
كم حويناك جنودا و بنود
اصبح المبكى لنا لا لليهود
انت امجاد وبعث و شعور
فرع اشجارك منا والجذور
و سكناك قصورا و قبور
دالت الدولة فالعيش غرور^(٤٤١)

ويزعج " الشرقي " بوسيلته الشعرية الحكومة الوطنية بقصيدة (نشيد الزوايا) التي يطلب فيها اصلاح الازواج الاقتصادية ، والنظر في الضرائب وغيرها اذ قال :

هل زاد قطر دار
انت تسكن قصرا
حتى تزيد الضرائب
من كد اهل الضرائب^(٤٤٢)

ثانيا - الوسائل الاصلاحية الاخرى :

١ - الكتابات الاصلاحية :

وهناك وسائل اخرى اتخذها التيار الاصلاحى النجفي طريقة لا يصال صوته الاصلاحى الى اذهان المجتمع . وهي " الكتابات الاصلاحية " سواء كانت بثوب ادبي معبر عن النبذة الاصلاحية واستعارات ادبية فنية او بدونها ، او كتابات اصلاحية بأساليب فلسفية تحاكم العقل والمنطق أو كتابات دينية توضح مبادئ الشريعة الإسلامية المتوافقة مع الحضارة والمدنية ، أو بأسلوب تاريخي تأخذ من الحقائق التاريخية سنداً في حجته وفكرته والتي يحاول أن يوفق بين

(٤٣٥) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٥٠ .

(٤٣٦) استطاعت الجيوش الايطالية المستعمرة (عام ١٩١١) من احتلال ليبيا أحد الأقطار العربية في شمال أفريقيا ، وتمكن المستعمرون من تثبيت أقدامهم في المنطقة الساحلية بالقوة وأخذت تسير في حكم البلاد بأسلوب استعماري اراهلي فظيع ، وتشجيع الهجرة الإيطالية إليها أولا والأوربية ثانيا ، وتنتزع من يد سكانها العرب الأراضي وتقطعها للمهاجرين الأجانب على الطريقة التي سارت عليها فرنسا في المغرب العربي ، ولهذه التصرفات الهمجية وغيرها وقعا مريرا على نفوس أبناء التيار الاصلاحى النجفي الذين رفضوا ذلك الاحتلال بل ودعوا الى تحرير هذا القطر من أشكال الاستعمار . للمزيد عن ظروف الاحتلال الإيطالي للقطر العربي الليبي والسياسات الاستعمارية الإيطالية ينظر : العقاد ، صلاح ، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، ط٥ ، مصر ، ١٩٨٥ .

(٤٣٧) ديوان عواطف و عواصف ، ص ١٨٤ .

(٤٣٨) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

(٤٣٩) ديوان عواطف و عواصف ، ص ٤٥ .

(٤٤٠) " العدل " ، (مجلة) ، النجف ، ١٥ / آب / ١٩٦٥ ، العدد (٦ - ٧) ، ص ٤٠ .

(٤٤١) ديوان عواطف و عواصف ، ص ١١٧ .

(٤٤٢) الشرقي ، الأحلام ، ص ١٣٣ .

الماضي والحاضر . فالمصلح علي الشرقي كتب مقالا اصلاحيا عنوانه : " بالامل نحيا وبالامل نموت " حاول فيه معالجة نتائج الهيمنة السوداء للسيطرة العثمانية التي تمكنت من قتل روح الشباب النابض بعنفوان الحياة وقطعت عليه سبيله في العيش بحياة هائلة فكتب مستنهضا همهم : " ايها الشباب الزاهر ، ايها المحيط المتسع ، ايها الفضاء العميق ، عاطفة اضم اليها عواطف اسمها الامل ، رفيف في قلبي ، هزة في فكري ، همس في أذني يحمله نسيج الشعور من فم السعادة " ، وقال في محاولة اعادة الثقة لنفوس الشباب وزرع عامل الطموح لديهم : " التلميذ يأمل ان يكون استادا والجندي ان يكون قائدا ، والفقير ان يكون صاحب البذرة والكيس ، والضعيف ان يكون رب الحول والقوة ، والعباد ان ينال النعيم الابدي ، والاعمى ان يكون بصيرا ولو في الاخرة ، والعالم ان يفيض علمه فيسقي الارض بزلاله ، والمصلح ان يهزغ ركائز الخرافة بمعول الارشاد ، والصحفي ان ينشر اموات الجهل بنشرته والكاتب ان يصدقه القارئ على قوله " بالامل نحيا وبالامل نموت " (٤٤٣)

وكتب المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه " الدين والاسلام " دعوات اصلاحية منها الهادفة الى تعميق الوازع الديني عند العامة بغية تنفيذ الاصلاحات المرجوة وبكتابة معالجة فلسفية منطقية تحاول اقناع القارئ ما للدين من دور في القضاء على سلبيات المجتمع اذ كتب : " الدين هو الخضوع لقوة مدبرة للعالم ازلية مدركة حكيمة عادلة فضلا عن كونه من اول الفطريات ، واجلى الوجدانيات والبديهيات ، وهو اعظم واكبر ناموس في حفظ النظام العام ، وانفذ وازع وراذع للنفوس عن حرصها وجشعها الى حب التغلب والتفوق واستيفاء الحظوظ من الشهوات الحيوانية ، ويستحيل بدون الدين قمع هذه الشرور ، وقلع هذه البذور من نفوس البشر عامة وخاصة الا برهبة الدين وتسليط سيطرته اذ ان اعظم مصلح يقوم ، والعالم ، واكبر مدبر ينهض لخدمة المجتمع البشري لا يكون لولا الدين " (٤٤٤)

وكتب المصلح محمد علي كمال الدين مقالة اصلاحية بعنوان " خطر ان عظيمان " بأسلوب يثير ذهن القارئ باحوال المحيط الذي يعيش فيه ودعوة صادقة الى نهج موقف توفيقى ثابت ، اذ كتب : " ان ادوار التحول والانتقال هي بلا ريب اصعب الادوار في تاريخ الشعوب ، ففي تلك الادوار يحتدم النزاع بين القديم والجديد بين العادات والتقاليد المألوفة من جهة ومن جهة اخرى الروح الفنية الحديثة التي تتوق الى محو الماضي محو لا اثر بعده ، على ان العمران لا يقوم باخذ هذين العاملين دون الاخر فالافتتاح بالقديم وحده يولد الجمود الذي به موت الشعوب والتهمج على الجديد يفضي الى الفوضى والضياع والاختلال ، ويتبين للمتبصر في الحالة الحاضرة ان الشعوب اليوم عرضة للتطرف في احدى هاتين الجهتين الرجوع الى القديم البالي او الاقدام على الجديد المقلل اجل الطرف [للتطرف] في اقطار العالم وتأمل في العوامل التي تعمل في حياة الشعوب تجد انها ترجع الى مصدرين لا ثالث لهما " (٤٤٥)

٢- الخطب الإصلاحية

وهناك وسيلة اصلاحية اخرى اعتمدها التيار الاصلاحى النجفي وهي وسيلة " التثقيف المباشر " عن طريق توكيل رجاله المصلحين بتثقيف العامة وافهامهم بالمبادئ الاصلاحية ، وكان اولئك الوكلاء يمتازون بقوة التأثير والشخصية المهيبة ، اذ وصف علي الخاقاني المصلح النجفي بـ " حلو الحديث وصفاء القلب وطهارة الضمير ، شارك في الدعاية للفكر الحديث ونشر الافكار الاصلاحية ... الخ " (٤٤٦) . وخير مكان للتثقيف المباشر عند المصلحين النجفيين (المنابر) (٤٤٧) ، ويمكن ان اسميها بـ " الخطب الاصلاحية " ، ولا تقتصر مكانها وزمانها على المساجد والجموع فحسب بل يتعدى الى الاحتفالات والمناسبات والتعازي ، ومنها خطبة المصلح محمد علي الحسيني التي تحوي دلالات اصلاحية تربوية بدار المعلمين يوم السبت المصادف ١٥ / ١٠ / ١٩٢١ وجاء في نصها : " سادتي : اتقدم اليكم قبل كل شيء بابلاغ شكر جلالة سيدي الملك المبجل لهمتكم ونشاطكم المتواصل في سبيل العلم ... ان المدارس كلها معامل تولد التلاميذ ، ودار المعلمين تولد الاساتيد والاساتذة هم الارواح الفاعلة والتلاميذ هم الاشباح القابلة فمدرسة المعلمين بمنزلة الروح ومدارس المتعلمين بمنزلة الجسد والعلم سلطان الروح والروح سلطان الجسد . لست منفردا في قلبي " ان الاحداث مطامع وقلوبهم مطابع " بل التجارب من ورائها السنة العلماء كلها متفقة على ان الاطفال سذج الافكار بسطاء الازهان ترتسم في ألواح نفوسهم النقوش انهم ايكار الارواح فكما ارتسم منكم في نفوسهم يرسخ ولا ينسى حتى في الكبر ومن ذلك المثل (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) فاذا كانت نفوس الاحداث مطابع لنقوش احاديثكم فالاحرى اذن ان ترسموا خارطة الفضائل في نفوسهم ومهما حرصتم على التعليم والتربية فلا يذهب عن خواطركم ان التلميذ دونكم في المقدره ، دونكم في الطاقة ، كما هو دونكم في السن (ولا يكلف الله نفسا الا وسعها) فلا تكفروهم الا بما يطيقون فلربما الجأهم ذلك الى العصيان فيكون الذنب من الطفل وسببه المعلم فيعاقب التلميذ وهو برئ ... الخ " (٤٤٨)

ومثلها خطبة المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء الاقتصادية الاجتماعية السياسية التي القيت في احد جوامع مدينة الكوفة سنة ١٩٣١ مناشدا المسلمين فيها على وجوب الاعتماد على النفس والتخلص من تبعية الغرب الذي

(٤٤٣) " العلم " ، ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، العدد (٩) ، ص ٣٩٥ - ص ٣٩٧ .

(٤٤٤) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الدين والاسلام أو (الدعوة الدينية) ، صيدا ، ١٩١٢ ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٤٤٥) " اللسان " ، (مجلة) ، بغداد ، نيسان ١٩٢٠ ، العدد (٩) ، م ١٠ ، ص ٢٤٣ .

(٤٤٦) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ١٩٥٤ ، ص ٤٢٣ .

(٤٤٧) جمع منبر وهو الموضع أو المكان النبر بالصوت الذي يرفع به الصوت ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (الميم) .

(٤٤٨) مقتبس من الطوي ، محمد مهدي ، المصدر السابق ، ص ٣٤ - ص ٣٥ .

يحاول ربط العالم بافلاكه الاقتصادية تحت راية النظام الرأسمالي . والمصلحون النجفيون مدركون لهذه الحقيقة التي يحاولون ان يكشفوا للعامة عن خطرها وخطر الاسراف والتبذير المفرط اذ قال في خطبته " الاسراف والتبذير " : " ناهيك بالاسراف في المأكولات والمشروبات ، مما تجلبونها من الاجانب ... كلنا نسعى على هلاك انفسنا من حيث ندري ولا ندري ، وبهذا صار كل قطر من اقطار المسلمين يئن من مخالب الاستعباد ، ويرزح تحت نير الاستعمار ... والمسلمون ضعفاء في اوطانهم أسراء في نفس بلادهم ، اذلاء في عقر دارهم ، العز في الثروة ، فاذا ذهبت الثروة وما ملك الغرب الشرق الا بالصنائع ، وامتصاص ينابيع الثروة منه " ، وديننا الشريف جاءنا بكل المصالح التي تعود علينا بالثمرات وابان لنا ضرورة الاقتصاد ... " ان المبذرين اخوان الشياطين " (٤٤٩) و " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط " (٤٥٠) ، ... ايها الشبان البذخ جنون ، والتبذير تدمير ، والسرف تلف ، والتدبير عز وبركة ، اذا بقينا هذا الفقر وبهذه الذلة متى يمكننا النهوض ؟ مهما كان الامر فليحكم المعول ، والمستقبل اليكم ، ونحن راحلون . أ تدرن ماذا تعملون في أي اودية تهيمون " (٤٥١) .

ونادى في احدى خطبه الاصلاحية بحق العرب في فلسطين وبعروبة ارضها واصالتها محذرا من شرادم الصهيونية وسياستها الاستعمارية التي تحاول سلب كرامتها وعروبته فقال في مدينة القدس عند انعقاد المؤتمر الاسلامي سنة ١٩٣١ : " على طف (٤٥٢) جزيرة العرب ، وفي الجانب الغربي منها ، امة من الناس ... لسانهم لساننا ، ودينهم ديننا ، وكتابهم كتابنا وقبلتهم قبلتنا ، والدم الذي يجري في عروقهم من دمنا ودم ابائنا قد نشبت بهم منذ سنين اظفار (الصهيونيين) ومخالب الاستعمار ووقعوا بين ذا وذاك بين كابوسين ، بل بين طابقين من نار ... اخذت الصهيونية اراضيهم ، واستنزفت الاستعمار الغاشم اموالهم ، واجلوا الى شعب الجبال القاحلة حيث لا زرع ولا ضرع الخ " ، وقال " لو كان المسلمون امة لها قوة ومنعة وكالجسد الحي الصحيح الذي يتألم بعضه لبعض لكننا نغار عليهم وندافع عنهم بكل ما في جهدنا ، ولكن من اين وأنى ونحن كنا نقش الشوكة بالشوكة وצלعنا معها ؟ اريد ان اداوي بكم وانتم دائي " (٤٥٣) .

٣- الفتاوى الدينية :

والوسيلة الاصلاحية الاخرى التي لا يقل دورها عن بقية الوسائل الاصلاحية وهي " الفتاوى الدينية " ذات البعد الوطني او القومي ، المؤثرة في احساس العامة كونها لا تصدر الا ممن بلغ درجة من العلم والمقام بين صفوف علماء الدين ، فكانت ذات وقع كبير في دفع كثير من القضايا الاصلاحية ، واخراجها الى ميدان المواجهة بين فئات المجتمع . ومن تلك الفتاوى القومية الوطنية فتوى مساندة شعبنا العربي الليبي عند تعرضه للاحتلال الايطالي ١٩١١ وعجز الحكومة العثمانية عن الدفاع عن اراضيها ، فقد افتى المصلح محمد كاظم الخراساني بوجوب اتحاد المسلمين والدفاع عن وحدة اراضي ليبيا ونص الفتوى :

" بسم الله الرحمن الرحيم : من علماء النجف الاشرف الى كافة المسلمين الموجودين ومن جمعنا واياهم جامعة الدين والاقرار لمحمد (ص) سيد المرسلين ... السلام عليكم ايها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الاسلام : لا يخفى عليكم ان الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الاسلام وتغوره مما قام اجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه قال الله سبحانه : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) (٤٤) . هذه جنود ايطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من اعظم الممالك الاسلامية واهمها وخرابوا عامرها وابادوا ابنيها وقتلوا رجالها ونساءها واطفالها ما لكم تبليغكم دعوة الاسلام فلا تجيبون ؟ وتوافقكم صرخة المسلمين فلا تغيبون أ تنتظرون ان يزحف العدو الى بيت الله الحرام وحرم النبي (ص) والائمة عليهم السلام ويمحو الديانة الاسلامية . والدولة العثمانية عن شرق الارض وغربها الله الله في الرسالة الله الله في احكام الدين وقواعد الشرع المبين فبادروا الى ما افترض الله عليكم من الجهاد في سبيله واتفقوا ولا تفرقوا واجمعوا كلمتكم وابدلوا اموالكم وخذوا حذرکم " واعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " (٤٥٥) لئلا يفوت وقت الدفاع وانتم غافلون وينقضي زمن الجهاد وانتم متناقلون " فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " (٤٥٦) .

التواقيع

خادم الشريعة المطهرة

محمد كاظم الخراساني وآخرون " (٤٥٧)

(٤٤٩) " القرآن الكريم " ، سورة الإسراء ، آية : ٢٧ .

(٤٥٠) المصدر نفسه ، سورة الإسراء ، آية : ٢٩ .

(٤٥١) كاشف الغطاء ، عبد الحلیم ، قضية فلسطين في خطب الإمام الراحل محمد حسين آل كاشف الغطاء (مجموعة خطب الإمام الراحل في الدفاع عن

فلسطين وإرشاد المسلمين) ، نجف ، ١٩٦٩ ، ص ٤٥ .

(٤٥٢) الطف هي المنطقة المحاذية أو الحدودية لمكان معين ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (الطاء) .

(٤٥٣) كاشف الغطاء ، عبد الحلیم ، المصدر السابق ، ص ٤٧ - ص ٤٨ .

(٤٥٤) " القرآن الكريم " ، سورة التوبة ، آية : ٤١ .

(٤٥٥) " القرآن الكريم " ، سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

(٤٥٦) " القرآن الكريم " ، سورة النور ، آية : ٦٣ .

(٤٥٧) مقتبس من عبد الرحيم ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

٤- الرسائل الإصلاحية :

وهناك وسيلة اصلاحية اخرى لا يقل تأثيرها ودورها في المجتمع النجفي بخاصة والعراقي بعامة هي " الرسائل الإصلاحية " العلمية القائمة على اسانيد دينية وعلمية منطقية تقنع القارئ بما هو عليه من حياة بدع وظلام ورجعية . ومن تلك الرسائل (كنموذج) رسالة " تحريم نقل الجنائز " التي اطلقت سنة ١٩١١ ؛ التي تحاول اقناع العامة بمضار دفن جنازات الدول الخارجية الاسلامية بمقابر المدن المقدسة في العراق ، مستندة الى نصوص دينية ومنطق علمي يرفض نقل هذه الجنائز ودفنها في هذه المدن . فعنوانها على الغلاف الأول يدل على ماهيتها : " تحريم نقل الجنائز رسالة فقهية علمية اصلاحية حرة من مؤلفات الاستاذ الاكبر والعلامة المشهر فيلسوف الاسلام حضرة السيد (هبة الدين) الشهرستاني الافخم وقد عزرها الحسيني باحاديث للرسول (ص) وهي : " قال النبي (ص) (ان عند كل بدعة رجل من اهل بيتي يصد الناس عنها وقال (ص) (اذا كثرت البدع فليظهر العالم علمه ومن لم يفعل عليه لعنة الله) " ، وابتداء قبيل المقدمة بالدعوة الى ضرورة قراءة هذه الرسالة وسوغ دعوته الإصلاحية بقوله : " ما اردت غير الاصلاح ما استطعت " . واما المقدمة فقد وضح فيها مظاهر البدع والضلالات السائدة في المجتمع العراقي التي افرزت ظاهرة خطيرة (ظاهرة نقل الجنائز من مختلف البقاع الاسلامية الى الاراضي المقدسة في العراق) . ثم يستعرض الحسيني في رسالته خطورة هذه الظاهرة التي تحولت الى عادة سائرة وان تفسخت الجثث او تقطعت اوصالها . وما في ذلك من خطورة التسبب بانواع الامراض واصناف الجراثيم . وقد قدر بعض المسافات المدن المنقولة منها الجنائز بـ " مئات او الوف الاميال تشيعها ملايين الالوف من جراثيم الامراض والعلل وتصهرها الشمس ، وتحف بها الاهوية السامة البوائية وتشتع بالمواد السامة المضرة بالصحة العمومية " (٤٥٨) ، واسند الحسيني دعوته الإصلاحية بنداء لرسول الله محمد (ص) حينما اراد الانصار ان يحملوا جثث قتلاهم في غزوة احد إلى المدينة المنورة امر النبي (ص) مناديه فنادى " ادفنوا الاجساد في مصارعها " ، وفي الوقت نفسه عرض في رسالته اسئلة العامة واستفساراتهم حول الدعوة الإصلاحية التي اطلقها الحسيني ومنها السؤال اجابه بمنطق عقلي ومحكمة تاريخية استخرج منها الصواب ، وكان السؤال : " فما تقولون في خير اليماني الذي حمل جنازة ابيه من اليمن ليدفنها في ظهر الكوفة ولم يمنعه امير المؤمنين علي (ع) " والجواب : ان الرواية ضعيفة السند ثم ان اليماني لماذا لا يدفن ابيه الذي مر به بالحرمين الشريفين (مكة - المدينة) ، وهما على عتبة طريقهما للعراق ولماذا العراق بالذات ويترك تلك البقعتين الشريفتين ؟ وغيرها من الاجوبة المنطقية الخاضعة لاسانيد ومحكمات تاريخية تقنع السائل بهدف الرسالة الإصلاحية التي اطلقها المصلح محمد علي الحسيني (٤٥٩) .

ومن الرسائل المحرصة على التكاثر والتضامن للقيام بثورة تحريرية عراقية شاملة " ثورة ١٩٢٠ " : التي اعلن عنها ويؤيدها مجددا حينما نادى بضم القوى (الشيخ موحان الخير الله) من رؤساء عشائر المنتفك وتوحيد الصفوف الثورية . ونصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم : بعد السلام عليك وعلى كافة اخواننا المسلمين الحافين بك المنسوبين اليك ، لا يخفى لديكم ان جميع المسلمين اخوان تجمعهم كلمة الاسلام وآية القرآن والنبي الاكرم صلى الله عليه واله وصحبه فالواجب علينا جميعا الاتفاق والاتحاد والتواصل والوداد ، وترك الاختلاف ، والسعي في كل ما يوجب الائتلاف وتوحيد الكلمة وجمع شتات الامة والتعاون على البر والتقوى ، والتوافق في كل ما يرضي الله تعالى فانكم ان كنتم ممن خسر الدنيا والاخرة ولبس ثوب الذل والهوان مدى الزمان وذلك هو الخسران المبين وقاكم الله ذلك وجميع المسلمين ووفقكم لما فيه صلاح اموركم واصلاح شؤونكم ودفع كيد الحاسدين عنكم فانكم ان تنصروا الله للطاعة ينصركم انه قوي عزيز والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التوقيع

محمد تقي الحائري (٤٦٠)

(٤٥٨) الشهرستاني ، هبة الدين ، تحريم نقل الجنائز ... ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٤٥٩) المصدر نفسه ، ص ١٢ - ص ١٣ .

(٤٦٠) مقتبس من " الاقتصاد " ، (مجلة) ، كربلاء ، ٢٧ / حزيران / ١٩٣٥ ، العدد (٥٧) ، ص ١٩ - ص ٢٠ .

٥ - البدايات التمهيدية للمؤلفات (تقديم الكتاب) :

والوسيلة الاصلاحية الاخرى التي لا يقل تأثيرها ايضا عن الوسائل الاصلاحية السابقة هي (البدايات التمهيدية للكتب او الدواوين وغيرها من المصادر وخاصة الاصلاحية) ويسمى بعضها بـ " السوانح " ، او قد يبدأ بآية قرآنية ثم كلمة أما بعد ويبدأ المناشدة الاصلاحية قبيل المقدمة . وكذلك شأن تقاريف الكتب ، ودواوين الشعر والرسائل ، التي لا تخلو من نقد منهجي او رأي واضح عن الكتاب او دعوة اصلاحية مساندة او مخالفة لما جاء به صاحب المصدر . ومنها البدايات التمهيدية لكتاب (الدين والاسلام) للمصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء وسماها بـ " السوانح " فلم تكن سائحة من سوانحه لتخلو من دعوة اصلاحية أشبه ما يكون بدقات جرس في ثنايا المجتمع فضلا عن أنها تمهيدية للكتاب فهي دعوات إصلاحية ومدخل رئيس للكتاب ومنها السائحة الأولى التي تدعو الى العلم والعمل اذ قال : " ... والعمال بلا عمل كالاساس بلا بناء ، لا يزال صاحبه ضاحيا في وهج الشمس عرضه للصرف لا يعتم ان تمزقه نفحات الزمهير ولفحات الهجير من عواطف هذا الكون . تمزقه مجاذبة الحدثان بالاهمال . ولو اضلته ادفة القصور ، او انضمت عليه اجنحة النسور فالعلم والعمل هما المعينان بل العينان واليدان للرجل والرجلان هما الاداة لكل ساع الى سبل الغايات الحيوية بل السعادة الابدية فردا او اسرة ، جماعة او وحدانا ... الخ " (٤٦١).

وتحدث في سائحه الثالثة محذرا من العلمانية وبذورها واشكالها ويلقي اللوم على المصلحين لعدم القيام بواجبهم في صدها ومقاومتها والعمل على رقي مجتمعهم معللا شكواهم بالخوف المطبق على صدورهم اذ قال : " ... فلو سألتني ما سبب ضعف الدين في المسلمين لقلت زخارف الدنيا ونفوذ الروح الغربية التي دخلت فيهم وفرقت ما بينهم ومزقتهم كل ممزق وتركتهم يخربون صياصي الجسد الشريف ما الذي ساق هذا الهواء المسمم الى هذا الحصن الذي مر عليه ربح من الزمان وهو مطمئنت قلت عدم قيام المصلحين وسكوت الامرين بالمعروف والناهين . ولو قلت ما الذي اوجب سكوتهم عن تمزيق دينهم بترقيق دنياهم ، فلا هذا ولا ذاك قلت حسبك (في فيمي ماء وهل ينطق من في فمه ماء) (٤٦٢)

اظهرت الوسيلة الاصلاحية المتمثلة بعنصر الشعر دور متميز للتعبير عن معاني الاصلاح والتجدد ، وضحي الشعر النجفي ببعض الاساليب الفنية الشعرية لكي تعبر عن حاجة المجتمع ، فالمصلحون النجفيون لا يهتمون بشكل وهيكلية البيت الشعري ، بل يصبون جل اهتمامهم على المضمون المعبر عن ارادة الحركة الاصلاحية النجفية ، ويمتاز بدور فكري دقيق لأنه يستطيع ان يقلب ذات الفرد من واقع الى اخر بسحره وتأثيره ، وقوة مضمونه ، والشعر دليل صارخ على عروبة التيار الاصلاح النجفي وقوميته التي طالما اعلنها في كل موقف قومي يتجسد على الساحة العربية . وبعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ حاول الشعر الاصلاح ان يعبر ويوفق بين سرعة التمدن وبين ملامح الانسانية التي يفقد كثيرا منها مع متغيرات العصر ، واصبح الشعر الاصلاح مدرسة تاريخية لاستنكار الهمم والبطولات لتكون درعا حصينا للاجيال ومدرسة وطنية تناهض الاحتلال البريطاني وتعاقب كل من يتخلف عن الدفاع والجهاد ، ومدرسة اقتصادية ترفض الاقطاعية والاستغلال والتدهور بالثروة الوطنية ، ومدرسة تحشد القوى الوطنية وتعمل على اثارها بغية نيل حقوقها المشروعة ، ومدرسة تضمن الحقوق في ظل قانون الحكم الوطني ناقدة وساخرة من سلبيات الحكومة الوطنية . وكان هناك عنصر اخر هو التعبير الادبي الاصلاح في الصحف والمجلات العراقية الذي عمل على توضيح الغاية المنشودة من الاصلاح ، وهو امر لا يمكن نكرانه . اذ تأثرت هذه الوسيلة بالمقالات الفكرية التي ترد في صحف الاقطار العربية كمصر وسوريا ومجالاتها ، وما يميز المقالات الاصلاحية التي كتبت باقلام المصلحين النجفيين انها كتبت باسلوب فلسفي محاولة لارشاد الاذهان عن طريق محاوره القارئ وكأنهما متفقان او مختلفان حول امر ما . وكان هناك وسائل تثقيف مباشرة مع فئات المجتمع بالخطابة او المجالس او أي مكان اخر يكون المصلح وجها لوجه مع افراد المجتمع وتتميز بدور فعال في الاقتناع والترويج للمبادئ الاصلاحية فيما اذ اقترنت بالظروف المحققة لانعقادها واخرى تتعلق بصاحب الوسيلة كقوة الشخصية والاسلوب الرصين والحجة القوية وغيرها . وكانت هناك الرسائل الاصلاحية التي اطلقت للحاجة الى ردع بدعة او خرافة انتشرت بين صفوف المجتمع ، فهي كالرادع والرافض لهذه البدعة التي ما لبثت ان تنشر بين صفوف المجتمع ، وتمتاز هذه الوسيلة بفرديتها العمل لاجل ظاهرة معينة تحاول علاجها الا ان لها دور في توسيع نطاق قاعدة الحركة الاصلاحية النجفية ، وهناك وسيلة اصلاحية اخرى هي البدايات التمهيدية للمصادر ، وهي مكتوبة باقلام المصلحين يحاولون استغلال كل فرصة للتحدث عن حركتهم فمنها خطوات اولية للدخول الى مضمون الكتاب اذ تهيب ذهن القارئ ليتلقى فحواه وتكشف له عن محتواه او تمهيد يتحدث عن حياتهم وتجربتهم في صفوف الحركة الاصلاحية ، او تمهيد يوضح الغاية الاصلاحية في ظاهرة ما ، وتمتاز بفرديتها الكتابة . وبذلك قد وضعنا الارضية المناسبة لولادة ونشأة وادوات حركة التيار الاصلاح النجفي مما يدعونا الى الدخول في نشاطه ومحاولاته في اداء رسالته الانسانية مبتدئين من حيث التأثير المباشر والمنهجي في حياة المجتمع اقتصاديا اجتماعيا سياسيا .

(٤٦١) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الدين والاسلام ، ج ١ ، ص ١١ .

(٤٦٢) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الدين والاسلام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩ - ص ٢٠ .

الفصل الثالث

الدعوات الإصلاحية التي نادى بها التيار الإصلاحي النجفي

المبحث الأول :

الدعوات الإصلاحية

أولاً : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الاقتصادية

ثانياً : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الاجتماعية

ثالثاً : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب التعليمية

رابعاً : الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الصحية

المبحث الثاني :

الصراع الفكري بين تياري (الإصلاحيين والمحافظين) في النجف

الفصل الثالث

الدعوات الإصلاحية التي نادى بها التيار الإصلاحي النجفي

المبحث الأول - الدعوات الإصلاحية :

للواقع الاقتصادي دور مهم في تحديد شكل الحياة الاجتماعية وآلياتها فالمجتمع يتأثر بارتقاء ذلك الواقع وانحطاطه ، والى حد ما عاش الاقتصاد النجفي مدة التدهور وعدم الانتظام ؛ فالسيطرة الاستعمارية العثمانية الناهبة لثروات الشعوب والنظم الرجعية البالية التي يشجعها التيار القديم (المحافظ) - أثرت في واقع الاقتصاد النجفي ، وكان المصلحون النجفيون مدركين تخلف هذا الواقع وتدهوره ، فحاولوا بشتى الوسائل الارتقاء به الى مصاف الاقتصاديات المتطورة ، فالامكانيات الدافعة لهذا التطور متوفرة ، إذ إن مركز النجف تجاري جيد ، فالقداسة الدينية والموقع الجغرافي والجذب العلمي وغيرها من الأسباب جعلت مدينة النجف ذات موقع متميز بالتجارة ، إلا انها تعيش حالة عدم انتظام هذه الأموال ، فالواقع الصناعي متخلف يعتمد على الأيدي الحرفية البسيطة ونظم رجعية مسيطرة على الحياة الاقتصادية لا تسمح بإنشاء المصارف ولا المعاملات القائمة على مبدأ الربح والفائدة ، ووسائل النقل سيئة والحياة

المعاشية متناقضة قائمة على البذخ والسرف وسوء استغلال الثروة الى غير ذلك من المساوي التي تحط من الواقع الاقتصادي لمدينة النجف ، وحاول التيار الإصلاحى النجفى علاج هذه الأوضاع بوسائله المتعددة أملا في رفع الاقتصاد النجفى الى مرتبة متطورة وبالغة التقدم فيما تعتمد عليه من أساليب حديثة للمعاملات المالية والتجارية وقد أولى التيار الإصلاحى النجفى أهمية بالغة لعلاج الواقع الاقتصادى لأنه مدرك ما للاقتصاد وأشكاله من دور - سلبا أو إيجابا - على الحياة الاجتماعية في مدينة النجف .

وعلى الرغم من السميتين الدينية والعلمية اللتين تشتهر بهما مدينة النجف - فإنها تعيش حالة من سيادة بعض الخرافات والأوهام التي أصبحت بعضها فيما بعد سنة يجري عليها أهل المدينة حتى وإن كان على حساب صحتهم ، فتدهورت الأوضاع الصحية وانتشرت أمراض المجتمع من التمزق والتفكك ، وازداد الاهتمام بالشكل وترك المضمون وانتشرت الألقاب ، ولقدسية مدينة النجف وعلويتها أصبحت مرتعا خصبا للوافدة المهاجرة شأن هذا أن يترك انطبعا سينا ، إذ اختلفت المعايير والأوزان العربية الأصيلة وسادت ثقافات بعض منها داخل المجتمع النجفى ، وهذا ما أراد التيار الإصلاحى النجفى كشفه والتحذير منه ، وساءت الأوضاع التعليمية وبقيت على عهدها قديمة رجعية لا تواكب متغيرات العالم المتمدن وأحداثه ، فمن مساوئها حرمان المرأة من التعلم ، وهذا يفسر النظرة الرجعية للمرأة إذ ينظر إليها بدور ثانوي هامشي قائم على ظلمها وسلب حقوقها المشروعة في الحياة وغيرها من المساوي التي للأسف يشجعها التيار القديم المحافظ ويدافع عنها حتى إنه مستعد أن يدخل في صراع مع التيار الإصلاحى النجفى الذي يحاول تغيير بعض هذه المفاهيم وإصلاحها بوسائله المباشرة أو غير المباشرة .

أولا - الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الاقتصادية :

تتأثر النظم الاجتماعية بما فيها المفاهيم التربوية - بأساليبها وخطتها - بواقع النظام الاقتصادى ، والحياة الاقتصادية السائدة في مدينة النجف زاخرة بالعبء فوجد مرقد الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - الذي يزوره المئات من المسلمين فضلا عن زيارتهم للمواقع العبادية الأخرى :

- ١ - قبر كميل بن زياد وكان هذا من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - ويبعد قبره أقل من ميلين عن مدينة النجف ويقع على مسافة قريبة من طريق نجف - كوفة .
- ٢ - الحنانة : وتبعد عن مدينة النجف بميل واحد وهي بناء مربع الشكل له مصلى وفي وسطه شباك مبني من الطابوق الفخاري يؤمه الناس يوم الجمعة لاعتقادهم أن هذا المكان وضع به رأس الإمام الحسين بن علي - عليه السلام - بعد واقعة كربلاء فتحنى رؤوس المارة له .
- ٣ - قبر النبيين هود وصالح : في الجهة الشمالية من مدينة النجف وهو بناية مستطيلة الشكل تنقسم من الداخل على قسمين الأول ساحة المحل والثاني غرفة فوقها قبة زرقاء .
- ٤ - مقام المهدي : ويقع هذا المقام في الجهة الشرقية من مدينة النجف وهي بناية واسعة لها قبة زرقاء يقال أنها محل للمهدي بن الحسن العسكري - عليهما السلام - .

فكان لهذه الأماكن العبادية دور في زيادة نبض المدينة التسويقي والمالي ، فضلا عن كثرة البيوت المالية الغنية التي تتصل بمعاملاتها التجارية مع أنحاء مدن الفرات وبغداد وقراها بما ذلك معاملاتها التجارية مع بعض الدول خارج العراق^(٤٦٣) . والواردات المالية التي تصل الجامعة الدينية (الحوزة العلمية في النجف) باسم التبرعات والفرائض الشرعية من (خمس وزكاة وغيرها من الحقوق) ، ولا يقتصر الأمر على العراق وإنما حتى عن طريق البلدان الإسلامية (لبنان ، ومصر ، ودول الخليج العربي ، وأفغانستان ، والهند ، وإيران ، وغيرها من الدول) ، وخير تعبير عن ضخامة هذه الواردات التي وصلت في زمن المرجع الديني المصلح أبو الحسن الموسوي^(٤٦٤) إذ بلغت ما مقداره (ستمائة ألف دينار في بداية العشرينات من القرن العشرين) حتى وصف هذا المبلغ " الأمير عبد الله بن الحسين ملك الأردن " بالدهشة إذ قال : " إن وارد السيد أبو الحسن الموسوي يزيد على واردات بعض الدول " ^(٤٦٥) . والمثال الآخر على زخرة وواردات مدينة النجف هو " خيرية أودة " التي تسلم بيد الشيخ (حسن الجواهري) وتقدر "

(٤٦٣) " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ٢٦ / أيلول / ١٩٣٤ ، العدد (٣٥) ، ص ٩ ؛ البراقى ، (حسين) ، الدرّة المضيئة في ذكر الحنانة والثوية ، مخطوطة ، ورقة (٢) ، (محفوظة بمكتبة للدكتور حسن عيسى الحكيم) ؛ الأسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

(٤٦٤) هو السيد أبو الحسن بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد الموسوي ولد في إحدى قرى أصفهان ، قرأ = المقدمات فيها وكان أبرز اساتذته السيد محمد الكاشاني الذي قرأ عليه العلوم العقلية ، هاجر إلى العراق ليحضر على علماء العراق وكان وروده إلى النجف في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأقام في كربلاء سنة ١٩١٨ وبعد وفاة زعيم طائفة الشيعة السيد محمد كاظم اليزدي رشح نفسه للزعامة الدينية وبنفس الوقت نافسه الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء وطار صيته في العراق وإيران وأفغانستان ، وهو مؤيد للتيار الإصلاحى النجفى وبخاصة في سنوات العشرينات من القرن العشرين توفي في مدينة الكاظمية سنة ١٩٤٧ . حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٤٦٥) أحد خدام الشريعة المقدسة ، الإمام السيد أبو الحسن ، النجف ، ١٩٤٨ ، ص ١٠٧ .

بمائة وواحد وعشرين ألف روبية سنويا^(٤٦٦). فضلا عن هجرات الأسر من مختلف البلدان الى مدينة النجف طالبة العلم فقد أغنت مدينة النجف بثرواتها والأموال التي تستحصلها من بلدانها بين مدة وأخرى ، واصبح منهم فضلا عن كسبه التعليم مهن (التاجر ، والعامل ، وغيرها)^(٤٦٧).

والمورد المالي الآخر الذي تزخر به مدينة النجف هو موقعها التجاري على الطرق الرئيسية المؤدية الى مدن (الحلة ، وكربلاء ، والديوانية) ، وبسبب كثرة الوافدين الى هذه المدينة ووقوعها على هذه الطرق صارت مدينة النجف ذات حركة رائجة في ميادين التجارة ، فضلا عن موقع البادية الجنوبية وتماسها مع البادية الشمالية التي تصل مدينة النجف بحدود السعودية من جهة والرطبة من جهة اخرى والى السلطان في السماوة من جهة ثالثة ؛ لذلك فان طريق الحج البري يخترق البادية الجنوبية من غرب مدينة النجف حتى حدود منطقة عرعر عند الحدود السعودية عن طريق (الرهيمية والصف) ، فكان لهذه القوافل السنوية دور في رواج حركة التجارة النجفية التي اعتاد الحجاج أن يزورها. يسانده المنخفض الكبير الذي يسمى (منخفض بحر النجف) والذي يتميز بزراعة الخضروات والمزروعات الأخرى والذي يسقى من نهر أبي صخير وبحر النجف وهو مشتهر بخضرة زرعية مستمرة ، والتي أظهرت أهمية مدينة النجف الاقتصادية من حيث توفر المنتجات الزراعية والحيوانية وبخاصة أن المياه الجوفية تؤثر في سقي مزروعات ذات مساحات واسعة^(٤٦٨). وهناك موارد اقتصادية أخرى توفر مبالغ عالية وتسبب روجا تجاريا لمدينة النجف وهي ما تعرف بـ " ترابية أرض النجف " أو " القبور " ؛ فبالرغم من الأرباح التي تستحصلها الحكومة العثمانية أو الوطنية من الرسوم المفروضة على الجنائز القادمة الى مقابر النجف (ليس الخارجية فحسب بل وحتى العراقية) ولكن بنسب أقل . فحركة الجنائز دور متميز في تنشيط الواقع التسويقي للمدينة وبخاصة إن أسر (الجنائز) تكرر الزيارات الدورية على أمواتها سنويا ، أو بين مدة وأخرى . والوارد الآخر هو الصناعات الحرفية التي اشتهرت بها مدينة النجف وأهمها (النسيج) وخاصة العباءات الرجالية الصيفية والشتوية ، وصناعة (الكوفيات) ، وصناعة (البسط) إلا أنها تقتصر الى وجود المكين الحديثة إذ أغلبها صناعات يدوية^(٤٦٩).

تدخل التيار الإصلاحية النجفي في النظم الاقتصادية السائدة في مدينة النجف اذ اراد نظاما اقتصاديا يتكفل بحل المشاكل الانسانية ويبرمج الحياة المتوازنة الخطوط^(٤٧٠). وعلى الرغم من العطاء المالي الذي تتمتع به مدينة النجف فإنها ضعيفة في مجال الصناعة ولم تشهد تقدما ملحوظا في خط الصناعة^(٤٧١). بل كان الركود يخيم على صناعة العراق بشكل عام التي يصفها نظمي : " حتى عام ١٩١٠ كانت الاوضاع الصناعية في العراق (بدائية) وفي حالة الانحلال والتدهور "^(٤٧٢). بل كان العراقيون مهتمين بالاوضاع السياسية اكثر من الاقتصادية التي كانت ضعيفة^(٤٧٣). ويمكن تلخيص حالة الصناعة العراقية في هذه المدة الى الاسباب الآتية :

١. السيطرة العثمانية المركزية وعدم فسح المجال لنمو رأسمال محلي .
٢. تغلغل الشركات الصناعية الغربية ووضعها العراقيين امام قيام أية صناعات محلية ، وذلك للحصول على امتيازات اكثر .
٣. ان معظم الصناعات التي قامت في العراق كانت لتلبية احتياجات القوات العسكرية العثمانية لا لغرض خلق صناعة وطنية^(٤٧٤).

أكد المصلحون النجفيون وبصورة مستمرة أهمية دور الصناعة وضرورة تقدمها في ميدان الحياة الاقتصادية ؛ فمن دعواتهم الإصلاحية وبالاسلوب الإصلاحية الوعظي المؤكد على الاهتمام بالمجال الصناعي ما نشره المصلح محمد علي الحسيني من خطبته الإصلاحية^(٤٧٥) في مجلة العلم اذ قال : " لا تغفلوا عن الصناعة ، اتخذوا غلاتكم لبلادكم فإن في ذلك غناكم وثروتكم ، ونمو اموالكم ، من اجل الامور الضرورية لدياركم ... كالات اخراج الحب من القطن وتربية دودة الحرير ودباغة الجلود وغيرها "^(٤٧٦).

^(٤٦٦) حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٨ ؛ محبوبه ، جعفر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥١ ؛ الأسدي ، حسن ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

^(٤٦٧) التميمي ، محمد علي جعفر ، مشهد الإمام أو مدينة النجف ، النجف ، ١٩٥٤ ، ج ٢ ، ص ٦ .

^(٤٦٨) " العدل " ، ١٨ / نيسان / ١٩٦٥ ، العدد (٢) ، ص ١٣٨ .

^(٤٦٩) " الاقتصاد " ، بغداد ، ٧ / تشرين الأول / ١٩٣٤ ، العدد (٤١) ، ص ٩ .

^(٤٧٠) " لواء الأخوة الإسلامية " ، (صحيفة) ، بغداد ، ٥ / شباط / ١٩٥٩ ، العدد (٣) ، ص ٣٠ .

^(٤٧١) الارحيم ، فيصل محمد ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

^(٤٧٢) وميض جمال ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

^(٤٧٣) " الاقتصاد " ، بغداد ، شباط / ١٩٣٣ ، العدد (١) ، ص ١ .

^(٤٧٤) ياسين ، نمير طه ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

^(٤٧٥) ألفت هذه الخطبة ذات المعاني الإصلاحية الاقتصادية السياسية بجامع عمران في مدينة النجف في الأول من شباط من سنة ١٩١١ ، وعلى مسامع أكثر من ألفي رجل بمناسبة عيد الغدير ولأهميتها تعدد منشدها نشرها في مجلته الإصلاحية " العلم " لكي تعم الفائدة للجميع . " العلم " ، ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، العدد (٩) ، ص ٤٠١ .

^(٤٧٦) المصدر نفسه ، ص ٤٠١ .

وحاول المصلح الحسيني زرع بذور الثقة بالصناعة الوطنية وترسيخ فكرة اعتماد المواطنين عليها فقال في خطبته: " قلنا لكم اقنعوا بمنسوجاتكم ومصنوعاتكم ليكثر منكم الزراعيون والصناعيون^(٤٧٧) وتخسير تجارة العدو في اسواقكم وتكونوا اغنياء بعد ما صرتم فقراء ولتقدروا على نزال الاعداء ومباراة الرقباء فهل انتم سامعون مستعدون؟؟"^(٤٧٨)

وحاول التيار الاصلاحى النجفي اعانة الحياة الاقتصادية في مدينة النجف فاباح الاعمال الصيرفية في المصارف بما تشتمل عليه من ارباح بسيطة لتوقف التجارة عليها في تطورات العصر . وخير مفجر لهذه المسألة المصلح محمد علي الحسيني الذي يرى بهذه الطريقة من التعامل التجاري " الوسيلة الوحيدة لانتظام مالية وارتقاء تجارتها النوعية بل واكد ان استقلال الدولة وانتظام الحكومة قائم على امر (الارباح الربوية) " ، وتلخصت دعوات المصلحين النجفيين بانشاء مصرف مالي يعمل بمبدأ الفائدة المالية . مؤكداً : " ان قوام كل حكومة بقوتها المالية واسباس هذه القوة العظيمة هي التجارة بجميع اصنافها حتى الزراعة والصناعة التي لا تستقيم الا على محور المصارف"^(٤٧٩)

نادى المصلحون النجفيون بضرورة تجديد الافكار الاقتصادية بما يلائم تطور الزمن ومواكبة تقدم الامم ورفيها اذ دعا (المصلح عبد المحسن شلاش)^(٤٨٠) قبيل الحرب العالمية الأولى

(٤٧٧) في النص الأصلي " الزراعون والصناعون " .

(٤٧٨) " العلم " ، ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، العدد (٩) ، ص ٤٠١ .

(٤٧٩) " العلم " ، ٢٥ / أيلول / ١٩١١ ، العدد (٤) ، ص ١٧٥ ؛ كمال الدين ، محمد علي ، ذكرى السيد عيسى آل كمال الدين ، بغداد ، ١٩٥٧ ، ص ١٠ .

(٤٨٠) يعد واحد من أبرز رجال حركة التيار الاصلاحى النجفي ويمكن أن نسميه المصلح الاقتصادي الأول في مدينة النجف كان من التجار العارفين بمقتضيات التطور ، ومستوعب النظريات الاقتصادية وما يصلح لها (للنجف) كان لديه مزاج اقتصادي كبير ويدرس الأمور والأوضاع ودراسة كل ظاهرة اقتصادية يشعر لها مساس بالأمور الاقتصادية فكثر علاقاته مع مختلف الطبقات من المهندسين والفنيين والتجار وأرباب الحرف وانتشرت سمعته في أوساط الفرات التجارية كان وكيلاً للبنك العثماني في النجف ويقبل الكثير من الحوالات من مختلف الجهات من الخارج كأستانبول وبيروت وإيران والهند والخليج العربي إضافة الى المدن العراقية ، ساهم بالثورة العراقية ١٩٢٠ ويعد من أنشط السياسيين في نظر الحكومة البريطانية الخليلي ، هكذا =

الى ربط مدينة الكوفة بمدينة النجف بسكة حديد بدلا من العربات القديمة التي تجرها الخيول وهو في حقيقة الامر ادراك لما لمدينة الكوفة من اهمية تجارية بالنسبة لمدينة النجف ، فهي المدينة التي تقع على فرع نهر الفرات الذي تصل بوساطته حاجات مدينة النجف ومتطلباتها التجارية وتصرف عن طريقة تجارة النجفيين عبر البواخر العائمة في نهر الكوفة ، فضلا عن وجود المرقد العلوي " مسلم بن عقيل عليه السلام " الذي ساعد في نمو السياحة الدينية لمدينة النجف وازدهارها^(١) .

وشدد المصلح محمد علي الحسيني على نبذ تقليد غربي تسرب الى المجتمع العراقي وعمل على سلب امواله فضلا عن عدم انسجامه مع الواقع الاجتماعي في العراق . ففي سياقات التفتيش عن مساوئ المجتمع الغربي انتقدت (مجلة العلم) حياة البذخ والسرف التي تحياها المرأة الغربية وما تسبب من عبء تثقل على الرجل ، وابتدت خوفها من انتشار هذه الظاهرة الى مجتمعا فنشرت : " اصبحت البرانيط^(٢) في هذا العصر مشكلا مهما للرجل والمرأة ، للرجل بسبب كونه هو المسكين المضطر الى دفع ثمنها المتزايد يوما بعد يوم . وللمرأة بسبب علمها ان تمامها في الهيئة الاجتماعية موقوف على البرنيطة اكثر من سائر الشباب ، في ذلك ان السيدة التي تريد ان تكون كاملة في لبسها يكون لديها برنيطة مناسبة لكل بدلة ! ، كما انه يكون لديها بدلة مخصصة لكل وقت !! "^(٣) .

ونادى المصلحون النجفيون بأداء فروض الزكاة مؤكدا ان الصلاة والزكاة توأم في كتاب الله المجيد ولكن المسلمين يفرقون فيصلون ولا يزكون اموالهم ، لان الصلاة لا تكلفهم مصرفا والزكاة عبادة مالية^(٤) .
تعتمد الاحتلال البريطاني اغراق الاسواق العراقية بالبضائع المستوردة وخير متضرر هو الفلاح بسبب اعمال السخرة والضرائب واثرا في هبوط المستوى المعاشي . وطالب المصلح علي الشرقي اصلاح اوضاعهم اذ قال :

يا محنة الفلاح اكدي وقد
وغرسه مدميه كفها
من لم اشواك وأحطاب
فنبهته دقة الباب

من ذا على الباب ومن دقه
والعين لم تهجع ... انا الجابي^(٥)

وتعتمد الاحتلال البريطاني سحب الفلاحين من حقولهم وقراهم لاستخدامهم في الاعمال التي يتطلبها الاحتلال العسكري حتى اصبح مثل هذا العمل الاجباري من اهم الظلمات التي كان يشكي منها السكان ضد السلطات البريطانية فضلا عن ما ادت اليه من نقص في المحصول الزراعي ، بعد ان فقدت الاراضي فلاحيتها اولا ، وتضررت الاراضي الزراعية نتيجة المعارك الحربية ثانيا^(٦) .

وسبب اهتمام الحركة الاصلاحية النجفية بضرورة اصلاح الاوضاع المعاشية للفلاح واصلاح القرية لان القرية العراقية بشكل عام تشمل الاغلبية الساحقة للسكان آنذاك الامر الذي يجعل من هذا الحقل المهم فرضا في اصلاحه تفرضه سنة الحياة ، بسبب اعتماد وجهة الانسان العراقي متركزة وبشكل كبير على ما ينتجه الريف من صنوف الحاصلات الزراعية والحيوانية حتى اصبح من الضروري ان يكون التلازم بين القرية والمدينة وثيقا^(٧) .
استغرب رجال الحركة الاصلاحية النجفية من التصرفات اللاأخلاقية التي يمارسها بعض تجار مدينة النجف من الغلاء الفاحش في الاسعار فقد استغلوا ظروف الاحتلال البريطاني للعراق ، بل انهم استغلوا الزائرين العراقيين او الاجانب لمدينة النجف ، فاطلق الشاعر خضر القزويني^(٨) قصيدة تعاتب تجار مدينة النجف وتلومهم على تصرفاتهم الجشعة الانتهازية اذ قال :

ما بال تجار قومي
وللفقير حنين
قلوبهم لا تلين
بجنبهم وانين^(٩)

= عرفتهم ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٧ - ص ١٧٨ .

(١)

المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .

(٢) يقصد بها القبعة التي ترتديها النساء وهي قادمة من الكلمة العربية " البرنس " . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة " البرنس " .

(٣) " العلم " ، ٢٠ / كانون الثاني / ١٩١٢ ، العدد (٨) ، ص ٣٦١ - ص ٣٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢٥ / أيلول / ١٩١١ ، العدد (٤) ، ص ١٦٥ .

(٥) ديوان عواطف وعواصف ، ص ٨٧ .

(٦) الحبوبي ، أنور علي ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٧) الجميل ، مكي ، مباحث في الإصلاح ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ٩٢ .

(٨) ولد سنة ١٩٠٥ وتعلم فنون الشعر وهو في مقتبل العشرين وكان من الشباب الذين يشملهم التجديد ، اعتنق الخطابة وأصبح خطيبا إصلاحيا فضلا عن كتابة الأشعار في الرثاء والتاريخ والغزل والوصف والاجتماعيات والسياسة . ينظر الخاقاني ، شعراء ... ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٥٩ - ص ٣٨١ .

(٩) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٨٠ .

وتضرر التجار النجفيون وتكدست بضائعهم ، وتوقفت بعض معاملاتهم التجارية بسبب استيلاء البريطانيين على مدينة البصرة التي تمر بها اغلب تجارة الاستيراد والتصدير العراقية و عبر التيار الاصلاحى النجفي عن مساوى الاوضاع الاقتصادية التي ضربت اطناب العراق رغم ما يتمتع به من خيرات وموارد الا انهم " خدعوا " على حد تعبير الشاعر محمد مهدي الجواهري اذ قال :

اسفا تبيت رباك ، وهي مدرة
الرزق ، رهن الفقر و الاملاق
خدعوك اذ سموا قيودك حلية
ما أشبه الاصفاد بالاطواق^(١٠)
ودعا المصلح علي الشرقي^(١١) الى ضرورة الاهتمام بالثروة الزراعية الزاهرة^(١٢) بها ارض العراق ، وبخاصة

واردات النخيل التي اخذت تتناقص حتى اخذ يسخر منها " بأن لا تكفي سد حاجة سكان بغداد وحدهم " اذ قال :

أ ترى الجذع نافعا ببلادي بعد هذا المنسوج المصنوع
كل تمر العراق ان اخصب العام
اجذب النخيل في العراقيين
أ يكفي بغداد في اسبوع
حتى الجذع يشكو الى البصير السميع^(١٣)
ووقف المصلح محمد باقر الشيبيني موقف المنتقد الراض لسياسات الحكومة الوطنية غير الاقتصادية وعاتبها على ما هي عليه من تذبذب في الاموال واسرافها في اللهو والطرب بل اصبحت امة عائرة مبذرة ولا اقتصاد قوي ولا جيش قوي اذ قال :

انظر اليها امة حائرة
كم قيل عنها انها ساهرة
لكن لاجل الغانيات الملاح
بما اصيبت من بليغ الجراح
حارت وحق ان ترى حائرة
لا تعرف المفسد من ذي الصلاح
يا حسرتاه اصبحت عائرة
لا مال لا علم لها لا سلاح^(١٤)
انتقد التيار الاصلاحى النجفي الاوضاع الاقتصادية السيئة التي يعيشها معظم سواد العراق وعلى الرغم مما يمتلكه من الموارد ، ووسائل الخير والرفاه ، الا انه بقي يعيش في اقصى صور الاهمال والتخلف والتأخر ، وسوء الاوضاع المعاشية ، واتهم المصلحون النجفيون " المخططات الاستعمارية " في النهب والسلب والتي كان لاهالي بغداد " رجال السياسة " دور في هذا التدهور الاقتصادي في سبيل ديمومة منافعهم الشخصية . فأنتد علي الشرقي سنة ١٩٢١ منددا بالاوضاع الاقتصادية :

هل تدري سكان القصور
كم من غريق في العراق
بحال سكان العرايش
وكم بجنب النهر عاطش
ان كان مات الاخفشان
ففي سياستنا اخفش^(١٥)
ونادى التيار الاصلاحى النجفي من خلال صحيفة " النجف " بضرورة معالجة الاوضاع الاقتصادية المزرية التي يعاني منها مجتمع مدينة النجف وهي اوضاع " الفقر " وبخاصة موضوع البطالة الذي بلغ شانا كبيرا وبالغ الأثر في سوء الأوضاع المعاشية لمدينة مقدسة كالنجف^(١٦) ، حتى بالغت في عددهم إذ جزمت إن عدد نفوس مدينة

(١٠) ديوان الجواهري ، ص ٧٩ .

(١١) هو أحد أنجال جعفر بن الشيخ محمد حسن الشرقي ، وأشهرهم علما ونبوغا ولد بمدينة النجف ١٨٩٠ توفي والده وهو بعمر السنتين فتربي في ظلال الحوزة العلمية بعهد المرجع الديني حسن الشيرازي وعنى بتربيته أخواله من آل الجواهري درس على يد المصلح محمد كاظم الخراساني وعلى يد زعيم المحافظين محمد كاظم اليزدي وهو مؤيد الحركة الإصلاحية النجفية وأرائها في التجديد والتحديث . للمزيد من التفاصيل ينظر : الشرقي ، حمدي ، تاريخ الأسر الخاقانية في النجف ، النجف ، ١٩٦٢ ، ص ١٠٧ .

(١٢) إن الدين الإسلامي نفسه يدعو للاهتمام بالثروة الزراعية كمصدر اقتصادي ثري . فمن آيات القرآن الكريم التي تدعو الى الاهتمام بمصادر الثروة الزراعية قوله تعالى : " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أ فلا يشكرون " ، " القرآن الكريم " ، سورة يس ، الآيات : ٣٣ - ٣٥ .

(١٣) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٢ .

(١٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(١٥) ديوان عواطف وعواصف ، ص ٦٢ .

(١٦) " النجف " ، ٢٧ / كانون الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٦) ، ص ١ .

النجف يربو على الأربعين ألف نسمة نصفهم يعاني البطالة^(١٧). ولا يوجد علاج يدرؤون به خطرهما الزاحف^(١٨). وطرح موضوع استغلال الأغنياء للفقراء إذ انتقد المصلح علي الشرقي في رباعياته الفقر واستغلال الفقراء قال :

لا توقظوا طيري عساه ينام في حلم لطيف ذهب الربيع
فنام ينتظر الهبوب من الخريف وترفعا فديت عش الطير
بالقصر المنيف آه قصور الأقوياء نهضت من
كد الضعيف^(١٩)

ونادى المصلحون النجفيون بتطوير الصناعات الوطنية . ومنها " صناعة المنسوجات العراقية " وغيرها . إذ يقترن تطوير الصناعات الوطنية بمعان سياسية واقتصادية : فهي تتضمن استقلال البلاد ورفقيها وتقدمها ، وإبقاء الأموال في خزائنها ، وتضمن " الاستقلال الاقتصادي " من جهة أخرى^(٢٠) .

وخير ما دافعت عنه صحيفة النجف " الصناعات الحرفية في العراق " التي تتعرض الى كساد بضائعها لعدم استطاعتها مجارة الصناعات الأجنبية ولا سيما المنسوجات منها . الأمر الذي يضر البلاد مرتين فيما لو أهملت " الأولى " : اضعاف الصناعة المحلية ، " الثانية " : تسرب الأموال العراقية الى الخارج ، وشجعت الصناعة الوطنية إذ نشرت : " إذا امعنا النظر الدقيق في شبح مصيرنا الاقتصادي الذي لا مندوحة لنا من الوصول اليه ما دام سيرنا مستمرا على هذه الخطة المخطئة (خطة الاقبال على كل شيء اجنبي) ، ونحن غير ملتفتين ولا منتبهين الى وجوب معاضدة ومساعدة ما تنتجه انامل العراق من مصنوعاته وسلعه وبضائعه ، الى كل ما يعود نفعه ونمائه وربعه على البلاد وخزينة الدولة التي تضمن لها الاستمرار مئات السنين الا ان البضائع العراقية هي مما لا ريب منه ، تضيف القرش العراقي الى الصندوق العراقي "^(٢١) .

استمر التيار الاصلاحى النجفي بالتشكيك حول مصير الاموال الشرعية المرسله من الهند (خيرية اودة) لمدينة النجف ، اذ طالب المصلحون النجفيون ومنهم (علي الشرقي ويوسف رجب) عام ١٩٢٦ بتنظيم عدة قوائم تقدم الى لجنة خاصة تعمل على توزيع عادل لهذه الاموال التي ترد مدينة النجف كل عام باسم " الفقراء " ، وبرروا مطالبهم التي استجابت ونجحت بسبب : " اشاعة قائله ظهرت بأن الفقراء لن يصيبهم من هذه الاموال الوافرة الا قسط قليل وهذا خلاف المروءة والانصاف بينما يتسرب الكثير الى جيوب غير محتاجة "^(٢٢) .

واكد المصلح يوسف رجب في منبره الاصلاحى (صحيفة النجف) ان علاج العلل الاقتصادية والاجتماعية ونواقص الصناعة والتجارة يكمن في شيئين أولهما : " الاستخدام الامثل للأموال " ويقصد اخراج الاموال من مضاجعها ، وتوعية الاغنياء بحاجة العصر ، وتوحيد جهودهم في مسار انشاء صناعة وتجارة وطنيتين ترفعان شأن بلدهم . والعامل الاخر " الرجال العاملون " ؛ فيوسف رجب ينتقد طبقة العمال الذين اصبحوا عاطلين جامدين غير شاعرين بما تحتاجه الامة من جهودهم بل انهم منطرفون عن الاعمار والبناء^(٢٣) .

واستمر رجب بدعوته الاصلاحية ، اذ نشر مقال : " دواء دائنا الاقتصادي اتخاذ الوسائل السديدة المستعجلة " فاكد ضرورة وضع التجارة الوطنية بالمقام الأول وعدم الاعتماد الكلي والكامل على التجارة الاجنبية من منسوجات ومصنوعات الى سائر المنتجات الكمالية وغير الكمالية ذات الاسواق الرباحة التي يشبهها ب " المعول " الذي يقلص خزينة الحكومة الوطنية المالية . ودعا الى " الانقلاب الاقتصادي " بقيام مجموعة من الاصلاحات الاقتصادية القائمة على قاعدة التطور والارتقاء الفنى الانتاجي^(٢٤) . ودعا الى انشاء المجالس الاقتصادية والفروع الانتاجية لكل من لديه خبرة واطلاع بامور الاقتصاد ، ودعا الناس الى التقليل من كماليات العيش والتأنق ، وتشجيع المنتجات الوطنية عن طريق الدعوة الى شرائها بدافع وطني قبل ان يكون شخصي ، اذ قال : " ان واجبه الوطني [العراقي] وفرض وطنيته يضطره الى شذازر المنتجات الوطنية ، والتقصم بقصيصها مهما كان خشنا وغلظا وبشع المنظر لان بها - لا بسواها يفعم صندوق امته ليكون في حرز سياج من الافتقار الى الدولة الاخرى "^(٢٥) ، وهذا يتوافق مع انتقاد المصلح محمد جواد الجزائري تشكيل وزارة الاقتصاد [المالية] العراقية سنة ١٩٢٧ عندما وجدها اسما على غير مسمى بعدم

(١٧) يبدو أن المصلح يوسف رجب قد بالغ في حساب عدد العاطلين في مدينة النجف " عشرون ألف عاطل " فأين حساب الأطفال والشيوخ والنساء وطلاب العلم الذين يحتلون ثقلا كبيرا داخل النجف وهؤلاء غير منتجين ، إلا أن هذا الرقم يشير الى مدى تفاقم وتضاعف نسبة البطالة وسوء الأوضاع المعاشية في مدينة النجف آنذاك .

(١٨) " النجف " ، ٢١ / كانون الأول / ١٩٢٧ ، العدد (٧١) ، ص ١ .

(١٩) المصدر نفسه ، ١٠ / كانون الأول / ١٩٢٧ ، العدد (٦٥) ، ص ١ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ٣ / آب / ١٩٢٦ ، العدد (٥٢) ، ص ١ .

(٢١) " النجف " ، (صحيفة) ، ١٤ / كانون الأول / ١٩٢٧ ، العدد (٦٩) ، ص ١ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ٢٥ / أيار / ١٩٢٦ ، العدد (٤٢) ، ص ٢ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ١٠ / كانون الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٥) ، ص ١ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ٢٦ / كانون الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٦) ، ص ١ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ٢٨ / كانون الأول / ١٩٢٧ ، العدد (٧١) ، ص ١ .

تصريف المنتجات العراقية ورفع المستوى الزراعي والصناعي وتدني مستوى الانتاج ، إذ قال في قصيدة " مسرح الخيال " :

بيد أن السهاد من طبع عنيب
أنا عبد الهوى وسيان غبي
فكان الهوى حكومة شعبي
لك ومن لاعج الغرام سهادي
حول أعواد عرشه ورشادي
وكأني وزارة الاقتصاد^(٢٦)

والتفت المصلح يوسف رجيبي الى حالة سلبية غير مشجعة للواقع الاقتصادي ، وهي عزوف الرأسمال المحلي عن الانخراط في الأنشطة الصناعية لمخاوف غير مبررة كإفلاس المشروعات وطالب رجيبي اثرياء البلاد بضرورة استثمار اموالهم ببناء صناعة وطنية قوية^(٢٧) .

وتأثرت مدينة النجف بالازمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩^(٢٨) ، فارتفعت درجات الكساد وانخفض معدل الزائرين للمدينة من العراقيين والاجانب ، وساءت الاحوال المعاشية في المدينة^(٢٩) ، واتهم الشاعر محمد مهدي الجواهري رجال التيار المحافظ " المستبدة " بالسرقة والنهب الذي يمارسونه بانتظام والذي كان عاملا مساعدا في تدهور الأوضاع المعاشية فضلا عن الازمة الاقتصادية العالمية ؛ ففي قصيدته " الرجعيون " يتهم رجال المستبده (المحافظين) بسراق (الحقوق الشرعية) ويسخر من سلوكهم في الرقي والتقدم الذي ظهرت عليه جارات العراق " تركيا " ، حتى جزم " الجواهري " بأن الكثير من الأموال تجمع لشخص واحد وحوله (الألاف) من الناس حلت عليهم الصدقات والمعونة ورجل الدين لا يأبه بهم وتجلت السخرية على " باب شيخ المسلمين (في مدينة النجف) " تكدست الحبياع على بابه تحاول الحصول على لقمة العيش من حقوقها المسلوبة - بل ويدعو الى الدخول الى بيت هذا المتدين فتجد " الانس والشهوات " وهذا الامر مؤلم فانه لا يضاويه بالخداع والمكر والاستبداد لا سياسي مراوغ ولا اقتصادي انتهازى سوى مرتزقة جشعة تمارس حياتها بالدجلة والنفاق اذ قال الجواهري :

ألم تر ان الشعب جل حقوقه هي اليوم للأفراد ممتلكات ؟
مشت كل جارات العراق طموحه سراعا ، وقامت دونه العقبات
أ تجبي ملايين لفرد ، و حوله الوف عليهم حلت الصدقات ؟ !
على باب " شيخ المسلمين " تكدست جياع علتهم ذلة وعراء
هم القوم احياء تقول كأنهم على باب " شيخ المسلمين " موات
يلم فتات الخبز في التراب ضائعا هناك و احيانا تمص نواة
بيوت على ابوابها اليوس طافح وداخلهن الانس و الشهوات
وما الدين الا آلة يشهرونها الى غرض يقضونه ، وأداة^(٣٠)

نادى التيار الاصلاحى النجفي اواخر سنة ١٩٣١ بضرورة دعم المشاريع الاقتصادية بغية توفير الحياة الهانئة لابناء العراق فحاول المصلحون النجفيون استغلال ثروة العراق الزراعية وبخاصة " النخيل " وثماره " التمر " اذ ارادت الحركة الاصلاحية استثماره في عمليات تجارية نافعة تفوق العمليات التجارية السابقة القائمة " على قطعه وتسويقه فقط " ، وصاحب هذه الفكرة الجديدة المصلح " عبد المحسن شلاش " الذي وضع نصب عينه امكانية استغلال هذه الثروة الوطنية . التي يتخلص مشروعها في " استثمار هذه الثروة الوطنية التمور " في مجالات اقتصادية اوسع منها ١- استخلاص زلال الزهدي ٢- استخراج سائل السكر من التمر يقوم مقام السكر الجاف الذي كان يكلف استيراده مبالغ عالية . وتحولت الفكرة الاصلاحية الى تأسيس شركة تجارية مديرها المصلح جعفر الخليلي واخذت تتوسع في نطاق عملها حتى طورت " استغلال التمور في صنع الحلويات ، الشكولاتة ، وتطور الامر الى الاستعانة بخبير خاص للشركة فاتفقوا مع احد الحلوانيين النجفيين المعروفين وهو " عبد الرسول الشكرجي " ، واخذت الافكار الاصلاحية الاقتصادية تتطور وتتوسع وبخاصة انها وضعت المصلحة الوطنية امام عينها فحاول المصلحون النجفيون التخفيف من ضائقة الحكومة الوطنية باستيراد السكر والشاي المكلفتين باستثمار

(٢٦) الجزائري ، محمد جواد ، ديوان الجزائري ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٥ .

(٢٧) " النجف " ، (صحيفة) ، ٢٨ / كانون الأول / ١٩٢٧ ، العدد (٧١) ، ص ١ .

(٢٨) تعد الأزمة الاقتصادية العالمية التي تفجرت خلال السنوات ١٩٢٩ - ١٩٣٣ من أبرز الأحداث المؤثرة في العراق بصورة عامة من حيث التأثير على أوضاعه الاجتماعية والسياسية. ومدينة النجف كغيرها من المدن العراقية الأخرى تأثرت بهذا الحدث . للمزيد عن تفاصيل مؤثرات الأزمة الاقتصادية العالمية على العراق ينظر : الخفاجي ، مشتاق طالب حسين ، العراق في سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ - ١٩٣٣ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠١ .

(٢٩) " الاستقلال " ، (صحيفة) ، بغداد ، ١٩ / كانون الثاني / ١٩٣٤ ، العدد (٣٣٦) ، ص ٢ .

(٣٠) ديوان الجواهري ، ص ٢٥٤ .

" نواة التمر " وذلك بتحويلها الى قهوة عربية تكاد تكون هي القهوة العربية . وذلك عن طريق " حمس نواة التمر بعد تنظيفها وغسلها على النار حتى تتحول الى حبة اشبه بحبة القهوة ومن ثم تدق وتصبح كدقيق القهوة المعروفة " (٣١) . ويقول الخليلي في وصف نجاحها " وكانت تشبه القهوة العربية لونا وطعما - بنسبة الربع والثلاث

والنصف واكثر حتى جعل منها مشروبا لذيذا بعض اللذة وقدمت للضيوف دون ان نخبرهم بأصلها وفصلها فكانت عادية لم يحس احد بالفرق بينها وبين القهوة الاصلية " .

ونتيجة نجاح المشاريع الاقتصادية التي تعهد بها ثلة من رجال الاصلاح وخاصة بعد توفر رؤوس اموال كبيرة نتيجة افكارهم فكروا بمشروع اقتصادي وطني اخر وهو توفير حاجة الناس من " اليشماغ العربي " الذي كان العراقيون وبكثرة وبخاصة اهل الارياف يرتدونه فوق رؤوسهم بكثرة حتى تبلورت الفكرة ببناء معمل لصنع اليشماغ العربي بل عززوا فكرتهم بصنع منتج اخر ويسمى بـ " المناديل البلدية " وانزل المنتج العراقي الى الاسواق وبفكر تجاري عالي عرضه المصلح عبد المحسن شلاش في السوق باسعار مخفضة وزهيدة لغرض توسيع نطاق تجارته وببرر الخليلي خفض الاسعار : " انزل السوق هذا اليشماغ باسعار زهيدة رخيصة لتسد يومها نقصا كبيرا " (٣٢) . وهذا يضع تبريرا اخر لكي يملئ ويلبي حاجة الناس من المنتج الجديد في تلك المدة . ويبدو أن المصلح عبد المحسن شلاش يطلق دعواته الإصلاحية الاقتصادية في المجالات التي تفتقر إليها الحكومة الوطنية من توفيرها مقارنة مع حاجة المجتمع الكبيرة إليها وبذلك فانه ساعد على ١ - سد الحاجة الوطنية من المنتج المقتر اليه . ٢ - تشجيع الصناعة الوطنية وتنميتها . ٣ - تقوية الاقتصاد الوطني . ٤ - زرع الثقة في نفوس رجال الحكومة من القدرة والتحفز على ضمان توفير مستلزمات حاجة المجتمع .

ويرى المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء ان الاقتصاد ينظر من زاويتين صلاح وفساد وكمال ونقص ويعبر عن الاقتصاد الصالح بغاية المجتمع ، والاقتصاد الفاسد عبارة عن تخلف ، ويؤكد ان مرجع الصلاح في الاقتصاد هو الوحدة والانضمام وعكسها " التفرقة والانقسام " الذي يؤدي الى الفساد في الاقتصاد الذي يعلله بالانحلال والاضمحلال ؛ وما كسبت ايدي الناس من عدوان بعضهم على بعض ، حتى جزم ان منشأ الفساد الاقتصادي هو تقاطع الامة الواحدة وتفككها، وبغض بعضها لبعض . ودعا الى العمل والمثابرة اذ قال : " ان الرجل اذا اراد ان يتناول شيئا من الأرض لا بد له من يتطأطأ وينحني " (٣٣) .

ودعا المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء الى " العلم والعمل " ، كونهما عاملين مهمين في الرفاهية الاقتصادية للمجتمع اذ قال : " ان ترقى الغرب الذي ملك العالم الا بالعلم والعمل ، وما سقط الشرق وتأخر الا بالجهل والكسل " (٣٤) . ووضع مقترحا اصلاحيا اقتصاديا لكيفية الاستثمار الامثل للاموال وجمعها لانشاء المشاريع العمرانية والخدمية التي تخدم الصالح العام ، وهو عن طريق " جمع التبرعات التضامنية لخير الامة " فقال : " وساعدتنا العناية بهم على اجابتهم بجمع كل يوم من كل فرد ربع " انة " أي في الشهر نصف روبية لوجدوا كم يجتمع في السنة عندهم من المال الذي يتمكنون به من انشاء المشاريع الخيرية النافعة لهم ، ولا يتصور باذل هذا المبلغ الزهيد أنه يدفع المال لغيره بل فليكن على يقين أنه يجمعه لنفسه ، وهو كصندوق احتياطي له ، يعود بالنفع عليه وعلى اخيه وجاره ، ... الخ " (٣٥) . ووضع خطوطا عريضة لتنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العراق اذ اقترح بعدما حذر ونبه الأمة من تصاعد النغمة الاستعمارية عندما ألمح الى ان الدول الغربية توفر أموالها وتشحذ اسلحتها وتزيد عدتها وعددها ليوم مشؤوم ، بل انه توقع حدوث حرب عالمية ثانية . ويتلخص مقترحه : " بتنظيم الصفوف واصلاح مضامين الحياة وتوحيد الكلمة وهذه العملية الهامة في حياتنا لا تتسنى الا بتشكيل " النقابات " وهي تحتاج الى هيئة عاملة متحررة مشرفة تعمل لتأليف التنظيم النقابي وتجعل لكل صنف هيئة تنتخبها لتدبير شؤون ذلك الصنف وتسعى لاصلاحه وجلب مصالحه ودفع الأخطار عنه ... " (٣٦) . ولذا فان التيار الاصلاحى النجفي من التيارات السبابة في العراق الداعية الى تشكيل النقابات الجماهيرية .

(٣١) إن الأفكار الاقتصادية الإصلاحية التي وضعها المصلح عبد المحسن شلاش تحاول من تخفيف وقعة المصاعب التجارية العراقية في استيراد مادتي السكر والشاي اللتين تنعدم زراعتهما في العراق بسبب عدم توفر الظروف الملائمة لزراعته وإن هاتين المادتين تكلفان في استيرادها مبالغ عالية من خزينة الدولة . حسن ، محمد سلمان ، التطور الاقتصادي في العراق (التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ - ١٩٥٨) ، صيدا ، بلا ، ج ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٣٢) الخليلي ، جعفر ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٤ - ١٦٦ .

(٣٣) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الاتحاد والاقتصاد ، المصدر السابق ، ص ٩ - ص ١٠ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤ - ٢٥ .

واهتم المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء بضرورة الحياة الاقتصادية القوية وذلك من خلال القيام على دعائمين " الاتحاد والاقتصاد " . اذ قال " اذا اتحدتم سعدتم ، واذا اقتصدتم سعدتم ، واذا اتفقتم وفقتم ، واذا اختلفتم تلتفتتم . نحن محتاجون الى اقتصاد متين في كل شؤون الحياة ، وفي جميع اعمالنا واحوالنا وليس المراد بالاقتصاد حبس الاموال في جميع الاحوال بل الاقتصاد الحرص على جمع المال من سبله المشروعة ، وحبسه عن الانفاق الا في مواضع الشرف او الضرورة ... الخ " (٣٧) .

ونادى التيار الاصلاحى النجفي بضرورة تحقيق العدالة الانسانية للفرد والقضاء على النظم الرجعية التي بلورها الاستعمار لخدمة مصالحه ، ومنها مبدأ القبائل العراقية " حماية الدخيل " والآخر اعطاء حق المالك ان ينيب عنه شخصا عند التخمين (٣٨) .

ونادى المصلحون النجفيون بضرورة النهوض بالواقع العمراني وتنفيذ المشاريع الحيوية " الحبانية - الغراف " ، وضرورة تحسين النظم الادارية ، ونادى المصلحون النجفيون بضرورة مساعدة مدرسة الغري ماليا ووصلت دعواتهم الى مديرية الاوقاف (٣٩) ، وخير من مثل صوت الحركة الاصلاحية في مجلس النواب المصلح " سعد صالح جريو " (٤٠) لتحقيق هذه الدعوات .

وعلى الرغم من اهمية الجوانب الاقتصادية في دعوات التيار الاصلاحى النجفي الا ان للقضايا الاجتماعية حصة كبيرة في دعواتهم منطلقين من الشريعة الاسلامية مع مواكبة العالم المتحضر .

ثانيا : الدعوات الاصلاحية في الجوانب الاجتماعية : -

اهتم التيار الاصلاحى النجفي بالقضايا الاجتماعية وبخاصة القضايا المؤثرة في ثنايا المجتمع النجفي التي تعيقه عن الانطلاق والرقي نحو مظاهر التمدن والتقدم . ويمكن حصر حاجة المجتمع النجفي ومتطلبات وجوده الصحيح في الاصلاح في هذه المدة (١٩٠٨ - ١٩٣٢) بثلاثة محاور : الأول : ان الفرد النجفي مهما كان لا يزال تكتفه وتحيط به دوائر الشقاء والترسبات كالجهل والفقر والعجز وغيرها من الاشكال التي الصفاها الاستعمار . الثاني : ان الفرد النجفي بالرغم من استعداده لان ينزل الى اسفل درجات التخلف لكنه يتميز بالاستعداد لان يبلغ اعلى درجات الكمال والعزة ، والوصول الى مراتب السعادة فيما اذا وضع الاصلاح بخدمته (فهو مستعد للاصلاح) . الثالث : ان الفرد النجفي في احوج ما يكون الى التربية الصحيحة (اصلاح) ، واشد من ذلك حاجته الى المربي الكامل الجامع لصفات مخصوصة (مصلح) (٤١) .

وجزم المصلح عيسى آل كمال الدين بأن دور المصلح عظيم الأثر في الجوانب الاجتماعية اذ قال : " ولا نبالغ لو قلنا كانوا هم المرجع والوازع في معظم ما يحدث من فتن ومفاسد ومشاكل تعجز الحكومة العثمانية عن حلها او غيرها " (٤٢) .

استنكر المصلحون النجفيون سنة ١٩١٠ حوادث القتل والارهاب السائدة بين قبليتي (الزكرت والشمرت النجفيين) (٤٣) ، وما ينتج عنها في سلب الامن والفوضى وعدم الانتظام في مجتمع مدينة

(٣٧) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الاتحاد والاقتصاد ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٣٨) هو نوع من أنواع الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية وهي من الأساليب المعهودة منذ الاحتلال البريطاني وأصبحت أكثر فوضوية في عهد السيطرة البريطانية إذ أصبح التخمين يجري بالنظر ثم تجبى بذلك الضرائب وإعطاء المالك لأي شخص يقوم بعملية التخمين . الفياض ، عبد الله ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، المصدر السابق ، ط ٢ ، ١٩٧٥ ، ص ٣٢٥ .

(٣٩) كمال الدين ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ؛ الفياض ، المصدر السابق ، ١٩٧٥ ، ص ٣٢٥ .

(٤٠) ولد سعد صالح سنة ١٩٠٠ من عائلة آل جريو عرفت بامتهان التجارة تعلم منذ نشأته نظم الشعر ودرس على معاهد النجف الدروس العلمية المختلفة وخاصة بالحلقات المنفردة وهو أحد المؤيدين للأفكار الإصلاحية وخاصة بالمجالات السياسية لذلك فإن التيار الاصلاحى النجفي سنده بحياته السياسية البرلمانية وغيرها . للمزيد ينظر : كمال الدين ، محمد علي ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ١٩٤٩ ، ص ١٦٦ .

(٤١) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الدين والإسلام ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥ .

(٤٢) مقتبس من كمال الدين ، ذكرى السيد عيسى ... ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤٣) كان محمود الرحباوي من الشخصيات النجفية البارزة التي سكنت البادية ١٨٨٢ بمنطقة الرحبة وكان يكرم الوهابيين عندما يمرون بغزواتهم الى العراق ولما وجهت إليه أهالي النجف اللوم كان عنده أنه يقع على طريق الوهابية فيكرمهم لاتقاء شرهم ولكن هذا الأمر وقع سلبا على الزعيم الديني الشيخ صاحب كاشف الغطاء (الشيخ جعفر) فحذره ولم ينفع فضلا عن شكاية أولاد عم الرحباوي للشيخ جعفر لغمط حقوقهم في المحاصيل الزراعية بمنطقة الرحبة فبعث إليه الشيخ جعفر فرفض فبعث إليه مرة أخرى بفرسان يتزعمهم =

علمية كالنجف ، اذ اكد المصلحان محمد كاظم الخراساني و عبد الله المازندراني ضرورة ايقاف
اعمال القتل والتنكيل ، وتعميم النصح والوعظ ، وان أبوا : " فيركن الى التهديد والتخويف ، وان
تمادوا جاز التنكيل بهم " (٤٤).

حاول المصلحون النجفيون وضع دواء لتلك الخصومات القبلية عن طريق (التعليم ونشره بين ثنايا المجتمع)
اذ اكد المصلح محمد كاظم الخراساني ضرورة : " تهيئة المعلمين اللائقين وارسالهم الى القرى والارياف والقبائل
المحرومة من الثقافة والتهذيب الديني زمنا طويلا من قبل السلطات الحاكمة " (٤٥). حتى دعا المصلح محمد حسين آل
كاشف الغطاء ادارة مجلة لغة العرب الى نشر المفاهيم الاصلاحية التي تدعو الى نبذ التفرقة الطائفية والتعصب
والاحتكام الى العقل (٤٦).

وخير ما يراه المصلح محمد علي الحسيني في قواعد التمدن الاجتماعي والحياة المتقدمة لمجتمع النجف فيما اذا اخذت
بالامور الآتية ، الأول : ان الانسان لا ينم عيشه ولا يصاب نوعه الا بالاهتمام بالتمدن والاجتماع ، الثاني : ان الاجتماع
لا يتم ولا يبقى الا بنظام ادبي فكري يقنن فيهم ويجرون عليه ولو بالقسر . الثالث : ان هذا النظام لا يجوز تقنيه
واجراؤه من احد الا عن وحي واستناد الى شرائع الله سبحانه وتعالى (توفيقية) (٤٧).

ويحذر المصلح محمد رضا الشيباني من مغبة السكوت على الخرافات والتقاليد المتوارثة فانها عقبة في طريق
نشاط المصلحين وتوجهاتهم في المدنية والرفي (٤٨). اذ حاول التيار الاصلاحى النجفي ايقاظ مجتمعه من سبات الجهل
والخرافة باستغلال طريقة التعليم ومحاججة الناس في افكارهم الرجعية ومنها : ان الكثير من ابناء مدينة النجف كانوا
يعتقد ان الأرض محمولة وفي كل سنة تنتقل الى حامل جديد وغالبا ما يكون هذا الحامل حيوانا (قرن ثور) فاذا ما
تعب الثور - وقد يحس بالتعب في رأسه كل سنة - حول الثور الأرض الى القرن الثاني !! وان هذا الثور يقف على ظهر
سمكة ، وان السمكة واقفة في البحر !؟ وحاول المصلح محمد علي الحسيني ابطال هذه الخرافات بنشر التوعية العلمية
من خلال حلقاته الدراسية فيسألهم الحسيني عن تلك المعتقدات السائدة فيما يرويه الرواة فعلى أي شيء يقف هذا البحر ؟
فيقول له القائل: أنه يقف بقدرة الله تعالى فيرد الحسيني ولم لا تكون الأرض قائمة بقدرة الله دون ما حاجة الى ثور
وسمكة وبحر (٤٩).

ومن تلك المعتقدات الخرافية انهم كانوا يعتقدون ان على مدى قرون طوال تعتبر الشهب والنيازك التي تدخل
ضمن جاذبية الأرض والتي تشتعل بفعل الاحتكاك ما هي الا اشارات لانتهاى بعض الارواح على الأرض ، وابطل
المصلح محمد رضا الشيباني هذا المعتقد وباسلوب علمي بأن تلك الاجسام ما هي الا شهب أو نيازك يسقط بعض منها
على الأرض ، وان العلماء حددوا مادتها وهي من " التراب والحديد " وان ما يشبه البرق الناجم عنها هو حصيلة شدة
التصادم الذي تتولد عنه الكهرباء او النار . واستغل وسيلة الصحافة لطروحاته الاصلاحية (٥٠).

واصبحت مجلة " العلم " منبرا اصلاحيا لابطال الخرافات ففي عددها الرابع من السنة الثانية وجه الى
محررها المصلح محمد علي الحسيني استفسار من قبل جماعة منطقة " الهندية " " مدينة في احدى ضواحي الحلة "
عن صحة خرافة " عوج بن عنق " المشهور بطول القامة الى حد لا يصدق العقل فيقولون عنه انه كان يتظلل بالسحاب
ويشرب منها ويتناول الحوتة من قرار البحار ثم يشويها بحرارة عين الشمس يرفعها اليها ثم ياكلها وان ماء الطوفان
الذي غمر اعلى جبل في الدنيا ما بلغ ركبتيه ... الخ . ونشر الحسيني الجواب في العدد نفسه اذ ابطالها وعددها خرافات
واكاذيب القصاصين : " يبتغون من وضع الغرابب اغراضا مختلفة مثل ، ايناس من يستأنس بهم او اشغالهم عن
همومهم او استئثار اموالهم او غيرها ... الخ " (٥١). وابطل الحسيني خرافة " الطنظل " التي عددها او هام من
نسيج خيال الانسان (٥٢).

= عباس الحداد وهو من " الزقرت " والشيخ محمود الرحباوي هو من " الشمرت " فطرد الرحباوي رسل الشيخ
جعفر ففترقوا في البيوت المجاورة لقصر الرحباوي ولكن عند انبلاج الصبح وجد الرحباوي مذبوحا بقصره فاتهم
الزقرتيون بقتله ومن ذلك الوقت وحتى بدايات القرن العشرين مستمرين بالاقتتال والنهب والسلب بينهما . محبوبه
، جعفر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٠ - ص ٣٣١ .

(٤٤) العزاوي ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٩٩ ؛ الأسدي ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(٤٥) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ - ص ١٤٣ .

(٤٦) دار صدام للمخطوطات ، ملفه محمد حسين آل كاشف الغطاء ومحمد رضا آل كاشف الغطاء وعلي الشيخ جعفر
آل كاشف الغطاء ، رسائل الكرملية ملفه (٣٤٧) ، العدد (٩) ، ١٩١٢ - ١٩٢٣ ، رسالة من محمد حسين آل
كاشف الغطاء الى الأب انتستانس الكرملية في ٩ / أيار / ١٩١٣ ، (مخطوطة باليد) .

(٤٧) " العلم " ، ٢٩ / آذار / ١٩١٠ ، العدد (١) ، ص ١٣ - ص ١٤ .

(٤٨) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٤٩) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ؛ الشرقي ، النجف عاداتها ... ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٥٠) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٥١) " العلم " ، ٢٥ / أيلول / ١٩١١ ، العدد (٤) ، ص ١٥٥ - ص ١٥٦ .

(٥٢) الشرقي ، طالب علي ، النجف عاداتها ... ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

ودعت الحركة الاصلاحية النجفية من خلال " صحيفة النجف " ، تحت عنوان " الافكار المسمومة " الى ابطال عادات خرافية توسمت عند بعض طلبة مدرسة تقع على ضفاف نهر " شط العرب " في مدينة البصرة ، انحرفوا بسبب غواية بعض شيوخهم وبخاصة الشيخ " حبيب قرين " الذي حرف افكار طلابه الى جادة الظلم والرجعية . اذ الف في اذهانهم خزعبلات وخرافات رجعية لا سند لها مثل " الايمان بوجود الطنطل " و" الأرض على قرن ثور " و" المجنون يدخل في رأسه جني " وغيرها . ودعت الحركة الاصلاحية النجفية الى رجوعهم الى جادة الصواب وترك هذه المفاهيم الرجعية^(٥٣) .

(٥٣) " النجف " ، ١٧ / تموز / ١٩٢٦ ، العدد (٥٠) ، ص ٣ .

كان المصلح محمد علي الحسيني يؤكد على ضرورة كشف البدع والخرافات ناصحا مصلحي مدينته للانضمام تحت لواء التيار الاصلاحى النجفي اذ قال : " ان كشف الحقائق المهمة وازاحة قناع الشكوك عن محيا بنات الافكار لا يكون الا بالبراهين العقلية والمعاني الفلسفية، وبالادلة الشرعية في المسائل الدينية"^(١).

وما يتعلق بتقاليد الحضارة الغربية فقد حاربت مجلة " العلم " قشور الحضارة الغربية التي بدأ يتأثر بها بعض الشباب في مدينة النجف الذين لا يميزون ما ينفهم عما يضرهم فيتشبهون جمودا وتقليدا بمن رغبوا اليه في اعمالهم^(٢). وانتقدت عادة قيام الشباب الحفلات الجماعية والسهرات الليلية وانتقدت البذخ والترف ووصفت اصحاب السهر ب : " ان الحيوانات جميعها تنام في الليل وتستيقظ صباحا الا الانسان المتفرنج فإنه يسهر الليل وينام الصبح ونحن وجدنا ان الكلب ايضا ينام الصبح حيث ان الكلب يسهر الليل لحراسة صاحبه"^(٣). وشجعت " مجلة العلم " الزواج المبكر وتوضيح فوائده في تنظيم العلاقات الاجتماعية وتوضيح معالم بغض الاسلام للطلاق وخطورته داعيا الى الاصلاح بين الزوجين وباساليب علمية رصينة^(٤).

اهتم التيار الاصلاحى النجفي بقاء خطير وهو (الطائفية) احدى المشاكل الرئيسية التي تصيب المجتمعات وهي الانشقاق في صفوف الجماعة الواحدة الذين تربطهم عقيدة دينية واحدة نتيجة تصادم الافكار التي يؤمنون بها والتي استغلها الاستعمار ابشع انواع الاستغلال في محاولته تمزيق عرى وحدة الصف الواحد ليستطيع فرض سيطرته وارادته منطلقا من سياسته الاستعمارية (فرق تسد) . ووضع التيار الاصلاحى النجفي حلا منطقيا يعتمد على " الحل العلمي " اذ وضع المصلح محمد رضا المظفر^(٥) علاجا واعيا عن طريق الدراسات العلمية والابحاث الحرة المنطقية التي تجري في جو طليق متشبع بالحرية الفكرية بعيدا عن التعصب والتقليد وبروح اخوية تربطهم عقيدة الاسلام^(٦). فالطائفية كما وصفها مجلة العلم حجرة صلدة امام الحرية الفكرية واعتداء على الحق وظلم الحقيقة^(٧) ودعا المصلح علي الشرفي الى نبذ الطائفية وتركها والعمل على الابداع والعمل المثمر اذ قال :

دع عنك مروان الحمار^(٨) وخل واقعة الجمل
للسع نعمل دائما والنحل تعمل للعسل^(٩)

نادى التيار الاصلاحى النجفي نبذ الالقاب والتسميات الضخمة وبخاصة التي تطلق على اشخاص غير مستحقين لها والحركة الاصلاحية النجفية تنظر الى الالقاب على الرغم من كونها تطلق على الاشخاص الذين استحقوها نتيجة سعيهم العلمي ولكنها (الالقاب الضخمة) تشيع عادة بين الامم المتأخرة فكريا والاسوأ انها صارت تطلق على رجال لا يستحقونها ، ومن هذه الالقاب السائدة في المجتمع النجفي : " العلامة ، الفهامة ، الامام الاكبر ، الاوحد ، ظهير المسلمين ، العالم الرباني " وغيرها من الالقاب التي لفتت انظار العامة ما يدل على التأخر الاجتماعى وتفنن الناس بالقشور^(١٠) ، ويربط الباحث لمعة هذه الالقاب بالمصالح الشخصية لاصحابها اذ ان قوة اللقب وبريقه تسرق اسماع العامة ووجدانهم فتتوجه بحقوقهم الشرعية اليهم كلما زاد ضخامة اللقب .

ولتمتع مدينة النجف بالمزايا الاقتصادية والخيرات الوفيرة ، والقداسة الدينية ، وغيرها من المزايا الجاذبة للاستيطان اصبحت مدينة النجف محط انظار الوافدة الاجنبية المهاجرة سواء كان طمعا بخيراتها ومواردها او لتحصيل

(١) الشهرستاني ، تحريم نقل ... ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٢) " العلم " ، ٢٦ / آب / ١٩١١ ، العدد (٣) ، ص ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢٠ / أيلول / ١٩١٠ ، العدد (٨) ، ص ٣٥٩ .

(٥) هو محمد رضا بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله من آل مسرح ، ولد بمدينة النجف ١٩٠٤ وبعد خمسة سنين توفي والده فتعهد برعايته أخوه الشيخ عبد النبي وأخيه الآخر الشيخ محمد حسن وهو ملم بالعلوم الرياضية والفلكية وكتب الشعر ويبدو أنه على جانب حب التعلم والتحديث والإصلاح إلا إنه آمن بضرورة تطوير الدراسة وإصلاح مناهجها واحياء التراث العربى . للمزيد من التفاصيل ينظر : الندوة الفكرية لاستذكار المآثر العلمية والأدبية والإصلاحية للعلامة المجدد محمد رضا المظفر ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٧ .

(٦) المظفر ، محمد رضا ، المصدر السابق ، ورقة (٧) .

(٧) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٤٩ .

(٨) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ولقبه (الحمار) ليس تنكيلا كما تدعيه عدد من الروايات وإنما لتحمله وصيره مصائب الولاية . عرف بمروان الثاني ببيع سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة ، وبقي في الحكم حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ ، لقد جرب مروان الإدارة والحرب قبل توليه الحكم ، لذلك كانت قوته على تحمل الصبر قد أكسبته لقب الحمار ، لا على سبيل السخرية بل اعترافا بقوته الجسدية والإدارية ، عرف عن مروان حبه لجنده ورغبته في العيش معهم في السلم والحرب وكانت الاضطرابات منتشرة عندما تولى مروان الحكم فانصرف للقضاء عليها وكانت حمص ثائرة فهذا مروان ثورتها وقد أشغلت ثورات الخوارج في الجزيرة والحجاز وغيرها من هموم مروان بن محمد . فياض ، عبد الله ، محاضرات في تاريخ الإسلام والدولة الأموية ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ١١٤ .

(٩) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(١٠) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٥١ .

العلوم او لكليهما ، وهناك عامل مساعد دفع الهجرة الاجنبية الى مدينة النجف وهو ما تعانیه بلدانهم من مساوئ الفقر والجهل وانتشار الاوبئة ، وكثرت الهجرة الاجنبية بغزارة حتى مطلع القرن العشرين وصار بالنجف " معرض عجيب يضم اصنافا من مختلف الجنسيات والنزعات " (١١) ، وجعلت هذه الهجرة التيار الاصلاحى النجفى يدعو الى ايقافها وتحديدھا موضعا مخاطر الهجرة الاجنبية وسلبياتها الى العراق بصورة عامة وتهديدها لامنه الوطنى والقومى داعيا الى معالجة هذه الظاهرة وايقافها قبل ان يستفحل خطرھا اذ تفجرت في قرارة المصلح على الشرقى مخاطر الهجرة الفارسية وتكاثرھا في مدينة النجف فحلل ماهية هجرة هؤلاء المهاجرين بأنهم العصارة غير النافعة التي هاجرت نتيجة الاحداث السياسية التي افرزت الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥ - ١٩١١ ، واستغلوا مدينة النجف لخيراتھا وموقعھا المتميز حتى اذ ما لبثوا ان يحاولوا فرض فارسيتهم على المدينة وسرقتها من اهلھا اذ قال الشرقى محذرا ومحللا : " فمئذ تاريخ الانقلاب السياسى الايرانى والعثمانى الدستورى كانت الجالية الفارسية المهاجرة من الفترات المتأخرة لان التجديد في بلاد فارس والحركات السياسية والاجتماعية في ايران جذبت المفكرين والمنتورين من الجالية الايرانية التي فضلت الإقامة في بلادھا والعمل لها على الهجرة الى النجف واصبح لا يهبط الى النجف من الطبقة الراقية احد وكلما يغشى النجف من الدهماء ، وطبقة السواد من ابناء الاسر والقرويين " (١٢) . حتى قال الشاعر احمد الصافى النجفى واصفا خطر تلك الهجرة :

كم من عدو بالتجنس داخل
كثر الخليط به فان لم يتعد
بحشا العراق و حكمة الاخراج
اخلاطه لم يشف منه مزاج
ذى قد حشر فيها الظلم والازعاج (١٣)

واثمرت دعوات الحركة الاصلاحية النجفية الراضية للوجود الفارسى وذلك بمحاربة رموزهم وسطوتهم وتمزيق اعلامهم وتعريض حياتهم للخطر اذ نشرت احدى التقارير البريطانية حول محنة الفرس جراء الدعوات الاصلاحية الراضية لوجودهم ومحاربة مصالحهم وهذا ما فعلته احد ثمراته المدارس الحديثة " مدرسة الغري " اذ جاء في التقرير : " خلال وصول الملك فيصل قام طالب من مدرسة الغراء (١٤) والمسمى راضى بتمزيق العلم الايرانى الذي كان يزين احد المحلات ، وبناء عليه فان اصحاب المحلات من الايرانيين اغلقوا محلاتهم خشية على حياتهم ومصالحهم " (١٥) .

انتقدت " صحيفة النجف " بأسلوبها الساخر اللاذع بعض المفاهيم السائدة وقتئذ في الوسط الاجتماعى وبخاصة في الوسط الادارى الحكومى كمصطلح " اللقمة " [بمعنى الرشوة] وهي

(١١) " العرفان " ، آب / ١٩٤٨ ، ج ٨ ، م ٣٥ ، ص ١١٥ .

(١٢) العامري ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

(١٣) البستاني ، المصدر السابق ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(١٤) المقصود هو مدرسة الغري الابتدائية الأهلية ذات النظم الحديثة التي افتتحت سنة ١٩٢٢ نتيجة جهود التيار الاصلاحى النجفى الرامية الى تحديث وسائل التعليم وطرقه وقد وردت في الوثيقة باسم (AL GHURA School) ويقصد بها مدرسة الغري وليس الغراء .

(١٥) D. K. W., The files of the Royal place, fold (379), from office of special services officer, Air head quarter, To air staff, Intelligence, (The tearing down of A persian flag), document (11), 16 / May / 1925, p. (13).

إشارة لما يبتزّه بعض الموظفين ضعاف النفوس من أموال وهدايا من قبل المواطنين لقاء خدمات معينة إذ كتب المصلح يوسف رجب في الخامس من آذار ١٩٢٧ : " ان الكثير من الناس ممن تأصلت فيهم جرثومة هذا الداء الوبيل ، داء الازدراء والابتلاع للقم السمينة الفخمة لكنهم لا يلبثون ان تقف لهم بالمرصاد هذه البعايع ، وتكون حبر عثرة في قنאותهم وصدورهم "(١) . ونصحت في ضرورة الاهتمام بالاختيار الصحيح الدقيق لشخصية " المختار " بأن يتحلّى بالشرف والامانة والاخلاق الحسنة فنشرت صحيفة النجف بتوقيع " صادق " موضحة صفات المختار : " محترم ، يرحم الفقير ، يعطف على الصغير ، وامين ، وغير غشاش وغير مخادع "(٢) .

ويصف المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء حالة المجتمع العراقي بصورة عامة من التدهور والانحلال الخلقي في مناحي الحياة بقوله : " وادهى من ذلك كله اننا لا نحس ما نحن فيه، تخدرت اعصابنا وكأنما ضرب كل واحد منا بعشر ابر من المورفين فصرنا لا نحس بالألم فضلا عن اخذنا التدابير لعلاج كل طبقة من الطبقات فاسدة ، وما من طبقة الا وهي محتاجة الى الاصلاح كل طبقة في نفسها اصبحت منحلة ولا تدري كيف تعيش وكيف تحيا "(٣) . وحاول المصلح يوسف رجب توضيح فائدة المنظمات الجماهيرية ، فطالب بتأليف (النقابات) وبخاصة نقابة للحقوقيين والصحافيين ، ويناشد بتأليف الجمعيات التي تبسط مظاهر التمدن والحضارة وترك المفارقة والتملق(٤) .

انتقد التيار الاصلاحى النجفي اعمال عدد من العقول اللاوعية التي تسيء للدين الاسلامي باعمالهم الشيطانية فهي اعمال منكرة وغير مقبولة عندما يتعمد بعض شباب مدينة النجف ورجالها في يوم " التاسع من ربيع الأول "(٥) . اعمالا لا اخلاقية تسيء للمارة من العامة وبخاصة عند مرور شخص في الصحن الحيدري الشريف او في الاسواق فيهان ويضرب وتلوث ثيابه باصباغ او غيرها وبلغ الامر سوءا حد ضرب المفرعات النارية ذات الاصوات العالية المزعجة في الصحن الشريف ومما يزيد الامر سوءا هو عدم وجود رادع يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حتى تصدى المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء لهذه الاعمال وامرهم بتركها ، واستعمل وسيلة المنبر لدعواه واخذ يعظ الناس فكان لو عظه الأثر البالغ إذ قلت تلك الاعمال واصلح حال المشعوذين وابطلت اعمال البدع الخبيثة واخذت طريقها الى الزوال(٦) .

ونادى التيار الاصلاحى النجفي بانصاف المرأة وتحريرها من قيود الرجعية التي تحط من منزلتها يوما بعد يوم . فالمصلح محمد باقر الشيبى يحاول رفع حماس المرأة المسلمة ونشاطها وزرع الثقة بقدرتها على العمل وخدمة المجتمع إذ قال : " الذي يجلب الانظار تعاطي النساء الفرنسيات الاعمال الشاقة ومزولتهن انواع الصنائع والفنون لتكون لحياتهن غاية يرمين اليها . فتراهن يتهافتن في تأسيس الجمعيات ويخدمن المصلحة العامة احسن خدمة ويعملن اعمالا قلما يأتيها الرجال ... الخ "(٧) .

وهاجم التيار الاصلاحى النجفي احدى العادات الغربية المنبوذة التي جلبها الاستعمار للعراق وهي " قضية السفور " ، اذ عدها المصلحون النجفيون مسألة لا اخلاقية تمهد الطريق لالغاء العادات الاصلية . مما دعا المصلح جواد الشيبى الى التنبيه الى ضرورة مواجهة هذه العادة المستوردة المنبوذة ، ويشجع زملاءه المصلحين على مواجهة الممارسات الاجنبية وردعها اذ انشد في قصيدة " وبى ألم " ومنها :

قهركم أم السفور وذللت
للاشئآت مصاعب العادات
اصبحن يقعدن الحصيف عن الحجى
ويقفن اغصانا على الطرقات
ما هذه الوقفات وهي خلاعة
تفضي بهن لموقف الشبهات
ما ان مشين وراء سلطان الهوى
الاسقطن بهوة العثرات(٨)

وناقش المصلح محمد علي الحسيني قضية السفور بأسلوب منطقي ، فهو يرفض كونه مصلحا السفور ، ويوضح اصالة الحجاب والتساؤل كيفية تسرب ظاهرة السفور لمجتمعنا : " ان الحجاب قديم واستدل عليه المسلمون من القرآن الكريم فهو امتياز ضمنه القرآن الكريم للمرأة المسلمة فكيف انتشرت ظاهرة السفور بين صفوف النساء المسلمات " ؟ ويعلل المصلح محمد علي الحسيني تسرب هذه الظاهرة الغربية للمجتمع العراقي بثلاثة محاور :

(١) " النجف " ، (صحيفة) ، ٥ / آذار / ١٩٢٧ ، العدد (٧٦) ، ص ١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٧ / كانون الثاني / ١٩٢٧ ، العدد (٦٨) ، ص ٣ .

(٣) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الاتحاد والاقتصاد ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٤) " النجف " ، (صحيفة) ، ٢٦ / كانون الثاني / ١٩٢٦ ، العدد (٦٣) ، ص ١ .

(٥) تجري احتفالات التاسع من ربيع الأول بمناسبة تنويع ولاية الإمامة للسيد محمد الملقب بـ (المهدي) في ٩ / ربيع الأول ٢٥٥ هـ - ٨٥٧ م وهو ابن السيد الحسن بن علي بن محمد . وهو يوم تنويعه بعد وفاة والده الحسن الملقب بـ (العسكري) الذي وافاه الأجل في ٨ / ربيع الأول / ٢٥٥ هـ - ٨٥٧ م . للمزيد من التفاصيل ينظر : الشرقي ، طالب علي ، النجف الأشرف ... ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٦) محبوبه ، جعفر باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، النجف ، ١٩٥٧ ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .

(٧) مقتبس من النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٨) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

١. التأثير الاقتصادي: إذ اعطى لهذا العامل اهميته في انتشار السفور . وجزم بدورها قائلاً: " ان العلة الاقتصادية هي العلة الوحيدة في تبديل كل عادة وكل شريعة وكل طبيعة" (٩).
٢. التأثير الاوربي : الذي اشار اليه بقوله : " توجه نحو البلاد الشرقية سيل اوربي بسفور المرأة" (١٠) .
٣. العامل الفكري : وبخاصة الفكر العلماني الذي قال عنه : " كثرة الدعوات والمحاورات حول موضوع السفور" (١١) .

ويدعو المصلح محمد علي الحسيني الى التحلي بلباس " الحجاب " فأن تركه مثار للفتنة ومدعاة للفساد ، وفكرة صلاح المرأة وتوعيتها لا يعني تركها للحجاب الذي بعملها هذا يتنافى مع القيم الاخلاقية (١٢) . وصلاح المرأة هو مشاركتها المجتمع وتفاعلها معه وعملها على انهاضه مع الاحتفاظ والالتزام بالقواعد الشرعية ذات العلاقة بها ، فاذا اردت مواصلة الاسهام بالنشاطات العلمية والادبية عليها ان تلتزم بالقواعد الدينية وان لا تترك مبادئ الشريعة السمحة . فالحركة الاصلاحية النجفية تجوز وتسمح للمرأة العمل والتعامل والدخول في معترك الحياة في المعامل وفي المزارع وفي الاعمال المنتجة النافعة (١٣) .

وهذا المبدأ الاصلاحى لا يقبله التيار المحافظ ويمكن تفسير وجهة نظر المحافظين للمرأة بنظرة قبلية متشعبة بالامتهان والازدراء . ففضلاً عن حرمانها من حق التعليم فهي لا تبدي رأياً في الزواج او الخروج الى العمل ولا دور لها عندهم في الحياة ، وهي نظرة رجعية ترى المرأة عنصراً ثانوياً في المجتمع بل حتى المرأة الريفية اوفر حظاً منها فهي تعمل في مجالات الزراعة (١٤) .

ويؤكد المصلح خيرى الهنداوي ان خير منفذ للمرأة يخلصها من قيود الرجعية هو " التعليم" (١٥) . وانتقدت " صحيفة النجف " ، اوضاع البذخ والاسراف والحياة المبذرة واللامبالاة التي تعيشها المرأة في المدينة ، وتطالبها بتحسين اوضاعها وترك هذه المسائل اذ نشرت : " وهي في كل يوم تطلب منه [الرجل] من الحاجيات العصرية ما يثقل كاهله ويستنزف ما لديه من الدريهمات الضئيلة اذ ليس لها دأب سوى طلاء ديباجة خديها بالمساحيق وتسريح شعرها ولا هم لها الا اقتناء الحلل واصلاح الهدام وغير ذلك ، من مقتضيات " المودة " الامر الذي يؤدي بقرينها المسكين الى اعماق الافلاس" (١٦) .

ودعت صحيفة " النجف " الى تعليمها واخراجها من دائرة الخرافات التي تحط من شأنها اذ نشرت في مقال : " الأم الجاهلة داء مزمن " ما نصه : " علم المرأة مع مراعاة سن التدرج علمها القراءة والكتابة ، أي لا تذهب بها الى القمة فتسقط واياها فتكون حين ذاك كمن اراد ان يصلح فأفسد ، وامامك على ذلك امثلة متعددة ، لا يراد منك ان تعلمها علم طبقات الأرض بل يطلب منك ان تفهمها بأن اشعال طرف السعف وغرسه على ضفاف الانهر عسراً لا يذهب الفقر او الحمى ، كما تعتقد بل ربما يسبب ذلك الى الحريق واضراراً اخرى ، ولا اريد منك ان تعلمها قانون الجذب العام والتمثيل او الانتخاب الطبيعي ، بل اريد منك افهامها ان الذباب المجتمع على عيني الطفل بسبب القذارة ينتج الرمد والعمى ، لا تعلمها تمدد الاجسام بالحرارة ، بل افهمها ان ثياب الطفل ان كانت نظيفة واسعة وطعامه نقياً وبسيطاً ومنظماً يكسبه الصحة والسلامة في مداركه" (١٧) .

وقد وضع التيار الاصلاحى النجفي الجوانب التعليمية نصب اعينهم التي اخذت حصة كبيرة من دعواتهم ، فالمصلحون النجفيون يعدون " التعليم " هدف اساسي لتحقيق رسالتهم في التجديد والتحديث .

ثالثاً : الدعوات الاصلاحية في الجوانب التعليمية : -

نظرة التيار الاصلاحى النجفي نظرة تنطلق من واقع ومتغيرات العصر ، والتاريخ لفظ عربي بمعنى العهد او الحساب او التوقيت ، أي تحديد الوقت (١٨) ، وهو الوقوف على تطور الانسان لمعرفة ما هو الانسان وما هي القوانين التي تسيرها تطور المجتمعات وتحكم في سيرها التاريخي من نشوء ونمو وازدهار وتدهور وانحلال (١٩) . ونظرة الحركة الاصلاحية النجفية للتاريخ : بأنه ليس مجرد سرد للحوادث سرداً روائياً بل ان هناك ميزة جديدة للحادثة التاريخية يجب اعادتها وصياغتها بثوب جديد يتلاءم مع مقتضيات وحاجة العصر ، وفلسفة هذه المزية ان الحادثة

(٩) الحسيني ، محمد علي ، الدلائل والمسائل ، بغداد ، ١٩٢٧ ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .

(١٢) الوردي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩ .

(١٣) الشهرستاني ، تحريم نقل ... ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(١٤) المبارك ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(١٥) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ .

(١٦) " النجف " ، (صحيفة) ، ٣١ / كانون الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٧) ، ص ٣ .

(١٧) المصدر نفسه ، ١٤ / كانون الثاني / ١٩٢٦ ، العدد (٦٠) ، ص ١ .

(١٨) جب ، هاملتون ، علم التاريخ ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٦ .

(١٩) باقر ، طه ، عبد العزيز حميد ، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، الموصل ، ١٩٨٠ ، ص ٨ .

التاريخية مصائرهما قررت والعظمت وقعت والجزاء والحكم التاريخي قد استقر لذلك لا بد ان تخدم قضية العصر باستخلاص الصور الحية التي تنبض بالروح وتوحي بما يريد طرحه من افكار تربوية او اصلاحات اجتماعية^(٢٠) . والمصلح علي الشرقي احد رواد اعادة كتابة التاريخ في الحركة الاصلاحية النجفية اختار بطولات العرب وشخصياتها في ذي قار والقادسية واليرموك وناهوند ، وشخصيات تاريخية كسعد ابن ابي وقاص وخالد ابن الوليد وغيرهما^(٢١) . لذا فالتيار الاصلاحى النجفي يهدف إلى الربط بين المادة الاخلاقية او التربوية التي طرحها التاريخ وواقع مجتمعه ، وعرض الاراء الاصلاحية خلال ذلك الربط وهذا يتوافق مع طروحات الرفيق المناضل صدام حسين " حفظه الله ورعا " حول اعادة كتابة التاريخ اذ اشار سيادته الى انه : " لا بد ان يكون لنا ، في النظرة الى التاريخ وكتابته منهج يعبر عن نظرياتنا وينسجم مع خصوصية فكرنا ... وهذا ليس ناتجا عن رغبة ذاتية للتميز عن الاتجاهات السائدة الان في هذا الميدان ، بل هو ضرورة علمية لتحديد المنهج التاريخي بضوء التصور العلمي والثوري الذي يستقرى الاحداث ويفهمها ، ويحاول عرضها انطلاقا من التصور الثوري المطلوب "^(٢٢) . وأشار سيادته ايضا الى ما يخفى في طيات الاحداث التاريخية وعدم استثمارها لخدمة قضية العصر وحاجته اذ قال : " ان الحقائق المكتوبة هي ليست كل الحقائق النهائية حتى وان اتفق عليها جميع المؤرخين والمحللين ، لان في ذلك " الدفين " امرا ثانويا وانما قد يكون رئيسا ومن الامور الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية المهمة ... وهذه المسألة لا نثبتها جزافا وانما نحددها بمسؤولية ووعي كاملين "^(٢٣) .

وخير ما حاول المصلحون النجفيون من خلاله اصلاح منهج التاريخ هو باصلاح وسائل التعليم وطرقه فالدعوات الاصلاحية في الجوانب التعليمية زخرة بالنشاط ، وذلك بسبب اهمية التعليم ودوره في تطور المجتمعات وان تسبب بانقسام المجتمع الى رافض أو مؤيد ، وهذا ما يلاحظ في المدن الراغبة في حركة الاصلاح^(٢٤) ، ومنها مدينة النجف التي شهدت قبل اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ - محاولات لتهديب الدروس في معاهد النجف العلمية لكنها فشلت بسبب قوة معارضة المحافظين^(٢٥) . ومحاولات بعد اعلان الدستور العثماني لتجديد النظم والاساليب الدراسية وفسح المجال للحريات الدراسية العربية وترك المناهج الدراسية الاجنبية المكتوبة باللغات الاوردية الهندية او اللغة الفارسية غير المفهومة ، والعمل على تنظيم اساليب الدراسات الدينية ، وادخال بعض العلوم الحديثة ، واستحضار المدرسين الاكفاء ، وتعميم الثقافة في شتى مناحي العلم^(٢٦) ، وللاسف لقيت تلك السياسات الاصلاحية التعليمية رفضا ومقاومة من رجال التيار المحافظ الذين عملوا على ترويح فكرة ضرورة منع النشء دخول المدارس الحديثة المتطورة^(٢٧) .

والدراسة التقليدية التي يدافع عنها المحافظون ويحاولون إبقاءها عليها يصفها الخليبي بسخرية دالة على عدم استفادة الطالب منها استفادة تامة اذ قال : " والدرس في النجف حلقات تقوم في الصحن الشريف ، والمساجد او المقابر الفخمة في الحجر المحيطة بالصحن ، فيتولى الاساتذة فيها التدريس مجانا ، والتدريس يبتدىء بدراسة الادب ثم علم المنطق ثم التدرج الى علم الكلام وهو الفلسفة والفقه والاصول ، وتتشعب من هذه الدروس فروع واسعة لا نهاية لها ولا اخر ، فترى الشخص وان بلغ مرحلة الاجتهاد - وهي اخر ما يصل اليه طلاب العلم الروحانيون فأنه لا يزال يقرأ ويبحث ولو بعد الثمانين والتسعين من العمر !! "^(٢٨) . والنوع الاخر الذي يدافع عنه المحافظون من اساليب دراستهم القديمة " الدراسة الانفرادية^(٢٩) غير مشروطة بمعرفة سابقة "^(٣٠) . ونظرة التيار الاصلاحى النجفي لهذا النوع من الدراسة إذ يشخص الهفوات التعليمية فيها وهي : دفع الطالب نحو الشعور بالملل وعدم المسؤولية ، وقد لا تتوفر

- (٢٠) عواد ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
(٢١) علوان ، علي عباس ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٤٥٤ .
(٢٢) الرفيق صدام حسين ، حول كتابة التاريخ (نص حديث الرفيق صدام حسين في الاجتماع الموسع لمكتب الإعلام بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٧٧) ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٥ .
(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٠ - ص ١١ .
(٢٤) جب ، هاملتون ، الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، ص ٨٤ .
(٢٥) الوردي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٠ .
(٢٦) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .
(٢٧) الشرقي ، طالب علي ، ذكرى الشرقي رائد التجديد ... ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .
(٢٨) الخليبي ، جعفر ، هكذا عرفتهم ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ج ٤ ، ص ٨١ .
(٢٩) الدراسة الانفرادية : هي أشبه بالدراسة الخصوصية لكن تختلف عنها لأنها بدون مقابل ، وتحدث أحد روادها المصلح محمد علي كمال الدين عندما جاء إليه المصلح سعد صالح طالبا إياه تدريسه إحدى الكتب العلمية إذ قال : " ورأني ذات يوم أدرس طالبا في الصحن الشريف فطلب إلي أن أدرسه كتاب " قطر الندى لابن هشام " ولم تكن لي معرفة سابقة به ، فقد كانت ولا تزال عادة النجف في الدراسة الانفرادية غير مشروطة بمعرفة سابقة ! وكان ذلك سنة ١٩١٣ ... الخ " . كمال الدين ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ٨٧ - ص ٨٨ .
(٣٠) كمال الدين ، محمد علي ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ؛ القرشي ، جميل ملا عبيد ، مولد النجف والحوزة العلمية ، بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ٦١ .

الدواعي النفسية للعمل الفردي " الطالب والشيخ فقط " وربما يقضي الطالب وقتا طويلا في العثور على الشيخ الخاص فضلا عن عدم الرتابة وضياح المنهج^(٣١).

ويدافع المحافظون عن منطق عجيب في طرق دراستهم القديمة " وهو عدم الايمان بـ [الامتحان] " ، وفلسفتهم الرجعية في ان الدرس ينبغي ان يكون للدرس فقط ، وان الدراسة الحرة الخالية من الامتحانات تدرب الطالب على التفكير المعمق والنظر فيما يلقي عليه من مادة اكثر مما يدرسه على الحفظ والتلقين وبهذا الشكل تتغلغل هذه الظاهرة القديمة في حياة الطالب وتفقد الشعور بالقدرة على الاستنتاج والمعرفة^(٣٢).

وهذه الحرية التي يوفرها المحافظون للطلاب اكلوا ثمارها من الفوضى فالكثير من الطلبة يتعرضون لشيوخهم فيما يبدو لهم من رأي رقيقا او عنيفا ، وكثيرا ما يخرج هذا النقاش عن شكله الهادئ الذي ابتدأ به الى نقاش عنيف حاد وجدال قوي حتى يتفقوا اخيرا على وجه من الرأي او يلتجئ احدهم الى ان ينزل عند رأي الاخر " الشيخ او الطالب! " ، وقد يتفاهم الخلاف بين الشيخ وطلابه فيخرج امر الدرس عن السيطرة ، وتتعالى الاصوات وينفض المجلس في مرات كثيرة دون التوصل الى فهم مشترك او ادراك معين للموضوع ، وعندما ينفض المجلس لا يستطيع الشيخ حينها ان يسترجع زمام المجلس مرة اخرى^(٣٣). وهذا متوقع اذا فحصنا تركيبة طلاب مجلس واحد فنجد العراقي واللبناني والمصري والخليجي والافغاني والايرواني والهندي والقوقازي وغيرهم مما يؤدي الى تعدد الامزجة وتنوعها التي لا تتوافق غالبا في رأي او قضية ما فالكل يريد اثبات جدارته .

واثمرت الدعوات الاصلاحية النجفية بتحديث طرق التعليم ووسائله في مدرستين على الطراز الحديث وهما " العلوية " والثانية " الرضوية " بعد عام ١٩٠٨ . فضلا عن مهمتها التعليمية كانتا بمثابة ناد ثقافي وسياسي اتخذ منه المشتغلون بالحركة الدستورية الايرانية مقرا لاعمالهم ، وفتحت المدرسة الرضوية قاعة خاصة للمناقشات واخرى للمطالعة حاوية اصناف المجلات والصحف العربية والاجنبية وادخلت مادة الرياضيات واللغتان الانجليزية والفرنسية . وادخل منهج الرياضة الذي كان اشبه بالتعليم البدني العسكري " كون اللباس عسكري خاص له اوسمته واشاراته وطورت الدروس الدينية بادخال درس خاص يعنى بالشرعيات^(٣٤).

وتوسع نطاق الحركة الاصلاحية النجفية في اقامة الاجتماعات والاحتفالات الهادفة للتوعية الاصلاحية ، ومنها حفلة استقبال فيها والي بغداد " جاويد بك " سنة ١٩١٢ اذ قامت المدرسة العلوية حفلا ترحيبيا تتخلله الخطب الاصلاحية الدالة على معاني الحرية والديمقراطية والاصلاح والتجدد باللغتين العربية والتركية^(٣٥) . وبعد عام ١٩١٢ اصبح الطلاب يجلسون على الرحلات المدرسية في المدارس الحديثة بعد ان كانوا يجلسون على الارض . واستثمر المصلحون النجفيون المثقف النجفي " كاظم العشار "^(٣٦) لتدريس اللغة الفرنسية والرياضيات بالمدرسة العلوية ، واستثمر " محمد بهادر " بتدريس الرياضيات . واستغلال بعض الشخصيات الهندية او بعض الطلبة الهنود لتدريس اللغة الانجليزية في المدارس الحديثة ، فقد كانوا يجيدونها اعادة تامة^(٣٧) ، وبغية نشر العلوم والمعارف العلمية فتحت في مدينة النجف مكتبة باسم " مكتبة مجلة العلم " جلبت اليها مختلف الكتب والمجلات والصحف العربية والتركية والفرنسية وغيرها^(٣٨).

واخذ بعض العلماء والتجار النجفيين يساندون توجهات الحركة الاصلاحية التعليمية : " فأخذوا يساعدونها [المدارس الحديثة] ويجوزون انفاق الحقوق الشرعية عليها "^(٣٩) . فضلا عن الاموال الخارجية التي يرسلها اهالي الطلاب الدارسين في النجف^(٤٠).

ولم يرق للبريطانيين شأنهم شأن كل مستعمر الانماط التحديثية بالمناهج التعليمية في العراق بعامة وبخاصة في النجف^(٤١) ، اذ جاء في احد التقارير البريطانية تأكيد بريطانيا " شكها عن فائدة الانماط التعليمية المتطورة للعراقيين وعدم الحاجة في البلاد لانشاء دراسات اولية على مستوى البكالوريوس "^(٤٢).

(٣١) للمزيد من التفاصيل حول طبيعة هذا النوع من الدراسة والمآخذ البارزة عليه ينظر : عيسى ، أحمد مجيد ، الدراسة في النجف ، " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ١٥ / تشرين الثاني / ١٩٤٧ ، العدد (٣١-٣٢) ، ص ١٤ .

(٣٢) " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ٢١ / تشرين الثاني / ١٩٣٤ ، العدد (٤٣) ، ص ٩ .

(٣٣) العامري ، المصدر السابق ، ص ٢٠ - ص ٢١ .

(٣٤) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ ؛ محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٣٥) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٣٦) هو أحد مثقفي مدينة النجف ومتعلمها تخرج من الجامعة الفرنسية (السوربون) أستاذا للعلوم الدينية والتاريخ وهو يجيد اللغة الفرنسية اعادة تامة .

(٣٧) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٣٨) الحسيني ، محمد علي ، حياة مجلة العلم ... ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٣٩) الخليفي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٤٠) زبيبة ، مكي ، يوم من أيام النجف ، بغداد ، بلا ، ص ٢٧ .

(٤١) إن سلطات الاحتلال البريطاني تنشر بين العراقيين بصورة دائمة في عدم قدرتهم على النمو الصناعي أو التطور التعليمي الحديث وعدم الضرورة في انتهاج مبادئ جديدة وحديثة في التعليم وخاصة الصناعي .

(٤٢) مقتبس من أحمد ، ابراهيم خليل ، تطور التعليم الوطني ... المصدر السابق ، ص ٨١ .

وحارب التيار المحافظ المدارس الحديثة حتى وصل الامر درجة النفاق . فعندما اراد مرتضى فرج الله^(٤٣) دخول احدى المدارس الابتدائية الحديثة - وبالرغم من موافقة اخيه الأكبر الشيخ محمد طه فرج الله - كان لاحد رجال التيار المحافظ " عبد الحسين الحلبي " دور في التأثير على والدهما من مغبة خطورة دخول النشء مثل هذه المدارس ونجح في مسعاه واخرج مرتضى فرج الله قسرا من المدرسة الحديثة ولم يستفد من هذا الامر سوى عبد الحسين الحلبي فمن وراء الكواليس ادخل اولاده المدارس الحديثة وتخرجوا بمناصب علمية راقية ومنهم ولده الدكتور علي الحلبي^(٤٤) . واستمر التيار الاصلاحى النجفي في سياسته الاصلاحية التعليمية ، وادرك خطورة المعارضين لسياسته " المحافظين والاستعمار البريطانى " فعمل على مواجهتهما فالمحافظون لم يتجاوز موقفهم في مقاطعة المدارس الحديثة حدود " الرفض " ، و " المنع " ، و " التحريض " ، التي رد عليها المصلحون بالافتناع ، والتنقيف ، ومحاولة افهام جدوى فكرة تحديث المناهج التعليمية . أما موقف التيار الاصلاحى النجفي من الاستعمار فهو الاصرار والسعي الى فتح المدارس الحديثة ذات التوجه الاصلاحى وتنفيذا لهذه الخطة دعا المصلحون النجفيون الى تأسيس مدارس حديثة ابتدائية ومتوسطة وثانوية تدرس المعارف ، والمناهج الشرعية المتطورة ، وفي الوقت نفسه تحافظ على روح الاسلام^(٤٥) .

واهتم وزير المعارف المصلح محمد علي الحسيني في وزارة النقيب الثانية (٢٠ / أيلول / ١٩٢١) بدروس التاريخ واعتنى بالاناشيد الوطنية والقومية^(٤٦) . وعمل على تأليف مجلس عام للمعارف في بغداد - كهيئة رأي - ضم في عضويته " المصلح محمد رضا الشبيبي ، وفهمي المدرس ، وجميل صدقي الزهاوي وغيرهم " . ومهمة هذا المجلس تقديم الاستشارات الحديثة الى وزارة المعارف ، وحث الاهالي على ارسال اولادهم الى المدارس الحديثة ، ومساعدة الطلاب المحتاجين وجمع التبرعات لانشاء المدارس^(٤٧) . واهتم المصلح الوزير محمد علي الحسيني بتمديد الارياف وتحديثها ، وخير وسيلة لانجاح هذا المسعى هو " التعليم " أي بفتح المدارس والمعاهد العلمية في الارياف حتى أنه اكد : " من الضروري فتح مدرسة في كل قرية "^(٤٨)

واستمر التيار الاصلاحى النجفي بمطالبته بضرورة تعليم مادة اللغة الانجليزية والعناية بها . اذ اخذ المصلحون النجفيون يناشدون بتعلمها ، وتعلم عدد اخر من اللغات الاجنبية لاهميتها في الحفاظ على كيان الاسلام في تحقيق الرد على ما في الكتابات الاستشراقية^(٤٩) ، فضلا عن حقيق الغاية المعرفية العلمية بالدخول الى مجاهل الادب

^(٤٣) هو مرتضى بن الشيخ طاهر بن الشيخ فرج الله بن محمد رضا بن عبد الشيخ بن محاسن الحلبي الشهير بفرج الله ، أديب مجيد ، وكاتب بليغ وشاعر معروف ولد بمدينة النجف عام (١٩١٤) ونشأ بها على أبيه فعنى بتربيته وبعد فراغه من القراءة والكتابة تعهده والده فدرسه مقدمات العربية وألزمه بحفظ الشعر وبعض القطع النثرية وأخذ يصحبه الى بعض المجالس إضافة الى ناديه الذي كان يلتقي به فريق العلماء والأدباء وبذلك نمت فيه موهبة الأدب وتطلع إليه عن طريق الأدب ويؤكد علي الخاقاني إن حادثة تركه المدرسة الابتدائية ذات النظم الحديثة أورت في نفسه عقدة نفسية وألقى اللوم على الشيخ عبد الحسين الحلبي : " غير إن المرحوم الشيخ عبد الحسين الحلبي وكان صديق والده الحميم أفهمه خطورة هذه السيرة وألزمه بإخراج ولده من المدرسة وهنا صدم الشاب في تحقيق رغبة ملحة في نفسه ولم يمكنه المخالفة غير إنه أجاب والده : لو عشت لرأيت الرجل يربي أولاده وفق ما يتطلب العصر " . الخاقاني ، علي ، شعراء ... ، المصدر السابق ، ١٩٥٦ ، ج ١١ ، ص ٢٦٨ .

^(٤٤) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٦٨ - ص ٢٦٩ .

^(٤٥) عن دور المصلح محمد علي الحسيني وزير المعارف في الوزارة النقيب الثانية (٢٠ / أيلول / ١٩٢١) متبني باصرار بفتح المدارس الحديثة العربية للمزيد من التفاصيل ينظر : البهادلي ، محمد باقر ، السيد محمد علي " هبة الدين " الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية ١٨٨٤ - ١٩٦٧ ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، ٢٠٠٠ .

^(٤٦) البهادلي ، محمد باقر ، المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ أحمد ، ابراهيم خليل ، تطور التعليم ... ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

^(٤٧) أحمد ، ابراهيم خليل ، تطور التعليم ... ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

^(٤٨) البهادلي ، محمد باقر ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .

^(٤٩) " الاستشراق " : هو دراسة علمية شاملة يقوم بها الغرب لكل ما يتعلق بتراث الشرق وبالذات تاريخه ولغته وأدبه وفنونه وعلومه وتقاليده والسلوك والعادات ، والمستشرق الغربي الذي يدرس هذا الشرق لايد من أداة توصله الى ثماره وهذه الأداة هي اتقان لغة الشرق لذا فالاستشراق هو دراسة الغرب لكل ما يتعلق بالشرق ، وكتابات " سترابون " أو ما يعرف بـ " سترابوا " لهذه الحملات فقد كتب الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها العرب وترجع مدة هذه الكتابات إلى سنة ٢٥ ق.م . وفي عهد التصاعد الاستعماري أبان الثورة الصناعية ١٧٦٩ اقترنت دوافع الاستشراق بأهداف تبشيرية في محاولات إبطال الإسلام والانسياق نحو المسيحية والتي كانت تهدف إلى تفريق الجماعة الإسلامية وخلق المذاهب والتشكيك بالأصالة العربية والإسلامية وبالذات هجومهم على القرآن الكريم وشخصية الرسول محمد (ص) وهو ما تحاول الحركة الإصلاحية ردهه والجانب الآخر للاستشراق هو جانب الإيجابي لعدد قليل من المستشرقين الذين التزموا =

والعلوم العالمية^(٥٠). فدعا المصلح علي الشرقي الى مقاومة سيل الكتابات الاستشراقية الهدامة للكيان الاسلامي وناشد صحيفة " لغة العرب البغدادية " أن تنشر أباطيلهم الموضوعة ونقدتها وتعديل الأوهام والدسائس الاستشراقية التي نشرها في كتاباتهم المحرفة إذ طلب من رئيس تحرير مجلة لغة العرب الأب انستاس ماري الكرملني من نشر أباطيلهم وبيان مواقع التحريف فيها وغاياتهم الاستعمارية عندما بعث رسالة بتاريخ ٧ / شباط / ١٩٢٨ ومنها : " فكان اللازم أن نسقط كتاباتهم الاستشراقية وحبذا لو كتب الأب وعلق كلما يرى لزمه تحت عنوان المجلة سواء كان في صدر المقالة أو في ذيلها كما هي سنة الصحافة الراقية "^(٥١) ، لذا كان المصلحون النجفيون السابقون بالتصدي لأغراض الاستشراق ودوافعه الاستعمارية .

وإصبح التيار الاصلاحى النجفي سندا لاجزائه فى تحصيل العلوم الحديثة فاسندوا المؤيد لحركة الاصلاح " سعد صالح " فى الانتماء لدار المعلمين فى بغداد حتى عبر عن هذا التشجيع محمد على كمال اذ قال : " وقد شجعه على هذا الانتساب طبقة الاحرار فى النجف "^(٥٢) ، وروجت الحركة الاصلاحية النجفية لدعواتها التعليمية الجديدة بأنها : " سهلة ومبسطة ، وحديثة ، وغير معقدة تسهل على المتعلم ان يهضم مادتها ببسر وسلاسة والافادة منها وتعلمها أكثر "^(٥٣)

استمرت دعوات الحركة الاصلاحية النجفية بتحديث الوسائل التعليمية وتوسيع عدد المدارس الحديثة التي تنظم بها نفوس الناشئة وتذكي الروح الوطنية فى نظم الاناشيد وتدرىس التاريخ المناسب والعلوم والمعارف المختلفة . ولهذه الاسباب فكر الاحرار فى تأسيس مدرسة اهلية لتحقيق الاغراض التحديثية والواجبة لاعداد ناشئة تعمل على خدمة وطنهم ، وتجسدت هذه الرؤيا عام ١٩٢١ بتقديم عدد من المؤيدين للحركة الاصلاحية النجفية ابرزهم : " سعيد كمال الدين ويحيى الحبوبى ، وكريم السيد سلمان ، وكاظم سلمان ، ومحسن عجينة ، ومحمد عبد مرزة ، وأمين شمسة " ، طلبا الى الحكومة الوطنية بإنشاء مدرسة اصلاحية حديثة على ان يكون السيد حسين كمال الدين مسؤولا لها . وارتأت الحركة الاصلاحية النجفية تشكيل هيئة للإشراف عليها اذ اوكلت هذا الامر الى المصلحين : " عبد الكريم الجزائري^(٥٤) ، ومحمد على بحر العلوم^(٥٥) ، وجواد الجواهري^(٥٦) ، وعبد الرضا الشيخ راضى^(٥٧) " ، ونجح المسعى الاصلاحى اذ اجيزت المدرسة الجديدة باسم " مدرسة الغري الاهلية فى أوائل عام ١٩٢٢ " ، وكلف المصلح

= جانب الحيات فدرسوا التراث العربى والإسلامى بدراسة أكاديمية موضوعية . للمزيد عن تفاصيل الاستشراق ودوافعه ينظر : الصغير ، محمد حسين ، المستشرقون والدراسات القرآنية ، مط المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٣ ؛ ادوارد سعيد ، الاستشراق ، المعرفة ، السلطة ، الانشاء ، ترجمة كمال ابو ديب ، بيروت ، ١٩٨١ ؛ عبد الجبار ناجى ، تطور الاستشراق فى دراسة التراث العربى ، الموسوعة الصغيرة ، بغداد ، ١٩٨١ .

(٥٠) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٨٢ .

(٥١) دار صدام للمخطوطات : ملفه على الشرقي ، ملفه (٢٦١) ، رسائل على الشرقي للكرملني ، العدد (٨) ، ١ / ٢ / ١٩١٣ - ٤ / ٦ / ١٩٢٨ ، رسالة على الشرقي الى الأب انستاس الكرملني فى ٧ / شباط / ١٩١٣ ، (رسالة مخطوطة بيد على الشرقي) .

(٥٢) مقتبس من كمال الدين ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٥٣) كمال الدين ، محمد على ، ذكرى السيد عيسى آل كمال الدين ، ص ٧٣ .

(٥٤) هو الشيخ عبد الكريم بن الشيخ علي بن كاظم الجزائري المصلح السياسى ولد بمدينة النجف ١٨٨٩ وتربى على أفضل علمائها وهو مؤيد للتيار الاصلاحى النجفى منذ اثباته منذ عام ١٩٠٨ وساهم بوضع برامجه الاصلاحية وخاصة السياسية فى الدستور والمجلس النيابى ، ساهم بحركة الجهاد ضد المحتل الكافر والدفاع عن حوزة الإسلام ١٩١٤ بجانب المصلح محمد سعيد الحبوبى وساهم بثورة النجف ١٩١٨ وثورة العشرين وهو مؤثر قوى على زعيم حزب الشعب ياسين الهاشمى . المرجاني ، حيدر ، النجف الأشرف قديما وحديثا ، بغداد ، ج ٢ ، ١٩٨٨ ، ص ٤٥ .

(٥٥) هو من دعاة الاصلاح السياسى إلا انه مؤيد للتيار الاصلاحى النجفى فى توجهاته العامة ساهم فى ثورة النجف وهو أحد مؤسسى جمعية النهضة الإسلامية وهو أحد أقطاب ثورة العشرين إذ قام بتحريض العامة على المحتل الغاصب وتكفيرهم تتلمذ منذ صغره على زعماء بيته من آل بحر العلوم ، سجنه الإنجليز بعد فشل ثورة النجف ١٩١٨ فى بغداد ثم نقلوه الى المحمرة لبقى تحت رقابة الشيخ خزعل أمير المحمرة وبقي تحت الإقامة الجبرية لمدة سنة كاملة وبضعة اشهر عاد بعدها الى النجف بعد صدور قرار من الحكومة البريطانية يسمح بعودة الوطنيين الى مدنهم . المطبعى ، حميد ، موسوعة اعلام العراق فى القرن العشرين ، بغداد ، ١٩٩٦ ، ص ٢١١ .

(٥٦) هو ابن الشيخ علي بن الشيخ محمد (صاحب الجواهر) أحد وجهاء النجف ومن مؤيدي التيار الاصلاحى كان أحد الزعماء الوطنيين الذين اشتغلوا بقضايا العراق فى ثورة النجف ١٩١٨ والاستفتاء ١٩١٩ وثورة العشرين الوطنية توفى ١٩٣٦ . ينظر : الخاقاني ، علي ، شعراء الغري ، النجف ، ١٩٥٦ ، ج ١٠ ، ص ١٤٢ .

(٥٧) هو الشيخ عبد الرضا بن الشيخ مهدي بن الشيخ راضى باحث عالم ولد بمدينة النجف سنة ١٨٨٠ وهو من أسرة عرفت بالراضى ويرجعون نسبهم الى بني مالك المعروفة فى مدينة الحلة . وهم من المهاجرين للنجف طلبا للعلم فدرس على يد العالم خضر الجنابى وقرأ العلوم البلاغية والفقاه والأصول على علماء أجلاء أمثال الشيخ علي الداماد ، أشهر كتبه " الوصية " " النكاح " . المطبعى ، حميد ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

حسين كمال الدين بكتابة منهاجها الدراسي الحديث الذي حوى الدراسات العلمية والاجتماعية والادبية والتربوية ، ووضع نصب عينه ضرورة التمازج بين الثقافتين " القديمة والحديثة " لاستخلاص مزيج صالح يلائم التطور الفكري السريع ويخدم ابناء مجتمعه ، ويواكب التيارات الفكرية ، وقد ساندتها المصلح محمد علي كمال الدين ماديا حتى افتتحت في محلة العمارة " احدى ضواحي النجف " ، بقسمين : قسم نهاري باربعة صفوف لتدريس الناشئين ، وقسم مسائي لستة صفوف لتدريس الكبار ، مع صف ثانوي مسائي غير رسمي فتح فيما بعد ، وتجلي دور المصلحون النجفيون بدور متميز اكثر حينما تعاقبوا مع مدرسين مصريين وسوريين للتدريس في المدرسة الحديثة^(٥٨) .
 واصبحت مدرسة الغري إحدى المراكز القيادية للحركة الاصلاحية النجفية : " فعندما يطلق اسم مدرسة الغري الاهلية يتوارد الى خاطر النجفي حينذاك طبقة احرار مصلحي النجف "^(٥٩) .
 ولهذا يبدو ان تأسيس مدرسة الغري سياسي علمي حتى ان الملك فيصل الأول اعتمد بعض اعضائها للعمل في الحقل الوطني^(٦٠) ، وزارها سنة ١٩٢٤ وخطب فيها ومن خطبته : " اذا صلح التعليم تركز الملك وقومت الدولة "^(٦١)

وطالب التيار الاصلاحى النجفي سنة ١٩٢٤ بتأسيس مدرسة ليلية في مدينة النجف لتدريس الأميين وانقاذهم من براثن الجهل^(٦٢) .

واهتم المصلح محمد رضا الشيبى وزير المعارف في الوزارة الهاشمية الأولى " وزارة ياسين الهاشمي المشكلة في ٢ / اب / ١٩٢٤ " بمشكلة تهديد اقتطاع جزء من العراق " مشكلة الموصل "^(٦٣) ، فعملت الحركة الاصلاحية النجفية على زيادة الوعي الوطني وتحريض العامة وتحشيد القوى الوطنية والاصرار على عروبة الموصل وعانديتها الى العراق وخير ما وجدته الحركة الاصلاحية لتطبيق هذه المفاهيم هو المؤسسات التعليمية اذ اصبح دور وزير المعارف دورا وطنيا وقوميا ، فعند زيارة اللجنة الدولية التابعة لعصبة الامم المتحدة لمدينة الموصل لغرض التحقيق في عاندية ارض الموصل نظمت وزارة المعارف بتأثير وزيرها المصلح محمد رضا الشيبى ومساندته في تنظيم المظاهرات الوطنية في مختلف انحاء مدينة الموصل يقودها طلبة المدينة بتاريخ ٢٧ / كانون الثاني / ١٩٢٥^(٦٤) .

(٥٨) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٥٩) كمال الدين ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٦٠) الخليلى ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٦١) مقتبس من " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٨ / أيلول / ١٩٤٦ ، العدد (٧) ، ص ٢١ .

(٦٢) " الاستقلال " ، (صحيفة) ، بغداد ، ١٩ / نيسان / ١٩٢٤ ، العدد (٣٣٦) ، ص ٢ .

(٦٣) هي المشكلة التي افتعلتها الحكومة الكمالية في تركيا بمطالبتها بمدينة الموصل على أنها جزء من الإمبراطورية العثمانية السابقة وان معاهدة الصلح مندروس ١٩١٨ لم تشمل الأراضي الموصلية وبالتالي أدى التهديد التركي الى أزمة دولية والتي انتهت بتوسط محكمة العدل الدولية في لاهاي في هولندا التي أوفدت لجنة خاصة للتحقيق والنقصي في عاندية أرض الموصل فزارت بغداد ١٦ / كانون الثاني / ١٩٢٥ وأجرت البحث عن الروابط الموصلية البغدادية وسافرت الى مدينة الموصل في يوم ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢٥ التي عجت بمظاهرات طلابية بتنظيم وتوجيه وزير المعارف المصلح محمد رضا الشيبى تطالب بعروبة أرض الموصل وعراقيتها ورفض التهديدات التركية . للمزيد من التفاصيل ينظر : حسين ، فاضل ، مشكلة الموصل (دراسة في الدبلوماسية العراقية - الإنجليزية - التركية وفي الرأي العام) ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٦٢ .

(٦٤) أحمد ، خليل ابراهيم ، تطور التعليم ... ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .

وناشد المصلح محمد رضا الشببي بتحديد المناهج الدراسية وتوفير عناصر تدريسية كفوءة من الاقطار العربية في محاولة للنهوض بالتعليم وخاصة من ذوي الاتجاهات القومية^(٦١٣).

وطالبت الحركة الاصلاحية النجفية عن طريق " صحيفة النجف " بتوقيع " خبير " بتوفير ناد علمي ادبي يضم الشباب المتنور في مدينة الديوانية^(٦١٤). وانتقدوا فوضى عدم توزيع الاختصاصات العلمية حسب كفاءة المعلمين او قدرتهم ، ويبدو ان للمحسوبة واللامبالاة دوره في صنع هذه الفوضى اذ نشرت ناصحة : " يرمي بعض المعلمين نفسه بورطات عظيمة ، فيأخذ على عاتقه تدريس العربية مثلا وهو لا يعلم بالعربية ، والرياضيات ، ولا يدري ما الرياضيات ، يدرسها مع علم بأنه ليس له كفاءة ان لم نقل أنه معدوم المعلومات ، فيظلم نفسه والتلميذ ، وما ذلك الا ليقال عندئذ ان فلانا مدرس العربية وفلانا مدرس ال... دع المفخر ايها المدرس ، وأد واجبك ، دع الغرور واذعن للحقيقة ، اذ ليس كلمة لا ادري من العار وليس الانسان عالما لا يعلم"^(٦١٥). ونصحوا ان يكون المعلمون عربا لا اجانب^(٦١٦).

وتدخل التيار الاصلاحى النجفي بطرق تدريس الجامعة الدينية " الحوزة العلمية " التي بقيت على منهاجها التقليدي وعلى الرغم من اصطدامها بجدار افكار بدايات القرن العشرين الحاوية على معاني التجديد والتحديث الا انها استمرت بمنوالها التقليدي وبمباركة التيار المحافظ وتشجيعه حتى انتقدها المؤيد لسياسية التيار الاصلاحى التعليمية محمد رضا المظفر ووصف سلبيات هذه الدراسة : " ان هذه النواقص كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والاقوات والشهادات كانت تهدد المفكرين منا بشلل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب او البعيد " يوم ان اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الجديد فهزتها في بحر متلاطم بالمبول ولكن في الوقت الذي كانوا يفكرون في هذا كان يعوقهم عن التقدم في العمل ذلك التفكير المؤلم"^(٦١٧). ولاصلاح هذه الوسائل التقليدية في الجامعة الدينية العلمية عملت " الجمعية الاصلاحية التي تأسست سنة ١٩٢٥ " بمحاولات جريئة لعرض افكارها الاصلاحية لمعالجة هذه الاوضاع^(٦١٨) باتجاهين : الأول من حيث (المادة) : التي يتلقاها الطالب النجفي في دراسته التقليدية والتي تقتصر على النحو والصرف والبلاغة والمنطق والتفسير والفقه والاصول فعلى الرغم من اهميتها الا انها كانت لا تساعد على تنمية ادراكه " ولا تنهض وحدها بواجبات الطالب الرسالية"^(٦١٩). فمن الضروري تعميم مصادر وموارد حديثة تواكب روح العصر وتخدم المجتمع . الثاني (الاسلوب) : فان الجمعية الاصلاحية ترى ان الكتب الدراسية التي يتعاطاها الطالب النجفي في هذا الدور لا يزال يطغى عليها طابع الغموض والتعقيد مما يحوج الطالب الى ان يصرف جهدا كبيرا في تنسيق الابحاث ، فتدعو الجمعية الى تحسين صياغة مناهج الكتب واسلوبها وان تكون خالية من الغموض ، والالتواء ، فضلا عن حسن التنظيم والترتيب في مباحث تلك المصادر^(٦٢٠). وهذا ما حاول اصلاحه وعلاجه المصلح ابو الحسن الموسوي حينما حاول اختصار وتبسيط بعض الكتب الطويلة والمعقدة المعنى ومنها كتاب " الكفاية والاصول " للمصلح محمد كاظم الخراساني ، الا انه لم يستطع بسبب قوة مقاومة التيار المحافظ الراض لكل تعديل على المناهج والمصادر التعليمية^(٦٢١). وقام المصلح محمد علي الحسيني من تبسيط احدى الكتب الفلسفية المعقدة والتي تعتمدها حلقات العلم في مدينة النجف وهي " شرح منظومة

(٦١٣) القيسي ، سامي عبد الحافظ ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٣٦ ، البصرة ، ١٩٧٥ ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٦١٤) " النجف " ، (صحيفة) ، النجف ، ١٥ / ايلول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٤) ، ص ٣ .

(٦١٥) المصدر نفسه ، ٤ / شباط / ١٩٢٦ ، العدد (٧٢) ، ص ٢ .

(٦١٦) المصدر نفسه ، ص ٢ .

(٦١٧) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٣١) .

(٦١٨) يمكن تقسيم الدراسة التقليدية القديمة التي تحتضنها زوايا الجامعة الدينية في مدينة النجف بمرحلتين الأولى : مرحلة المقدمات والسطوح ، الثانية : مرحلة البحث الخارجي . والمرحلة الأولى تعتبر دورا إعداديا والثانية الاجتهاد ، والسمة القديمة لهذه الدراسة أنها ترفض أي تعديل جديد في شكلها ومحتواها ولا يوجد أي تنظيم منهجي ، ولا يوجد تنظيم خاص بالدراسة من حيث التنسيق بل تقوم على الطالب الذي يحضر مادة البحث = ثم يأتي للدرس ويناقش أستاذه ولا يكون للامتحان وزنا . " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ٢١ / تشرين الثاني / ١٩٣٤ ، العدد (٤٣) ، ص ٩ .

(٦١٩) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٦٢٠) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٣١) .

(٦٢١) " النجف " ، (صحيفة) ، نجف ، ٤ / شباط / ١٩٢٧ ، العدد (٧٢) ، ص ٣ .

السبزواري " مؤلفه الهادي بن مهدي الحكيم وكتب في مقدمة كتابه المختصر مقدمة تعبر عن وجهة نظره الإصلاحية في اختصار المناهج المعقدة وهي :
" لا يخفى ما يحصل في النظم من تكلف رعاية الوزن والسجع لا سيما في نظم العلوم العقلية والفنون الفلسفية ...
" (٦٢٢)

وعرضت " صحيفة النجف " المنبر الاصلاحى للحركة الاصلاحية النجفية نقد الشباب المتحرر المؤيد للحركة الاصلاحية النجفية ومنهم " حسن احمد مرزا الاسدي [صاحب كتاب ثورة النجف او الشرارة الأولى على الانكليز] " الذي صب جام غضبه على طرق التدريس القديمة التي تتمسك بانظمة لا تفي بالغرض ومنها " التطويل " في الدراسة فيعيد من اكبر المعوقات في سبيل التحصيل الدراسي اذ ترى الطالب قد احدودب ظهره وقد تخلص من معركة تحصيله وهو في العقد الأول من عمره وخرج منها وهو في العقد السادس يوم لا يمكن ان يستفيد منه في شيء لا الدين ولا المجتمع ، فيدعو الى نبذ الطرق القديمة وترك الكتب المطولة ، ودعا الطلبة الى قراءة الكتب المختصرة الخالية من التعقيد والغموض ، واختتم دعوته الاصلاحية بمساندة توجيهه باجتماع لجنة من كبار رجال الدين للشروع باختصار الكتب بكل سهولة دون أي كلفة ما ليسهل دراستها من قبل الطلبة مع اختصار الوقت (٦٢٣) . ونادت صحيفة " النجف " بتبني موضوع البعثات الطلابية الى خارج العراق لما ذلك من دور في خلق شباب متعلم ومتقف (٦٢٤) . وعلى الرغم من الاوضاع التعليمية السيئة دفع محرر صحيفة النجف المصلح يوسف رجب الى استنكار ما تطلقه صحيفة (العراق) البغدادية التي دعت في احدى مقالاتها الى الغاء وزارة المعارف وتحويلها الى مديرية عامة تابعة الى مجلس رئاسة الوزراء ، اذ كتب رجب : " ان هذا المقترح تخريب يستهدف القطر ... لم تخل صحيفة من صحف العالم اليوم من الحث والحض - البالغ اقصى الدرجات على نشر ألوية العلم والاكتثار من المدارس ، ودور التدريب وغرف التهذيب والتعليم ، اذ لا سعادة للامم الا بتعليم ابنائها وتنقيف عقول رجالها في هذا السبيل ... الخ " . وتلقي صحيفة النجف شبك التهمة لهذا المقترح اللاتعليمي الى المستشار " المستر رايلي " في وزارة المعارف مؤكدة ان اسباب تقدم الشعوب ترتبط ارتباطا جدليا برعاية العلم والنشر ، وهذا ما لا يريده المحتل البريطاني (٦٢٥) . ودعت " صحيفة النجف " - بتوقيع " طالب علم " - الى الاهتمام بتحسين اسلوب اللغة العربية والاهتمام بها ، ويتمنى لو اختصرت المناهج المقررة لتدريس اللغة العربية (٦٢٦) .

ودعا التيار الاصلاحى النجفي الى ضرورة تعليم البنات في مدينة النجف وخلق جيل من المتعلمات لكي يساعدن مجتمعهم على الرقي والتمدن . اذ ناشد المصلح عيسى كمال الدين ببناء مدرسة لتعليم البنات فسجل له الخاقاني هذا الموقف : " وبهذه المناسبة اتذكر [علي الخاقاني] موقفا مع الشيخ علي الفرطوسي المعروف بالقدس والزهد ... الذي تحدث اليه عيسى كمال الدين: ان من يمنع تأسيس مدرسة للبنات عاشم ، ظالم ، كفانا ، انكم موهت علينا اولاً بأن مدارس الاولاد بدعة وفجور فتقدم اولادكم فصاروا محامين واستعبدوا اولادنا فراشين عندهم ، أما بناتي فلا اقبل ان يكن خدامات عند بناتكم . كان موقف هذا العبد الصالح في ذلك الوقت بمثابة الصاعقة على اولئك الدجالين " (٦٢٧) .

وثار التيار المحافظ بسماحه عزم التيار الاصلاحى بمساندة الحكومة الوطنية افتتاح مدرسة البنات تعلمهن وتثقفهن ليصبحن اكثر نفعاً وفائدة في معترك الحياة . واستغل المحافظون ضعف وعي العامة وانتصروا لقوة رجعتهم بالرغم من مساندة حاكم قضاء النجف " جعفر حمدي " (٦٢٨) الذي كان يميل الى فتح مدرسة حديثة لتعليم

(٦٢٢) الحسيني ، هبة الدين ، فيض الباري أو إصلاح منظومة السبزواري (وهي أصول الفلسفة العالية) ، بغداد ، ١٩٢٥ . وهو (موجود في خزانة كتب السيد جواد الحسيني نجل المصلح محمد علي الحسيني) .

(٦٢٣) " النجف " ، (صحيفة) ، النجف ، ١٤ / نيسان / ١٩٢٦ ، العدد (٤١) ، ص ٣ .

(٦٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤ .

(٦٢٥) المصدر نفسه ، ٣١ / آذار / ١٩٢٧ ، العدد (٧٨) ، ص ١ .

(٦٢٦) المصدر نفسه ، ١١ / شباط / ١٩٢٧ ، العدد (٧٣) ، ص ٢ .

(٦٢٧) مقتبس من الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٦٢٨) ولد ببغداد سنة ١٨٩٤ واشتغل في وظائف عدة في المحاكم المدنية والشرعية من سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٢٠ حين استقال والتحق بالثورة العراقية وفي السنة الثانية عاد الى وظيفته في المحاكم الشرعية ودرس في تلك الأثناء في كلية الحقوق فتخرج منها سنة ١٩٢٥ فحاکما في قضاء الكاظمية فمديرا للأمر الحقوقية في وزارة الداخلية عام ١٩٢٨ فحاکما في الكاظمية ثانية ١٩٢٩ ثم انتقل في السنة نفسها الى مدينة النجف ليشغل منصب حاکما منفردا حتى عام ١٩٣٣ إذ انتقل قائمقاما لقضاء النجف فقضاء قلعة سكر ١٩٣٣ . الورد ، محمد باقر ، أعلام العراق الحديث (قاموس وتراجم ١٨٦٩-١٩٦٩) ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

البنات^(٦٢٩) . وتمكن المصلحون النجفيون من مواجهة موجة المحافظين بعد ان كادت فكرة تأسيس مدرسة تعليم البنات تفشل وتأخذ طريقها الى النسيان اذ لجأ التيار الاصلاحى النجفي الى حيلة ذكية خلصتهم من فشلهم حتى كان من جرائها انقلاب بعض المحافظين الى مؤيدين للفكرة فيما بعد ، اذ اشاع الاصلاحيون ان المراد من فتح مدارس البنات هو لتعليم بنات الموظفين فقط ونجحت الخطة وفتحت المدرسة الاولى لتعليم البنات في المدينة [النجف] سنة ١٩٢٩ ، وكتب على بابها " المدرسة الابتدائية لبنات الموظفين " ، وسجل علي الخاقاني ازدواجية الفكر المحافظ اذ يقول : " ومن الغريب ان الكثير من اولئك المعارضين لفتح هذه المدرسة بادروا الى ادخال بناتهم فيها ولكن بصورة سرية !! فتامل وأعجب ... الخ " ^(٦٣٠) .

ومن ثمار الحركة الاصلاحية النجفية بشأن تحديث المدارس وتجديدها ، بروز نشاط رياضي عالي المستوى . ففي عام ١٩١٧ فتح التيار الاصلاحى " مدرسة النجف الابتدائية " ومنهجه الرياضي " دروس الالعاب السويدية " ، وساند التيار الاصلاحى فتح مدرسة ابتدائية اخرى في محلة البراق ١٩١٩ واهتمت بدرس الرياضة فيها ، وفي عام ١٩٢١ - ١٩٢٢ ادخلت الرياضة الكشفية وهي من النشاطات التي تمارس بالدول المتقدمة ، وفي عام ١٩٢٦ اشتركت المدرسة الابتدائية الاولى في دورة الالعاب السويدية المحلية المقامة في " مدينة الحلة " ، وفي عام ١٩٢٧ ادخلت رياضة الجمناستك " لعبة القفز على الحصان " ، فضلا عن العاب الساحة والميدان. وفي عام ١٩٢٨ اقيمت بطولات رياضية لكرة القدم اذ كان لكل مدرسة فريقها الكروي ، وفي عام ١٩٢٩ عملت ادارة المدارس التربوية النجفية على اقامة صلات مع ادارة المدارس الحديثة في العراق ^(٦٣١) .

ولم يرض التيار الاصلاحى النجفي ما آلت اليه اللغة العربية اذ وصل الامر بها الى درجة منحنطة من التدهور والخمول ، والتفكك والضياع ، والفصحى لا يعنى بها ولا يتدارسها الا الأقلون حتى مطلع القرن العشرين^(٦٣٢) . فحاول التيار الاصلاحى النجفي تثبيت معاني اللغة العربية ودورها في تثبيت اسس القومية العربية وذلك عن طريق ترويج " الفصحى " كموقف قومي ضد زحف العجمة والدارجة الشعبية^(٦٣٣) . فاللغة العربية لغة القرآن الكريم والعروبة حتى ان المصلح محمد علي الحسيني أكد ان : " على كل فرد منا نحن المتعلمين الذين نكتب وننشر ، ان " نجدد " قدر استطاعتنا كل ما يعرض علينا من الالفاظ التي امست مع الاسف ثقيلة على الذوق العربي الخاضع للعجمة ... الخ " ^(٦٣٤) .

وأخذت دعوات الحركة الاصلاحية النجفية في الجوانب الصحية جانبا كبيرا وبخاصة التي تتعلق بحياتهم الخاصة وتوعيتهم فضلا عن المطالبة بتحسين ظروفهم الصحية .

رابعا : الدعوات الاصلاحية النجفية في الجوانب الصحية :

انتقد التيار الاصلاحى النجفي مسألة بالغة الاهمية والخطورة على المجتمع النجفي الا وهي " نقل الجنازات المتغيرة " ومضارها على الاوضاع الصحية والاجتماعية في مدينة النجف ، فالمصلحون النجفيون لا يبيحون دفن الجنازات القادمة من مسافات بعيدة ، وغير العراقية القادمة من دول " الهند وباكستان وايران وغيرها من الدول الاسلامية " المحمولة بوسائط النقل القديمة كالدواب او السفن وغيرها ، لما يسببه تفسخ تلك الجثث التي تتعرض لشتى صنوف الاحوال الجوية ، فاصحاب تلك الجنازات يخالفون " حكمة الدفن " او " علة الدفن " التي يقصد منها مواراة جثة الانسان وحفظها عن التفسخ وعن ظهور فساد رائحتها وسائر مخلفات الجسد^(٦٣٥) ، ومفجر هذه الدعوة الاصلاحية هو المصلح محمد علي الحسيني الذي اثبت مضار نقل الجنازات المحمولة بالوسائط القديمة ، وانكشافها لمظاهر البيئة ، فضلا عن هتك حرمة الميت ، وهذا ينافي الشريعة الاسلامية الدالة على احترام المسلم حيا او ميتا . فمن سخريه هناك حرمة الميت ما يرويه المصلح علي الشرقي^(٦٣٦) حينما وصف حال تلك الجنازات القادمة للدفن في

(٦٢٩) الخاقاني ، علي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ .

(٦٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٦٣١) السفير ، علوان ، تاريخ النجف الرياضي ، بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ١١ .

(٦٣٢) بصري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٦٣٣) البيستاني ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٦٣٤) العجلي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٦٣٥) الشهرستاني ، هبة الدين ، تحريم نقل الجنازات ... ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٦٣٦) لقد توهم عبد الحسين مهدي عواد صاحب كتاب " علي الشرقي حياته وأدبه ، بغداد ، ١٩٨١ " في مسألة أن المصلح علي الشرقي هو الرائد الأول في قضية تحريم نقل الجنازات ومفجرها بل سبقه المصلح محمد علي الحسيني في إطلاقها بوسيلتي الصحافة " العلم " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٦ / آب / ١٩١١ ، العدد (٣) ، ص

العتبات المقدسة او بالقرب منها اذ يقول : " ان جملة من الجنائز يكبسون الموتى بعضهم في بعض لترى الخمسة اربعة والعشرة ثمانية والعشرون خمسة عشر وهكذا حتى يستخلصوا لانفسهم دراهم هاتيك الجنائز [الرسوم المفروضة عند دخولها العراق] المكبوسة ولا يؤدوها للرسوم المقتنة والمصارف المعينة للحمل والدفن وغيرها . فيجعلون مثلاً رأس زيد في بطن عمر ، ويده في جوف بكر وساقه في ... (٦٣٧) وهكذا ، وهذا لعمرى فرع اقتصادي سمعناه جديداً ضمن الكشفيات والمخترعات الجديدة الشرفية فليهنأ الشوق بنوابغه ! " (٦٣٨) .

ساند طروحات المصلح محمد علي الحسيني في قضية تحريم دفن الجنائز المتغيرة في المدن العراقية المقدسة عدد من المصلحين الذين افتوا بتحريمها كفتوى المصلح محمد كاظم الخراساني في النجف ونصها : " لا يجوز نقل الميت في هذه الصور وكذلك لا يجوز نقله بعد الدفن " (٦٣٩) .
ومن مدينة كربلاء ساند بعض العلماء وابرزهم الشيخ حسين الحائري الذي افتى بأنه : " لا يجوز حمل الميت ومع عدم الاهانة والهتك والنبش " (٦٤٠) .

ورفض المصلح محمد علي الحسيني عادات [وهي من مخلفات نقل الجنائز] مثل عادة " امانة الميت " في قبر بارد يمتد به الى عدة سنوات حتى يتمكن من نقله الى مدن العتبات المقدسة لدفنه ، ورفض مبدأ نقل الميت على مراحل من ضريح مقدس الى ضريح اخر الى ان يصل الضريح المنشود (٦٤١) . ويمكن حصر حكمة التيار الاصلاحى النجفي في منعه دفن الجنائز المتغيرة في المدن المقدسة في العراق بما يأتي :

١- ان نقل الجنائز من مسافات شاسعة تخل بحرمة الميت وعدم صلاحية نقله لنتونة الجثة وتفسخها ، او الاستهانة بحرمتها فضلاً عن ما تحمله تلك الجثث من امراض وجراثيم واوبئة ناتجة اما من مصادرها كتعرض تلك المناطق للأوبئة الفتاكة (٦٤٢) أو غيرها ، مع شروط النقل غير الصالحة القائمة على الوسائل البسيطة البطيئة ، ثم تعرضها للتفسخ والعدوى وبخاصة انها تترك في الأرض بداعي " الامانة " ثم في مناسبة ما " كوفاة احد علماء المدينة " تبعث جماعيا مع العالم المتوفى على شكل قافلة شملت احدها " ٤٠٠ جثة إيرانية " (٦٤٣) . وان هذا الضرر الفاحش الذي يعاني منه شريحة من المجتمع العراقي وما تسببه من نتائج نفسية سيئة فمثلاً وجد في احد مساجد مدينة النجف جثتان مع ساق في احدى زواياه لا يعرف عن هويتها شيء (٦٤٤) .

٢- سخيرية الاجيال العراقية وغيرها واستقبالها هذه الاعمال ومن ثم فأنها سوف تأخذ بالطعن والحمل على الدين (٦٤٥) .

الا ان هذا التفسير العلمي لم يلق ترحيباً وتفهماً لدى الاوساط المحافظة النجفية التي اعلنت حرباً شعواء وضجة واسعة على التيار الاصلاحى النجفي . وتفسير رفض التيار المحافظ هو :

١١٣ . تحت عنوان " هل يجوز تحريم نقل الجنائز على الأوجه الشائعة " ؛ والرسالة الفقهية " تحريم نقل الجنائز " ، مطبعة الشايبندر ، بغداد ، ١٩١١ .

(٦٣٧) هكذا وردت في النص " ... " .

(٦٣٨) مقتبس من " العلم " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٦ / آب / ١٩١١ ، العدد (٣) ، ص ١١٩ .

(٦٣٩) مقتبس من الشهرستاني ، هبة الدين ، تحريم نقل ... ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٦٤٠) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٦٤١) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٦٤٢) لم يجد الباحث الكوارث البيئية الفتاكة المستوطنة بعض جهات إيران وآسيا الوسطى في رسالة محمد علي الحسيني " تحريم نقل الجنائز " وما قد تسببه هذه المناطق وسط ناقل لأوبئة مدنها . عن هذه الكوارث ينظر : ولبر ، دونالد ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨ ؛ نشأت صادق ، مصطفى حجازي ، صفحات عن إيران ، مطمحيرة ، مصر ، ١٩٦٠ ؛ أحمد ، ابراهيم خليل ، خليل علي مراد ، إيران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الكتب للطباعة ، الموصل ، ١٩٩٢

(٦٤٣) الشهرستاني ، هبة الدين ، تحريم نقل ... ، المصدر السابق ، ص ١٤ . وهي قافلة مدينة بهبان الإيرانية .

(٦٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩ . وعن تفاصيل العثور في فناء أحد جوامع النجف على جثتين مع ساق ينظر :

الشهرستاني ، هبة الدين ، تحريم نقل ... ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٦٤٥) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٢٠ ؛ الشهرستاني ، هبة الدين ، تحريم نقل ...

، المصدر السابق ، ص ١٨ .

أولا - علاقة تجار الجنائز ببعض رجال المحافظين واكد هذا الامر المصلح محمد علي الحسيني اذ قال : " ترى من هو المسؤول عن هذه الحادثة وامثالها من الحوادث غير سكوت أهل " الفتيا " الذي يطمع سكوتهم المتاجرين بالجنائز ... الخ " (٦٤٦).

ويضيف الباحث اسبابا اخرى :

ثانيا : ان نقل الجنائز من دولة الى دولة اخرى فيه مردود اقتصادي كبير من حيث زيارات أهل الاموات لقبور موتاهم بين مدة واخرى ومن ثم تنشيط حركة الاقتصاد في مدينة النجف على حساب صحة اهلهما .
ثالثا : ان بعض اسر الموتى من تلك الدول قد يعمل بحقوقه الشرعية في مدينة النجف من " خمس وزكاة وحج وغيرها " وبالتالي فإنها ضربة اقتصادية كبيرة بغتتها المحافظون وغيرهم فعدوا دعوة الحركة الاصلاحية النجفية قطعاً لارزاقهم فحاربوا دعواتهم الاصلاحية بشأن الجنائز منطلقين من مبدأ " قطع الاعناق ولا قطع الارزاق " فحاربوا مفجرها وعدوه مخالفا للشرع مارقا عن الدين .

وحذر المصلح محمد علي الحسيني من التدخين واوضح أن مضاره تتعدى مادة النيكوتين فأن الدخان يحوي سموما اخرى تصيب الشرايين الصدرية وهي موجودة في تركيب مادة الدخان وهي البيريدين والكريزول وحمض الكاربون وغيرها وكلها ضارة الى حد تصل الى تلف الرئتين واضطراب في القلب حتى تصيب المدخن بالعرق مع البرودة . أما الدعوة في تركها فهو ان يتمضمض المدخن بمادة نترات الفضة فاذا دخن المدخن بعدها يصاب بقرف ورائحة مزعجة على اثرها يترك التدخين ويكرهه (٦٤٧) . وبرهن بأن التدخين محرم شرعا وذلك بأن روح الانسان امانة عند هذا الجسد والتدخين يسبب بإيذاء هذه الامانة التي منحها الله عز وجل (٦٤٨).

ازدادت الاوضاع الصحية في مدينة النجف سوءا في عهد السيطرة البريطانية اذ يصف " توماس كوك " الاوضاع الصحية السيئة في مدة الاحتلال البريطاني " بتدني الاوضاع المساكن الفقيرة ووساقتها حتى ان العواصف الرملية مع الجو الحار والامطار الغزيرة في الشتاء عملت جميعا على جعل الشوارع الغير معبدة والخالية من المجاري المعدة للمياه القذرة في المدن الكبرى وبما تضمنه من المنازل المشوشة التي يقوم الواحد فوق الاخر فتصبح عديمة الصمود امام أي هجوم من الامراض المعدية مهما كان نوعه " (٦٤٩) . وهذا الوصف لا تخلو منه مدينة النجف ذات الطبيعة الصحراوية القاسية والمنازل الفقيرة المشوشة المترامية الواحدة فوق الاخر حتى سميت بـ " العقود " .

واهتم التيار الاصلاحى النجفي بمشكلة الفلاح العراقي وما يعانيه من ظروف سيئة اذ انشد المصلح محمد جواد الجزائري من قصيدة " الفلاح " يذكر فيها همومه ، اذ قال :

خدوا بيد الضعيف فقد اقيمت	كراسي حكمكم بيد الضعيف
أكل متاعب الفلاح تجبى	اليكم و هو يحلف بالرغيف
غضبت له شريفا في بلاد	تضيع حرمة الرجل الشريف
فدى الكوخ الحقيير وما حواه	زخارف ذلك القصر المنيف (٦٥٠)

طالبت الحركة الاصلاحية النجفية بتحسين الاوضاع الصحية وتقديم افضل الخدمات المناسبة للمجتمع ونادت بضرورة توفير عدد كاف من الاطباء وبناء المراكز الصحية (٦٥١)، ورسم مناهج لمكافحة الامراض الفتاكة كمرض الملاريا (٦٥٢) .

وللطبيعة الجغرافية القاسية لمدينة النجف ، وسوء ادارة النظام العثماني " المحتل السابق " ، وحاجة النجف الى مياه مستمرة كأى مدينة تجارية فضلا عن متطلبات العيش فيها . كانت مدينة

(٦٤٦) مقتبس من الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٦٤٧) " العلم " ، ٢٩ / نيسان / ١٩١٠ ، العدد (٢-٣) ، ص ١٠٩ - ص ١١٠ .

(٦٤٨) الشهرستاني ، هبة الدين ، أضرار التدخين وشرب الدخان في نظر الطب والدين ، بغداد ، ١٩٢٤ ، ص ٤ .

(٦٤٩) مقتبس من فوستر ، هنري ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ .

(٦٥٠) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٨ .

(٦٥١) كان المرضى النجفيون يعانون مشقة ايجاد مراكز الاستشفاء فيضطرون للسفر الى مدن الحلة او الديوانية او بغداد او كربلاء . واستمر وضع اهالي النجف بالتدهور لعدم توفر المراكز الصحية ويرجع هذا الى فشل خطة الملك فيصل الاول لبناء مستشفى حتى ان الخليلي سخر من هذه الاوضاع الذي يصف على حد قوله ان النجارين عانوا من استخدام خشب التوابيت واستخدموا اغطية الحبوب . للمزيد من التفاصيل ينظر : الخليلي ، جعفر ، الصحة في النجف ، " الهاتف " ، (مجلة) ، نجف ، ١٧ / حزيران / ١٩٣٨ ، العدد (١٢٦) ، ص ٣ .

(٦٥٢) " النجف " ، (صحيفة) ، النجف ، ١٨ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٦) ، ص ٣ .

النجف تعاني شحة المياه ، فوضع التيار الاصلاحى النجفي هذه المشكلة نصب عينيه وعهد بها الى " المصلح عبد المحسن شلاش " الذي وضع حلا اصلاحيا لما تعانيه المدينة وتمثل هذا الحل باقتراحه انشاء مشروع ماء في مدينة الكوفة وعلى النهر مباشرة ، وايصال مياه النهر الى مدينة النجف بواسطة مضخات لدفع الماء للمدينة المقدسة . ولكن بسبب عدم ادراك التجار النجفيين وحتى العامة فائدة المشروع اخذوا يشككون بالفكرة ويسخرون منها ! وفي نجاحها . حتى ان المصلح الخليلي برر فشل المشروع بقوله : " لقلّة اتصال هؤلاء التجار والناس بالعالم الخارجى " وبالتالي احبط انشاء المشروع لعدم مساندة اهالي النجف انفسهم ماديا ومعنويا^(٦٥٣) .

وساهم مرة اخرى المصلح عبد المحسن شلاش في حل مشكلة شحة المياه في مدينة النجف وفي بدايات الحكم الوطني الأول . فبعد وضع الحكومة الوطنية اقتراحا ينهي مسألة شحة المياه بمد جدول نهري من نهر الفرات عن طريق كربلاء يخترق مساحة شاسعة من ظهر الهضبة ، وتميزت مشاركة المصلح عبد المحسن شلاش بالدعم المادي لاتمام المشروع اذ تبرع بثلاثة الف روبية الا ان المشروع فشل بسبب عدم توفر الاموال الكافية اذ يحتاج الى مبالغ اكبر من تبرعات مصلحننا وللأسف وجهت العامة انتقادات حادة ومزعجة بل اتهموه أنه المسبب في اخفاق المشروع!^(٦٥٤)

وتصدت صحيفة " النجف " تباعا لمشكلة طالما عاناها اهالي مدينة النجف وهي شحة المياه الصالحة للشرب اذ حثت بالعديد من افتتاحياتها الحكومة العراقية يومذاك على ضرورة اتخاذ الخطوات الجادة لحل المشكلة اذ جاء في افتتاحية عددها الصادر بتاريخ ٢٦ / تموز / ١٩٢٦ ما نصه : " اننا لننتظر بفارغ الصبر ما سيقوم به " مجلس الوزراء المحترم " ازاء هذه النكبة القاسية من اتخاذ الوسائل وانشاء الخطط الجديرة بالفائدة ، حتى لو ادى الامر الى شخوص فخامة السعدون [عبد المحسن] ، او معالي وزير الداخلى [رشيد عالي الكيلاني] ، ووزير الاشغال والمواصلات [عبد الحسين الجلبي] ، الى هنا والوقوف بانفسهم والنظر بعيونهم الى الاسباب التي تؤدي الى هذه الاضرار الجسيمة التي تلحق البلاد سنويا وتثقل كاهل الفقير ، وان قضاء النجف لم يكن مدينة على الهامش حتى لا يستحق تخصيصا وارصادا كافيا من الميزانية "^(٦٥٥) . ويوضح لنا هذا المقال جراءة التيار الاصلاحى النجفي بالمطالبة بتحقيق دعوته في مخاطبة رئيس الوزراء ووزرائه بل يدعونهم للمثول شخصيا الى مدينة النجف والاطلاع على مشاكلها .

ودعا المصلح محمد علي الحسيني الى نبذ الخمر وشروطها اذ حذر من مخاطرها الصحية محظرا : " ان الكريات الدم الحمراء^(٦٥٦) تضعف مقاومتها للأمراض المعدية في شاربى المسكرات "^(٦٥٧) ، وهو السبب الرئيس لأمراض التدرن (أمراض السل الرئوي) وخطره على النسل والعمر وغيرها من المقالات وبأسلوب علمي مقنع^(٦٥٨) . وحارب المصلح يوسف رجبى عادة شرب الخمر وعده الأساس في ارتكاب الجرائم في المجتمع اذ حذر : " ان المسكرات مفتاح الجرائم ومادة للمفاسد ... وأنها أم الخبائث ومنبع الرذائل وإفساد للأمة جميعها أو للفرد وتضرر بمستقبل الأمة أكثر مما تضرر بحالتها الحاضرة "^(٦٥٩) ، وتنبه صحيفة (النجف) في مقال " الخمر داء عضال " وبتوقيع (مستاء) على خطر الخمر وتوضيح مصائبه والتذكير بأن الدين الإسلامى حرمها^(٦٦٠) .

أدرك التيار الاصلاحى النجفي دور الاقتصاد في تحديد فاعلية المجتمع وبخاصة ان مدينة النجف تتمتع بمميزات تجارية تحسد عليها ، فتدخل المصلحون النجفيون في اصلاح بعض النظم ووضعوا أفكارهم الاصلاحية النظرية في تحسين الفاعلية الصناعية المتدهورة فمدينة النجف تشتهر بصناعة المنسوجات التي تصرفها عن طريق : ١ - سكان المنطقة المحيطة بها فهي منطقة قبلية زاخرة بالسكان . ٢ - كثرة الزوار الوافدين الى المدينة . وأكد المصلحون النجفيون ان تبني الوسائل المالية الحديثة هو ضمان لازدهار تجارة المدينة فأيدوا افتتاح المصارف الأهلية ذات الفوائد والأرباح المتبادلة ، واهتموا بالفلاح اهتماما متزايدا لأنها منطقة مقدسة ينظر إليها العراقي (الفلاح والعامل ...) وبخاصة " منطقة الفرات الأوسط " بمنظار القدسية والاحترام ، فنلاحظ أن الفلاح العراقي هو

(٦٥٣) مقتبس من الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٦٥٤) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

(٦٥٥) " النجف " ، (صحيفة) ، ٢٦ / تموز / ١٩٢٦ ، العدد (٥١) ، ص ١ .

(٦٥٦) يبدو أن المقصود هنا كريات الدم البيضاء ذات الوظيفة الدفاعية والمسؤولة عن حماية الجسم ضد الأمراض .

(٦٥٧) " العلم " ، ٢٩ / آذار / ١٩١٠ ، العدد (١) ، ص ٢١ .

(٦٥٨) المصدر نفسه ، ٢٨ / أيار / ١٩١٠ ، العدد (٤) ، ص ١٥٩ .

(٦٥٩) المصدر نفسه ، ٢ / كانون الثاني / ١٩١٠ ، العدد (١٠) ، ص ٤٤٤ .

(٦٦٠) النجف ، (صحيفة) ، ١١ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٥) ، ص ٣ .

مصدر من مصادر الرزق للنجفيين فدافعوا عن قضاياهم بشدة ، والتيارات الفكرية الإصلاحية إذا أرادت أن تتبنى قضية الاقتصاد فما هو المبدأ الذي سارت عليه الحركة الإصلاحية النجفية ؟ والجواب هو تطبيق فكرة التيار الإصلاحية النجفي الذي يعمل على ربط القضايا الاقتصادية في الواقع الاجتماعي مع متغيرات بدايات القرن العشرين واتباع " المنحى الإصلاحية التوفيقية " ، والمجتمع هو غاية المصلحين النجفيين فرسالتهم الإنسانية تنطلق من خدمة المجتمع والعمل على تنقيته وتوحيد صفوفه ، وجعله مجتمعا متحضرا بعيدا عن الأوهام والخرافات التي تمكنت من الدخول للمجتمع النجفي والتربع على زواياه بمباركة المحافظين وبخاصة التي تتعلق بمصالحهم الشخصية وأكدوا أن خير منقذ للمرأة من كابوس الظلام والرجعية هو التعليم فأيدوا فتح مدارس للبنات .

والمأخذ السلبي على الحركة الإصلاحية النجفية في ميدان دعوتها الاقتصادية أنها لم تبسط للفرد النجفي الكيفية الكاملة للعمل وفق " المنحى التوفيقية الإصلاحية الاقتصادي " ، إذ لم تستطع أن تصوغ مناهج علمية كافية وشفافية ترشد العامة الى الاقتصاد الأمثل المتوازن بين المفاهيم التي سنّها القرآن الكريم وحاجات العصر المفعم بالانقلابات الاقتصادية والهزات الاجتماعية العنيفة . بل للأسف غلب على بعض أفكارها " حلول اقتصادية من الواقع الغربي فقط " فمثلا نشرت (صحيفة النجف) مقالا إصلاحيا تحت عنوان " عبر وعظات فلماذا شؤوننا مهمله " (٦١١) ، ففي هذا المقال تشجع النجفيين وتحفزهم على تأسيس " الشركات " آخذة بنماذج من الواقع الألماني ، ولم تستطع أن توضح إن الإسلام هو مشروع اصولي ودقيق لنظام " الشركات " (٦١٢) . وبقية المؤسسات التي يتباهى بها الغرب ، وهناك مأخذ سلبي آخر على الدعوات الإصلاحية النجفية في الجوانب الاجتماعية هو عدم وضع رسائل إصلاحية كافية تنبه الأذهان على المساوي التي يعيشها الفرد النجفي بل اتسمت بالقلّة كـ " رسالة تحريم نقل الجنائز المتغيرة للمصلح محمد علي الحسيني " فضلا عن برودة نشاطهم الإصلاحية في بعض الدعوات مثل تعليم المرأة فالدعوات الإصلاحية بتعليمها وفتح مدارس لها ابتدأت منذ عام ١٩١٠ (٦١٣) ، وافتتح لها أول مدرسة ١٩٢٩ بسبب تشدد المحافظين وهو الأمر الذي يدعونا الى بيان توضيح سبب التناحر الفكري بين التيارين الإصلاحية والمحافظة ومظاهره .

المبحث الثاني - الصراع الفكري بين تيارين (الإصلاحيين والمحافظين) في النجف :

تندرج مسألة الصراع بين التيارين النجفيين الإصلاحية والمحافظ ضمن الصراعات الفكرية القائمة على وجهة نظر خاصة لكل منهما يستमित كل فريق في الدفاع عنها ، وتناولنا الدعوات الإصلاحية في الجوانب الدينية ضمن حلقة الصراع لأنها فتيل ملهيب للصراع بين التيارين أخذ حيزا كبيرا في التناحر بل كان نتيجة حاسمة في بعض مواقف الصراع . وقبضة المحافظين في مدينة النجف أقوى من قبضة العثمانيين تساعدهم قبضة الإمبراطوريتين المستبدتين الروسية والإيرانية ثم ظهرت على الساحة النجفية مدرستان وأصبحتا تيارين يحمل كل منهما نظريته إلا أنهما اختلفا في الأساليب ، فالمحافظون اعتمدوا العاطفة والمال والفوضى في كسب أتباعهم والشدة والعنف في مواجهة خصومهم المصلحين وخرج ذلك الخلاف في بعض أواره من طوره الفكري الى طور التعصب والتعنّت بالرأي وبالرغم من المنحى العنيف الذي اتخذه المتصارعون في عهد الحكم الوطني الأول ١٩٢١ - ١٩٣٢ . فإن الصراع لم يخرج من دائرة الصراع بين القديم والجديد ، الذي كانت بعض نتائجه حاسمة للمحافظين وبخاصة في مجال الإصلاح الديني ولا سيما أن بعض رجال التيار المحافظ رجال لهم وزنهم في مدينة النجف فمنهم علماء الدين والأدباء والمثقفون (مثقّف مستبد) وهو أمر شدد من قوة الصراع بين كلا التيارين .

فالدعوات الإصلاحية التي كانت تخص بعض المسائل الدينية هي التي أوقعت نار الصراع بين هذين التيارين ، فالحركة الإصلاحية النجفية تنظر الى الشريعة الإسلامية نظرة معتمدة على رقي الإنسان وتطوره وتنظيم أحواله وشؤونه بالحسنى والمعقول لا بالفوضى وعدم المبالاة فقد ناقش المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء الزيادة غير الضرورية لبناء المساجد في أماكن تكثرت فيها المساجد أساسا وفلسفته الإصلاحية في هذه الدعوة إن وظيفة المسجد هي لأداء الصلاة والتعلم ومنتدى يجتمع فيه المسلمون وملجأ للغرباء وحتى أبواب المساجد كانت تلتصق عليها الإعلانات . فالسؤال هل تحصل المثوبة والفائدة إذا بنيت مساجد كثيرة متقابلة أو متقاربة وقد افتتحت المدارس والصحف وغيرها من الوسائل التي انتشرت حتى المنتديات الاجتماعية وبخاصة عند بداية القرن العشرين خلال الانقلاب العثماني ١٩٠٨ . فإن الفائدة لا تحصل فبالإمكان استغلال هذه الأموال الضخمة المتبرع بها لبناء هذه

(٦١١) " النجف " ، (صحيفة) ، ٣ / كانون الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٤) ، ص ١ .

(٦١٢) جمال ، أحمد محمد ، محاضرات في الثقافة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٣١ .

(٦١٣) للمزيد من التفاصيل ينظر : " العلم " ، ٣ / كانون الأول / ١٩١٠ ، العدد (٩) ، ص ٣٩٤ .

المساجد في بناء المستشفيات والمدارس والدور للناس الذين ليس لهم بيت أو سقف يحتمون به . فدعا المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء الى استغلال هذه الأموال في هذه المشاريع وترك الرياء والغرور وأكد ضرورة إصلاح قضية الالتزام بـ " مسألة الوصية " إذ وجد إن بعض الناس يوصي بنصف تركته لبناء مسجد دون تصرف^(٦٦٤) .

وناقش التيار الإصلاحى النجفى مسألة بالغة الخطورة في حياة المجتمع العراقى بعامة والنجفى بخاصة ألا وهى قضية " الشعائر الحسينية " ، التى تتلخص وجهة النظر الإسلامية بشأنها (أمور شهري محرم الحرام وصفر من كل سنة) من " ضرب الرؤوس بالسيوف والظهر بالسلاسل وليس الأكفان وضرب الطبول والمزامير والمشاهد التمثيلية والصراخ وغيرها " ، فمن أعظم المنكرات اتخاذ البدعة سنة والسنة بدعة والدعاية لها وترويجها ، فهذه البدعة تنصب فى تصرفات لا منطقية أدخلت^(٦٦٥) على تأبين الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وللأسف أن من اللافت للنظر أن التيار المحافظ النجفى يشجعها وينميتها وهى بتقديرنا القشة التى قصمت ظهر البعير فى صراعهم العنيف مع التيار الإصلاحى النجفى وتتخلص وجهات نظر الحركة الإصلاحية النجفية بشأن هذه العادات فى الأمور الآتية :

- ١ . الكذب الذى يتلى على المنابر وفى المحافل ولا رادع له ، أليس تلك الإضافات الكاذبة هى كذب على الله ورسوله أو أحد الأئمة عليهم السلام وبخاصة أنهم لم ينسبوا خطبهم أو أعمالهم الى مصدر معين .
 - ٢ . التلحين بالغناء واستخدام أوزان غنائية معينة للنوح والبكاء وغيرهما .
 - ٣ . إيذاء النفس وجلب الضرر إليها بضرب الرؤوس وجرحها بالسيوف حتى يسيل دمها وكثيرا ما يؤدي ذلك الى الإغماء بنزف دم كثير والى المرض والموت ، وبضرب الطهور بسلاسل الحديد وغير ذلك . ومستند الحركة الإصلاحية النجفية فى رفض هذه التصرفات الدموية قول رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : " جنتكم بالشرعية السهلة السمحة " .
 - ٤ . استعمال آلات اللهو كالطبول والمزامير والصنوج النحاسية [الدمام] ، وهذا لا يرتضيه المنطق الإسلامى لدخول النغمة الصاخبة بالنفوس فتصبح النفس لا تنهض لشعار ديني إلا وهناك نغمة صاخبة محفزة للنهوض .
 - ٥ . تشبه الرجال بالنساء وهذا لا يرتضيه الشرع والسنة فى أوقات التمثيل . إركاب النساء الهوداج^(٦٦٦) مكشفات الوجوه وتشبه بعض النساء ببنات رسول الله (ص) وإركابهن حواسر على مرأى من الناس .
 - ٦ . سماع الرجال الأجانب [الأجنبي بمعنى الغريب] لأصوات النساء وصوت المرأة عورة معيب مناف للآداب والمروءة يجب تنزيه مناسبات التأبين عنه .
 - ٧ . الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة الذى من المستحيل أن يماثل أصوات تلك المعارك الخالدة .
 - ٨ . استعمال ما يوجب الهتك والشنعة مما لا يأتي عليه الحصر فى السب والشتم وهتك الأنساب^(٦٦٧) .
- ومن مفجري دعوات الحركة الإصلاحية النجفية بشأن إصلاح الشعائر الحسينية بوسيلة " الفتوى " باستغلال نفوذ الروحي واتباعه من المؤيدين المصلح أبو الحسن الموسوي ، فقد كانت فتواه عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ ضربة ناجحة من المصلحين مربة للمحافظين ونصها : " إن استعمال السيوف والسلاسل والطبول والأبواق وما يجري اليوم من أمثاله فى مواعيد العزاء بيوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين إنما هو محرم وغير شرعي "^(٦٦٨) .
- وسبق لصحيفة النجف وقلم المصلح يوسف رجب مناقشة هذه المسألة فنشرت ناصحة تحت عنوان " إصلاحنا يئن متى ينبغ فيها المصلح الجريء " دعوة المصلحين بشأن إصلاح الشعائر الحسينية إذ انتقدت إقامة

(٦٦٤) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٦٦٥) يذكر المؤرخ النجفى علي الخاقاني فى مذكراته أن أعمال ضرب السيوف والسلاسل وليس الأكفان وغيرها من العادات يرجع مصدرها الى إيران لأنها : " توزع الرجعية وتبتكر العادات الغريبة التى تشيع عليها لون الدين والعقيدة " وكيفية وصولها أرض النجف فهو عن طريق : " الجاليات الإيرانية القاطنة فى النجف " . مذكرات علي الخاقاني ، شعراء الغري أو النجفيات ، النجف ، ١٩٥٦ ، ج ١٢ ، ص ٥٠٢ .

(٦٦٦) الهودج هو مركب النساء وكان سابقاً يوضع على ظهر الجمل ، ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة " هج " .

(٦٦٧) العاملي ، محسن أمين ، رسالة التنزيه لأعمال التشبيه [تتضمن الكلام على ما يدخل فى عمل التشبيه وإقامة العزاء للإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) من المحرمات والتحذير منها] ، صيدا ، ١٩٢٩ ، ص ٣ - ٤ ؛ العاملي ، محسن أمين ، أعيان الشيعة ، دمشق ، ج ١٠ ، ١٩٣٨ ، ص ٣٦٣ ؛ الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٥٨ ؛ الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ؛ فتوى الأمين .. فى تحريم ما ليس أمين ، " الكوثر " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٥ / أيار / ٢٠٠٠ ، العدد (١٠) ، ص ١١ .

(٦٦٨) مقتبس من الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

المشاهد التمثيلية والأعمال المترتبة عليها كالصياح والافتتال التمثيلي وغيرهما ، ودعا رجب الى اتخاذ الوسائل المعقولة والمفيدة للتعبير عن هذه الوسائل خالية من كل نقد وسخرية وأن لا تكون مثارا للشكوك ومحطا للظنون ثم تحسب دالة عليها من قبل الشعوب الأخرى^(٦٦٩) .

ووجدت دعوات الحركة الإصلاحية النجفية تقبلا في أوساط خارج مدينة النجف فساندها في مدينة بغداد المصلح محمد علي الحسيني^(٦٧٠) ، وفي البصرة دافع عنها وروج فكرتها المؤيد للإصلاح البصري مهدي القزويني^(٦٧١) .

وأصبحت (صحيفة النجف) إحدى وسائل الترويج وبخاصة في مواصلة أهدافها خارج مدينة النجف فانطلقت أعمال البصريين وعنادهم باستمرار التمثيل والمواكب والسبايا وضرب الرؤوس ولبس الأكفان وغير ذلك وانتقدت الانقسام والانشقاق بين صفوف أهالي مدينة البصرة من مؤيد ورافض للدعوات الإصلاحية النجفية^(٦٧٢) . واستمر المصلح محمد علي الحسيني في مواصلة رفق التيار الإصلاح النجفي بدعواته الإصلاحية الجديدة المتعلقة بالعادات والتقاليد الدينية إذ ذكر جعفر الخليلي رئيس هيئة تحرير (صحيفة الفجر الصادق النجفية) عام ١٩٣٠ بأنه كان يتلقى اقتراحاته وتوصياته برسائل مغلقة خالية من التوقيع كلها " تحوم حول الإصلاح الديني وغيره "^(٦٧٣) .

ودعا التيار الإصلاح النجفي ضرورة إصلاح الخطبة الدينية كونها أداة توعي الأذهان وتفتح العقول وأهم مبادئ التيار الإصلاح النجفي في شكل الخطبة أن تكون ذات مضامين إصلاحية إنسانية تنفع العامة وتكثر فيها الموعظة والإرشاد ، وأن لا تقتصر على تأنيب الضمير والبكاء والعويل ، وأن لا يكون أسلوبها ضعيف لا يفي بمتطلبات الخطابة وغير مدرك لمفاهيم الفكر الحديث وأفاقه وشؤون المعرفة ومن الضروري أن يتحلى الخطيب بنواحي الفكر الإسلامي بشكل تام ومرض من فقه وتفسير وحديث وتاريخ وأن يكون الخطيب مدركا لما يحتاجه الفرد في قضايا المعاصرة وأن يسترشد بالمزايا الحسنة للأولين وأن يتخذ منهم مثلا حسنا يقتدي به الناس وأن لا يكون مجرد باك مبك ، وأن يتحلى الخطيب بالخلق الكريم ويتعد عن سمات التعصب والتفرقة ، ولا يتطرق الى بحوث علمية صعبة ومعقدة يصعب فهمها حتى على المتعلم^(٦٧٤) .

ويتهم المصلح يوسف رجب بعض رجال الدين بالهفوات التي تعرض إليها المجتمع والمسائى الضارة بسمعته وسمعة الدين الإسلامي إذ قال : " إن ممثلي الدين ورجاله هم المسؤولون مباشرة عما يتطرق إليه المجتمع من الخلل والمشرفون على مقدراته والممثلون له بأجلى مظاهره وأنصع حقائقه ولهم الهيمنة على إدارة شؤونه فتقدر درجة فهم الأمة وعقليتها من وجهة الدين بنسبة ما يملئ عليها رجال دينها "^(٦٧٥) .

ويرى التيار الإصلاح النجفي ضرورة إصلاح منهج (الكتابة الدينية) فقد كانت ضعيفة متأخرة غير شاملة لمناحي الحياة من فكر وإصلاح وإيمان حتى اتهمها بأنها كتابات تأخذ شكلا من الدعاية الفارغة ، ويعزو التيار الإصلاح النجفي سبب ضعف منهجية الكتابة حتى مطلع القرن العشرين في مدينة النجف الى :
١ . عدم تمكن الكاتب النجفي حتى بدايات مطلع القرن العشرين من التعبير وفقدان الصياغة الأدبية في الكتابة

(٦٦٩) " النجف " ، (صحيفة) ، ١ / تشرين الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٦) ، ص ١ .
(٦٧٠) استقر المصلح محمد علي الحسيني في بغداد منذ استلامه وزارة المعارف ١٩٢١ ولحين وفاته في بغداد ولا زالت عائلته موجودة فيها لليوم .

(٦٧١) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٦٧٢) " النجف " ، (صحيفة) ، النجف ، ١٥ / تشرين الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٧) ، ص ١ .

(٦٧٣) مقتبس من الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٦٧٤) العاملي ، محسن أمين ، رسالة التنزيه ... ، المصدر السابق ، ص ١٢ ؛ الفريشي ، جميل عبيد ، المصدر السابق ، ص ٦٣ ؛ الرحيم ، أحمد حسن ، ذكريات شخصية عن الشيخ المظفر ، بحث مشارك في الندوة الفكرية لاستنكار المآثر العلمية والأدبية والإصلاحية للعلامة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر ، الاتحاد العام للأدباء والكتاب فرع النجف ، ١٩٩٧ ، ص ٣٨ ؛ الوائلي ، أحمد ، تجاربي مع المنبر ، بيروت ، بلا ، ص ١٣٤ ؛ المرجاني ، حيدر ، خطباء المنبر الحسيني ، النجف ، بلا ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٦٧٥) " النجف " ، (صحيفة) ، نجف ، ١٥ / تشرين الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٥٧) ، ص ٤ .

٢. سيادة طابع الفردية التي نلاحظها على أغلب الكتابات النجفية والبحوث التي تصاب بعنصري التشكيك والضعف^(٦٧٦).

وتدخل التيار الإصلاحى النجفي في شخصية رجل الدين الحقيقية ، وحذر من الرهينة والصوفية والمغالاة وسلوك التظاهر وخداع الناس بالعمامة والسبحة والوقار المصطنع والتمسك بالمفاهيم المتعصبة فالدين الإسلامى يبتعد عن الغرور وإن كان غرورا علميا ، ولا يسمح للدجالين بأن يسرحوا بمسرح الحياة^(٦٧٧) ، وانتقدهم المصلح على الشرقي بقوله :

أنظر الى سبخته
شيطانه كخيبتها
يا ذرة من نفحنا
ترى الذي اقول لك
بين الثقب قد سلك
قد ارتقت الى الفلك^(٦٧٨)

وهذه الرؤيا لا تنطبق على رجال الدين كلهم بل تخص بعض من تسمح له نفسه أن يستغل الدين لمصلحته الشخصية إلا أن شرهم عم الكل وهذا ما ينطبق عليه المثل الشعبي " الخير يخص والشر يعم " . وأكد التيار الإصلاحى النجفي ضرورة الاستثمار الأمثل لكتاب الله العزيز (القرآن الكريم) فالمحافظون وغيرهم قد وجدوا في الدين الإسلامى سلما للارتقاء الى مصالحهم الشخصية وهم يدركون ما للقرآن الكريم من منافع ومزايا تخدم الناس وتوجههم نحو الوجهة الصحيحة لكنهم يستغلون هذه المعجزة لفتح مغاليق غير مفهومة وغير مفيدة وبرامج للعلوم الفيزيائية كـ " تحضير الأرواح واستدعاء الجن وبحوث الباراسايكولوجيا والتناغم والتخاطر وغيرها من العلوم المعقدة " التي لا تنفع الناس ولا تعالج قضاياهم السيئة متخذين من القرآن الكريم طلسم أسرار يدر عليهم أربابا شتى وأول من نادى بهذه الدعوة المصلح محمد علي الحسيني^(٦٧٩) .

ولشدة الصراع بين التيارين المحافظ والإصلاحى في مدينة النجف كانت الصحف العالمية ترسل الى مدينة النجف بصورة سرية إذ وجد عمال البريد البريطانى في بغداد بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٠٥ ضمن رزم البريد خمسة أعداد من صحيفة " المؤيد المصرية " مرسله الى النجف وسبعة أعداد من صحيفة اللواء (المصرية) مرسله الى أحد افراد عائلة الزئبق في بغداد والظاهر أنها مرسله بصورة سرية^(٦٨٠) . بل وصل الأمر الى الخوف من المجاهرة بقراءة الصحف والمجلات العربية أو الأجنبية^(٦٨١) ، إلا إن المصلحين النجفيين تحذروا بذلك جبروت التيار المحافظ إذ أخذوا يتكثرون بحفلات متعددة في المدارس والمجالس والنادي الأدبية المختلفة وفي صحن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) . عازمين على قراءة الصحف والمجلات الخارجية بصورة علنية^(٦٨٢) . ولا ننسى أن الصحف والمجلات الخارجية هي أحد أهم مصادر الوعي الإصلاحى عند رجال الحركة الإصلاحية النجفية ، وتعرضوا نتيجة شجاعتهم لمضايقات من المحافظين الذين سموا كل من ترى في أيديهم صحيفة يطالعون بها بـ " زنادقة " ، و" ملحدين " ، حتى أن المحافظين أطلقوا تسمية " القسطة "^(٦٨٣) على رجال الحركة الإصلاحية النجفية .

(٦٧٦) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٦١ ؛ النجف ، (صحيفة) ، ٤ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٤) ، ص ٤ .

(٦٧٧) الموسوي ، محمد رضا ، الثورة والإصلاح الاجتماعى (حول السياسة والتاريخ والاجتماع) ، النجف ، ١٩٥٨ ، ص ٢٥ .

(٦٧٨) الشرقي ، علي ، الأحلام ، ص ٦٠ .

(٦٧٩) الخليلى ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ - ص ٢٠١ .

(٦٨٠) مقتبس من النصيري ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٦٨١) العلوي ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٦٨٢) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ١٩٥٦ ، ص ٥ . ويؤكد السيد جواد بن المصلح محمد علي الحسيني إن والده هو أول من تحدى الفئة النجفية المحافظة في قراءة الصحف الخارجية وبصورة علنية في صحن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) . مقابلة أجراها الباحث مع السيد جواد محمد علي الحسيني بتاريخ ٢٨ / ٩ / ٢٠٠١ .

(٦٨٣) " القسطة " هي كلمة (الصحف) باللغة التركية كما قال السيد جواد الحسيني وهي مأخوذة من " غزته " مقابلة مع جواد الحسيني ٢٨ / ٩ / ٢٠٠١ . إلا أننا وجدنا معاني أخرى اتخذت وبراعة سلاحا لمهاجمة أصحاب الفكر والتثور من قراء الصحف فهي من قسط وقسطا وقسطوا أي بمعنى جار وحاد عن الحق ، فهو قاسط وقاسطون ، ورجل قسطاء أي بمعنى : معوجة أي أن القسطة هي المعوجة ، المنجد في اللغة العربية والأعلام ، دار المشرق - بيروت ، ١٩٨٦ ، ط ٢٢ ، ص ٦٢٨ . ووجدنا أن القسط والقاسط في نهج البلاغة هو " الجائر من أصحاب معركة صفين أي بمنزلة الخارجي أو من الخوارج " أي إن القسطة بمعنى الخارجي

وشددوا الخناق على قراءة الكتب الحديثة ومطالعتها فهي ممنوعة القراءة في البيئة النجفية^(٦٨٤) ، وأوعز المحافظون بإحراق كل صحيفة خارجية حتى بعد إعلان الدستور العثماني^(٦٨٥) .

ونحن لا نتفق مع عبد الرزاق النصيري على عد الاستبداد الحميدي هو الأول والعامل الوحيد في كبح جماح أصحاب الفكر والتحرر في العراق^(٦٨٦) إذ يمكن أن نجعله أمراً يأتي بالمرتبة الثانية في مدينة النجف يسبقه جبروت التيار المحافظ في النجف واستبداده وظلمه في صراعه مع الحركة الإصلاحية النجفية لذلك فالحركة الإصلاحية النجفية تعاني صراعين الأول والأشد صراعها مع التيار المحافظ والثاني مع السلطة العثمانية المستبدية في عهد السلطان عبد الحميد وحتى بعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ جراء السياسات الاتحادية العنصرية . وهو أمر لا يمكن أن ننكره إذ وصل الأمر بالمصلحين النجفيين أن لا يجهروا بأسمائهم الحقيقية في المقالات الإصلاحية المرسلة الى مدينة بغداد لتنتشر في مجلاتها وصحفها المحلية مثل [مجلة الزهور البغدادية] خوفاً من بطش الاتحاديين منهم المصلح علي الشرقي الذي انتحل لقب (فراتي) موضحاً سبب الخوف من خلال الرسالة التالية للكرملي : " ... فقد سبق أن كتبت شيئاً عن ماء النجف قبل الحرب [الحرب العالمية الأولى ١٩١٤] نشر في مجلة الزهور البغدادية وانتحلت لنفسني توقيع (فراتي) وقد اقتبست لغة العرب ... الخ "^(٦٨٧) .

وتحدث حسن الأسدي عن تركيب قوى اقطاب الصراع التي عاشها منذ صغره : " كنا نسمع ونحن صغار من رجالنا الكبار بأن القسوة والعنف قد بلغا أشدهما في خصام كان يدور بين طبقتين من رجال الدين المشروطية ذات الأكثرية الساحقة من رجال الدين والخاصة (أدباء ومتقنين متنورين) من النجفيين وكان على رأس هذه الجماعة الملا كاظم الخرساني ، أما الجماعة الثانية هم المستبدية (المحافظين) فهي قلة من رجال الدين وعلى رأسهم المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي ، ويؤيدها العوام بالاجماع تقريباً^(٦٨٨) ، وهي تعارض جماعة الخرساني بعنف وترميها بالكفر والإلحاد وتتفق بسخاء في هذا الشأن "^(٦٨٩) .

وأطلق التيار النجفي المحافظ عام ١٩٠٧ مزاعم هدامة للحركة الإصلاحية النجفية إذ اتهمها بالنية السيئة وتسميم عقول العامة بأفكار تتعارض مع أحكام الدين الإسلامي^(٦٩٠) ، ثم عمت الفتنة والبطالة وصدقت الإشاعة وإذا قال مصلح ما إن الدين الإسلامي دين مقدس يأمر بالاتحاد والاستقلال والسعي والعلم وحرية الأفكار والتواضع واللين والتعاون والوفاء بالعهد والإصلاح والجد والاجتهاد والتثبت في الحق " قالوا ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقالوا أنك متفرنج بابلي على اصطلاحهم أي بابي^(٦٩١) " على حد تعبير المحافظة^(٦٩٢) .

ونحن نتفق بأنهما المعنى الذي أراد المحافظون إطلاقه على رجال التيار الإصلاحي النجفي ، الشريف الرضي

، نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، مؤسسة الأعلمي - بيروت ، بلا ، ج ١ ، ص ٣٩ .
(٦٨٤) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٥٢ .

(٦٨٥) " العلم " ، ١ / آذار / ١٩١١ ، العدد (١٢) ، ص ٨ .
(٦٨٦) للمزيد من التفاصيل ينظر : النصيري ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٦٨٧) دار صدام للمخطوطات ، ملفه علي الشرقي ، ٢٦١ ، رسائل علي الشرقي للكرملي ، العدد (٨) ، الفترة ١ / ٢ / ١٩١٣ - ٤ / ٦ / ١٩٢٧ ، رسالة من علي الشرقي الى حضرة الأب انستاس الكرملي في ٤ / حزيران / ١٩٢٧ .

(٦٨٨) يمكن تفسير انضمام العوام بكثرة للتيار المحافظ هو الانقياد اللاشعوري الذي تسيطر عليه مظلة العاطفة وله دور متميز في ترجيح كفة المحافظين في صراعهم مع التيار الإصلاحي النجفي فضلاً عن جهلهم بالأفكار

التحريرية الداعية الى التجديد والتحديث ومعرفة فضائلها .
(٦٨٩) مقتبس من الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٦٩٠) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢١٩ ؛ مذكرات محمد علي الحسيني المنشورة ،

الखाقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ ؛ " العلم " ، ٢٥ / أيلول / ١٩١١ ، العدد (٤) ، ص ١٦٤ .
(٦٩١) يمكن تفسير هذا المصطلح من زاويتين الأولى : أنه قادم من البابية ، والباب : هو اللقب الذي اتخذه السيد علي

محمد الشيرازي إذ ادعى أنه باب الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة (عليهم السلام) الذي هو غائب وينتظره

المسلمون وبشر بنو الإسلام وأوصياؤه المعصومون بأنه يظهر بعد غيبة طويلة ويملا الأرض قسطاً وعدلاً

بعدما ملئت ظلماً وجوراً ثم اجترأ على أن يصعد سلم الألوهية حتى ادعى النبوة والألوهية أي أنه أصبح بمنزلة

غير عادلة وانقسم اتباعه الى الأزلية والبهائية للمزيد من التفاصيل ينظر : العالي ، أحمد ، البهائية حزب لا مبدأ

، سلسلة منابع الثقافة الإسلامية ، (٥١) ، الكتاب الأول ، السنة السادسة ، ١٩٦٧ . والرأي الثاني يرجع الى

كلمة " بابلي " وهي صفة أهالي الإمبراطورية البابلية في العراق الذين عرفوا بالعمران والإصلاح والتقدم

والرقي ، ونحن نميل للرأي الأول .
(٦٩٢) " العلم " ، ٢٥ / أيلول / ١٩١١ ، العدد (٤) ، ص ١٦٦ .

وأدرك زعيم التيار المحافظ محمد كاظم اليزدي أن قوة المواجهة لا تكمن بالتنديد فحسب لأنه وجد أن الأفكار الإصلاحية وجدت طريقها إلى الكثير من عقول أبناء العامة فحاول كسب مزيد من الاتباع وقد وصف المصلح محمد علي الحسيني عمله بقوله : " واضطر اليزدي أن يضاعف عطاءه للعوام ولرؤساء الشمرت والزكرت لما عرف من سطوة رجال الإصلاح وجماعهم ضده " (٦٩٣).

والجمهور طرف لا يستهان به في الصراع إذ يضطر فريقا الصراع في أحيان كثيرة إلى كسبه وكسب مشاعره وبخاصة أن أوليات التيار المحافظ في صراعه مع المصلحين النجفيين الاهتمام بكسب عقول الناس وتوجههم حسب ما ييغونه (٦٩٤) ، لأنهم مدركون أن الفرد ينحرف في التيار الجارف الصاحب دون أن يعبر عن فرديته ودون أن يعبر عما يجول في خاطره - فرأي الجماهير معناه الخضوع لسلطان العواطف الهائجة الثائرة دون الاعتبار بأحكام العقل (٦٩٥).

وواصل محمد كاظم اليزدي ترويج أفكاره المحافظة وبخاصة حينما أدرك أن مكامن الحركة الإصلاحية النجفية وأوكارها ومصادر وعيها هي المجالس والمنتديات الأدبية والعلمية فحاربها وعدها " مجالس البطالين واللاهين " (٦٩٦) . ومن محاربي تلك المجالس من التيار المحافظ مهدي الأعرجي (٦٩٧) الذي أخذ ينقد فكرة المدارس الحديثة ومسألة إبدال الزي الشرقي والديني باللباس الأوربي الحديث (٦٩٨) . واتخذ الصراع شكلا ماديا فبعد نشاط الحركة الإصلاحية النجفية في ترويج فكرة ضرورة إقامة الدساتير البرلمانية كان زعيم التيار المحافظ السيد محمد كاظم اليزدي يتخذ من المادة سلاحا لاستمالة أنصار رجال الإصلاح وطلابهم فقد حاول كسب المصلح أبو الحسن الموسوي الذي كان يعاني الفاقة والعوز إلا إن الأخير رفض مغريات المحافظين ووصف جعفر الخليلي هذه العملية : " أقول لقد بلغ السيد كاظم اليزدي ما هو عليه السيد أبو الحسن من عوز وفاقة عظيمين فأرسل إليه بعشر ليرات ذهبية وهو مبلغ له قيمته يومذاك ليسد به بعض حاجته فلم يستغ السيد أبو الحسن أن يتناول هذه المساعدة من يد منافس لأستاذه (المصلح محمد كاظم الخرساني) " ، ولكن الجرة لم تسلم في كل مرة إذ رجع الخليلي يقول : " وإن كان غيره لم ير في ذلك بأسا ، فلقد استمال السيد كاظم اليزدي عددا كبيرا من تلامذة منافسه المقربين بإعاناته " (٦٩٩).

وبلغ الصراع ذروته حينما قام نفر من الشياطين اصحاب المشاكل والفتن بعملية دعائية مرعبة خدمت التيار المحافظ واكثرت اتباعه . ويتلخص هذا العمل بقيام نفر من المشاكسين بنشر اعلان ألصق على جدران مدينة النجف رسموا فيه يدا وفيها مسدسا خاطبوا فيه السيد محمد كاظم اليزدي وناشدوه النزول على رأي رجال التيار الإصلاح النجفي ، وان لم يفعل يقتلوه فكان لهذا الاعلان أثر سيء في نفوس العوام وازداد تأييدهم للتيار المحافظ وهاجت مشاعرهم وعدوا المصلحين مجرمين ينون القضاء على ابن رسول الله حتى انضم إلى جانب المحافظين بشكل اكثر جماعة الشمرت والزكرت (٧٠٠) ، الذين عرفوا بمروقهم عن الدين وقتلهم الانفس المحرمة واستغلالهم لاموال اليزدي واعلموه بانهم من انصاره واعوانه حتى صاروا يخرجونه من داره إلى الحرم وهم مدججين بالسلاح ويهتفون باسمه (٧٠١).

ومن الواضح ان مسيّب هذه الاعمال الشيطانية الارهابية نابع من جهات اجنبية مغرضة هدفها ارباك وحدة الصف بين المسلمين وان التيار الاصلاحي النجفي غير مسؤول عن هذه الاعمال ونتهم روسيا القيصرية في اشاعة هذا الجو الارهابي الذي حقق للاسف اغراضه ويستدل الباحث اتهاماته ضد روسيا القيصرية بترتيب هذه الاعمال ما يلي :

- (٦٩٣) مذكرات محمد علي الحسيني ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .
(٦٩٤) الأعرجي ، محمد حسين ، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٨٣ .
(٦٩٥) " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ١٥ / تشرين الأول / ١٩٤٦ ، العدد (١٠) ، ص ١٢ .
(٦٩٦) البستاني ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .
(٦٩٧) ولد عام ١٩٠٤ في مدينة النجف وهو ابن السيد حسين بن محمد بن جعفر تعلم على معاهد مدينة النجف وهو متمكن من ارتجال الشعر وهو من مؤيدي التيار المحافظ ورافض للأفكار الإصلاحية ، للمزيد من التفاصيل ينظر : الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٤٥ .
(٦٩٨) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٤٥ .
(٦٩٩) مقتبس من الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
(٧٠٠) إن قبيلتي الزكرت والشمرت عرفا باقتتالهما وصراعهما مع بعضهما منذ زمن بعيد وكثير ما جرى بينهما المعارك والافتتال حتى في شوارع مدينة النجف وذهب جراء هذا الصراع نفوس كثيرة فكيف التقيا مع التيار المحافظ كصف واحد مساند وهذا يفسر إن أموال المحافظين لعبت دورها في جمع شمل المتخاصمين .
(٧٠١) مذكرات محمد علي الحسيني ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

١. ان روسيا القيصرية كونها امبراطورية مستبدة ترفض وتقاوم كل حركة اصلاحية تنادي بالحرية والمفاهيم الدستورية التي من شأنها ان تززع مقاليد حكمها الملكي وبخاصة اذا كانت حركة اصلاحية اسلامية^(٧٠٢). ان الامبراطورية الروسية تدرك بشكل كبير ان مصدر رياح الدستور والمعاني الديمقراطية التي هزت عروش ايران [حركة المشروطية في ايران ١٩٠٥] الجارة لروسية قادمة من ارض مدينة النجف ومن ثلة رجال الاصلاح والفكر بزعامة المصلح محمد كاظم الخراساني وهذا يشكل خطرا على ما تعتقده روسيا من زاويتين :

أ. ان لروسيا القيصرية مصالح احتكارية في الأراضي الايرانية تعمل على الحفاظ عليها وزيادتها في ظل حكم ملكي مستبد مشابه لحكمها^(٧٠٣).

ب. لكونها الجارة الشمالية لايران وبالتالي فإن الافكار الدستورية ممكن ان تتسرب الى الأراضي الروسية فتحدث ما لا يحمد عقباه .

٢. قيام الامبراطورية الروسية بضرب حزب الحركة الاصلاحية النجفية وتقويضها بإنشاء قنصلية روسية مشاغبة في مدينة النجف سنة ١٩٠٧ تعمل على اثارة الفتن واضعاف التيار الاصلاحى النجفي ودعم التيار المحافظ ومساندته باساليب ارهابية استفزازية شأنها شأن كل مستعمر يحاول زرع بذور التفرقة والتمزق وبخاصة ان من ابرز اعضاء هذه القنصلية خدم زعيم التيار المحافظ (محمد كاظم اليزدي) وهما الخادم عبد الرحيم اليزدي والخادم محمود آغا اللذان اتهمهما المصلح محمد علي الحسيني بأنهما السبب الرئيس في فصل السيد محمد كاظم اليزدي عن جماعة التيار الاصلاحى النجفي ومساعدته بتأليف جبهة محافظة ترفض كل مبادئ الحركة الاصلاحية النجفية^(٧٠٤). فليس من البعيد ان يكون المحافظون هم مروجي هذه الاعلانات الارهابية بتخطيط روسي استعماري .

٣. ان روسيا القيصرية المستبدة لها سوابق ارهابية يؤكد ذلك رعايتها لمثل هذه العمليات في شرق اوربا فلقد اتخذت السياسية الروسية في عهد قيصرها الجديد اسكندر الثاني (١٨٥٥ - ١٨٨١) اتجاها ارهابيا جديدا لتحقيق اهدافها التوسعية الخبيثة وكانت منطقة البلقان هدفا ارهابيا لروسيا فالبلقان احدى الركائز الاساسية لسياسة روسيا في عهد

^(٧٠٢) عانى المسلمون في روسيا القيصرية أنواع العذاب وأشكال المهانة من قبل الاستبداد الروسي الذي صادر حريات المسلمين وزرع الخوف والرهبية في نفوسهم والقضاء على كل متنفس أو تحرك للتيار الإسلامي خشية اتساع الدين الإسلامي وإحداث مفاهيم إصلاحية دينية من شأنها تقويض الحكم الاستبدادي في روسيا وكثير ما رفضت الحكومة الروسية تنفيذ المطالبات الشرعية للمسلمين بل حتى أغلقت مدارسهم وطرد معلميه وأئمة الدين ثم التعمد بنشر المذهب المسيحي الأرثوذكسي بين صفوف المسلمين وبخيث . للمزيد عن الممارسات الإرهابية التي تسلمتها الحكومة الروسية على المسلمين ونظرتها للإسلام ينظر : " الإسلام في روسيا " ، " العلم " ، ٢٩ / نيسان / ١٩١٠ ، العدد (٢ - ٣) ، ص ٥٣ ؛ " المسلمون في روسيه وسياسة الحكومة " ، المصدر نفسه ، ٢١ / آب / ١٩١٠ ، العدد (٧) ، ص ٢٥٨ .

^(٧٠٣) تهدف الأطماع الروسية في إيران برغبة الوصول الى مياه الخليج العربي (المياه الدافئة) ووصلت الى الحرب بين الطرفين الروسي والإيراني سنة ١٨٠٤-١٨١٣ والتي انتهت بمعاهدة كلستان ١٨١٣ ولصالح روسيا التي حصلت بموجبها على مدن باكو وشيروان وقره ياغ وطالش وشاكي ودربند والموافقة على تسلط روسيا على بحر قزوين . وبالفعل فإن معاهدة كلستان ١٨١٣ أول أسفين قوي للنفوذ الروسي في إيران الذي استمر بالنمو واستغلال ضعف إيران فشن الروس الحرب على إيران مرة أخرى سنة ١٨٢٥-١٨٢٨ واستمر التدخل الروسي في إيران مستغلين ضعفهم فحصلوا على امتيازات مهمة سنة ١٨٨٩ وهو حق بناء مصرف روسي للقروض والقطع في إيران وامتياز آخر هو إنشاء سكة حديد في أذربيجان حتى تمكن الروس عام ١٩٠٥ المباشرة بامتياز بناء المصرف الروسي في طهران واختير مكان بناءه في أرض تابعة للأوقاف الإيرانية التي تضم خرائب ومدرسة دينية ومقبرة إسلامية مهجورة . بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة منير بعلبكي ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٧٤ ، ص ٦٥٩ ؛ مجذوب ، طلال ، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص ٣٩ ؛ أبو مغلي ، محمد وصفي ، إيران دراسات عامة ، مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٨٥ ، لتشوفسكي ، جورج ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ج ١ ، ص ٥٧٠ .

^(٧٠٤) مذكرات محمد علي الحسيني المنشورة ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

قيصرها الجديد فالركيزة الأولى : توحيد الشعوب التي لم تهضم بعد في الامبراطورية الروسية . والثانية : فتح اسيا الوسطى والركيزة الثالثة والمهمة تحرير امم البلقان السلافية من قبضة العثمانيين وان كان بالقوة . فالأولى من هذه السياسات باءت بالفشل وكان النجاح في الثانية اذ تمكن الروس من فتح مدينة " سمرقند " عام ١٨٦٨ . أما السياسية الثالثة فنتيجتها غير حاسمة وخير وسيلة لتنفيذها هو الارهاب اذ تعمد الروس الى نشر افكار الجامعة السلافية او ما تعرف بـ " جامعة الامم الصقلبية " ومنذ بدايات عام ١٨٦٨ ، واصبحت هذه الفلسفة العنصرية الجديدة المقام الأول في جيروت السياسية الروسية وعنفوانه في منطقة شرق اوربا ككل بغية خلق اوضاع قلقة ضد سلطة الباب العالي العثماني وردع وضرب التوجه الاسلامي ووجوده بهذه المنطقة وبوسائل ارهابية شرسة اذ خدع الروس العقول البسيطة من البلغار بترويج فكرة انهم المفضلين لتزعم الشعوب السلافية وتخليصها من السيطرة العثمانية الاسلامية ، فاغدقت عليهم الاموال والاسلحة وروجت لهم الدعاية للقيام باعمال ارهابية ضد العثمانيين وهو دليل صارخ على ريادة روسيا مجال الارهاب العالمي وهو " ما حمل في طباته الكوارث او النكبات لا لروسية وحدها بل لاوروبا والعالم اجمع " (٧٠٥) . وبذلك فان التيار الاصلاحى النجفي عانى صراعا ثالثا ليس بسيطا اصطدم به وهو المتمثل بالامبراطورية الروسية القيصرية .

تحققت بعض النتائج التي كسبتها روسيا القيصرية بوساطة عملياتها الارهابية في مدينة النجف ومن تلك

النتائج :

- ١ . زيادة اتباع التيار المحافظ وكثرة نفوذهم وتوسع قوتهم .
- ٢ . انبثاق صراع فكري حاد وقوي نتج عنه انقسام وحدة الصف وتمزيق شمل المسلمين اذ برزت بشكل واضح بعد عام ١٩٠٧ مدرستان نجفيتان الأولى مدرسة التيار الاصلاحى النجفي الداعية الى التجديد والتحديث الا ان دورها اخذ يضعف ويتدهور حتى اعلان الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، ومدرسة التيار المحافظ القديم الداعية على ابقاء كل قديم على قدمه.
- ٣ . ضعف التيار الاصلاحى النجفي وتدهوره وقلته نتاجاته الاصلاحية ففضلا عن سطوة الاستبداد الحميدي وعدم قدرتهم على التحرك كان رعب المحافظين اشد واقوى اولئك الذين يكيلون المصلحين اشكال المهانة والذلة ، حتى بلغ الامر بالمحافظين انهم كانوا " كثيرا ما يضربون المصلحين على رؤوسهم " (٧٠٦) .
- الا ان التيار الاصلاحى النجفي تنفس الصعداء بعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ اذ انضمت اسرتان علميتان معروفتان برجالهما وروادهما في مدينة النجف الى صفوف المصلحين النجفيين وهما اسرة آل الجواهري واسرة آل الجزائري ، وعزز التيار المحافظ مركزه بانضمام اسرة علمية لها مركزها العلمي والديني هي اسرة آل كاشف الغطاء . وطلب من ابرز رجالها الشيخ احمد آل كاشف الغطاء مساندة التيار المحافظ النجفي وبالفعل انقطع عن حضور الدرس في حلقة المصلح محمد كاظم الخراساني واخذ بمنائفة رجال الحركة الاصلاحية والتصدي لافكارها (٧٠٧) . وجعل المحافظ (احمد آل كاشف) الغطاء حرسا خاصا وعلى حسابه الخاص لحماية زعيم التيار المحافظ محمد كاظم اليزدي بحجة الخوف من اغتيال المصلحين حياتهم (٧٠٨) .
- ومن اسلحة الصراع عند المدرستين المتصارعتين (الاساليب الادبية) اذ كتب المصلح علي الشرقي في مجلة " العلم " : " ايها المتصبغون بصبغة الدين انما ذلك عقبات في سبيلكم سبيل الشعبه والمداجاة سياسة الجهال ومصانعة العوام طلبا الأثرة والتفرد ، والعلم والعدل ، الفاظ عندكم طلبت بالرياء ان روح الدين وفلسفة الشريعة براء ومقدسة عن هذه الاحدوثه ... " (٧٠٩) . ونادى المصلح محمد علي الحسيني باسلوب هادئ بعيد عن التعصب والى التسامح والتضافر للعمل الواحد وحذرهم من سياسات الاستعمار الارهابية : " قد ضاق والعدو على الباب بل هو

(٧٠٥) فشر ، هـ ، أ ، ل ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، ودبع الضبع ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٥٨ ، ص ٣٦٨ .

(٧٠٦) مقتبس من مذكرات الحسيني ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

(٧٠٧) مذكرات الحسيني ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٧ .

(٧٠٨) حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٩ .

(٧٠٩) مقتبس من " العلم " ، ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، العدد (٩) ، ص ٤٠٠ .

دخل الدار واتحدوا واتفقوا وتشاوروا وتعاضدوا وتكاتفوا واعرفوا الصواب فبثوه واصلحوا ما فسد من اخلاق وعادات المسلمين^(٧١٠). وانتقل اسلوب دعاية المصلحين النجفيين وعلمهم للتعبير عن افكارهم التجديدية ومعاناتهم في صراعهم قوى الرجعية الى مدينة بغداد ولكن ذلك لا يخلو من رعب في قرارة نفوسهم اذ يؤكدون في الرسائل التي يبعثونها مع مقالاتهم الاصلاحية عدم كتابة الاسم الصريح لتوقيع مقالاتهم الاصلاحية فالشيبيني يبرر ذلك : " ... هذه مقالة انتقادية حملني على كتابتها ما رأيت من نقص القوم لغير شؤونهم وحولهم في غير ما يعينهم وقد كتبت هويتي فيها وارجو ان تكتموها انتم حتى عن احباكم^(٧١١) لان في الناس من لم يبلغوا مبلغا من الاخلاق يحبب اليهم الانتقاد"^(٧١٢). وهاجم التيار المحافظ المصلحين النجفيين ونكل بهم اذ نظم احد رجالات المحافظة " محسن المظفر"^(٧١٣) قصيدة وصف المصلح بالفاقد الذي يبغى المصائب :

و من الفاسد ان يسمى مصلحا
يبغى الفوائل دين اهدى مرشد
من ظل يضمر للرشاد شرورا
ناموسه حقبا هدى و عصورا^(٧١٤)

وحذر التيار الاصلاحى مغية تعصب المحافظين في صراعهم مع المصلحين النجفيين مؤكدا ان الثورات لم تكن الا لسكون علماء الدين ومخالفتهم ، وبسبب سياسية مجلة " العلم " الاصلاحية اعترف محررها المصلح محمد علي الحسيني بنتائج نشره المبادئ الاصلاحية اذ قال : " أولا : سقوطه [الحسيني] عن انظار العوام واكثر المتقشين [المحافظين] ، وجملة من رجال الدين ولاسيما المستبدين . ثانيا : ضعف عرى صداقة احبائه القدماء الا من ندر . ثالثا : بغضاء من خالفه في مسلكه او مسلك كتاب مقالاته المصلحين وهم عده غير يسيره"^(٧١٥). ووصل الامر بالتيار المحافظ نتيجة قوة الدعوات الاصلاحية ودور مجلة " العلم " في دعواتها وتحدي محررها المصلح محمد علي الحسيني باستمراره ترويج دعوات الحركة الاصلاحية النجفية قيام نفر من التيار المحافظ بتطبخ باب بيت الحسيني بالنجاسة وهذا الامر يدل على جهل اصحاب المصلحة والانتهازية وتعصبهم^(٧١٦). حتى جاء تحذير بالقتل من بغداد نشره الحسيني في مجلته " العلم " ورسالته الاصلاحية " تحريم نقل الجنائز المتغيرة " بسبب دعواته الاصلاحية بشأن منع دفن الجنائز الخارجية ، ونشر هذا التحذير بالحرف ومنه : " ان الملائم ياتمرون بك ليقتلوك او يهينوك حماية منهم لعاداتهم وان كانت سيئة تخالف العقل والشرع فاسمع نصح اخيك ولا تجهر في النهي عن المنكر ..."^(٧١٧) ، ويؤكد ابنه السيد جواد الحسيني ان التهديد بالقتل هي من الاسباب الرئيسية التي دفعت والده الى الهجرة من مدينة النجف الى مدينة كربلاء^(٧١٨).

وهذا الامر يترك سببا واضحا ومنطقيا لتوقف مجلة " العلم " عن الصدور في ١٧ / شباط / ١٩١٢ وتعطيل نشر المفاهيم الاصلاحية وليس كما أشار اليه عبد الرزاق الحسيني في كتابه " تاريخ الصحافة العراقية " بأن سبب توقفها يرجع الى انشغال " محمد علي الحسيني " بأداء فريضة الحج أولا واندلاع الحرب العالمية ثانيا^(٧١٩) فالأولى أنه توجه الى كربلاء والثانية ان الحرب العالمية الأولى اندلعت عام ١٩١٤ والمجلة توقفت ١٧ / شباط / ١٩١٢ والفترة الزمنية هذه فترة كبيرة لا تكون سببا قويا لغلق المجلة . اطلق التيار المحافظ تسميات لا اخلاقية على

(٧١٠) المصدر نفسه ، ٢٥ / أيلول / ١٩١١ ، العدد (٤) ، ص ١٦٧ .

(٧١١) في النص الأصلي من المخطوطة " حياكم " .

(٧١٢) دار صدام للمخطوطات ، ملفه محمد رضا الشيبيني المرقمة (٣٥١) ، رسائل محمد رضا الشيبيني للكرملي ، العدد (٧١) ، للفترة ١٩١١ - ١٩٤٣) ، رسالة مخطوطة باليد من محمد رضا الى الأب انستاس ماري الكرملي في ١٥ / حزيران / ١٩١٢ .

(٧١٣) هو الشيخ محسن بن الشيخ ابراهيم المظفر ولد في مدينة النجف ١٨٩١ وتعلم فيها وأخذ من العلوم من أخيه الشيخ ابراهيم المظفر ودرس العلوم الدينية والأدبية حتى أصبح عالم فاضل معروف وشاعر مرموق يقول عنه علي الخاقاني : " أنه لا يعتد بالأراء ولا يقيم وزنا للشخصيات التي لم تؤثر على نفسه ولم يندفع عن طريق العقيدة وهو قريب الى الصراحة ولكن أسلوبه لا يخلو من إزعاج ، للمزيد من التفاصيل ينظر ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٦٧٣ .

(٧١٤) المصدر نفسه ، ص ٦٧٣ .

(٧١٥) الحسيني ، محمد علي ، حياة مجلة العلم ... ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٧١٦) مقابلة مع السيد جواد بن محمد علي الحسيني بتاريخ ٢٨ / أيلول / ٢٠٠١ .

(٧١٧) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٢١ ؛ وأيضا نشر نص التحذير في (رسالة تحريم نقل الجنائز) ، ص ١٢ .

(٧١٨) مقابلة مع السيد جواد بن محمد علي الحسيني بتاريخ ٢٨ / أيلول / ٢٠٠١ .

(٧١٩) الحسيني ، عبد الرزاق ، تاريخ الصحافة العراقية ، بغداد ، ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٢٦ .

رجال الحركة الاصلاحية النجفية بغية عزلهم عن المجتمع ثم القضاء عليهم لانهم اصبحوا يشكلون خطرا على مصالحهم فسموا المصلحين بالكفرة^(٧٢٠) ، ووصفهم بصفة الخيانة واتهمهم بإباحيتهم واستهتارهم بالشروط الطبيعية والخلقية واستخفافهم بالمعاني الروحية لامتهم وتملقهم للاجنبي^(٧٢١) ، لقد كانت كلمة عصري مرادفة الى كلمة زنديق في عرفهم^(٧٢٢) . واطلق المصلحون النجفيون القابا على التيار المحافظ فوصفهم بـ " البداوة " وان العصر الذين يرغبون البقاء عليه عصر الانحطاط والرجعية^(٧٢٣) ، وانتقدت مجلة " العلم " صراع الالقاب والمسميات ورفضت شكل هذا الصراع اذ نشرت نافذة " حربا عوانا بين الفريقين (المحافظ والاصلاحي) فهؤلاء ينسبون المتدينين بالبربرية والتوحش والرجعية واولئك المتدينون يرمونهم بالزندقة والمروق على الدين "^(٧٢٤) .

عظمت رسالة التيار الاصلاحى النجفى ابان تشكيل الحكم الوطنى الاول ١٩٢١-١٩٣٢ اذ اصبحت رسالتهم عامة تبغى اصلاح جميع نواحي بلدهم من حيث ضرورة اتصاله بالعالم الخارجى ومواكبة التحضر العالمى والاخذ بنوازع الفكر الاقتصادى والثقافى المتقدم . وسحق اشكال الجهل والرجعية المتفسخة والتأخر الاخلاقى والانحطاط المالى الا ان رجال التيار المحافظ رفض الافكار الجديدة التى نادى بها التيار الاصلاحى النجفى وتعمق الصراع واصبح من مظاهره صراع بين القديم والحديث^(٧٢٥) . فحارب المحافظون المدارس الحديثة لا بل عدوا من يدخل ابناؤه فيها شخصا خرج عن التقاليد ويتعرض الى النقد والحق^(٧٢٦) . حتى تطور الامر باطلاق المحافظين احكام غير منطقية على كل من يدخل هذه المدارس فقال معاصر لهذا الشكل من الصراع المصلح جعفر الخليلي : " كنا اطفالا يقرؤوننا في المدرسة دروسا ومن ضمنها الجغرافية ، ويقولون لنا ان الأرض كروية وانها تتحرك وان مبعث المطر البخار ، وان الزلازل والبراكين انما هي لنتيجة الحرارة الجوفية التي تمدد الاجسام في جوف الأرض فتحدث حركة مفاجئة من جراء ذلك ، وضغط تعود اليه هذه الاحوال وان الخسوف والكسوف نتيجة حركة الأرض وحيلولتها دون القمر وحيلولة القمر دون الشمس ، وان المد والجزر نتيجة الجاذبية وكان كل هذا ليس غريبا على المفاهيم العامة فحسب وانما هو ضرب من الكفر لا يجوز القول به لذلك كنا نجد معارضه جدا شديدة من المجتمع المستبد [المحافظ] الذي يرى مثل هذه الافكار والنظريات والاراء مخالفة للدين ، وأنه ليس الذي يرى مثل هذه الافكار والنظريات والاراء الا مخالفة للدين وأنه لا يقول بها الا " الطبيعىون "^(٧٢٧) ، لذلك تجنب الناس تلك المدارس وحرموا على اولادهم دخولها او قراءة المجلات والكتب التي تعنى بمواضيعها الحديثة "^(٧٢٨) .

ثارت ثائرة المحافظين على محاولات التيار الاصلاحى النجفى باصلاح الشعائر الحسينية اذ حاول المحافظون البطش بصاحب فتوى التحريم والمنع لبعض عادات هذه الشعائر وتقاليدها كضرب الابدان بالسيف وبالسلاسل ودق الطبول والمزامير ولبس الاكفان وغيرها وصاحب هذا المنع قاده المصلح ابو الحسن الموسوي منذ

(٧٢٠) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٦ .

(٧٢١) العجلي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٧٢٢) مذكرات علي الخاقاني المنشورة ، شعراء الغري أو النجفيات ، النجف ، ١٩٥٦ ، ج ١٢ ، ص ٤٨٣ .

(٧٢٣) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٤٣) ؛ الأعرابي ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(٧٢٤) مقتبس من " العلم " ، ٢٨ / أيار / ١٩١١ ، العدد (١) ، ص ٢٤ .

(٧٢٥) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٤ .

(٧٢٦) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١١١ .

(٧٢٧) مذهب الطبيعيين (The Physio crats) : نشأت في فرنسا عند منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وبوساطة طائفة من الكتاب كان معظمهم من أصحاب الأراضي الواسعة وقد كون هؤلاء طبقة من الرأسماليين الزراعيين وشنوا هجوما عنيفا على السياسات التجارية ونادوا بأفكار جديدة وحديثة كما أنهم جاءوا بأفكار خاصة في الإصلاح وخاصة إصلاح النظام الزراعي وأطلقت على نفسها " الاقتصاديين " أو " الطبيعيين " ويسمي أم سمث نظامهم بـ " النظام الزراعي " ، وفي بدايتها كان تأثيرها مقتصر على فرنسا ثم نشرت أفكارها في دول كالنمسا والسويد وروسيا وغيرها . ومن أفكارهم أن الطبيعة تحكم نفسها بنفسها وإن الأرض هي مصدر الثروة وأن الطبيعة وجدت لخدمة البشر وإسعاد المجتمع ومن أبرز دعواتهم الفرنسي " فرانسوا كيناي (١٦٩٤ - ١٧٧٤) " وهو مؤسس مدرسة الطبيعيين . سباين ، جورج ، تطور الفكر السياسي [الكتاب الثالث] ، ترجمة راشد البراوي ، مصر ، ١٩٧١ ، ص ٦٢٣ - ص ٦٢٤ ؛ سلمان ، عبد الرسول ، معالم الفكر الاقتصادي ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٧٤ ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٧٢٨) مقتبس من الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٥ - ص ١٩٦ .

عام ١٩٣١ . فقام المحافظون دفع الخطيب صالح الحلبي^(٧٢٩) والايغاز له بمهاجمة الموسوي ورجاله والتشهير بهم من على المنابر ودحض فتواه وابطال دعوة المصلحين في اصلاح الشعائر ، لذلك فالحلي لم يترك لونا من التنكيل بالمصلحين وترويج محاربتهم ليس في مدينة النجف فحسب بل تعدى صوته بالتشهير الى وسط العراق وجنوبه محاولا جمع اكبر حشد ممكن من السخط والرفض ضد دعوة ابو الحسن الموسوي ورجاله وخاصة منهم " جواد الجواهري " ، فضلا عن ذلك فإن التقرير البريطاني الصادر عن الخدمات الخاصة في بغداد كشف من يساعد التيار المحافظ في حملته بعض المصلحين النجفيين وخاصة الكشف عن علاقة نوري السعيد برجال التيار المحافظ في النجف وتأييدهم وحتى بعض المصلحين الذين رفضوا دعوة ابي الحسن الموسوي فمما جاء في التقرير : " ... وقام بمساعدة صالح الحلبي في حملته عطية ابو الخلال [عطية ابو الكلال] والذي هو على علاقة بالحكومة وصديقا لنوري باشا حيث يستلم من الاخير من وقت لآخر التعليمات وبواسطة سيد محمد حسين آل كاشف الغطاء والذي اختاره الملك ليكون ممثلا عن العراق في مؤتمر فلسطين الاسلامي كانون الثاني ١٩٣١ ويساعده ايضا في الحملة سيد محمد علي بحر العلوم الذي التمس من الحكومة ان يكون سيناتوراً (شيخاً) وبالنتيجة فان حزب سيد صالح (المحافظين) يمثل الحكومة لحد ما أما المعارضون فهم العلماء رؤساء الطائفة^(٧٣٠) .

وواجه التيار الاصلاحى النجفي هذا الهجوم بتوعية العامة واقتناعهم بافكارهم الاصلاحية وشعروا بضرورة اتخاذ خطوة مماثلة تجاه التيار المحافظ باستقدام شخصية مؤيدة لهم من مدينة الحيرة (احدى القرى التي تقع على ضواحي النجف) وهو الخطيب محمد علي اليعقوبي^(٧٣١) ، ونجحت خطة المصلحين واخذ الناس بالتوجه الى مجلس اليعقوبي الاصلاحى الا ان الضربة القاضية للمحافظين وخطيبهم الحلبي هي فتوى ابو الحسن الموسوي بتحريم الاستماع اليه : " لأنه ينافى مبادئ الاسلام الصالحة " وانخفض سحر الحلبي وتأثيره وانحدر المحافظون في صراع هذه الجولة ، الا ان التيار المحافظ استمر بتصديه للدعوات الاصلاحية بشأن الشعائر الحسينية ، وخطا الصراع هذه المرة خطوة خطيرة تمثلت بانتزاع بعض الفتاوى لعدد من علماء الدين وللأسف ممن قد كان له الدور المشرف في صفحات التيار الاصلاحى النجفي كالمصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء^(٧٣٢) الذي ساند التيار المحافظ بضرب القامة على الهامة^(٧٣٣) !!! .

^(٧٢٩) هو صالح بن السيد محمد بن السيد حسين الحسيني ولد بمدينة الحلة سنة ١٨٧١ وهاجر الى مدينة النجف طلبا للعلم فدرس المقدمات اللغة العربية ودرس المنطق والبيان والصرف والأصول وكان أبرز أساتذته المصلح الأول محمد كاظم الخراساني الذي درسه علم الأصول ، وابتدأ بالخطابة منذ عام ١٩٠٠ وكانت خطابته تتخللها الوعظ والتفسير والتاريخ ، عرف بالجرأة وبلاغة اللسان ، كان من مؤيدي التيار الاصلاحى النجفي في انبثاقه عام ١٩٠٨ إلا ان لوفاة محمد كاظم الخراساني ١٩١١ ترك العمل الاصلاحى وهاجر الى مدينة الكاظمية ١٩١١ ، ساهم بثورة العشرين إذ توجه الى قرى مدينة بعقوبة لاستنهاض القبائل فيها ثم توجه الى مدينة البصرة وبالتالي استقر في المحمرة عند الشيخ خزعل ولمدة ثمانية أشهر ، دخل منذ عام ١٩٣١ معمعة الصراع بين التيارين النجفيين وانضم الى جانب المحافظين ، وهاجم دعوة المصلح أبو الحسن الموسوي في إصلاح الشعائر الحسينية . المرجاني ، حيدر ، خطباء المنبر الحسيني ، النجف ، ج ١ ، بلا ، ص ٧٥ . وفي لقاء للباحث مع المجتهد السيد محمد حسن الطالقاني يؤكد إن مسألة انضمام الخطيب صالح الحلبي الى جانب المحافظين هي وجود دوافع شخصية بين صالح الحلبي والمصلح أبو الحسن الموسوي استغلها المحافظون في صراعهم مع المصلحين . مقابلة مع السيد محمد حسن الطالقاني بتاريخ ٢ / نيسان / ٢٠٠١ . توفي صالح الحلبي سنة ١٩٤١ في داره الواقعة بمدينة الكوفة .

^(٧٣٠) D. K. W., The files of the Royal Palace, fold (385), from special services officer, Baghdad, To Air staff, Intelligence (Air head quarters), " SHI'AH SECT NEWS, Asplit the Ulema, Dispute between Najaf and Kerbala", document (8), 18 / June / 1932, p (13).

^(٧٣١) هو الشيخ محمد بن علي بن الشيخ محمد الشهير بقسام خطيب شهير ولد بمدينة النجف ١٨٨٠ استثمر المنبر الحسيني في جهاد المسلمين ضد البريطانيين ساهم في معركة الشعبية ١٩١٤ برفقة المصلح محمد سعيد الحبوبى وهو مؤيد للحركة الاصلاحية النجفية منذ نشأتها للمزيد من التفاصيل ينظر : الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٩ .

^(٧٣٢) استثمر المحافظون العاطفة الدينية التي تهيم على مشاعر العامة وتوجيههم نحو الوجهة التي يبغونها وهذا دور واضح ليس على العامة فحسب بل حتى على بعض المصلحين .

^(٧٣٣) الخليلى ، هكذا ، ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

واشاع المحافظون في صراعهم المرير لقب "الاموي" لكل مصلح ولقبوا انفسهم بـ " العلويين" (٧٣٤) و " الحسينية" (٧٣٥) وحرصوا العامة بضرب كل مصلح يصادف في الطرقات والمحلات العامة واهانتته وتهديده حتى بالقتل ومنهم تهديد المصلح جعفر الخليلي (٧٣٦) الذي قال : " وكنت اجد في كثير من الاحيان رسالة او اكثر وقد القي بها من تحت باب الدار وهي تتضمن الى جانب التهديد بالقتل شتائم بذينة تدل على خسة وجبن ... " (٧٣٧) .
 وابتدع المحافظون طريقة للتشهير بالمصلحين ومؤيديهم فقد ارغموا حملة " القرب " وسقاة الماء في مجالس تأبين الامام الحسين بن علي بن ابي طالب " عليهم السلام " ايام شهر محرم وصفر - ترديد " لعن الله الامين - ماء - ماء " ، بعد ان كان نداؤهم المعتاد في السابق " لعن الله حرملة - ماء - ماء " (٧٣٨) . وهذا يدل على مدى شدة الصراع الجارف وحقد جماعة المحافظين وكراهيتهم للإصلاح وهي بحق ثورة رجعية ضد الصلاح " كثورة الجاهل" (٧٣٩)

وعلى الرغم من خسارة التيار المحافظ معركة او معركتين في صراعه مع التيار الاصلاحى النجفي بشأن الشعائر الحسينية الا أنه في النهاية كسب الحرب فقد ازداد عدد الضاربيين بالسيوف وكثرت الاهازيج والانشيد التي تتضمن النعمة والتحدي للمصلحين الذي خافوا على حياتهم من بطش المحافظين والعامة فاخفتي الكثير من المصلحين والمؤيدين لدعواتهم طوال العشرة الاولى من المحرم بل وانسحب الكثير من تأييدهم للحركة الاصلاحية النجفية (٧٤٠)

ويمكن تعليل نجاح التيار المحافظ في صراعه مع التيار الاصلاحى النجفي في هذه الدعوة " دعوة اصلاح الشعائر الحسينية " بالاسباب الاتية :

١. العاطفة التي هببت حماس العامة وجعلتهم يؤيدون التيار المحافظ ويقفون الى جانبه في صراعه مع المصلحين وهي دافع مهم اثر حتى على بعض رجال التيار الاصلاحى البارزين كمحمد حسين آل كاشف الغطاء .
٢. قوة الاساليب المحافظة بالترويج لافكارهم وان كانت غير مهذبة .
٣. عدم كفاية الاساليب والوسائل الاصلاحية فلم تستخدم الاقناع الفردي ولم يستثمر الاتصال الجماهيري بل نعتقد ان قدوم محمد علي اليعقوبي كان للدفاع عن شخص ثم الدعوة الاصلاحية .
- وشخص محرر صحيفة " النجف " يوسف رجب الاسباب الدقيقة في ضعف الحركة الاصلاحية النجفية التي مهدت المحافظين الظفر في الصراع الدائر مع المصلحين اصلاح الشعائر الحسينية " وهي :

 ١. تأثير بعض الفرس المقيمين في مدينة النجف بتحريف شعور الفرد واستعمره .
 ٢. مظاهر الدين التي ترى وجوب سحق أي معنوية اصلاحية او شعور عقلي تتظاهر به الامة امامها .
 ٣. ان مناهج رجال الاصلاح لا تلتقي مع المستبدين [المحافظين] في نقطة الخط الذي يسرون عليه ذلك لان العلم يقودهم [المصلحين] أما اولئك فهم يتعكزون بالوهميات ويحافظون على الخيالات فلا يفتنوا

(٧٣٤) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

(٧٣٥) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٣٧) .

(٧٣٦) ولد بمدينة النجف سنة ١٩٠٤ في بيت علم ودين وتلقى علومه في المدرسة العلوية وانتهل الشعر والأدب واللغة والفقه في مكتبة والده العامرة واشتغل مدرسا في مدرسة الحلة الابتدائية عام ١٩٢٤ تنقل في التعليم من مدرسة لأخرى ، واستقال عام ١٩٣٠ ليتفرغ للصحافة فأصدر صحيفة (الفجر الصادق) في مدينة النجف وفي عام ١٩٣٢ أصدر (صحيفة الراعي) في النجف أيضا ، والتي ألغى امتيازها لمواقفها السياسية والثقافية وتعرض صاحبها للملاحقة والاضطهاد والسجن ثم اصدر (مجلة الهاتف) الأدبية الأسبوعية عام ١٩٣٥ في النجف ودامت أربعة عشر عاما متواصلة حتى انتقل امتيازها الى مدينة بغداد عام ١٩٤٩ حيث أصدرها يومية سياسية عادت بعد ثلاث سنوات ثانية اسبوعية أدبية فألغى امتيازها في عهد وزارة نوري السعيد ، وهو مساند للتيار الاصلاحى النجفي وخاصة في الإصلاح الاجتماعي وحتى الاقتصادي عندما رقد المصلح عبد المحسن شلاش بأفكاره ، تعرض نتيجة مساندته لأشكال عديدة من الضغط والابتزاز . الورد ، محمد باقر ، أعلام العراق الحديث (قاموس وتراجم ١٨٦٩ - ١٩٦٩) ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٧٣٧) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٧٣٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٧٣٩) " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٩ / حزيران / ١٩٤٦ ، العدد (١) ، ص ١٣ .

(٧٤٠) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

لمناهج الإصلاح في العصر الحاضر . وليس عليهم الا مشايعة العلم والاصلاح او الانتحار امام قوتها
(٧٤١)

وابرز رجال التيار المحافظ الذين خاضوا الصراع ضد الحركة الاصلاحية النجفية العالمان الدينيان السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ عبد الحسين صادق ، واسرة آل مظفر التي ناهضت الحركة الاصلاحية النجفية وبخاصة في اصلاح الشعائر الحسينية ومنهم محمد حسين المظفر الذي كان محورا من محاور التيار المحافظ (٧٤٢) . ومن الابداء المتشددين رضا الهنداوي (٧٤٣) ، وعدد من الفضلاء في مجال العلم منهم محمد تقى بن عبد الحسين صادق واخوه الشيخ محمد علي بن الشيخ ابي القاسم (٧٤٤) . والشيخ احمد آل كاشف الغطاء واحمد كاظم اليزدي وحسن الجواهري (٧٤٥) .

وفلسفة التيار المحافظ وحتته في صراعه مع التيار الاصلاحى النجفي هو تأكيد ضرورة فصل الدين عن السياسة ومتغيراتها وعدم دمج ظروف المجتمع واحواله الاقتصادية والاجتماعية مع احوال الدين الاسلامي وشريعته . ان وجهة نظر المحافظين هذه ساعدت بل خدمت الاستعمار اذ وجد المستعمرون هذا المبدأ المحافظ عاملا مساعدا في سيطرتهم وسطوتهم . حتى ان المستعمرين روجوا لهذا المبدأ باشاعة : " ان الدين هو خير محض والسياسة شر محض ولا يمكن في منطق العقل ان يجتمع الخير والشر على صعيد واحد " (٧٤٦) . واكد المحافظون ان النظام الاسلامي ليس فيه نقص حتى يحتاج الى اصلاح وتجديد (٧٤٧) .

ونظرة التيار المحافظ في وجوب تحقيق المضامين الدستورية والديمقراطية التي نادى بها التيار الاصلاحى النجفي منذ انبثاق حركته الانسانية نظرة المتشكك والرافض اذ يعدون الديمقراطية عدوة للنظام الاسلامي ووجهة نظرهم غير المعقولة : " ان النظام الامثل هو من انشاء الله وحده لا شريك له فيه ومن اتخذ سواه في حياته فقد اشرك مع الله سواه وخرج من عقيدته " (٧٤٨) . ويعتقدون ان من ينادي بالديمقراطية هو طامع بالكرسي والسلطة ورفضهم البرلمانية متأت من اعتقادهم بأن عد رأي لاكثر والغاء رأي الاقل يعني بطلان حق رأي الاقل وسقوط ارادته عن درجة الاعتبار (٧٤٩) .

وحجة المحافظين الاخرى هي ان " المقرر عقليا هو الخروج على قاعدة واحدة من القواعد التي ينتظم بها الكون صغرت هذه القاعدة او كبرت - هو جموح وتمرد ضد جميع حقائق الكون " (٧٥٠) . الا ان التيار المحافظ لم يدرك ان الحاجة والضرورة وجدت في هؤلاء المصلحين الاستعداد التام والقابلية الكاملة والرجاحة الصادقة فانفتحهم للقيام بالاصلاح . ويبدو ان التيار المحافظ مؤمن بمبدأ " الثوابت " التي يعتمد عليها الكون في تنظيم شؤونه ومرافقه وان الخارج عن حقيقة من حقائق الثوابت يعد كافرا خائنا عميلا للاجنبي وان كان عالما او ادبيا يسعى لخدمة وطنه

ويتهم المحافظون الحركة الاصلاحية بأنها مقلدة للغرب الا انهم لم يفهموا معنى ان التجديد هو تجديد واحياء الموروث والاصالة حتى ان المصلح محمد رضا الشيباني تناول المدرسة القديمة بالحسن والاثر الطيب بل انه سجل مساوئ المدرستين القديمة والحديثة كليتهما وحاول النهوض بواقعهما نحو معان حضارية متقدمة ورفض منطق النقل من الحضارة الاوربية دون ارضية اجتماعية واقعية تقبل او على الاقل تتلاءم مع هذا النقل (٧٥١) .

(٧٤١) مقتبس من " النجف " ، (صحيفة) ، ٤ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٤) ، ص ٣ .

(٧٤٢) الخليفي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠ - ص ٢١ .

(٧٤٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٧٤٤) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٢٢ ؛ الخليفي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٧٤٥) D. K. W., The files of the Royal Palace, fold (379), From special services officer, Nasiriah, To Air staff Intelligence, " Najaf and Karbala", document (16), 19 December 1925, p(20).

(٧٤٦) القزويني ، المصدر السابق ، ص ٨ .

(٧٤٧) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٧٤٨) القزويني ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٧٤٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٧٥٠) العجلي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٧٥١) شناوة ، علك عبد ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

وبالعكس فقد حذرت الحركة الإصلاحية النجفية التقليد الأعمى للغرب وعدته تيارا جارفا لا ينفع ما لم يقارن بالإصلاح والمدنية الصحيحة حتى ناشد المصلحين ومنهم محمد علي الحسيني بـ " انهضوا بنصرة الدين على ما يقتضيه العصر " (٧٥٢).

وعلى الرغم من العقبات التي اعترضت حركة التيار الإصلاحي النجفي إلا أنها تركزت في تاريخ العراق الحديث ووهبت المستقبل أدمغة مفكرة أفادت منها الحركة الفكرية في مدينتها ووضعت معاني تبحث عن تفسير منطقي دائم (٧٥٣). وإذا ما وضعنا خطوطا واضحة للاستفسار عن منشأ الدوافع الحقيقية وكوامن تدهوره وصراعه مع التيار المحافظ وبمناظرة فكرية لكلا التيارين تجسد نوازعهما النفسية وبخاصة أن أصحاب التيار المحافظ رجال لهم وزنهم وقيمتهم العلمية والدينية والأدبية في المجتمع النجفي ، إلا إن العوامل الآتية توضح سبب صراعه مع التيار الإصلاحي النجفي :

أولا : إن العناصر الثقافية الجديدة الراجبة في التحديث والتجديد تتصادم مع جماعة يشكون في قيمتها ودورها في انفاذ المجتمع وذلك لعجزهم عن الربط بينها وبين النتائج المتوخاة منها ، ويمكن ان يدخل هذا ضمن ما يسمى بالخوف من المجهول الذي يعد أشد أنواع الخوف أو يمكن أن يدخل ضمن ما يسمى بالخوف المرضي أو الفزع (الفوبيا) (٧٥٤) ، فرجال التيار المحافظ في أشد حالات الخوف والارتياح من الحركة الإصلاحية النجفية وأعمالها (٧٥٥) ، ولما كان التجديد يقتضي جهدا ونشاطا لتحقيق مفهوما جديدا يناقض المفاهيم القديمة التي درج عليها المحافظون وهو أمر يقتضي منهم أن يكلفوا أنفسهم مشقة ورهقا وهم الراغبون في الراحة والهدوء وحب السكينة فنبت (المحافظ) التجديد خوفا على راحته وحرصا على هدوئه (٣).

ثانيا : إن كثيرا من الناس (وهذا دور مهم استغله التيار المحافظ في كسب عدد كبير من عامة النجف) يتجه لانتهاج ما ورثوه عن أسلافهم لأنهم ألفوا ذلك واعتادوه بل إن البعض ينسج شيء من القداسة على التراث القديم ، ويرى إن أي مس فيه هو عدوان مقصود على المقدسات . والحنين الى الماضي ظاهرة ترجع جذورها الى التضامن القبلي والعائلي أو الى محاولة الطبقات المميزة أن تبني امتيازها على أساس الوراثة بل حتى بلغ التأليه الى النماذج القديمة (٧٥٦).

ثالثا : يعتقد رجال التيار المحافظ إن الأخذ بأنماط فكرية محددة وسلوكية حديثة قد يعرضهم للخطأ أو يفقدهم مراكزهم أو مواقفهم الرسمية والاجتماعية (٧٥٧).

رابعا : يقاوم المحافظون أساليب الإصلاح والتغيير الثقافي التي يتصورونها أفكارا مفروضة عليهم فرضا ويصطدمون معها ويقاومونها لشعورهم إن هذه الأفكار هي تعني ضمنا أن نقصا فيهم فيرفضونها (٧٥٨).

ويضيف الباحث أسبابا أخرى للصراع :

أولا : إن أغلب مؤيدي حركات الإصلاح هم من الشباب المتحمس لقضايا التجديد والتحديث مقارنة مع شبوخ التيار المحافظ وبخاصة إن بعض ملاكي الأراضي والمتنفذين يساندونهم ومن الشباب المصلحين ذو النشاط المتميز في الأدب المصلح علي الشرقي (١٨٩٢) ومحمد رضا الشيبيني (١٨٨٩) وأخوه محمد باقر الشيبيني (١٨٩٠) ، ومن الصحفيين الشباب المؤيد للحركة الإصلاحية المصلح جعفر الخليلي (١٩٠٤) ، ويوسف رجب (١٩٠٠) .

(٧٥٢) مقتبس من " العلم " ، ٢٨ / حزيران / ١٩١١ ، العدد (١) ، ص ٢ .

(٧٥٣) " النجف " ، (صحيفة) ، ٤ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٤) ، ص ٣ .

(٧٥٤) هي حالة مرضية تصيب الفرد الذي يشعر بخوف وفزع من شيء مجهول يخشى أن يصطدم أو يلتقي معه وهذا الخوف متأث من ضعف في بنیان الشخصية وعدم الثقة بالنفس تبدأ من تجارب الإنسان واحتكاكه وسط المجتمعات ودراسته لتلك المجتمعات المتعددة وأغلب العقد والأمراض النفسية هي في الواقع جاءت من إيعازات لا شعورية متخالفة تضعف إرادة المرء بلا ميرر فتخلق عدة أنواع من العقد ونقص ظاهر في الشخصية ، عبد المسيح ، شوقي ، دوافع التردد والخجل والخوف ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٨٠٧ ؛ عاقل ، فاخر ، علم النفس التربوي ، بيروت ، ط ٨ ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ .

(٧٥٥) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٣٥) ؛ الهيئي ، هادي نعمان ، الاتصال والتغيير الثقافي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١١١ .

(٧٥٦) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٢٣) ؛ الهيئي ، المصدر السابق ، ص ١١٨ ؛ الأعرجي ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٧٥٧) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٢٣) ؛ الهيئي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٧٥٨) الهيئي ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

ثانيا : غياب اللغة ووسيلة التفاهم بين التيارين وهذا يرجع الى التعصب الأعمى وقسوة الصراع التي جعلت المصلحين النجفيين يتحاشون محاورة التيار المحافظ النجفي حتى بلغ الأمر التهديد بالقتل^(٧٥٩).
ثالثا : دور القوى الاستعمارية في تأجيج حدة الصراع بين التيارات الفكرية محاولة تمزيق وحدة الصف وتفريق الشمل وتحقيق غاياته الاستعمارية ، وهذا ما وجدناه يتمثل بدور الممارسات الإرهابية الروسية في إنشاء قنصلية روسية مشاغبة في مدينة النجف لضرب الحركة الإصلاحية النجفية ، وبالتالي تكونت مدرستان متصارعتان

رابعا : إن للكذب والافتراءات بين الحركات الفكرية دورا متميزا في تأجيج الصراعات ، فالكذبة التي هيجت التيار المحافظ إن المصلحين يبعون قتل ابن رسول الله زعيم التيار المحافظ السيد محمد كاظم اليزدي سنة ١٩٠٧ دورها في تفاقم حدة الصراع وخلق الفوضى والبلبلة ، بل وخلقت مدرسة محافظة رافضة للحركة الإصلاحية النجفية .

خامسا : دور القضايا الشخصية في تأجيج حدة الصراع وبخاصة إن الحركة الإصلاحية في انبثاقها كان زعيمها محمد كاظم الخراساني في صراع شخصي مع زعيم التيار المحافظ السيد محمد كاظم اليزدي^(٧٦٠) ، والصراع الشخصي بين المجتهدين المصلح أبو الحسن الموسوي والمحافظ أحمد آل كاشف الغطاء حول تولي زعامة المرجعية الدينية في أواخر العشرينات من القرن العشرين^(٧٦١) .

سادسا : التكتلات والمحالفات التي يحاول أقطاب الصراع تكوينها لانجاح أفكارهم فلها دور متميز في تفاقم حدة الصراع ومن التكتلات التي قامت في مدينة النجف انضمام عوائل الى الحركة الإصلاحية النجفية كآل الجواهري وآل الجزائري وآل الشبيبي في المقابل انضمام آل المظفر وآل كاشف الغطاء للتيار المحافظ .

ولذلك فإن لبعض المضامين التجديدية في قضية إصلاح بعض المسائل الدينية وبالا ومشقة للتيار الإصلاحي النجفي فالأفكار التي ينادي بها المصلحون النجفيون هي ليست بنظر المحافظين إلا قطع لأرزاقهم والمحافظة على أساءوا فهم المصلحين النجفيين الذي يريدون تجديد الأثر الحسن والموقف البطولي والمآثر الشجاعة الخالدة لعادات الشعائر الحسينية لا ضرب الأبدان بالسيوف والسلاسل بل إن المصلحين وبذكاء بارع وصحيح حاولوا توظيف المآثر العربية الإسلامية الخالدة التي تسير وجهة المجتمع نحو معان حضارية متقدمة وبناء شخصية مسلمة رزينة قدوة للأمم لا مشاهد تمثيلية قاسية مؤلمة يستمتع بها الأجنبي المستعمر ، ثم يسخر منها ويحكم على الإسلام بأنه (دموي) . وأراد المصلحون النجفيون التوظيف الأمثل للخطبة الحسينية ومنهج الكتابة لرجل الدين والقرآن الكريم لبناء أمة إسلامية تتفخر بها الأمم .

ويمكن تحديد صراع التيارين المحافظ والإصلاحي في النجف بصورة دقيقة منذ إقام مناقشة المشروطة في إيران فبالرغم من سيادة فكرة التيار الإصلاحي النجفي أول الأمر كان للمصالح الشخصية دورها الدولي المتمثل بالإرهاب الروسي والإيراني والعثماني في تكوين التيار الثاني [المحافظ] الذي يناوئ الحركة الإصلاحية النجفية وبالتحديد منذ عام ١٩٠٧ ، وبالتالي قبع شيء من الخوف على نفوس المصلحين وبخاصة عند تدخل دول إرهابية في صراعهم وهذا يقودنا الى استنتاج مهم فإذا لاحظنا إن من أقوى أسلحة التيار المحافظ هو الجذب المادي وكثير من الأتباع تم كسبهم بهذا الجذب فإن الأمر أصبح جليا ما مصدر هذه الأموال التي تدفقت من خارج مدينة النجف لتنفيذ السياسات الإرهابية فيها . وبالرغم من محاولات المصلحين النجفيين المستمرة الرامية الى تجديد الأثر الحسن والاتحاد ونشر العلم وقول الحق فإن المحافظين يضللون أنفسهم بأنها مفاهيم غير معقولة بل اتهموا المصلحين بتسميات شتى مما زاد الصراع بينهما .

وأدرك المحافظون إن الوسيلة لتقوية تنظيمهم هو تأليف درع بشري يحصن أفكارهم ومصالحهم مستغلين جهل العامة وفقدهم وبالتالي تمكنوا من التثبيت ببعض المفاهيم المحافظة وإضعاف الحركة الإصلاحية النجفية وبالتالي ظهرت تكتلات كثيرة زادت حدة الصراع وتعمق سمك الجدار بين التيارين واستغلت أساليب كثيرة للتعبير عن صراعهم أدبيا (شعر - نثر في الصحف وغيرها) نفسيا (الألقاب والاستهزاء والكذب وغيرها) سياسيا (اتهام المصلحين بالتملق للأجنبي ومحاوله تقليدهم أو أنهم طامعون بالمناصب أو اتهامهم بالشيوعية وغيرها) إرهابيا (تهديدهم بالقتل وإثارة الفوضى والبلبلة وغيرها) . وعلى الرغم من قساوة الصراع بين التيارين وعنفه لكننا لا ننكر

^(٧٥٩) أنظر رسالة التحذير من القتل المرسله للمصلح محمد علي الحسيني المنشورة في " العلم " ، (مجلة) ، ٢٤ /

تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٢١ .

^(٧٦٠) يشير عبد الرحيم محمد علي الى إن خلفية هذا الصراع يرجع حول زعامة المرجعية الدينية في مدينة النجف للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

^(٧٦١) المظفر ، المصدر السابق ، ورقة (٢٣) .

إن لهذا الصراع دوره في تفجر وعي فكري عند أبناء مدينة النجف وإذا ما أردنا أن نضع إشارة صحيحة للصراع الحقيقي فإنه ركيزة لبناء المجتمع وتطوره ولكن هذا النوع من الصراع والاختلاف هو الصراع الإيجابي الذي ينتهي إلى نتيجة صالحة ، قال تعالى : ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين))^(٧٦٢) ، ولا ننكر إن هذا الصراع خلق أرضية قوية لرجال شعروا بضرورة تبني أو المساهمة في القضايا السياسية (١٩٠٨ - ١٩٣٢) وهو ما خصصنا له فصلنا الرابع والأخير .

الفصل الرابع

دور التيار الإصلاحى النجفى فى التطورات السياسية للمدة ١٩٠٨ - ١٩٣٢

المبحث الأول :

- ١. دور التيار الإصلاحى النجفى فى التطورات السياسية للمدة ١٩٠٨ - ١٩٢٠ .
- أولاً : دور التيار الإصلاحى النجفى فى التطورات السياسية ١٩٠٨ - ١٩١٤ .
- ثانياً : إعلان الجهاد أثر إعلان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ودور التيار الإصلاحى النجفى فيه .
- ثالثاً : انتفاضة النجف ١٩١٥ ضد العثمانيين .
- رابعاً : دور التيار الإصلاحى النجفى فى ثورة النجف ١٩١٨ .
- خامساً : موقف التيار الإصلاحى النجفى من التطورات السياسية العراقية للمدة ١٩١٨ - ١٩١٩ .

المبحث الثانى :

- ١. دور التيار الإصلاحى النجفى فى التطورات السياسية للمدة ١٩٢٠ - ١٩٣٢ .
- أولاً : موقف التيار الإصلاحى النجفى من ثورة العشرين .
- ثانياً : موقف التيار الإصلاحى النجفى من الحكم الوطنى الأول ١٩٢١ - ١٩٣٢ .
- ثالثاً : موقف التيار الإصلاحى النجفى من القضايا القومية .

(٧٦٢) " القرآن الكريم " ، سورة البقرة ، آية : ٢٥١ .

الفصل الرابع

دور التيار الإصلاحى النجفى فى التطورات السياسية للمدة ١٩٠٨ - ١٩٣٢

نظر التيار الإصلاحى النجفى الى السياسة نظرة جامعة لقيم الشريعة الإسلامية مع المبادئ السياسية المتجسدة فى الدولة . فرفضوا عنصرية الاتحاديين ووضعوا مفاهيم دستورية راقية وطرحوا نشاطهم السياسى بقوة وبإيمان كبير بعد الانقلاب العثمانى ١٩٠٨ ودافعوا عن منجزاتهم السياسية بل أكدوا بإعلان الثورة على كل من يحاول ضرب أهدافهم السياسية فكانوا مساندين للحركات الإصلاحية الدستورية المجاورة بل شجعوا مبادئ الدستورية وحذروا من مغبة الرجوع الى عهد الاستبداد برسائل إصلاحية اتخذت طابعا سياسيا محض ، وبيان السياسات الدولية ضد الإسلام والمسلمين فعمدوا الى نشر ما يعانیه المسلمین فى روسيا ، وفضح الغايات التى ترمى من وراء الامتيازات الأجنبية بأنها غايات سياسية استعمارية .

وباندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ أصبح العراق ضمن السياسات الاحتلالية للبريطانيين وسبب الجهاد السياسى العثمانى بوضع التيار الإصلاحى النجفى فى محنة الازدواج الفكرى فى نشاطه السياسى إلا إن أعضاءه أخيرا أخلصوا لتلبية واجب الدفاع عن حوزة الإسلام وقاموا ببطولات خالدة فى حملة الجهاد إلا إن نشاطهم السياسى هذا خرج من محنة الازدواج ووجدوا نشاطهم بالتخلص من كل تدخل احتلالى وبخاصة بعد تمتع مدينتهم (النجف) بشبه استقلال طوال السنتين (١٩١٥ - ١٩١٧) فنظم التيار الإصلاحى النجفى صفوفه من جديد وبرمج سياسته بالعمل على حشد الجهود الوطنية بتنظيم سياسى سرى يدعى (جمعية النهضة الإسلامية) الذى مهد لاندلاع ثورة رافضة للوجود البريطانى ١٩١٨ التى اتخذت ألوان متعددة فى سبيل إنجاح مسعى المصلحين السياسى الذين تعرضوا حتى من داخل النجف لضغوط نفسية من قبل المحافظين مما عرقل نشاطهم السياسى واستمر هذا النشاط بعد أن أصبح صراعهم (صراعا فكريا سياسيا) إذ قضت الضرورة الوقوف بوجه الألاعيب البريطانىة التى تحاول فرض قبضة استعمارية شديدة تلحقه بحكومة الهند البريطانىة فرفضوا لعبة المجالس البلدية ولعبة الاستفتاء التى دفعت بالمصلحين النجفيين الى أن يوسعوا نشاطهم السياسى مع الفئات الوطنية المتحررة فى العراق وبخاصة مدن (كربلاء ، بغداد ، البصرة ، الموصل) وحثمت هذه الضرورة استغلال جميع الفرص المواتية لتعزيز نشاطهم الوطنى ومنها جلب زعيم يقود نضالهم السياسى وإيصال صوتهم الى خارج العراق واستغلال القوة القبلىة وتوجيهها نحو سياسة تحررية واحدة .

المبحث الأول - دور التيار الإصلاحى النجفى فى التطورات السياسية للمدة ١٩٠٨ - ١٩٢٠ :

أولا - موقف التيار الإصلاحى النجفى فى التطورات السياسية ١٩٠٨ - ١٩١٤ :

حاول السلطان العثمانى عبد الحميد (١٨٧٦ - ١٩٠٩) انقاذ وضعه المزرى قبل الانقلاب الاتحادى ١٩٠٨ بانتهاج إصلاحات غير علمية ، وذلك باستغلال الفكر الأوروبى ببوارجه الحربية ، ثم عجز أخيرا عن إيقافها بل انقلبت الأوضاع ضده سنة ١٩٠٨ - ١٩٠٩^(٧٦٣) ، ولكننا لا ننسى إن لتدهور الولايات العربية دورا واضحا فى خلق الحاجة الى المصلحين تزامنت مع فشل التوجه الإصلاحى العثمانى والإرهاب الذى استخدمه العثمانيون فى الوقت نفسه^(٧٦٤) . حتى اتهم المصلح محمد على الحسينى العثمانيون بأنهم السبب فى الإرهاب والتعسف عند جوابه لسؤال مجلته المعتاد (مجلة العلم) " لم سقطنا وبم نرتقى ؟ " فى عددها الثامن من السنة الأولى (١٩١٠) ، إذ وضع اللوم على

^(٧٦٣) الأنصارى ، محمد جابر ، تحولات الفكر والسياسة فى المشرق العربى (١٩٣٠ - ١٩٧٠) ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ١٠ .

^(٧٦٤) على ، عباس ، زعيم الثورة العراقية (لمحات من حياة الزعيم السيد الصدر) ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ص ١٩ .

عائق الحكومة العثمانية بسبب إهمالها الحياة العامة وعدم الاعتناء بمظاهر العلم وذويه وسيادة الرهبة والاستبداد بل ذهب الى أبعد من ذلك بوصفهم بـ " الشرذمة المستبدة " و " القيصرية " و " السراق " (٧٦٥) . وهو كلام جريء قياسا للمدة الزمنية التي كتب فيها النقد وسطوة الاتحاديين تعلق مسألة الحكم في الإمبراطورية العثمانية ، إلا إنه يؤكد إن العقد الأول من القرن العشرين كان هدفا قويا وجريئا للإصلاحات الفكرية السياسية في العراق (٧٦٦) ، ولم تبال لا بسطوة الاتحاديين ولا المحافظين بل ازدادوا رفضا واتقادا للأفكار التحررية (٧٦٧) .

وبرز تأكيد المصلح النجفي الأول زعيم التيار الإصلاحى النجفي محمد كاظم الخراساني ضرورة اتباع النظم الديمقراطية وتأليف المجالس النيابية وإصدار الصحف وفتح المدارس الحديثة واتخاذ الإصلاح سنة تجدد كل ما يتعلق بشؤون الحياة والتف حول فكرة الإصلاح النجفية الدستورية رجال مؤمنين بحركتهم التجديدية (٧٦٨) ، استمرت الدعوة بضرورة أن يكون للدولة مجلسان تشريعي والآخر تنفيذي وإن السلطان مصون غير مسؤول ولكن المسؤولية تخص الوزراء والنواب (٧٦٩) ، حتى أصبحت مطالبهم الإصلاحية الدستورية بصورة علنية وقوية في أحد أوكارهم الإصلاحية وهو مجلس المصلح عبد الكريم الجزائري سنة ١٩٠٨ وطالبوا بتحقيق الإدارة اللامركزية للعراق (٧٧٠) . ثم أصبحت دعواتهم الدستورية تتداول بصورة عامة في مجالس النجف الإصلاحية حتى أخذوا يناقشون شكل الحكم وماهيته بدستور أو بدونه وهل تنسجم فكرتهم السياسية الدستورية مع الشريعة الإسلامية أو لا تنسجم (٧٧١) ، حتى وصل أمر دعوتهم الى المطالبة بتحقيق انتخابات حرة مباشرة لا تشوبها شائبة (٧٧٢) .

وتحدث أحد رجالاتها عن ولادة نشاطهم الإصلاحى السياسي وهو المصلح علي الشرقي قائلا : " تسعرت الحركة الاصلاحية مشبوبة بين المتتورين وأكثرهم من المعممين الدارسين الذي يؤلفون حزب المشروطية وكانت زعامتهم معقودة للعلامة الملا محمد كاظم الخراساني وإخوانه العلامة الخليلي [حسين] (٧٧٣) والشيخ عبد الله [لمان ندراني] (٧٧٤) ، وبقية الأعلام أما حزب الاستبداد فيتكون من الدهماء وزعامتهم معقودة للسيد كاظم الطباطبائي [محمد كاظم اليزدي] (٧٧٥) ، وكان الثقل في هذا الحزب يريد إبقاء القديم على قدمه لأن السلطة عند هؤلاء مقدسة والسلطان العثماني ظل الله على الأرض " (٧٧٦) .

سمت بعض المصادر هذه الحركة بالديمقراطية ورجالها بالديمقراطيين او التقدميين (٧٧٧) ، لذا فإن ولادة هذه الحركة الديمقراطية التقدمية كانت من رحم مدينة النجف على ايدي جماعة من المتتورين تبناوا الاصلاح ومدت طوفانها الى البر والبحر وبالذات الممالك الاسلامية وبخاصة ان محمد حرز الدين يرجح جذورها الى عام ١٩٠٣ (٧٧٨) .

(٧٦٥) مقتبس من " العلم " ، ٢٠ / أيلول / ١٩١٠ ، العدد (٨) ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٧٦٦) الرهيمي ، حقائق عن الثورة الدستورية ... ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٧٦٧) كان للمثقفين العراقيين ذوي الأفكار التحررية الواعية دور ونشاط ملحوظ في زرع بذور الوعي بالمجتمع العراقي وأوجدوا حركة ناقدة رافضة لأشكال التعصب والاستغلال تغذيتهم المؤثرات الخارجية المختلفة حتى أصبحوا رموز وطنية وقومية واتسمت أعمالهم بالجرأة والوضوح والنقد وتعرض منهم لانتهاكات واعتداءات على أرواحهم وحقوقهم . للمزيد من تفاصيل نشاط المثقفين العراقيين تجاه السيطرة العثمانية ينظر : النصيري ، عبد الرزاق ، دور المجتدين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨ - ١٩٢٢ ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .

(٧٦٨) التميمي ، محمد علي جعفر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤ ؛ محيوبة ، جعفر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

(٧٦٩) الموسوي ، مجيد ، الحاج عطية أبو كلل الطائي ، بغداد ، بلا ، ص ١١ .

(٧٧٠) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

(٧٧١) فياض ، عبد الله ، الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٩٢ ؛ حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .

(٧٧٢) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٧٧٣) هو الحاج حسين بن الميرزا خليل بن علي بن ابراهيم النجفي ولد بمدينة النجف سنة ١٨١٨ م وبعد دراسته العلمية فيها أصبح مرجعا دينيا بعد وفاة استاذة الشيخ محمد حسين الكاظمي وزادت شهرته سنة ١٨٩٠ بعد وفاة المجتهد محمد حسن الشيرازي فقلدته دول عديدة منها إيران والهند ولبنان فضلا عن العراق كانت لديه مجالس شهيرة انتفعت بها الناس من الموعدة والحكمة كان يهتم بالفقراء فيزورهم ويضمن لهم حاجتهم وهو أحد المؤيدين للتيار الإصلاحى النجفي منذ انبثاقه عام ١٩٠٨ توفي بمدينة النجف سنة ١٩٠٩ . حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٧٧٤) يعد من أكبر المساعدين للمصلح محمد كاظم الخراساني في حملته بالإصلاح والدستور ونشر الحرية وهو من أكابر العلماء في مدينة النجف وبسبب سعة علمه وتأييده للمضامين الدستورية أطلق عليه لقب " العالم الدستوري " توفي سنة ١٩١٢ . محمد علي ، عبد الرحيم ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٧٧٥) هو أحد كبار رجال الدين في العراق وهو صاحب الموسوعة الفقهية الكبرى " العروة الوثقى " التي تعرضت للشرح والتعليق والمناقشة عشرات المرات ، ولد ببزاد عام ١٨٤٩ ، سافر الى أصفهان لتحصيل العلم ومن هناك هاجر الى العراق فتتلمذ على علمائها الأعلام وأسأنتها الأفاضل حتى بلغ مبلغا عظيما من العلم =

= ومرجعا عاما من مراجع التقليد في البلاد الإسلامية كان موقفه من المشروطية والإصلاح الدستوري أول الأمر مؤيد له إلا إنه انقلب ضد فكرته وكل من يؤيده حتى تزعم تيار ضد منجزاته وأخذ سمة المحافظين وأطلق عليه من قبل المصلحين بالتيار المحافظ أو المستبد . علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٠ .

(٧٧٦) مقتبس من موسوعة الشيخ علي الشرقي (الأحلام) ، القسم الرابع ، جمع وتحقيق موسى الكرباسي ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٤٨٢ .

(٧٧٧) لتتوفاكي ، المصدر السابق ، ص ٥٨ ؛ حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ ؛ الورد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .

(٧٧٨) حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ .

حاول الشاه محمد علي القاجاري اثر نتويجه في ١٩ / ايلول / ١٩٠٧ تصديق الخناق حول المنجزات الدستورية في ايران وكبح جماح احرارها^(٧٧٩) ، فهدد التيار الاصلاحى النجفي بخلعه والثورة عليه واستعدوا لامره وراجت تجارة البنادق^(٧٨٠) . وبعث اليه زعيم التيار الاصلاحى النجفي المصلح محمد كاظم الخراساني رسالة تأنيب وتوبيخ مطلعها : " يا منكر الدين ويا ايها الضال الذي لا نستطيع مخاطبتك بلقب شاه ... الخ " وقال : " نحن بحسب اطلاعا على البلاد المطبق فيها الدستور انها تدار بحسب القوانين والعدالة ، ونحن بصراحة نقول : ليس في المشروطية نقطة تخالف الدين الاسلامي بل انها تتفق مع احكام الدين واوامر الانبياء بخصوص العدالة ورفع الظلم عن الناس ... واذا حصل تأخر منك عما قلناه فإننا سوف نحضر جميعا في ايران ونعلن الجهاد ضدك ولنا في ايران اتباع كثيرون والمسلمون كثيرون ايضا فإننا اقسما على ذلك "^(٧٨١) وكانت صلة الوصل بين الحركة الاصلاحية النجفية والدستوريين في ايران بوساطة محمد تقي نجل المصلح حسين الخليلي ومهدي نجل المصلح محمد كاظم الخراساني اللذين يوصلان تعليمات التيار الاصلاحى النجفي الى ايران^(٧٨٢) .

وقام التيار الاصلاحى النجفي بغية الترويج لفكرته الدستورية بإقامة الاحتفالات الشعبية في مدينة النجف وبرعاية المصلح محمد كاظم الخراساني وبتمويل عدد من المؤيدين للحركة الاصلاحية كعطية ابو كلل^(٧٨٣) واخذ فرع حزب الاتحاد والترقي في مدينة النجف يدعم ويعزز المضامين الدستورية الجديدة وتعاون الطرفان (المصلحون - وفرع حزب الاتحاد والترقي) في اقامة الاحتفالات^(٧٨٤) ، ومنها الاحتفالية التي اقيمت بمناسبة زيارة موفد حزب الاتحاد والترقي لمدينة النجف " ثريا بك " لفتح بناية فرع الاتحاد سنة ١٩٠٨ ، وتلك التي تخللت مظاهرات واحتفالات صاخبة بمناسبة خلع محمد علي القاجاري سنة ١٩٠٩ وغيرها من الاحتفالات والاجتماعات والمظاهرات التي كانت تقام في الصحن الحيدري والجوامع والمدارس^(٧٨٥) . وهذا يؤكد ان الاتحاديين العثمانيين ذوو نشاط مبكر في مدينة النجف وهو امر يكشف عن خطأ أنور علي الحبوبى حينما جزم بعدم وجود تنظيم سياسي للاتحاديين خارج مدينة بغداد بعد عام ١٩٠٨^(٧٨٦) .

ورحب المصلحون النجفيون بثورة الاتحاديين ١٩٠٨ ، واندفعوا باتجاه اكثر قوة وعزما بل انهم طالبوا باصلاحات اكثر وبخاصة ضرورة استخدام اللغة العربية وفتح مؤسسات علمية وادبية وسياسية^(٧٨٧) . وازدادت الدعوات الهادفة الى بعث النظم الدستورية وترسيخها في البلاد . فعند محاولة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الرجوع بالمنجزات الدستورية الى عهد الاستبداد كثرت التظاهرات الشعبية في المدارس والجوامع والصحن الشريف حتى اجتمع المصلحون النجفيون على الابراق الى السلطان العثماني وبتوقيع زعيمهم المصلح محمد كاظم الخراساني ومما جاء فيها : " ... ومتى عارض القانون الاساسي الاحكام الشرعية وفي أي مادة عارض الصوم والصلوة ومتى اوجب غير المشروع ، وبديل اصول الدين والفروع ... "^(٧٨٨) الا انها وصلت بعد خلعه من قبل الاتحاديين في ١٣ / نيسان / ١٩٠٩^(٧٨٩) .

وحتى عام ١٩٠٨ وقبيل خلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ يمكن اجمال ابرز زعماء الحركة الدستورية الاصلاحية النجفية في كل من المصلحين محمد كاظم الخراساني وحسين الخليلي وعبد الله المازندراني ومحمد حسين النائيني واسماعيل صدر الدين ومحمد تقي الشيرازي ومحمد رضا الشيبيني ومحمد علي الحسيني ومحمد باقر الشيبيني وعبد الكريم الجزائري وسعيد كمال الدين واحمد الصافي النجفي ومحمد علي بحر العلوم ومحمد جواد الجزائري وغيرهم من الذين تفاعلوا مع هذه الاجواء الدستورية الديمقراطية المنبثقة مع بدايات القرن العشرين وسماوا بـ " المشروطية " وتعني الحكم المشترط بدستور ومجلس نيابي^(٧٩٠) . ووقف ضد هذا التيار وعكسه التيار المحافظ المنبثق منذ عام ١٩٠٧ بزعماء المحافظ (محمد كاظم اليزدي) الذي يرى ان فكرة المصلحين الدستورية بأن " من مصلحة الدولة يجب ان تكون بيد شخص واحد مسؤول عنها لا يشاركه فيها مشارك ويحتج لرأيه هذا بما يصل اليه

^(٧٧٩) عن الثورة الدستورية الايرانية وأهدافها ودور الشاه محمد علي القاجاري بتضيق الخناق حولها ينظر : الندوي ، عبد المناف ، شكر جاسم ، العلاقات الايرانية - السوفيتية ١٩١٧ - ١٩٤١ ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية - الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٥ ، ص ٤٥ - ص ٥٠ ؛ مجذوب ، طلال ، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦ - ١٩٧٩ ، بغداد ، ١٩٨٠ .

^(٧٨٠) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

^(٧٨١) مقتبس من كمال الدين ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

^(٧٨٢) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

^(٧٨٣) الموسوي ، مجيد ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

^(٧٨٤) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٦٢ ؛ الموسوي ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

^(٧٨٥) العامري ، المصدر السابق ، ص ٤٠ - ص ٤١ .

^(٧٨٦) الحبوبى ، أنور علي ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

^(٧٨٧) أحمد ، ابراهيم خليل ، تطور التعليم ... ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

^(٧٨٨) كمال الدين ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

^(٧٨٩) مذكرات محمد علي الحسيني ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٩ .

^(٧٩٠) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .

اجتهاده الديني " (٧٩١) . واقوى مساند له : " شاه ايران المستبد محمد علي القاجاري (٧٩٢) وروسيا (٧٩٣) ، ووجهة نظر المحافظين تجاه المجالس الدستورية تتلخص بأن : " الاسلام المسلم اشرف من اهل الذمة والكفار والمشروطة تقول نحن جميعا سواسية ومرافقون لهم مع العلم ان الذي يجب ان يكون ذليلا في البلاد ... " (٧٩٤) . أي كيف يجلس المسيحي مع المسلم في مجلس واحد يتساوون في الحقوق ويشتركون في الرأي وان السيادة مطلقة لشخص مسلم واحد

وبعد خلع السلطان العثماني عبد الحميد ١٩٠٩ وتنصيب اخيه محمد رشاد من قبل الاتحاديين ابرق التيار الإصلاحى النجفي بتوقيع زعمائه رسالة اصلاحية معنونة الى ثلاثة جهات ١- الصدارة (السلطان) ٢- رئيس المبعوثان (المجلس النيابي) ٣- المشيخة الاسلامية يحذرون فيها من الرجوع الى عهد الاستبداد والرجعية ويدعون الى مواصلة اتباع الثمرات الدستورية وتحقيق العدالة والدستور مذكرة السلطان الجديد بما حدث لشاه ايران " محمد علي القاجاري " ، اذ جاء في بعض منها : " ... رأينا الشيطان استولى بالغواية على شاه ايران الذي نقض العهد والايمان واستخف بالقرآن وهتك بيوت الله المعظمة وقتل النفوس المحترمة وما اصغى لمواعظنا الشافية وحرمانا اطاعته لمن يناسبه ويدابنه حولنا الرجاء نحو سلطان الاسلام على الاطلاق المتفضل على العموم على كافة الافاق باعلان القانون الاساسي والمشروطية القائد بالمدامومة عليه زمام الرعية وعموم الفرق الاسلامية وبذلك انكشف لدينا ان الاسلام يعلو لا يعلى عليه خصوصا بعد انطماس آثار الاستبداد وعقد الاخوة والاتحاد والمساواة بين الفقير والغني ومساعدة المظلوم على الظالم الشقي ... الخ " (٧٩٥)

وجاء جواب السلطان محمد رشاد على برقية التيار الإصلاحى النجفي " نحن لكم ومعكم يد واحدة على من سوانا ومتعهدون في اخراج روسيا من ايران " (٧٩٦) " (٧٩٧) . وقد تليت هذه البرقية على اعضاء التيار الإصلاحى النجفي في مجالسهم الاصلاحية .

وهذا يوضح مدى قوة التيار الإصلاحى النجفي في الشؤون السياسية للدولتين العثمانية والايروانية وعلى مستوى عروش سياسية حاكمه لا بل حتى هدد روسيا القيصرية ببرقية بعثها اليهم المصلح محمد كاظم الخراساني عند احتلالهم شمال ايران وتهديدهم الاسلام بحملة صليبية جديدة اذ جاء فيها : " لنن لم تتسحب جيوشكم من خراسان لأصرخن في العالم صرخة فلا ادع روسي على وجه الأرض ... الخ " (٧٩٨)

وخير ما يعبر به المصلحون النجفيون عن ارادتهم السياسية هو الصحافة او الاستلهم منها لكل ما يجول من الاخبار الدولية وبخاصة ما يتعلق بظروف المسلمين في الدول الاجنبية ، اذ نقلت مجلة " العلم " باهتمام ما تحدث به بالنص النائب المسلم الروسي " مقصودوف " في البرلمان الروسي وتحت عنوان " بحث مهم جرى في مجلس الدوما " اذ قال : " ولكننا ننضجر ونتأفف لا لدعوة بعض من الرهبان والقسوس ولكن لانهم يرمون الى غاية سياسية من وراء ذلك فهم لا يكتفون بالدعوة الدينية بل يبتغون من وراء ذلك صبغتنا بالجنسية الروسية نحن لا نشكو من وعظهم وارشادهم ولكن من مآرب الحكومة الروسية باتخاذهم آلة لتنفيذ اغراضها منا " (٧٩٩) . ثم يكمل حديثه عن وصف نظرة الروس للاسلام بنظرة اراهبية مشوهة محاولا تصحيح نظرتهم الخاطئة اذ قال : " ثم ان الاسلام في نظر الروس عبارة عن الجهاد وسفك الدماء " ، وقال عن حقيقة الاسلام : " فاعلموا ايها السادة ان حكمة الاسلام وسيرته تنقضان هذا الزعم وانما غاية الاسلام الترقى والمدنية والتاريخ شاهد على ما قامت به بغداد والانديس من رفع منار العلم " (٨٠٠) . ونقلت مجلة " العلم " هذه المحاوراة عن مجلة " المنار الاغر " المصرية اذ كان يرد لادارة المجلة [العلم] من الصحف والمجلات الهندية والانجليزية والفرنسية والعربية ما بين ٥٠ - ١٠٠ مجلة وصحيفة شهرية تقوم

(٧٩١) الشرقي ، علي ، الأعلام ، ص ٩٠ - ص ٩١ ؛ محمد علي ، عبد الرحيم ، المصدر السابق ، ص ٧١ - ص ٧٢ .

(٧٩٢) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٧٩٣) مذكرات محمد علي الحسيني ، الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

(٧٩٤) مقتبس من محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٧٩٥) الرهيمي ، حقائق عن الموقف ... ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(٧٩٦) إن الموقف الأساسي الذي وقفه السلطان العثماني " محمد رشاد " قائم على الاعتبارات السياسية التالية :

أ - الاحتلال البريطاني لقبص ١٨٧٨ وتأييد بريطانيا المستمر للمد الوطني التحرري في اليونان . ب - الصداقة العثمانية الألمانية المتنامية . ج - إن روسيا القيصرية هي عدوة إرثية للعثمانيين بسبب اصطدام المصالح الاستعمارية . د - إن البريطانيين عقدوا مع روسيا ١٩٠٧ معاهدة تسوية الخلافات بينها . هـ - إن الاتحاديين معجبين بسياسة ألمانيا العسكرية . لتشفوسكي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ - ص ٤٩ ، ص ٥٩ .

(٧٩٧) مقتبس من محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٧٩٨) الموسوي ، مجيد ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٧٩٩) " العلم " ، ٢١ / آب / ١٩١٠ ، العدد (٧) ، ص ٢٥٩ - ص ٢٦٠ .

(٨٠٠) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .

ادارتها بتوزيعها على المكتبات العامة في مدينة النجف^(٨٠١). وكانت خير عون للمصلحين النجفيين في انبثاق فكرهم السياسي الاصلاحى^(٨٠٢).

وقد احصت مجلة " العلم " شكلا من اشكال الحملة الصليبية الغربية على العالم الاسلامي ، اذ اكدت ان عدد ما يطبع في العالم الغربي ضد الاسلام في صبيحة كل يوم يفوق مليون ورقة ما بين صحافة ونشرة ورسالة وكتاب^(٨٠٣). كان ذلك سنة ١٩١٠ فكيف هو الحال في وقتنا هذا .

وحذر المصلح محمد كاظم الخراساني من خيوط الامتيازات الاجنبية والتدخلات المستمرة في الشؤون الداخلية ويلقي اللوم عليهم بأنهم سبب البلاء والفتن^(٨٠٤) ، وكشف المصلح محمد علي الحسيني المخططات الاستعمارية السياسية الاقتصادية التي تضيق دائرة الخناق على الشعوب بل يحلها من واقع فلسفي وتاريخي اقليمي يضع فيه القارئ في تحكيم صحيح ويقتنع بماهية المستعمر ، فبرر توجهات المانيا للمشرق ورغبتها في الحصول على الامتيازات الاجنبية في العراق^(٨٠٥) بأنها : " اشد الحكومات احتياجا الى الاستعمار او ما ينتج لها فوائد الاستعمار لضيق منطقة بلادها على صنائعها وبضائعها وكثرة الانفس فيها مع عدم سعة التربة فيها فلا منقذ لسياستها وتجاريتها اوفق مع المسلمين فضلا عن التنافس الاستعماري مع بريطانيا وفرنسا "^(٨٠٦).

ورفض المصلح محمد رضا الشيباني الامتيازات الاجنبية في العراق وبخاصة ما يتعلق بمنح الحكومة الالمانية حق مد سكة حديد في العراق فوصفها باطواق تخنق وتقيد ارادة العراق ، اذ قال :

مدوا الحديد وما اهتزت لمده سكة الحديد بأرضنا اصفا
طرق الحديد اذا التوت وتشابكت شرك به شرف العراق يصاد^(٨٠٧)

وفضح المصلح محمد علي الحسيني خداع المستعمرين وحججهم في استملاك الأراضي كالقروض او المكوس [الكمارك] وضرائنها او استخراج المعادن [الاحتكارات] وغيرها ، بل ناشد متألما بعض الاقطار العربية التي دخلها الاستعمار بوساطة هذه الحجج - ان تواجهها وتفرض ارادتها عليها وبخاصة مصر وليبيا^(٨٠٨).

واتهم الاتحاديون بعض رجال التيار الاصلاحى النجفي بتشجيع الروح الاستقلالية الوطنية عند القبائل العراقية في منطقة الفرات وبخاصة حركتنا " مبدى الفرعون والخزاعل ضد الحكم العثماني ١٩١٠ "^(٨٠٩) . ومن المتهمين الاخوين محمد رضا ومحمد باقر الشيباني^(٨١٠) . وعند عودة الشاه المخلوع محمد علي القاجاري الى سياسية التعاون مع روسيا بغية ارجاع سدة الحكم له والقضاء على الدستور فزحف بجيوش روسية من شمال ايران فأعلن المصلح محمد كاظم الخراساني زعيم التيار الاصلاحى النجفي : " اني حاضر بكل ما املك من نفس ونفيس "^(٨١١) ، واستنفر المصلحون النجفيون وسيلة الخطابة لترويج فكرة الدفاع عن حوزة الاسلام لا عن ايران ، واطهر التيار الاصلاحى النجفي براعته السياسية اذ اعلن انه متفق الكلمة والاتحاد مع جميع ابناء مدينة النجف محاولا تفويت

(٨٠١) الحسيني ، حياة مجلة العلم ... ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٨٠٢) تتابع إدارة مجلة العلم باهتمام الأحوال السياسية في العالم وخاصة أحوال المسلمين في دول العالم ومنها روسيا التي اهتمت بنشر معاناتهم من قبل الإرهاب الروسي ومحاوله طرق أبواب السلطة العثمانية والدول الإسلامية الأخرى لمساعدتهم ، إذ نشرت : " أمرت الحكومة الروسية الى عموم المسلمين الروس تأمرهم بتعليق صورتي القيصر والقيصرة في مساجدهم ومدارسهم وإن المسلمين في روسيا يقدرون بثلاثين مليونا وحالتهم تزداد سوءا وصعوبة من يوم الى يوم لأن الرجعيين الروسيين بصرفون كل جهدهم لملاشاة حقوق المسلمين أو تحديدها والمسلمون هناك لا يستطيعون بقوتهم الذاتية المدافعة عن حقوقهم المهضومة لذلك هم يوجهون وجوههم الى الحكومة العثمانية وينتظرون منها العون والاسعاف " . للمزيد من التفاصيل ينظر : " العلم " ، ٢٥ / حزيران / ١٩١٠ ، العدد (٥) ، ص ٢٢٧ .

(٨٠٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٨٠٤) النصيري ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(٨٠٥) من التوجهات الألمانية نحو الشرق التوجه الاستعماري نحو العراق إذ تمكنت وبدوافع استعمارية للتوسع والمنافسة من الاتفاق مع سلطة الباب العالي في ٢٧/تشرين الثاني/١٨٩٩ على منحها امتياز السكة حديد بغداد - برلين يمتد من (قونية العثمانية) الى بغداد فالخليج العربي وساعد هذا الاتفاق زيارة الإمبراطور وليم الثاني الى العاصمة العثمانية "إسلام بول" ١٨٩٨ اضافة الى ما يتمتع به البارون الألماني فون مارسا بايرستن "السكرير الألماني في اسلام بول" من النفوذ العالي لدى سلطة الباب العالي اضافة الى اهتمام السلطان عبد الحميد شخصيا بإنشاء سكة الحديد تشجيعا لطموحه الحربى ، للمزيد من التفاصيل ينظر : لتشوفسكي ، جورج ، المصدر السابق ، ص ٤٣-٤٤ . وعن تفاصيل الدبلوماسية الألمانية في كسب أكبر نفوذ لها والتوسع في المشرق العربي وبخاصة جذور امتيازات سكة حديد بغداد - برلين ينظر : العامر ، يقطان سعدون ، الاتصالات الألمانية العثمانية بشأن الحصول على امتياز سكة حديد بغداد - برلين ١٨٨٠ - ١٨٨٢ " ، المؤرخ العربي " ، (مجلة) ، بغداد ، ١٩٨٩ ، العدد (٣٩) ، ص ٩٣ .

(٨٠٦) مقتبس من " العلم " ، ٢٨ / مايس / ١٩١٠ ، العدد (٤) ، ص ١٥٦ .

(٨٠٧) ديوان محمد رضا الشيباني ، ص ٣٦ .

(٨٠٨) " العلم " ، ٢٠ / أيلول / ١٩١٠ ، العدد (٨) ، ص ٢٩١ - ص ٢٩٢ .

(٨٠٩) هي انتفاضات قبلية قامت بها قبائل الديوانية بعد اجتماعهم بدار مبدى الفرعون في أبي صخير وانضمت إليها قبائل جميع آل فتنلة واستمرت مقاومتهم حتى عام ١٩١٣ وفشلها بسبب غدر بعض الانتهازيين به الذين اتفقوا مع قائمقام أبي صخير (حامد السامرائي) بالمقابل أن تتعهد الحكومة العثمانية باعطائهم أراضي آل فرعون كمكافئة لغدرهم وتمكن العثمانيون من القضاء على هذه الانتفاضة بعد أن استخدموا مختلف الأسلحة من المدافع والرشاشات فسلم مبدى الفرعون نفسه الى العثمانيين مع سرتيب مزر الفرعون وعبد الكاظم آل سكر . البزركان ، علي ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ، ٢٢ ، ١٩٩١ ، ص ٥٠ .

(٨١٠) " العلم " ، ٢ / كانون الثاني / ١٩١٠ ، العدد (١٠) ، ص ٤٣٩ .

(٨١١) الحلي ، يوسف كركوش ، تاريخ الحلة ، النجف ، ١٩٦٥ ، ج ٣ ، ص ١٣٤ - ص ١٣٥ ؛ محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

الفرصة على من يحاول الفرقة والانشقاق ، واطلاع الدول الاجنبية عن طريق قناصلهم الموجودة في العراق وافهام سفراتهم ماهية الحملة الروسية وغرضها من الاسلام والابراق الى السلطان العثماني توضح فيه موقف الحركة الاصلاحية النجفية من الهجمة الروسية والمناشدة في التعاون والموازرة^(٨١٢) . وتحشيد القوى المتحررة الواعية في العراق لمواجهة الخطر المداهم للاسلام ، ففي رسالة بعثها المصلح محمد كاظم الخراساني الى احد ابرز رجالات الاصلاح في بغداد وهو المصلح " محمود شكري الالوسي " يستنهض فيها الهمم ويبلغه بتوجه المجاهدين الى مدينة بغداد كي تكون المنطلق للدفاع عن حوزة الاسلام ضد الروس ونص الرسالة : " العالم الفاضل الكامل الباذل السيد محمود شكري الالوسي زيدت بركاته ارغب ابداء مزيد الاسلام واتحاف اجمل التحية والاكرام قد بلغني قررة عيني المكرم الميزرا مهدي حفظه الله ما بلغه من وجدكم على ما وقع على بلاد الاسلام من هجوم الكفار بمقتضيات حميتكم الاسلامية الكاشفة عن الاتحاد واتفاق اراء المسلمين العمومية في دفع الكفرة عن ديار المسلمين والذب عنهم باي نوع يكون وقد وجب علينا بيان التشكر من توجهاتكم السامية ومعلوم لدى كل عاقل لبيب ان فريضة ذم العلماء من يده الامة المرحومة بذل الانفس والاموال في حفظ كلمتي الشهادة اساس الاسلام وتعليم افراد الامة وترغيبهم على الاجتماع والاتحاد في قطع مادة الفساد واني اعتمادا على غيرتكم الدينية عازم مع سائر علماء الجعفرية على التوجه الى بغداد التي هي من اعظم المراكز الاسلامية وسنحظى بملاقاتكم وتوجهاتكم الدينية في الوفاق والاتفاق ان شاء الله ولا زلت في افاضة العلوم مؤيدين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "^(٨١٣) .

وعندما مهد التيار الاصلاحى النجفي الأراضية القوية لانطلاقه اصدرت فتوى باسم مصلحهم محمد كاظم الخراساني توجب الدفاع عن حوزة الاسلام ضد الروس ، ونصها : " استنهضوا فيها الاسلام للدفاع عن الشريعة المحمدية والذب والمحاماة عن الجامعة الاسلامية ، وفق الله المسلمين الى الانتفاع باستماعها والاخذ بحظهم من العمل بمضمونها ... "^(٨١٤) .

ونشروا افكارهم ورغبتهم في الجهاد في الصحف العثمانية واجتمعوا يوم الاحد المصادف ١٠ / كانون الأول / ١٩١١ ووضعوا الخطة في تحركهم واتخذوا يوم الثلاثاء موعدا لانطلاقهم الى مدينة كربلاء ثم الى الكاظمية ثم التوجه بالمجاهدين الى ايران^(٨١٥) . الا ان وفاة المصلح الأول زعيم التيار الاصلاحى النجفي المصلح محمد كاظم الخراساني حالت دون تحقيق امر السفر اذ توفي فجر يوم موعد الانطلاق الثلاثاء المصادف ١٢ / كانون الأول / ١٩١١ ، وسبب وفاته كما تذكر بعض المصادر " مسموما "^(٨١٦) ، ونحن لا نستبعد ذلك وبخاصة ان المصلح " محمد كاظم الخراساني " بعث برسل موفدة باسم الحركة الاصلاحية النجفية الى منطقة المحمرة طالبا من زعيم قبائلها " الشيخ خزعل "^(٨١٧) ايقاف ارسال الاموال والواردات الى ايران المستحصلة من الكمارك في حدود منطقته وتقديم الدعم والمساندة للثوار المتوجهين للدفاع عن حوزة الاسلام ، ومساندة التيار الاصلاحى النجفي في توجهاته السياسية^(٨١٨) ، وهذا الامر مربك لا لظهران فحسب بل لبريطانيا صاحبة الامتيازات النفطية في جنوب ايران لذا عملت الحكومة البريطانية بتسوية علاقاتها الاستراتيجية مع روسيا وضمن مصالحها في ايران على اساس المصالح المشتركة منذ عام ١٩٠٧ وهو امر يوجب الاحتفاظ بالنظام الاستبدادي في ايران ودعمه ومساندة الشاه محمد علي القاجاري ، وبذلك دخلت دولة اجنبية رابعة في تصادم مع التيار الاصلاحى النجفي^(٨١٩) .

حذر المصلحون النجفيون من مصطلح سياسي اخذ بالانتشار في ربوع العالم الاسلامي وهو مصطلح " الاشتراكية العلمانية " اذ انتقد مصلح اخفى اسمه بتوقيع " باحث " وتحت عنوان " اشتراكية سلامة موسى "

^(٨١٢) مقتبس من محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

^(٨١٣) الالوسي ، محمود شكري ، رياض الناضرين في مراسلات المعاصرين ، مخطوط ، بلا ، ورقة (٨) . (مكتبة دار صدام للمخطوطات رقم) (٨٥٣٤) .

^(٨١٤) مقتبس من محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

^(٨١٥) " العلم " ، ٢١ / كانون الأول / ١٩١١ ، العدد (٧) ، ص ٢٩٠ .

^(٨١٦) ذكرت مجلة " العلم " في ترجمة لحياته بالتفصيل ، وعن سبب وفاته كذبت : " إلا إن بدا مجهولة وقيل سفره بأيام قليلة دست السم في طعامه فتوفي وتفرق جمعه " للتفاصيل ينظر : " العلم " ، ٢١ / كانون الأول / ١٩١١ ، العدد (٧) ، ص ٢٩٠ - ص ٢٩٨ ؛ حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ج ٧ ، ص ٢٣٤ .

^(٨١٧) ولد عام ١٨٦١ في قرية كوت الزين التابعة لقضاء أبي الخصيب في البصرة ومن أسرة عربية معروفة حكم أمانة المحمرة زهاء ربع قرن (١٨٩٧ - ١٩٢٥) اتسم بقوة الشخصية والحزم ، للتفاصيل عن حياته ينظر : السلطان ، انعام مهدي علي ، حكم الشيخ خزعل في الاحواز ١٨٩٧ - ١٩٢٥ ، بغداد ، ١٩٨٥ .

^(٨١٨) الرهيمي ، حقائق عن الموقف ... ، المصدر السابق ، ص ٦ .

^(٨١٩) تتضمن بنود الاتفاق البريطاني الروسي الذي عقد عام ١٩٠٧ تسوية شاملة في ايران وافغانستان والتبت وقد وعدت روسيا باحترام " الوضع الراهن " في افغانستان الذي كان ينطوي على الاعتراف بالنفوذ البريطاني هناك واتفق الفريقان كذلك على اعتبار التبت بلدا حياديا لا يتدخل كل من الفريقين في شؤونه ثم قسمت ايران بموجب هذه المعاهدة الى ثلاث مناطق منطقة نفوذ روسية تمتد الى الاقاليم الشمالية والمنطقة الوسطى وبذلك تصيح طهران متوغلة داخل المنطقة الروسية لذلك (من الطبيعي أن يتعاون الشاه المخلوع محمد علي شاه القاجاري مع الروس) وتقرر حصر منطقة البريطانيين بالأصقاع الجنوبية الشرقية من ايران (سجنستان وبلوچستان) أما القسم الجنوبي فجعلته الاتفاقية منطقة محايدة وهي (منطقة نفوذ بريطانية أساسا بسبب امتيازات النفط البريطانية في عبادان) ، لتشوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

وانتقد ما يدعوا اليه سلامة موسى من الاباحة والمدنية والاستهتار بالمعايير الخلقية والحرية غير المسؤولة وانتقد الاعتماد الكلي على الحكومة في تخصيص الواجبات القانونية الكلية من املاك ارباب المعامل وغيرها^(٨٢٠). وطالب المصلح محمد علي الحسيني بضرورة ايجاد هيئة دولية تحافظ على السلم والامن وتحجب سفك الدماء وتمنع حدوث كوارث الحروب وتنظيم المعاملات الدولية على اساس وحدة العائلة الانسانية بين صفوف المجتمع الدولي^(٨٢١). وبذلك يكون التيار الإصلاحى النجفي السابق الأول في العراق بالمطالبة بتشكيل مجلس او هيئة دولية تمثل الدول تضمن حقوقها وتصور سلامتها.

وحذر المصلحون النجفيون ابناء وطنهم من مغبة السياسات الغربية الاستعمارية في التوسع والسيطرة الطامعة في خيرات بلدهم وموارده في خطبة للمصلح محمد علي الحسيني بجامع عمران في مدينة النجف وقد نشرت في مجلة " العلم " اذ قال محذرا : " احذروا سياسية الافرنج فإن غايتها امتلاك بلادكم واستلاب اموالكم وتغيير ادابكم وتبديل شرايعكم واحكامكم يا ويحكم يا ويحكم قد تقاسموا اوطانكم بينهم قسمة مال لا صاحب له فهل انتم منتبهون"^(٨٢٢)

واستمرت الحركة الاصلاحية النجفية بكشف الزيف الاتحادي ، وعظمت العلم النافع للوطن والامة واستنهاض الهمم لاعادة بناء حياة العراقيين على اسس اصلاحية وخلق شخصية وطنية للعراقي ورفع مستوى احساسه بالسياسية بعد ان حاولت طمسها الطورانية العثمانية^(٨٢٣) فمن سياستهم العنصرية انهم ألقوا لجان التنسيق تفرق بين التركي والعربي حتى وضعوا الى جانب كل اسم عربي حرف " ع " في دوائر الدولة ومؤسساتها^(٨٢٤). حتى وصلت جرأة مصلح مجهول ان يكتب بتوقيع " مرج " مقالا اصلاحيا يحض على مواجهة الفساد العثماني وعنصريتهم بـ "الثورة" و " الرفض والمقاومة"^(٨٢٥).

وبالفعل كانت لعنصرية الاتحاديين وسياساتهم الطورانية دورها القوي في نمو الوعي القومي عند النجفيين^(٨٢٦). وبخاصة ان مجلس المبعوثان كان بوضع مزرر غير مبال بشؤون الدولة وقد نالهم الاحباط والغرور^(٨٢٧). واخذت القاهرة تزيد نشاطها القومي كونها مركزا رئيسا لطبع المنشورات القومية السرية التي ترسل الى مدن العراق^(٨٢٨).

وقد ساندت الحركة الاصلاحية النجفية احدى الشخصيات الثقافية التي عرفت بميولها القومية وهو توفيق السويدي^(٨٢٩) القائمقام لمدينة النجف بعد انقلاب ١٩٠٨ اذ كان يحرض المواطنين النجفيين ضد العثمانيين ويملي على من يثق به منهم احتجاجات شديدة ليوقعها مشاهير النجف ثم يرفعها الى الجهات العليا ، وكان كثيرا ما يتفاعل مع الافكار التحررية الدستورية التي نادى بها التيار الإصلاحى النجفي^(٨٣٠). حتى كانت اعماله الوطنية سببا في نقله الى الهندية سنة ١٩١١^(٨٣١). فقد كان في نهاره عثمانيا وفي ليله مؤلبا عليهم ومبشرا بالأفكار الجديدة في الحرية والإصلاح^(٨٣٢).

واستمر نشاط المصلحين السياسى إذ انضم عدد منهم الى جمعيات وطنية وقومية كـ (النادي الوطني العلمى)^(٨٣٣) الذي انضم اليه المصلحان محمد رضا ومحمد باقر الشيبى^(٨٣٤). وجمعية البصرة الاصلاحية التي انضم إليها المصلح علي الشرقى^(٨٣٥) ، وأيد التيار الإصلاحى النجفي المؤتمر العربي المنعقد في باريس ١٩١٣

(٨٢٠) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٠٦ .

(٨٢١) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٠٦ .

(٨٢٢) المصدر نفسه ، ١٧ / شباط / ١٩١٢ ، العدد (٩) ، ص ٤٠١ .

(٨٢٣) " القادسية " ، (مجلة) ، جامعة القادسية ، أيلول - تشرين الأول / ٢٠٠١ ، العدد (٣) ، ص ٨٩ .

(٨٢٤) برو ، توفيق ، علي ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (١٩٠٨ - ١٩١٤) القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٩٧ .

(٨٢٥) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ١٩٧ .

(٨٢٦) الموسوي ، مجيد ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٨٢٧) العزاوي ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٦٧ .

(٨٢٨) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٨٢٩) ولد ببغداد عام ١٨٨٢ واشتغل قائمقاما في مدينة النجف بعد الانقلاب العثماني وعرف بميوله الوطنية والقومية فكان مؤيدا للحركات المتحررة والمتنورة ، ألف وزارة واحدة في ١٨ / تشرين الثاني / ١٩٢٩ واستقالت يوم ٩ / آذار / ١٩٣٠ ، وهو مثقف مؤيدا للتيار الإصلاحى النجفي توفي في بيروت في ١٧ / آب / ١٩٦٧ . المطيعي ، المصدر السابق ، ١٩٩٦ ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٨٣٠) الشرقى ، علي ، الأحلام ، ص ٨٠ .

(٨٣١) المدني ، عز الدين عبد الرسول عبد الحسين ، محسن أبو طيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ ، ص ٢٦ .

(٨٣٢) موسوعة الشيخ علي الشرقى النثرية ، القسم الرابع ، ص ٢٧٨ .

(٨٣٣) تأسس في بغداد بزعامة مزاحم أمين الباجه جي وبالتضامن مع طالب النقيب وكان يظم لفيق من الواعين البغداديين في هذا النادي وأصدروا صحيفة باسم (النهضة) التي كانت تدعو الى تأييد المد الإصلاحى في العراق . دروزة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ .

(٨٣٤) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٨٣٥) فراتي ، علي هامش الثورة العراقية الكبرى ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٢٨ .

وسمى المصلح محمد باقر الشيبيني مدينة باريس بمجمع الشمل تعبيراً عن قوميته وعروبته^(٨٣٦). واتخذ نشاط المصلحين عند اندلاع الحرب العالمية الأولى شكلاً جديداً اتسم بتصاعد المد الوطني لقضاياها الوطنية.

ثانياً - إعلان الجهاد أثر إعلان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ودور التيار الإصلاحى النجفى فيه :

كان العراق ذا دور مهم في نظر السياسة البريطانية وهي نظرة ترجع بواكيرها الى بدايات النشاط الاستعماري البريطاني في الخليج العربي منذ الربع الأول من القرن السابع عشر ، وبذلك تنوعت المصالح البريطانية داخل العراق اقتصادياً وسياسياً^(٨٣٧) ، وهو الامر الذي جعل ساسة بريطانيا يعدون العراق مجالاً حيويًا مهماً لنشاطهم الاستعماري ؛ فقد أكد اللورد كيرزن في مجلس اللوردات البريطاني سنة ١٩١١ حول العراق : " من الخطأ ان يظن ان مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج العربي فأنها ليست كذلك كما أنها ليست منحصرة بالمنطقة الواقعة ما بين البصرة وبغداد وانما تمتد شمالاً الى بغداد نفسها "^(٨٣٨) ، ولهذه الاعتبارات أصبحت فكرة احتلال العراق فكرة كان معداً لها سلفاً وهو يعني ضرورة وضع الحكومة العثمانية في الخندق المعادي [المحور]^(٨٣٩) ، لأجل اقتسام ممتلكاتها ممتلكات " الرجل المريض " .

هذه الاستراتيجية الدولية المحبوبة باتقان وضعت الحكومة العثمانية أبان الحرب العالمية الأولى بموقف ضرورة استغلال سلطة الخليفة السلطان محمد رشاد الروحية في اعلان الجهاد^(٨٤٠) . لكسب صفوف المسلمين في العالم وقد اعلنها بالفعل في ١١ / تشرين الثاني / ١٩١٤ وهو بحق جهاد سياسي أكثر مما هو ديني يرمي الى حشد القوى العسكرية والسياسية وتعزيزها ضد الحلفاء^(٨٤١) . وهذا الحدث خلق ضبابية بعقول رجال التيار الإصلاحى النجفى ؛ فمن ناحية كانوا بالامس رافضي الهيمنة العثمانية ودعو الى وحدة عربية تربطها مشيخة الاسلام وفضحوا اساليب الاستبداد العثماني وجورهم ، ومن ناحية اخرى فأنهم اليوم في حيرة من فتاوى السلطان الدينية وبخاصة ان الماكينة الاعلامية العثمانية صورت ميزان الحرب بين المسلمين والكفار تعززه ما ينقله التجار النجفيون من اشكال الاضطهاد الذي يمارسه البريطانيون في الهند^(٨٤٢) وقد تحركت الحملة البريطانية المرابطة في البحرين باوامر من حكومة الهند الشرقية وتمكنت من النزول في قرية الفاو يوم ٦ / تشرين الثاني / ١٩١٤ والسيطرة عليها^(٨٤٣) .

قامت الحكومة العثمانية بحملة دعائية مغلفة بالعاطفة الدينية لغرض كسب تأييد علماء الدين القادرين على توجيه مشاعر العامة وبالذات حينما صوروا ان الحرب موجهة ضد الاسلام وتأجج الموقف عند وصول برقية من علماء الدين في البصرة واهاليها الى مدينة النجف في ٩ / تشرين الثاني / ١٩١٤ نصها : " ثغر البصرة الكفار محيطون به الجميع تحت السلاح نخشى على باقي الاسلام ساعدونا بامر العشائر بالدفاع "^(٨٤٤) . وفي الوقت نفسه ارسلت الحكومة العثمانية وفداً رفيع المستوى من بغداد الى مدينة النجف يتكون من محمد فاضل الداغستاني وشوكت

^(٨٣٦) النصيري ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

^(٨٣٧) للمزيد من تفاصيل جذور المد الاستعماري البريطاني ومصالحه في العراق ومحاولات زرع نفوذه =

= الاقتصادي والسياسي ينظر : الزبيدي ، مفيد كاصد ، بريطانيا والمشرق العربي في القرن العشرين ، " آفاق عربية " ، (مجلة) ، بغداد ، أيار / ١٩٩٣ ، العدد (٥) ، ص ١٨ ؛ ايرلاند ، فيليب ويلارد ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص ٩ - ص ٣٤ ؛ أحمد ، خليل ابراهيم ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (١٥١٦ - ١٩١٦) ، الموصل ، ١٩٨٣ ، ص ٣٠٩ - ص ٣١٨ ؛ علي ، عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، بغداد ، ١٩٣٥ ؛ صالح زكي ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ (دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري) ، بغداد ، ١٩٦٨ .

^(٨٣٨) مقتبس من ايرلاند ، فيليب ويلارد ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص ٢٤ .

^(٨٣٩) للمزيد عن تفاصيل الصراع الدولي الذي سبق اندلاع الحرب العالمية ١٩١٤ والمحاولات البريطانية لدفع العثمانيين الى جانب المحور ينظر : الوردى ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (١٩١٤ - ١٩١٨) ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ج ٤ ، ص ١١ - ص ٤٣ .

^(٨٤٠) مر اصدار فتوى الجهاد العثماني بثلاث مراحل الأولى : أصدره الشيخ خيرى أفندي (شيخ الإسلام) في ٧ / تشرين الثاني / ١٩١٤ . الثانية : أعلنه السلطان محمد رشاد بوصفه خليفة المسلمين في ١١ / تشرين الثاني / ١٩١٤ . الثالثة : بيان موجه الى العالم الإسلامي موقع من قبل ثلاثين رجل دين في مقدمتهم شيخ الإسلام . الوردى ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨ .

^(٨٤١) لثشوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٨٠ ؛ الوردى ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨ .

^(٨٤٢) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٧٠ ؛ الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٥٥ .

^(٨٤٣) للمزيد عن تفاصيل الحملة البريطانية وعملياتها الحربية في العراق ينظر : نديم ، شكري محمود ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، بغداد ، ط ٤ ، ١٩٦٤ .

^(٨٤٤) مقتبس من الحسيني ، احمد ، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري ، النجف ، ١٩٦٧ ، ص ٢٩ ؛ الوردى ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٧ .

باشا وحמיד الكليدار " خازن الحضرة الكاظمية " من أجل محادثة علماء الدين في النجف واقتناعهم لغرض جمع الكلمة تحت لواء الجهاد ، واصطدم التيار الإصلاحى النجفى مرة اخرى في حيرته في الوقوف الى جانب العثمانيين او العكس . وبهذا الواقع برز موقف التيار الإصلاحى النجفى في امر الجهاد وهو الدفاع عن حوزة الاسلام ، وتبلور هذا الموقف عندما عقد الطرفان " الوفد العثمانى - المصلحون النجفيون " اجتماعا في جامع الهندي ومن المصلحين الذين خطبوا وابدوا رأيهم في " الجهاد " كل من عبد الكريم الجزائري ومحمد جواد الجواهري ومحمد علي الحسيني^(٨٤٥) . الا ان المصلح ابو الحسن الموسوي رفض تأييد حملة الجهاد والوقوف الى جانب العثمانيين لادراكه المعاني السياسية وراء حملة الجهاد السياسى العثمانى^(٨٤٦) .

ومن المصلحين الذين استعانت الحكومة العثمانية بجهوده وتأثيره في الوسط القبلى المصلح محمد علي الحسيني ؛ اذ ارسل اليه الوالى جاويد باشا والى بغداد في ٢٣ / اب / ١٩١٤ يستنجد بمشورته ونصحه لما فيه مصلحة المسلمين والتعاون بل دعاه الى المثول الى بغداد وعند حضور الحسيني واجتماعه بالوالى اشار اليه ناصحا بضرورة استغلال القوة القبلىة واخراج اكبر زعمائها الذين اعتقلتهم الحكومة العثمانية نتيجة نشاطهم الوطنى فاشار الى ضرورة الافراج عن مبدر الفرعون وعلوان الياسري وعطية ابو كلل فافرجت عنهم السلطات العثمانية بالفعل^(٨٤٧) .

وبذلك نجحت مساعي العثمانيين بترويج فكرة اعلان الجهاد في العراق حتى قام التيار الإصلاحى النجفى بجهود حثيثة لتوحيد صفوف اذ اقتنعوا زعيم التيار المحافظ محمد كاظم اليزدي بالمشاركة بالجهاد فوافق بالمساهمة وارسل نجله محمد اليزدي للاشتراك في حملة الجهاد واستنهاض القبائل^(٨٤٨) .

وانتشرت المصقات التي تجيز الجهاد باسم الدفاع عن حوزة الاسلام منسوبة الى مصادر علماء اجلاء كمنشور : " قال الشيخ في الجواهر^(٨٤٩) لو هدد الكافرون المسلمين او ان هناك خوفا من مهاجمة العاصمة او أي مدينة اسلامية اخرى او اسر المسلمين او سلب ممتلكاتهم ففي هذه الحالة يكون الجهاد واجبا على كل من هو حر المولد او عبد ، ذكر او انثى ، المعافى والمريض ، الاعمى او البصير واخرين من صنفيهم لو ارادوا ، وهذا لا يحتاج الى مثول الامام او من ينوب عنه وهو لا يكون فقط واجب المسلمين الذين هوجموا بل واجب كل مسلم علم بذلك وخصوصا عندما يعلم ان المهاجم لا يمكنه الوقوف امام المهاجم"^(٨٥٠) .

واشهر المصلحين النجفيين الذين اعلنوا الجهاد المصلح محمد سعيد الحبوبى وعبد الكريم الجزائري ومحمد علي الحسيني الذين اصبحوا قادة للقوافل الجهادية^(٨٥١) . فخرج الحبوبى بقافلة المجاهدين يوم الجمعة المصادف ١٥ / تشرين الثاني / ١٩١٤ من مدينة النجف وبتجاه منطقة الشعيبة يرافقه المصلحون محمد رضا الشيبى واخوه محمد باقر الشيبى وعلي الشرقى وكان في طريقه يستنهض القبائل على امر الجهاد^(٨٥٢) وقام المصلح محمد سعيد الحبوبى بنفسه باستنهاض القبائل التي تقع على طريقه وهو ذو دور رئيسى في تحشيد صفوف المقاومة ، فلقد توقف في مدن الشامية وغماس والشنافية وآل السيد راضى والسماوة والخضر والناصرية وبني سعد اذ اقاموا له في كل هذه المناطق منبرا ليخطب بالجماهير داعيا اياهم الى الجهاد ومذكرا اياهم بايام الفتوحات الخالدة وتمكن من تجنيد المئات من المجاهدين كما أنه استطاع جمع كمية كبيرة من السلاح والذخيرة^(٨٥٣) .

ادرك العثمانيون ما للمصلح محمد سعيد الحبوبى من تأثير فعال في صفوف القبائل لذلك اوفدوا اليه مبلغ خمسة الالف ليرة ذهبية ليستعين بها في جمع العدة وحشد اكبر عدد من القبائل الا أنه رفضها قائلا : " ان هذه هي بلادى وليس بلاد العثمانيين"^(٨٥٤) . وهو دليل على ان جهاد المصلحين النجفيين غير مرتبط بالجهاد السياسى الذي اعلنه العثمانيون .

(٨٤٥) الياسري ، عبد الشهيد ، البطولة في ثورة العشرين ، النجف ، ١٩٦٦ ، ص ٦٨ ؛ الوردي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

(٨٤٦) البزركان ، المصدر السابق ، ط ٢ ، ص ٧٥ .

(٨٤٧) مقابلة مع السيد جواد الحسينى بتاريخ ٢٨ / ايلول / ٢٠٠١ .

(٨٤٨) أبو طيبخ ، أحمد كامل ، السيد محسن أبو طيبخ (سيرة وتاريخ) ، بغداد ، ١٩٩٨ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٨٤٩) (الجواهر) أو (جواهر الكلام) هو كتاب موسوعى فقهي ألفه محمد حسن بن الشيخ عبد الرحيم بن الأغا محمد النجفى . وبعد هذا الكتاب مؤلف في العلوم العقلية والنقلية ومنه استمد آل الجواهري لقبهم . حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٨٥٠) D. K. W., The British occupation folds, fold (951), From chief political officer, To the civil service Baghdad, found documents in ABBAS AL KHALILE Home's (Unanimous opinions of the Ulamas), document (2), 23 - 4 - 1918, p (7).

(٨٥١) الياسري ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ؛ أبو طيبخ ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٨٥٢) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ؛ الشرقى ، طالب علي ، ذكرى الشرقى راند ... ، المصدر السابق ، ص ١٠ - ١١ .

(٨٥٣) النفيسى ، عبد الله فهد ، دور الشيعة في تطور العراق السياسى الحديث ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨٦ .

(٨٥٤) " الفرات " ، (صحيفة) ، النجف ، ٥ / تموز / ٢٠٠٠ ، العدد (١١) ، ص ٣ ؛ الفرعون ، فريق مزهر ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ، بغداد ، ج ١ ، ص ٣٧ ؛ زاهد ، المصدر السابق ، ص ١١ ؛ البزركان ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

والقافلة الاخرى وهي قافلة المصلحين عبد الكريم الجزائري ومحمد حسين آل كاشف الغطاء ومهدي كاظم الخراساني التي انطلقت بالمجاهدين من مدينة بغداد^(٨٥٥). والقافلة الاخرى كانت بقيادة المصلح محمد علي الحسيني المنطلقة عن طريق مدن الفرات الاوسط يوم ٢٤ / كانون الثاني / ١٩١٤^(٨٥٦). وقد وصلت هاتان القافلتان " الجزائري والحسيني " مشارف الشعبية يوم ٢ / شباط / ١٩١٤ لتلتحق صفا واحدا مع المصلح محمد سعيد الحنوبى^(٨٥٧).

وفي الوقت نفسه مارس التيار الاصلاحى النجفي ضغوطا على الشيخ خزعل حاكم المحمرة لغرض ضم صفوفه الى جانب المجاهدين ومساندتهم ، فبعث اليه المصلح عبد الكريم الجزائري بكتاب اشار عليه بضرورة اشتراكه بحملة الجهاد الا ان الشيخ خزعل رفض امر الكتاب والمشاركة مع المجاهدين^(٨٥٨) ، واعلن أنه على الحياذ^(٨٥٩) ، وبخاصة ان البريطانيين نشروا جواسيسهم بين صفوف القبائل وبين المجاهدين وروجوا مختلف الاشاعات عن قوة الجيش البريطانى وعدلهم^(٨٦٠).

وحقق المجاهدون بقيادة المصلح محمد سعيد الحنوبى بعض الاربك للقوات البريطانية بمنطقة الشعبية ، اذ اخروا تقدمها وحاصروها بهذه المنطقة لمدة اربعة اشهر^(٨٦١).

واستطاع المصلح عيسى آل كمال الدين احد المجاهدين في الجناح الايسر بالقيام بعمل بطولي وهو احراق انبوب النفط البريطانى بمنطقة (الاوار الممتد لحقول نفطهم في عبادان) مما سبب ارباكا واضحا للقوات البريطانية بعد ضرب واحدة من منشآتهم الاستراتيجية المهمة في الخليج العربى^(٨٦٢). وافرزت احداث عام ١٩١٤ انتفاضة نجفية رافضة للعنصرية العثمانية واستبدالهم وضعت مدينة النجف بحكم محلي قرابة السنن .

ثالثا : انتفاضة النجف ١٩١٥ ضد العثمانيين :

انتكس المجاهدون في حملتهم لصد غزو الاحتلال البريطانى بمعارك ١٢ - ١٤ / نيسان / ١٩١٥ وهي المعارك الحاسمة التي اشتدت بعد منتصف ليل هذا اليوم والتي استمرت حتى ضحى اليوم التالي ثم قام الانجليز بهجوم معاكس على الجناح الايمن والحقوا به خسائر فادحة اضطرت على اثرها قوات المجاهدين الانسحاب من المواقع التي احتلتها عند بدء الهجوم ، ثم شن الغازي الجديد هجوما على الجناح الايسر اصبحت القوات العثمانية وجها لوجه امام القوات البريطانية فدارت معركة بينهما انتهت بهزيمة العثمانيين وتكبدتهم خسائر فادحة في الارواح والمعدات تقدر بسبعة الالف اصابة بين قتيل وجريح وتحطيم العامل النفسى عند جنودهم حتى ان قائدهم سليمان باشا العسكري انتحر متأثرا بالهزيمة^(٨٦٣).

ومن الاسباب الرئيسة التي ادت الى هذه النتيجة هو فارق الخبرة والتسلح بين الطرفين فالبريطانيون يمتلكون اسلحة متطورة وعناصر مدربة تدريبا جيدا والخطة التي يسيرون عليها معدة سلفا ودرجة الضبط العسكري عالية جدا ، أما جيش المجاهدين فتتقصه الخبرة والتسلح والضبط كما يعوزه التنظيم لان غالبية افراده من المتطوعين الذين ينقصهم التدريب^(٨٦٤). وكانت عنصرية العثمانيين وحقدهم على العرب سببا مهما في انتكاسهم منها عدم تموينهم للجيش المجاهدة بالعتاد والغذاء وتجسدت عنصريتهم بالنظرة الاستعلائية التي ينظرون بها الى العرب بل اتهموهم بالخيانة والعمالة^(٨٦٥).

وبعد موقعة الشعبية التجأ عدد من الناجين من خطر الموت الى مدينة النجف واغلبهم فارون من صفوف المجاهدين ثم اعلن العثمانيون عن عزم اعادتهم الى حظيرة الجيش الا ان روح التمرد على الحكومة العثمانية اخذت

^(٨٥٥) بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٣ .

^(٨٥٦) الأسيدي ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ؛ أبو طيخ ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

^(٨٥٧) كانت الخطة العسكرية التي رسمها العثمانيون لجيش المجاهدين مع جيوشهم قائمة على أساس هجومي لذا فإن صفوف المجاهدين لم تبق على حالة واحدة وصف واحد متماسك وهو سبب قوي في انتكاستهم . للمزيد من التفاصيل ينظر : نديم ، شكري محمود ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

^(٨٥٨) كان شيوخ المحمرة والكويت وغيرهم من المشايخ في الخليج العربى موالين للبريطانيين بل العكس انهما (شيوخ المحمرة والكويت) يقدمان تسهيلات للقوات البريطانية الغازية للعراق ووثقت جهودهما وتعاونهما للبريطانيين مس بيل إذ قالت عنهما : " إن شيوخ الخليج والتقين منهم بعدم صدور خلال مدة الحرب كلها أي عمل يدل على وقوفهم موقفا معاديا لنا ، وأثبتت الصداقة الراسخة بيننا وبين البارزين من الأمراء مثل شيخ المحمرة وشيخ الكويت وأمير نجد أنها لشيء لا يضمن ليس للحكومة البريطانية فقط بل للقضية العربية أيضا " . للمزيد عن تفاصيل السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربى وتأثيرها المباشر على مشايخها ينظر : بيل ، المصدر السابق ، ص ٤ ؛ النفيسي ، المصدر السابق ، ص ٨٣ .

^(٨٥٩) بيل ، المصدر السابق ، ص ٧ .

^(٨٦٠) الموسوي ، مجيد ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

^(٨٦١) كمال الدين ، ذكرى السيد عيسى ... ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

^(٨٦٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ ؛ النفيسي ، المصدر السابق ، ص ٨٨ .

^(٨٦٣) ولسن ، ارند تاليوت ، بلاد النهريين بين ولأئين ، ترجمة فؤاد جميل ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٧١ ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

^(٨٦٤) الفرعون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠ .

^(٨٦٥) الوردى ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨١ .

طريقها بين اهالي النجف مما ادى الى حدوث بعض الاضطرابات بالمدينة^(٨٦٦) ووصلت انباء بوادر الانتفاضة الى مدينة بغداد فبعثت السلطة العثمانية بقوة عسكرية قوامها الف جندي عثماني نظامي^(٨٦٧) . بصحبته اربعة مدافع بقيادة عزت بك ، وهذا دليل على خطورة انتفاضة مدينة النجف واهميتها وما قد تسبب من تبعات الثورة والانتفاضة في مدن الفرات الاوسط^(٨٦٨) . لذا فان القوات العثمانية مارست ضغوطا قاسية على سكان النجف وفرضت عددا من الإجراءات المشددة كالغرامات المالية ومصادرة الاطعمة ولم تسلم حتى النساء اذ كانت تؤمر برفع الحجاب خوفا من ان تكون رجلا متكررا بزي النساء^(٨٦٩) .

اثارت هذه الإجراءات غضب الاهالي تساعدها عوامل الرفض للهيمنة العثمانية وعنصريتهم واستفزازهم واتهامهم المجاهدين بالخيانة فاندلعت انتفاضة عارمة^(٨٧٠) ، تسلم النجفيون على اثرها السلطة ووضعوا مدينتهم تحت سيطرة شيوخ اربعة^(٨٧١) . وكانت الانتفاضة النجفية ايدانا اندلاع انتفاضات مماثلة في الحلة وطويريج^(٨٧٢) وحتى الدغرة^(٨٧٣) . وتمكنت تلك الانتفاضات من طرد الحاميات العسكرية العثمانية وقال المصلح محمد رضا الشيباني فيها مبتهجا بانهاء النفوذ العثماني :

الوداع الوداع يا آل عثمان فقولوا لنا الوداع الوداع^(٨٧٤)

وكان دور التيار الإصلاحي النجفي في المشاركة باحداث انتفاضة ١٩١٥ ضد الهيمنة العثمانية محدودا بسبب : تفرق رجال التيار الإصلاحي النجفي بين صفوف المجاهدين سواء كانت للقيادة او المشاركة في حملة الجهاد ١٩١٤ في جنوب العراق .

١. ان التيار الإصلاحي النجفي لا يريد ان يقع مرة اخرى بازواجية جديدة تسبب له عذاب فكري وهو بالكاد وحد صفوف تفكير رجاله والعامه للوقوف الى جانب الدولة العثمانية باسم الدفاع عن حوزة الاسلام بعد ان كان رافضا لاستبدادهم وتعسفهم .

كان للتيار المحافظ دور مشهود في قيادة انتفاضة النجف ١٩١٥ وتوجيه شؤونها واستغلال جميع الفرص لطرده الوجود العثماني من النجف ، اذ ذكرت مس بيل في فصولها ان زعيم التيار المحافظ السيد محمد كاظم اليزدي ساند زعماء مدينة النجف بالثورة على رموز السلطة العثمانية واخذ بتشجيع احد زعمائها " الحاج عطية ابو كلل " بالاتصال بالبريطانيين والاستفادة من نفوذهم لتثبيت السلطة المحلية النجفية ، وارسل رسولا الى الضابط السياسي المرافق للحملة " بيرسي كوكس " في مدينة البصرة موضحين موقفهما الراض للاستبداد العثماني ومطالبة البريطانيين احترام العتبات المقدسة وعدم المساس بشؤونها^(٨٧٥) .

ومحمد كاظم اليزدي هو من ارسل برقية تحشد وتجمع التأييد من العالم الاسلامي لانتفاضة النجف ١٩١٥ اذ ارسل برقية احتجاج شديدة اللهجة للعالم الاسلامي تحث على التصرفات التعسفية الاستفزازية التي يمارسها العثمانيون في مدينة النجف بحجة البحث عن الفارين من حملة الجهاد وغيرها من اساليب العنف^(٨٧٦) . حتى ان المحافظين ساهموا بشكل كبير بفرض ارادتهم على مقدرات الانتفاضة اذ : " ترأس السلطة الادارية الوطنية المستقلة بالمدينة المجتهد محمد كاظم اليزدي الذي ادار دفة الحكم قرابة السنتين "^(٨٧٧) . الا ان التيار الإصلاحي نظم صفوفه من جديد ومارس نشاطه السياسي باعلان ثورة رافضة لوجود جميع اشكال الاحتلال .

رابعا : دور التيار الإصلاحي النجفي في ثورة النجف ١٩١٨ :

كان التيار الإصلاحي النجفي يعمل على مكافحة الدعاية البريطانية منذ اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ ، وبسبب عوامل كثيرة اهمها تذوق النجفيين طعم الاستقلال الذي مارسه اiban انتفاضتهم عام ١٩١٥ على العثمانيين

(٨٦٦) مس بيل ، المصدر السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٨٦٧) محبويه ، حففر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

(٨٦٨) النقيسي ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٨٦٩) الموسوي ، مجيد ، المصدر السابق ، ص ١٠١ ؛ الورد ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٨ .

(٨٧٠) للمزيد عن تفاصيل انتفاضة النجف ١٩١٥ وأحداثها الحربية وموجة الاضطرابات التي سبقتها والأعمال الإدارية والتنظيمية بعد اندلاعها ينظر : الورد ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٨ - ١٩٢ ؛ النقيسي ، المصدر السابق ، ص ٩٠ - ٩٤ ؛ الموسوي ، مجيد ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ - ١١١ .

(٨٧١) وهم عطية أبو كلل زعيم محلة العمارة ، سعد الشيخ آل راضي زعيم محلة المشراق ، كاظم صبي زعيم محلة البراق ، مهدي آل سيد سلمان زعيم محلة الحويش .

(٨٧٢) النقيسي ، المصدر السابق ، ص ٩١ ؛ الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٨٧٣) حبيبان ، حميد عيسى ، حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى ثورة ١٩١٧ ، النجف ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .

(٨٧٤) ديوان محمد رضا الشيباني ، ص ٢٦ .

(٨٧٥) بيل ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٨٧٦) النقيسي ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٨٧٧) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

والمشاعر القومية الوطنية التي كانت سائرة في نفوس المصلحين النجفيين وبخاصة عند اندلاع ثورة الحسين بن علي شريف مكة سنة ١٩١٦ ضد العثمانيين ، ورغبة البريطانيين في فرض سيطرتهم وارادتهم على مدينة النجف وغيرها من العوامل^(٨٧٨) التي كانت تدور في رؤوس رجال التيار الإصلاحي النجفي والتي انضجت شعورهم الوطني ثم اظهرت الحاجة الى وجوب تأسيس تنظيم ضد النفوذ البريطاني في مدينة النجف فأسسوا " جمعية النهضة الاسلامية السرية " في ١١ / اذار / ١٩١٧ واخذ نشاط الجمعية يقوى لا في مدينة النجف فحسب بل في منطقة الفرات اجمع وكان على رأس مؤسسها المصلحون " محمد جواد الجزائري ومحمد علي بحر العلوم وحسين كمال الدين وكاظم الخليلي ومحمد حسن شليلة وعماد الخليلي وعباس الخليلي " ، وكانت للجمعية نشرة توزع على النجفيين وتلصق على الجدران وعلى ابواب الصحن الشريف ، وكانوا يتصلون بالعثمانيين عن طريق عباس بن الحاج نجم البقال الذي يتصل بدوره بالقائد العسكري العثماني في " عانة بلواء الرمادي " احمد بك اوراق^(٨٧٩) .

كان عمل التنظيم السياسي الجديد بصورة سرية خوفا من كشف العناصر الرجعية لنشاط تلك الجمعية واحباط مشروعها في الثورة ، فمثلا كان رجالها يضلون الجواسيس عن طريق الاجتماع في اكثر من مقر واحد وبصورة سرية بتعين الاخر غير المجتمعين فيه عن طريق تحديده قبيل كل اجتماع^(٨٨٠) . فقد كانت الجمعية تخصص مجموعة خاصة من المصلحين والمؤيدين للثورة بدون علم عدد كبير من التجار وبعض العلماء وارباب الثراء^(٨٨١) ؛ وابرز منهاج للجمعية ونشاطها هو اغتيال جميع الضباط السياسيين البريطانيين في مدن الفرات الاوسط^(٨٨٢) .

وقام المصلحون النجفيون - لغرض جمع اكبر حشد وطني - بكسب القبائل المحيطة بمدينة النجف ومشايخ النجف ايضا ولغرض توسيع نشاطها السياسي والعسكري الفت جمعية سياسية وطنية تابعة الى " جمعية النهضة الاسلامية السرية " مهمتها ان تكون حلقة وصل بين جمعية النهضة الاسلامية وبين شيوخ القبائل وشيوخ النجف وبخاصة اولئك المعروفين بحملة السلاح ، والمهمة الثانية ان تكون حلقة وصل بين " جمعية النهضة الاسلامية السرية " وبين القادة العسكريين العثمانيين^(٨٨٣) ، والمهمة الوطنية الثالثة ان تكون حلقة وصل بين قادة الحركة السياسية في النجف وبين الملك حسين ملك الحجاز وهو امر يدل على الطابع القومي الذي انتهجه المصلحون النجفيون في نشاطهم السياسي ، وسمى جعفر الخليلي هذا التنظيم بـ " الجمعية التنفيذية " ومن شروطها الانتماء اليها " الامانة والصدق والوطنية " ، ومن افضل الممثلين لها في نشاطها عباس بن الحاج نجم البقال الذي كان يخفي رسائل " جمعية النهضة السرية " وتعليماتها بين طيات نعاله والاخر عباس الخليلي^(٨٨٤) .

وقد نجحت الجمعية التنفيذية في استمالة عدد كبير من شيوخ القبائل منهم : سلمان الفاضل رئيس قبيلة " الحواتم " والشيخ وداي العلي رئيس قبيلة " آل علي " ومرزوق العواد رئيس قبيلة " العوايد " والحاج رايح العطية رئيس قبيلة " الحميدات " ، ومن شيوخ النجفيين : نجم البقال وتومان عدوه وسعيد الحار واولاد الحاج سعد آل راضي ومحسن ابو غنيم وكاظم صبي وعباس علي الرماحي وعطية ابو كلل وآل العكايشي وغيرهم^(٨٨٥) . ومن الرفضين للانضمام من الشيوخ حملة السلاح : مهدي آل سيد سلمان^(٨٨٦) .

والاسلوب الذي مارسه المصلحون في كسب جانب القبائل وشيوخ النجف والعامية هو اسلوب الاقناع و عرض نشاطهم تحت غطاء ثلاثة مفاهيم الأول : غطاء الفكرة الاسلامية . الثاني : غطاء الوطنية . الثالث : غطاء القومية العربية ، ونجحت المفاهيم الثلاثة في استمالة القبائل وتعزيز نشاطهم السياسي ولا يخفى ان للعثمانيين دورا

^(٨٧٨) كان التجار النجفيون يجلبون مع بضاعتهم وبخاصة في الأعوام ١٩١٦ - ١٩١٧ والقادمة من البصرة أو الهند أساليب الحكم الوحشي الذي يمارسه البريطانيون وما تفرضه من أحكام عرفية قاسية من أعمال الضرائب والسخرة والسلب ووصلت الى حد المبالغة وأصبحت " سمر المجالس النجفية هو تلك الأوامر والضرائب والأعمال التي ينفذها الاحتلال على البصرة والناصرية " . " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ٢٩ / حزيران / ١٩٤٦ ، العدد (١) ، ص ٤ ؛ الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٥٥ ؛ زاهد ، المصدر السابق ، ص ١٤ .
^(٨٧٩) D. K. W., The British occupation folds, fold (956), from political Baghdad, To prodrome Tehran, reptd, foreign Simla, No. (2794), The sypher telegram from perasion consul General in Baghdad; to minister for foreign Affiars Tehran regarding Najaf affairs, document (4), 26 - 3 - 1918, p. (8).

^(٨٨٠) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٢ .

^(٨٨١) " البيان " ، (مجلة) ، النجف ، ١١ / آب / ١٩٤٦ ، العدد (٣ - ٤) ، ص ٣ .

^(٨٨٢) بيل ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

^(٨٨٣) إن التعاون الذي يبغى اليه المصلحون النجفيون من القادة العسكريين العثمانيين هو استغلال حالة الحرب بينهم وبين البريطانيين والاستفادة بتمويل تنظيمهم بالمساعدات العسكرية أو غيرها لانجاح ثورتهم وطبيعة كل ثورة أو تنظيم هو استغلال جميع الفرص والمواقف لانجاح مساعهم الوطني .

^(٨٨٤) ولد عام ١٨٩٦ وهو من أسرة معروفة بالعلم والمعرفة درس علومه في مدارسهم الخاصة (الخليلي الكبرى والصغرى) كان ثوريا فساهم في معظم الحركات التي نادى بها التيار الإصلاحي النجفي واستطاع الفرار من السجن عند انتهاء الثورة بعد اصدار حكم الإعدام عليه توفي في ١٠ / شباط / ١٩٧٢ . الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

^(٨٨٥) الحسيني ، عبد الرزاق ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها المارشال ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٤ ؛ الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

^(٨٨٦) حبيبان ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

في دعم المفهوم الذي يحمل الفكرة الإسلامية^(٨٨٧). ويعترف المصلح محمد علي كمال الدين بدعم اخر اذ اكد : " ان لجمعية النهضة السياسية السرية اتصالات سرية تحريرية مع رئيس الاستخبارات الالمانية الكابتن " برسيل " في عانة بواسطة عجمي باشا السعودون الذي كانت منازلهم في " اللصف " شمال غرب النجف بما يناهز " ٩٠ ميلا "^(٨٨٨)

واستمر التيار الإصلاحى النجفى بتشجيع اثاره الاضطرابات حول مراكز البريطانيين^(٨٨٩) ، فأرسل الثائر عباس بن الحاج نجم البقال مع مجموعة من المسلحين من بينهم عطية ابو كلل في اوائل حزيران ١٩١٧ الى حامية " ابو صخر " لقتل قائدهم العسكري " لجمن " ولكن الاخير تمكن من الفرار ، واحرق الثوار سراي الحكومة وطردها البريطانيين منها^(٨٩٠) .

وكان المصلح محمد جواد الجزائري يعمل على زرع بذور الوطنية في نفوس العامة فافهمهم قيمة التاريخ والمجد الاسلامي وافهمهم معنى الاباء والشجاعة وحسن الذكر^(٨٩١) .

وانتهزت جمعية النهضة الاسلامية السرية انسحاب القوات البريطانية من حامية " ابو صخير " لتتعجيل باشعال فتيل الثورة في عموم مدينة النجف ولكن المتحمسين لهذا الاستعجال جوبهوا بمعارضة شديدة من داخل الجمعية ومن عدد من المصلحين الذين تدفعهم فكرة المشاعر (الوطنية والقومية) وانكروا الاستعجال بداعي التأني وانضاج الفكرة الوطنية بشكل كامل في جميع انحاء العراق وبخاصة الفرات ذو القوة القبلية المسلحة ، الا ان المصلحين الذين تدفعهم فكرة (الحس الاسلامي) وابرزهم محمد جواد الجزائري - لم يفضلوا الانتظار ولم يأخذوا بنصيحة التأني والصبر^(٨٩٢) . وهؤلاء المستعجلون كانوا قد وعدوا بارسال قوة من الجيش العثماني لمساعدتهم في حالة اندلاع ثورتهم ، فضلاً عن تخوفهم بعد تسرب اعمال جمعية النهضة السرية ونشاطها الى السلطات البريطانية^(٨٩٣) ، والتسوية الاخر الذي تمسك به المستعجلون وضحه احدهم (المصلح محمد جواد الجزائري) برسالة بعثها الى المؤرخ عبد الرزاق الحسني جاء فيها : " أنه يسئ من استنفار القبائل المحيطة بالنجف لدعم الثورة وأنه ارتأى ان يستنمر وجود الاتراك "^(٨٩٤) ، وهذا الامر يتعارض مع هدف المصلحين اصحاب المبدأ الوطني والقومي ، لان هذا الامر معناه الموافقة على بقاء العثمانيين في البلاد وهو ما لا يريده المصلحون القوميون الذين تذوقوا تعسف العثمانيين وظلمهم^(٨٩٥) ، وقد ولد هذا الامر انشقاقا في صفوف جمعية النهضة الاسلامية السرية ؛ فكون اصحاب الفكرة الاسلامية المستعجلون بالثورة جمعية سرية داخل جمعية النهضة الاسلامية السرية تعمل لنفسها في استغلال التوتر واشعال نار الثورة ومن ابرز اعضاءها نجم البقال^(٨٩٦) . الذي تمكن بمساعدة جماعة من اعضاء الجمعية الفرعية من اشعال فتيل الثورة وقتل الحاكم العسكري في مدينة النجف " الكابتن مارشال " في ٢١ / آذار / ١٩١٨^(٨٩٧) . وكان للتيار المحافظ دور في محاولة التوسط بين البريطانيين والثوار لغرض الوصول إلى حل مشترك ، وكان يقين الحاكم الملكي للعراق " برسي كوكس " وتقته بالزعيم محمد كاظم اليزدي دفعه ان يرسل اليه كتابا يحثه على انتهاء الثورة والتفاهم مع رجالها وجاء في ذلك الكتاب : " ... وانا على يقين بانكم ستساعدون السلطات البريطانية وتعاونونها بثاقب فكركم وعالي همتمكم وحسن نيتكم على تهدئة احوال البلد الطاهر واخماد الفتنة الحالية "^(٨٩٨) . وهو امر يدل على وقوف المحافظين الموقف الحيادي من الثورة ويمثل همزة الوصل بين المحافظين

(٨٨٧) D. K. W., The British occupation folds, fold (956), from political Baghdad, to prodrome Tehran, refell. Foreign Simla, No. (2794), The sypher telegram from perasion consul General in Baghdad; to minister for foreign Affiars Tehran regarding Najaf affairs, document (4), 26 – 3 – 1918, p. (8).

(٨٨٨) " البيان " ، ١٥ / تموز / ١٩٤٦ ، العدد (٢) ، ص ٣١ .

(٨٨٩) لقد سبقت يوم اندلاع ثورة النجف في ٢١ / آذار / ١٩١٨ جملة من الحوادث والاضطرابات التي أفلقت البريطانيين . للمزيد من التفاصيل عنها ينظر : الحسني ، ثورة النجف ... ، المصدر السابق ؛ حبيبان ، المصدر السابق .

(٨٩٠) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٦٠ .

(٨٩١) المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .

(٨٩٢) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٨٩٣) الحسني ، ثورة النجف .. ، المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٨٩٤) مقتبس عن الحسني ، ثورة النجف ... ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٨٩٥) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٨٩٦) هو نجم بن عبود بن فرج الدليمي المعروف بالبقال لامتهانه مهنة البقالة ولد بمدينة الرمادي ونزح مع أبيه الى مدينة الحلة بسبب خلاف مع أقربائه

غادر الحلة مع والده الى مدينة النجف وسكنوا في محلة المشراق عام ١٨٥٩ انتمى الى " جمعية النهضة الاسلامية " التي تأسست عام ١٩١٨ وهو قائد العملية التي نجحت بقتل الكابتن مارشال التي كانت الفتل اللاهب للثورة النجفية في ١٩ / آذار / ١٩١٨ اعتقله البريطانيون في ١٢ / نيسان / ١٩١٨ بعد فشل الثورة عسكريا وأعدم في الكوفة ٢٩ / مايس / ١٩١٨ . زميزم ، سعيد رشيد ، رجال العراق والاحتلال البريطاني ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ج ١ ، ص ٧ .

(٨٩٧) الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٨٩٨) " البيان " ، ١١ / تشرين الأول / ١٩٤٦ ، العدد (٨) ، ص ٩ .

والبريطانيين السيد مهدي آل سيد سلمان^(٨٩٩)، فحاول محمد كاظم اليزدي جمع العلماء ورؤساء النجف والثوار في مدرسته واخبرهم بانتهاء الثورة فانفض الاجتماع دون نتيجة ورفض المصلحون انهاءها^(٩٠٠)، بل حدث العكس فقد ازداد نشاط "جمعية النهضة الاسلامية السرية" واحرارها في مقاومة البريطانيين^(٩٠١). وجاء في تقرير للقنصل الايراني لوزارة خارجيته في ايران بتاريخ ١٩١٨/٤/١١ حول التيار المحافظ: "فقد تعاونوا بصورة كبيرة ويساعدون الحكومة في مهاجمتهم" الثوار "وقام اليزدي بارسال تلغرافا الى G.O.C بأن العلماء والفقراء ليس لهم يد في الموضوع وحث على عودة المياه الى مجاريها ثانية، وقد طلب كذلك السماح بمغادرة العلماء والزوار والمسافرين لاماكنهم ونظرا لعروض اليزدي قام رئيس G.O.C بإعطاء اوامره وطلب نائب القنصل الايراني السماح له بالمغادرة وسمح له"^(٩٠٢).

وبعد دخول البريطانيين عنوة للمدينة وعن طريق محطة الحويش سحبوا معهم سلك التليفون وذهبوا مباشرة الى بيت محمد كاظم اليزدي الذي تحدث تليفونيا مع الحاكم الملكي في بغداد ومكالمة سفراء الدول الاسلامية المجتمعين بدار الاعتماد البريطاني في بغداد، واخبارهم بسلامة مدينة النجف وانها لم تصب بسوء وطار البرق بهذه المكالمة الى جميع انحاء العالم الاسلامي في اليوم نفسه لتهدئة الخواطر والنفوس^(٩٠٣).

وبانتهاء الثورة مارس الاحتلال البريطاني ايشع الاحكام العرفية بحق روادها، ومن رجال التيار الإصلاحية النجفي الذين تعرضت السلطات البريطانية بسببه لضغوط شتى لغرض تخفيف الحكم بخصوصه من الاعداد الى السجن هو المصلح محمد جواد الجزائري؛ منها ارسال المصلح محمد تقي الشيرازي المقيم في سامراء الى السلطات البريطانية كتابا يرجو العفو عن الجزائري والمعاملة الحسنة^(٩٠٤). وسبقته ضغوط أخرى اقترحت القيادة العسكرية البريطانية على أثرها في ٧ / ايار / ١٩١٨ ارساله كأسير حرب الى الهند^(٩٠٥)، ثم حولته الى اسير حرب بتصنيف درجة "ب" وتشدد الحذر والخوف منه وضرورة مراقبته باستمرار^(٩٠٦). وارسلت له قبيل سفره تقرير الى الهند يوضح وضعه ومقامه في النجف ودوره في الثورة، اذ ارسلت في ٢٦ / ايار / ١٩١٨: "أنه من مثيري الفتن بالوثائق المضبوطة والقت القبض عليه (p. o.) [مكتب الشرطة] في النجف في الثلاثين من نيسان"^(٩٠٧). واستمر ضغط العلماء للصفح عنه وعن محمد علي بحر العلوم اللذين نجا من حكم الاعداد وعدهما أسيري حرب من صنف "ب"^(٩٠٨).

وبانتهاء ثورة النجف ١٩١٨ تظهر لدينا جملة من النتائج اهمها:

١. ان التيار الإصلاحية النجفي رفض مبدأ الاستعجال بإضرام الثورة بداعي ضرورة انضاجها في جميع انحاء العراق وهو مبدأ وطني تحرري شامل لا يخص منطقة معينة دون الاخرى.
٢. ان التيار الإصلاحية النجفي غير مؤمن بالفكرة الاسلامية المرتبطة بالعثمانيين؛ فالتيار الإصلاحية يرى ان البريطانيين والعثمانيين لا يختلفون في اطماعهما الاستعمارية.
٣. ان التيار الإصلاحية النجفي مؤمن بالقوة القبلية في العراق والتي يغني تنظيمها الإصلاحية "جمعية النهضة الاسلامية السرية" عن الاتصال بالعثمانيين او غيرهم.
٤. ان التيار المحافظ وقف موقفا سلبيا تجاه الثورة بعدم مشاركته في احداثها فضلا عن اتصاله بالبريطانيين للاجهاز على منجزاتها.
٥. ان ثورة النجف ١٩١٨ هي الارهاصة المباشرة لثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠.

خامسا: موقف التيار الإصلاحية النجفي من التطورات السياسية العراقية للمدة ١٩١٨ - ١٩١٩:

^(٨٩٩) المصدر نفسه، ص ٩؛ الحسيني، ثورة النجف...، المصدر السابق، ص ٤١؛ بيل، المصدر السابق، ص ١٢٦.

^(٩٠٠) الحسيني، ثورة النجف...، المصدر السابق، ص ٤٣.

^(٩٠١) "البيان"، ١١ / تشرين الأول / ١٩٤٦، العدد (٨)، ص ٩.

^(٩٠٢) D. K. W., The British occupation folds, fold (956), from political Baghdad, to prodrome Tehran, reptd. Foreign Simla, No. (3227), The sypher telegram from perasion consul General in Baghdad; to minister for foreign Affiars Tehran regarding Najaf affairs, document (8), 11 - 4 - 1918, p. (14).

^(٩٠٣) الأسدي، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

^(٩٠٤) D. K. W., The British occupation folds, fold (950), from General Head Quarters Mospotamiam Rpxpeditionary, to His Excellency the G. O. C. chief, Fold regarding Sheikh Jawad Al Jazairi, document (18), 2 - 6 - 1918, p. (19).

^(٩٠٥) Ibid, Document (7), 7 - 5 - 1918, p. (7).

^(٩٠٦) Ibid, Document (8), 9 - 5 - 1918, p. (9).

^(٩٠٧) Ibid, Document (12), 26 - 5 - 1918, p. (12).

^(٩٠٨) Ibid, Document (16), 14 - 6 - 1918, p. (17).

وعد البيان المشترك الفرنسي - البريطاني في ٧ / تشرين الثاني / ١٩١٨ باعطاء الشعوب الحرة في اختيار شكل الحكم في البلاد المنسلخة من الحكومة العثمانية^(٩٠٩)، وكان التيار الإصلاحي النجفي مؤمنا بضرورة استغلال هذا البيان لخدمة القضية الوطنية فاسرع رجاله الى تأليف كتلت من المصلحين (محمد علي كمال الدين وسعيد كمال الدين وسعد صالح و احمد الصافي النجفي وحسين كمال الدين) اجتمع بالمنتزه الذي يقع على طريق الخط الترموي وناقش فحوى المنشور بتمعن واخذ هذا التكتل من اعضائه العهد بضرورة استثمار هذه العهود التي اغدقها الحلفاء ، فاتصلوا باصحاب الفكر من المصلحين عبد الكريم الجزائري ومحمد رضا الشبيبي ، واتفقوا على وضع منهج تعمل على هديه الحركة الاصلاحية ، وبذلك اصبحت مدينة النجف مركزا قياديا ، اذ توجه المصلحان سعد صالح ومحمد باقر الشبيبي الى مدينة كربلاء يحملان رسائل منبثقة من جهاز التيار الإصلاحي النجفي حول شكل الحكم وماهيته وطلب الاستقلال لغرض توقيعهما من زعماء مدينة النجف وشيوخها ، ثم توجهوا الى مدينة بغداد واتصلوا بجعفر ابو التمن ثم بالسيد محمد مهدي الصدر ، ثم توجهوا الى مدينة البصرة واتصلوا بالشيخ عبد المهدي المظفر للغرض نفسه ، وابقوا مع مدينة كربلاء على اتصالات مستمرة بوساطة احمد كاظم الخراساني^(٩١٠) .

وواجهت مهمتهم فضلا عن حمل الرسائل عقبات خطيرة بسبب كثرة الجواسيس الذين يتصيدون في الماء العكر ، وبخاصة أنهم [المصلحين] يعملون على شرح غاية التيار الإصلاحي النجفي للعوام وعلى افهامهم رأي المصلحين النجفيين في شكل الحكم القائم على ملكية مفيدة بدستور وبرلمان^(٩١١) ، اذ كان هذا الشكل متدارسا بدقة في المجالس النجفية الاصلاحية^(٩١٢) . ومن هذه المجالس مجلس المصلح عبد المحسن شلاش^(٩١٣) .

وقد رافق هذا المخاض السياسي فكرة المجالس البلدية ، وهي المحصلة النهائية للإدارة البريطانية في العراق وهي ما يسمى تدريبا على الحكم الذاتي وهو شكل يكفل للبريطانيين السيطرة غير المباشرة على مقدرات الشعب وشؤونهم ، وكان رفض التيار الإصلاحي النجفي له قائما على ادراك خطورة غايته وهو ما استطاع المصلح عبد المحسن شلاش كشف اهدافه والتحريض على عدم الانتماء اليه^(٩١٤) .

وكان الحكام السياسيون البريطانيون الملحقون بالحملة العسكرية في العراق يبيغون ان تكون هذه البلاد امتدادا لامبراطوريتهم في الهند ، وكانوا يعدون سياسة القاهرة البريطانية^(٩١٥) في تأييد طموحات الشريف حسين بن علي وامانيه في الحرية والاستقلال - لعبا بالنار فيه [التأييد] من الخطر على مصالحهم^(٩١٦) . فقدم مكتب حكومة الهند في ٣٠ / تشرين الثاني / ١٩١٨ تخويل نائب الحكم الملكي في العراق " ارنولد تاليوت ولسن " باجراء استفتاء في شكل الحكومة في العراق^(٩١٧) ؛ فطلب الاخير في الوقت نفسه من الميجر نوربري " الحاكم السياسي لعموم الشامية والنجف " الاجتماع بالرؤساء والزعماء لاخذ آرائهم في نوايا البريطانيين في العراق وبسبب عدم حصوله على نتيجة واضحة اضطر النائب الملكي " ولسن " الحضور بنفسه الى مدينة النجف في ١٣ / كانون الأول / ١٩١٨ واستفتى رجالها بالاسئلة الآتية :

١. أ تملون الى قيام حكومة عربية تحت الهيمنة البريطانية تمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية حتى الخليج العربي ؟
٢. وفي مثل هذه الحال أ ترون تنصيب رئيس عربي على هذه الدولة الجديدة ؟
٣. فإن كان كذلك ، من هو هذا الذي يفضلونه رئيسا لها ؟^(٩١٨)

وحضر الاجتماع من رجال التيار الإصلاحي النجفي عبد الكريم الجزائري وجواد الجواهري ومحمد رضا الشبيبي وعبد المحسن شلاش ومحمد باقر الشبيبي ومن شيوخ القبائل وزعماء النجف والمناطق المحيطة بها السيد

^(٩٠٩) مما جاء في هذا المنشور : " إن الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في فوضى غمار الحرب في الشرق جراء أطماع ألمانيا هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء استعباد الأتراك تحريرا تاما نهائيا وتأسيس حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين وبمحض اختيارهم وتنفيذا لهذه الغايات قد اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وإدارات وطنية في كل من سوريا والعراق ... " . الحسني ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢١ .

^(٩١٠) كمال الدين ، سعد صالح ... ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

^(٩١١) الخاقاني ، المصدر السابق ، ١٩٥٤ ، ج ٣ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ؛ حسين كمال الدين ، مذكرات ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١١ .

^(٩١٢) الدراجي ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

^(٩١٣) الورددي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ٥ ، ص ٧٣ .

^(٩١٤) الدراجي ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

^(٩١٥) كان من مظاهر المد الاستعماري البريطاني في المشرق العربي أثناء الحرب العالمية الأولى ظهور مدرستين استعماريين بريطانيين الأولى مدرسة القاهرة أو الانكلو - مصرية أو (الغربية) والثانية مدرسة الهند أو الانكلو - هندية أو (الشرقية) وظهر تنافس استعماري بينهما خدمة للمصالح العليا لبريطانيا ، انعكس هذا الامر بتأسيس المكتب العربي في القاهرة عام ١٩١٦ ومن السياسيين ورجال الاستخبارات المنتمين اليه غلبرت كلايتن والمس بيل ودي هو غارت . " آفاق عربية " ، (مجلة) ، بغداد ، أيار / ١٩٩٣ ، العدد (٥) ، ص ٢٠ .

^(٩١٦) لتشوفسكي ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

^(٩١٧) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .

^(٩١٨) ولسن ، المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

محسن ابو طيخ ونور الياسري وعلوان الياسري وعبد الواحد آل سكر ومجبل الفرعون وعبد الهادي النقيب ومحمد العبطان وهادي زوين وشعلان الجبر وعلوان الحاج سعدون وعبادي آل حسين ولفنة آل شمخي ومرزوق العواد وسرتيب المزهر^(٩١٩) وشعلان ابو الجون^(٩٢٠) ، وبعد انتهاء ولسن من حديثه ومطالبه سأله المصلح عبد المحسن شلاش " هل تريد حكومته ان تعامل العراقيين بهذه المعاملة رافة منها بحال السكان ام ان هنالك عوامل اخرى تستدعي هذا الاستفتاء ؟ " ^(٩٢١) وهو سؤال يكشف عن غايات البريطانيين من وراء هذا الاستفتاء وبخاصة ان البريطانيين ضغطوا قبل عقد الاجتماع على بعض النجفيين لاستمالة ارائهم الى حكم تحت ظل الحماية البريطانية^(٩٢٢) . وهي تعليمات خاصة من " ولسن " نفسه الى الضباط البريطانيين في الالوية : " الا تقبل سوى الاجوبة المرضية والملائمة بالنسبة الينا " ^(٩٢٣) واثرت جهودها بهذه الضغوط ؛ اذ قام عبد الهادي النقيب قائلاً في اجتماع الاستفتاء : " لا نريد غير الانكليز وقد كثرت الفلوس عندنا " ^(٩٢٤) . الا ان الزعيم عبد الواحد آل سكر قاطعه قائلاً : " بل نريد حكومة عربية وطنية مستقلة لا اكثر ولا اقل " ^(٩٢٥) ، وسأله المصلح محمد رضا الشبيبي ويبدو أنه اتفق رتبته التيار الإصلاحية النجفي قبيل الاجتماع مع زعماء القبائل اذ قال الشبيبي : " ان الشعب العراقي يرتأي ان الموصل جزء لا يتجزأ من العراق وان العراقيين يرون من حقهم ان تتألف حكومة وطنية عراقية مستقلة استقلالاً تاماً وليس فينا من يفكر اختيار الحكم لاجنبي " ^(٩٢٦) . وهو تأكيد على سلامة العراق ووحدة اراضيه وبعد تأجيل الاجتماع بطلب من نور الياسري قام التيار الإصلاحية النجفي لضمان تحقيق مطالبه الوطنية باسلوب شرعي ذكي باستخلاص فتوى شرعية من المصلح محمد تقي الشيرازي نصها : " ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين " ^(٩٢٧) ، لذا كانت المضبطة النهائية لمدينة النجف بتأثير التيار الإصلاحية المطالبة بـ " حكومة مستقلة استقلالاً تاماً ناجزا برئاسة ملك عربي مسلم مقيد بدستور ومجلس تشريعي منتخب " ^(٩٢٨) . وان علمها العلم الذي رفع في الحجاز ^(٩٢٩) .

لقد سبب نشاط الاصلاحيين السياسي ارباكا قويا لسياسية البريطانيين فتحطمت آمالهم الاستعمارية في شكل الحكم واستمرت الاضطرابات في مدينة النجف بتحريض ابرز رجال الاصلاح " عبد الكريم الجزائري وجواد الجواهري وعبد الرضا آل شيخ راضي " ^(٩٣٠) . واستمرت الحركة الاصلاحية النجفية بنشاطها السياسي ؛ فبعد رفض الحكام البريطانيين نتيجة تعليمات ولسن استلام أي مضبطة لم تكن في مصلحة بريطانيا وحكمها في العراق اذ : " اسقطت المضابط الثلاث " النجف - كربلاء - بغداد " التي طالبت بتأسيس حكومة عربية يحكمها احد انجال الشريف بحجة أنها تحمل عناصر متعصبة غير مسؤولة اثارها الوطنيون والساخطون من مشايخي العهد التركي " ^(٩٣١) ، فالتجأ التيار الإصلاحية النجفي الى وسيلة وطنية وقومية بعرض مطالبها على العالم الذي اغدق عليهم الوعود والمطالبة بتحقيقها ؛ فبعد التأثير على المصلح محمد تقي الشيرازي واستحصال برقية منه تطالب بحقوق العراق الوطنية حصل المراد ؛ فوزع التيار الإصلاحية نسخها على مناطق متعددة من العراق بوساطة المصلحين " محمد باقر الشبيبي وحسين كمال الدين وسعد صالح وعلي الشرقي " الذين كانوا يخبئون نشاطهم السياسي تحت طيات جلد غلاف الكتب " المصاحف - الادعية " وساعدهم في التجليد عبد الحميد زاهد صاحب المكتبة الوطنية في النجف ، وبعد موافقة قبائل الفرات وزعمائها على السير مع التيار الإصلاحية في نشاطه السياسي اعطوا تواقيعهم فحررها التيار الإصلاحية النجفي بوثيقة مطالب وطنية الى الحجاز ^(٩٣٢) .

وجاء في احدى رسائل المطالب الوطنية هو : " الى ملك العرب الحسين بن علي " السلام عليك ورحمة الله . أما بعد فان الحلفاء في الحرب العظمى اذاعوا على سكان العراق في هذه الايام منشورا عاما فحواه أنهم لم يحاربوا الا لتحرير الشعوب ، وان يكون لكل شعب من الشعوب حق تقرير مصيره بنفسه وادارة شؤونه بنفسه ، وبناء على

(٩١٩) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٨ ؛ الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(٩٢٠) النقيسي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٩٢١) " البيان " ، ٢٦ / تشرين الأول / ١٩٤٦ ، العدد (٩) ، ص ٦ .

(٩٢٢) الشريس ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٩٢٣) النقيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٩٢٤) " البيان " ، ٢٦ / تشرين الأول / ١٩٤٦ ، العدد (٩) ، ص ٦ ؛ الورد ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٢ .

(٩٢٥) " البيان " ، ٢٦ / تشرين الأول / ١٩٤٦ ، العدد (٩) ، ص ٦ ؛ النقيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٩٢٦) مقتبس من محبويه ، جعفر باقر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٨ ؛ نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٩٢٧) حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

(٩٢٨) مقتبس من صالح ، سعد ، صفحة من مذكرات السيد سعد صالح أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٢ .

(٩٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢ .

(٩٣٠) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٩٣١) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ص ١٢٩ .

(٩٣٢) كمال الدين ، محمد علي ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ ؛ زاهد ، عبد الحميد ، صفحات من مذكرات عبد الحميد الزاهد من المشاركين بأحداث الثورة العراقية ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٢ ؛ الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ - ص ١٢٨ .

هذا طاف نائب الحاكم الملكي العام في العراق ، بالزعماء والرؤساء والعلماء كافة طالبا اليهم [... حول اسئلة الاستفتاء] وبعد المداولات والمذكرات ابلغوا الحاكم السياسي البريطاني العام في العراق بأن الموصل جزء لا يتجزأ من العراق وطلبوا اليه تأسيس حكومة عربية دستورية على ان يكون احد انجال جلالتم ملكا على العراق كما يبلغكم تفصيله المندوب من " عموم العراقيين " الشيخ محمد رضا الشبيبي والله ولي التوفيق " (٩٣٣) . واصبحت هذه التواقيع تقريرا دبلوماسيا من التيار الإصلاحى النجفى يوضح فيه الاوضاع العامة والمطالب الوطنية (٩٣٤) . ويمكن تقسيم تواقيع هذا التقرير الى مصادر ثلاثة الأول : موقع باسم علماء النجف وكريلاء ، الثاني : موقع باسم زعماء قبائل الفرات الاوسط ، الثالث : موقع من الشباب القومى المتحرر . وكانت وحدة العراق وسلامة اراضيه تتخلل هذه المطالب : " تأسيس دولة عربية من شمالي الموصل حتى خليج البصرة برأسها امير عربي من العائلة الهاشمية مقيد بمجلس تشريعي " (٩٣٥) . وهو امر يدل على دقة تنظيم التيار الإصلاحى النجفى في نشاطه السياسى وهو ما اوقع " ايرلاند " في حيرة حينما تساءل : " الظاهر أنه لم يكن في وسع احد من المسؤولين ان يستنتج بأن المضابط المعارضة لرغبات الانكليز المتشابهة في الفحوى والنفسية تقريبا ، كانت تشير الى معارضة منظمة باعثناء " (٩٣٦) ، ومن ناحية اخرى كان التيار الإصلاحى النجفى مدركا للانسائى الاستعمارية العثمانية التي تبغى اقتطاع جزء من وطنه " أرض الحدباء " ، فالنجف وتيارها الوطنى الاصلاحى هو المطالب الأول بعروبة أرض الموصل ووحدة العراق .

وكانت السياسية البريطانية في لندن تعتمد على ما توفره ادارتها في بغداد والاخيرة همها الأول هو اقامة حكم بريطانى في العراق أما العراقيون فهم المغلوب على امرهم من التعليمات التي يعرضها " ولسن " الذي يحكم بادارة عسكرية عرفية فازداد الوعى السياسى فظهر في اواخر شباط ١٩١٩ الى الساحة الوطنية حزب وطنى في بغداد يدعى بـ " حرس الاستقلال " ومن المصلحين النجفيين المنتمين الى صفوفه المصلح محمد باقر الشبيبي الذي كان وساطة الارتباط بين بغداد والتيار الإصلاحى النجفى فضلا عن مساندة المصلح محمد تقي الشيرازى . وتنص المادة الثانية من دستور الحزب [حرس الاستقلال] على ان غاية الحزب القصى هي نيل الاستقلال التام الناجز للعراق وتنص المادة الثالثة : على ان الحزب هو الذي سيرشح احد ابناء الشريف حسين ملكا على العراق (٩٣٧) . ويبدو ان بعض مبادئه هي مناهج سار على هديها التيار الإصلاحى النجفى مما يدل على الصلات القوية بين الحركة الاصلاحية النجفية وبين احرار مدينة بغداد ومفكريها . وكان للتيار الإصلاحى النجفى اتصالات سرية مع احرار الموصل لغرض نقل المطالب الوطنية على طاولة المؤتمر العراقى العام المنعقد في ٨ / آذار / ١٩٢٠ الذي طالب باستقلال البلاد وتنصيب عبد الله بن الحسين ملكا على العراق (٩٣٨) .

وبذلك تظهر لدينا جملة من النتائج اهمها :

- ١ . استغل التيار الإصلاحى النجفى جميع الفرص التي تضمن له تحقيق مطالبه العادلة ؛ فعند اعلان المنشور البريطانى - الفرنسى ٧ / تشرين الثانى / ١٩١٨ كون بعض رجال التيار الإصلاحى النجفى تكتلا لتدارسه واخراج ما يخدم قضيتهم .
- ٢ . أنهم مدركون ان المجالس البلدية هي آلة بيد البريطانيين وظيفتها ترسيخ الاحتلال في الالوية العراقية .
- ٣ . ان التيار الإصلاحى النجفى قد قرر شكل الحكم وأميره قبل انعقاد الاجتماع والاستفتاء .
- ٤ . وجود صلات قوية بين التيار الإصلاحى النجفى والعائلة الهاشمية في الحجاز وهو امر يدل على قومية التيار الإصلاحى النجفى .
- ٥ . وجود اختلاف وجهتي النظر للمدرستين الاستعمارتين القاهرة " الغربية " و الهند " الشرقية " في الصيغة النهائية في العراق ويبدو ان نائب الحاكم الملكى " ولسن " من مشايخي المدرسة الثانية " الهند " .
- ٦ . وجود صلات وتفاهم بين التيار الإصلاحى النجفى وبين احرار مدن العراق ومفكريه .

حاول التيار الإصلاحى النجفى توضيح القيم السامية في السياسة وكانت نظرهم للسياسة قائمة على قيم حضارية مستخلصة من افكار ثقافية متحررة وقيدت السلطة الفردية الملكية بدستور وبرلمان لذا سموا " بالمشروطية " وهوعني الحكم المشترط بملك ومجلس تشريعى يضمن الحقوق والواجبات العامة فسموا بالديمقراطيين والتقدميين

(٩٣٣) مقتبس من كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٩٣٤) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٩ ؛ الأسدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٦ .

(٩٣٥) كمال الدين ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ - ص ١٠٤ .

(٩٣٦) مقتبس من ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ - ص ١٣١ .

(٩٣٧) الهاللي ، عبد الرزاق ، الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي (١٨٨٩ - ١٩٦٠) ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٤٣ ؛ النفيسى ، عبد الله فهد ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ص ١٢٧ .

(٩٣٨) كمال الدين ، سعد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ - ص ١٠٤ .

كانوا سياسيين بالكلمة والمعنى فهم يستطيعون الرد على جميع المواقف السياسية حتى أنهم هددوا بالثورة في حال تعرض منجزاتهم الدستورية الى خطر الاستبداد ، وهم مرحبون بالانقلاب العثماني وبنشاط الاتحاديين وكانوا مدافعين عن الاسلام وحوزته وحماية المسلمين من مظاهر التعصب التي يتعرضون اليها ، فناقشوا اوضاع المسلمين في روسيا وعرضوا مشاكلهم بسبب الحكومة المستبدة ، وكشفوا عن خطر الامتيازات وحاولوا توضيح اهدافها واغراضها الاستعمارية هذه المعاني السياسية التي وقف حولها التيار الإصلاحى النجفي جعلته يقف من حدث الحرب العالمية الأولى موقف ضرورة الدفاع عن حوزة الاسلام وقاموا بجهود ساعدت الحكومة العثمانية التي اساءت استغلالها بل عاملت المجاهدين بعنصرية وتعصب وهو احد الاسباب الذي أوقع بالعثمانيين الهزيمة والانتكاس ، وهو دافع مهم وقوي لان تستأثر مدينة النجف باستقلال ذاتي اثر انتفاضتهم على العثمانيين ١٩١٥ وطردهم منها .

وكانت ثورة النجف ١٩١٨ حدثا سياسيا مهما ، اذ توحدت بها جميع القوى الإصلاحية التي عزمت على الوقوف بوجه الاحتلال البريطاني والتي تمكنت من استمالة عدد كبير من الشخصيات التي لها وزن في مدينة النجف والقبائل المحيطة بها ، وكان نشاطهم السياسي باساليب غاية الدقة والمضمون بمفاهيم ١- العاطفة الإسلامية ٢- العاطفة الوطنية ٣- العاطفة القومية . فكانت لهذه الدوافع دور مميز في ثورة النجف ١٩١٨ . أما اسباب الانشقاق في صفوف تنظيم " جمعية النهضة الإسلامية السرية " فهي :

١. ان غاية التيار الإصلاحى النجفي الوطني والقومي هو اشعال ثورة تشمل عموم العراق رافضة لاي شكل من اشكال الاحتلال اعتمادا على القوة القبلية وايماننا بها .

٢. ان نفرا من المصلحين من اصحاب العاطفة الدينية وعلى رأسهم محمد جواد الجزائري تخوفوا من اجهاض نشاطهم السياسي السري بعد معرفة البريطانيين بامرهم وامر المنتميين اليها ثم أنهم غير مؤمنين بالقبائل المحيطة بهم ثم أنهم معتمدون على الامدادات الخارجية فاستعجلوا بتقجير الثورة .

ولكن بعد فشل ثورة النجف ١٩١٨ عسكريا اتجهت السياسة البريطانية الى لعبة المكر والخديعة فطرحوا وعود مخدرة من جديد [منشور ٧ / تشرين الثاني / ١٩١٨] وحاولوا فرض اطواق المجالس البلدية ولعبة الاستفتاء التي تليس ثوب الحماية البريطانية . وكان التيار الإصلاحى النجفي رافضا لهذه الاشكال مشترطا بلعبة الاستفتاء حكومة عربية هاشمية مقيدة ببرلمان ضامنة لأرض الموصل ، فنادوا بعروبة الموصل وشددوا على عدم التفريط بها . وزاد التيار الإصلاحى النجفي نشاطه السياسي حتى جمع اوراقه من جديد بمقاومة مباشرة مع البريطانيين تمخضت عنه ثورة العشرين .

المبحث الثاني - دور التيار الإصلاحى النجفي في التطورات السياسية للمدة ١٩٢٠ - ١٩٣٢ :

بعد أن أكمل البريطانيون سيطرتهم على العراق في نهاية تشرين الثاني ١٩١٨ شرعوا بممارسة مختلف الألاعيب والخدع المراوغة التي كان من شأنها أن أفرزت قناعة ثابتة لدى التيار الإصلاحى النجفي بأن العمل المسلح هو الوسيلة الوحيدة للظفر بالمطالب الوطنية ، فاندلعت ثورة العشرين التي ساعدتها مختلف العوامل الداخلية والخارجية على الانفجار يسبقها تنسيق العمل الوطني بين الوطنيين في أنحاء العراق وبخاصة مدينة بغداد وبراعة استطاع المصلحون النجفيون تحشيد المشاعر الوطنية وبأساليب متقنة حتى نجحوا باقناع الرأي العام بان الاستعمار البريطاني ليس سوى وجه لحملة صليبية جديدة وبإجراءات سياسية داخلية اضطر التيار الإصلاحى النجفي الى انتهاج سيرها واستثمار العاطفة الدينية بوجهة سياسية وطنية وأظهر براعته السياسية في التنظيمات الثورية التي قام بها بعد ثورته الوطنية ، ونجح الإيمان بالقبائل الفراتية خاصة والعراقية عامة وحققث الثورة قيام حكومة وطنية يرأسها أحد أنجال الشريف الحسين بن علي .

ولكن نظرة التيار الإصلاحى النجفي الى من سيجم العراق قد تغيرت وبخاصة النظرة الى انجال الشريف حسين بن علي ، وحاول المصلحون النجفيون فرض ارادتهم من جديد لكنهم رضخوا للامر الواقع وعوده " أهون الشرين " ، لذا فقد نظرت الحكومة الوطنية الى المصلحين النجبيين منذ وهلتها الأولى على أنهم حركة معارضة لأنهم يشجعون قيام الاحزاب السياسية وقيام حكم ملكي خال من تبعية اجنبية ، وموقف رافض للمعاهدات وذبولها ، لذا اخذت بوادر العمل تأخذ مجراها بين حزب الشعب والحركة الإصلاحية النجفية ، ونادوا بعروبة الموصل بدون قيد او شرط .

وكان للتيار الإصلاحى النجفي مساهمة قومية في الدفاع عن القضايا العربية واسترداد حقوقها المسلوقة فشارك في قضايا " ليبيا ١٩١١ ، ثورة الحسين ١٩١٦ ، ثورة عبد الكريم الخطابي ١٩٢٠ - ١٩٢٦ ، وقضية فلسطين " . فضلا عن تشجيع الوحدة العربية ومساندتها والامنية بتحقيقها .

أولا : موقف التيار الإصلاحي النجفي من ثورة العشرين :

اغدق العالم الغربي الوعود والاماني التي جعلت الشعوب الراضحة تحت سيطرته تعيش في اوهام الحرية والاستقلال^(٩٣٩) . وعند اكتشاف زيفهم ظهرت بوادر الرفض التي قادت حركات التحرر الوطنية ومنها حركة التيار الإصلاحي النجفي الذي كان يراجع في اوقات متباعدة احد مراكزه السياسية " مكتبة عبد الحميد زاهد " للتداول في الشؤون الوطنية ، وكانت اجتماعاتهم في غاية السرية حتى أنهم امتنعوا عن وضع البرامج والخطط على الورق معتمدين على حفظ اعمالهم شفويا والتنقيف بصورة مباشرة وتبديل الامكنة من مكان لآخر ومن تلك المراكز السياسية غرفة في مدرسة المصلح محمد كاظم الخراساني يدعونها " غرفة السياسة " ونظموا المناهج والمراسلات والنشرات السرية التي تقرر نطقا في مكتبة زاهد وتحرر وتوثق في غرفة السياسة^(٩٤٠) . وكانت مجالس " الجزائري والجاهري وآل كمال الدين " مراكز اصلاحية نشطة لثورة العشرين^(٩٤١) . فضلا عن مقر سابق ومشهود باجتماعاته السياسية يدعى بـ " القلوب "^(٩٤٢) . وهي المراكز التي انبثقت منها الخطط لثورة العشرين . وكان لوفاء المرجع الديني زعيم التيار المحافظ " كاظم اليزدي " مساء يوم ٣٠ / نيسان / ١٩١٩ عن عمر تجاوز الثمانين دور في تحرك النشاط السياسي للحركة الاصلاحية النجفية وتفاعلها بحرية اكبر وبنيشاط اوسع^(٩٤٣) .

لكن للعوامل الخارجية دورا مهما في ازدياد هذا النشاط ومن تلك العوامل الثورة المصرية ١٩١٩ ، اذ كانت اخبارها ترد الى احرار العراق بصورة منتظمة عن طريق الصحف العربية^(٩٤٤) ، فضلا عن ذلك قيام الحكومة الفيصلية في دمشق التي تأسست بعد اندحار العثمانيين امام الجيوش العربية ١٩١٩^(٩٤٥) ، وكان الاحرار في العراق متفانين كثيرا بمقررات النقاط الرابع عشر للرئيس الامريكي " ودر ولسن " اذ " نوقشت طويلا من العراقيين ونالت تأييدا واسعا "^(٩٤٦) حتى يروي تأثيرها المباشر احد المعاصرين لها وهو محمد مهدي البصير اذ يقول : " ان اعلان مبادئ الرئيس ولسن الذي كان وقتئذ رسولا للحرية الاكبر تحقق لدينا ان العرب شعروا جميعا بان ساعة انشاء الامبراطورية العربية قد دنت "^(٩٤٧) .

وكان المصلح محمد جواد الجزائري يحرض باستمرار بين صفوف القبائل العربية ، ونشر المصلح محمد رضا الشيبلي منشورا سياسيا يذكر وينبه فيه بتثقيف القبائل العراقية بأن : " الثورة تهدف الى الاستقلال ويجب المحافظة على الاموال والتغلب على الحزات القبلية "^(٩٤٨) . وراسل المصلح محمد علي بحر العلوم حزب حرس الاستقلال شاكيا من اعاققة التيار المحافظ للنشاط السياسي الثوري للتيار الإصلاحي النجفي^(٩٤٩) ، وكان لعودة الوطنيين المبعدين بسبب النفي الى الهند نتيجة اعمالهم الوطنية في ثورة النجف ١٩١٨ - أثر في تعبئة الصفوف الوطنية اذ اصبحوا مشاعل وطنية لاهبة ضد الاستعمار البريطاني^(٩٥٠) .

وازداد نشاط المصلحين النجفيين السياسي بعد نجاح المصلح محمد باقر الشيبلي " عضو حزب حرس الاستقلال " بتنسيق الاعمال الوطنية بين احرار بغداد والتيار الإصلاحي النجفي^(٩٥١) .

وعقدت الحركة الاصلاحية النجفية بتاريخ ٢ / نيسان / ١٩٢٠ اجتماعا ضم كلا من المصلحين " محمد علي بحر العلوم وعبد الكريم الجزائري وجواد الجواهري وعبد المحسن شلاش " وتعهدوا الى ضم بعض زعماء القبائل الى الاجتماع منهم " عبد الواحد آل سكر ومحمد آل عبطان وعلوان الحاج سعدون وكاطع العوادي وشعلان ابو الجون ولفقة آل شمخي ووداي العطية ومجبل الفرعون ونور الياسري ومحسن ابو طيخ وهادي زوين وعلوان

^(٩٣٩) من وعود الحلفاء التي خدعت العرب وجعلتهم يطمنون في بحار التمنيات في الحرية والاستقلال : = أ - الوعود والاماني التي قطعها الحلفاء للشريف حسين بن علي ابان ثورته ١٩١٦ ضد العثمانيين والتي عرفت بمراسلات (حسين - مكماهون) .

ب - شروط أو مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن الأربعة عشر الخاصة بتقرير المصير . ج - التصريح البريطاني الفرنسي في ٧ / تشرين الثاني / ١٩١٨ " حول تحرير الشعوب المظلومة التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الترك تحريرا تاما نهائيا وتأسيس حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين أنفسهم وبمحض ارادتهم " .

^(٩٤٠) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

^(٩٤١) الخليلي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

^(٩٤٢) محمد علي ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

^(٩٤٣) الحسيني ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ١٩٥٢ ، ص ٥٩ .

^(٩٤٤) " الاستقلال " ، (صحيفة) ، النجف ، ١ / تشرين الأول / ١٩٢٠ ، العدد (١) ، ص ٢ ؛ الحسيني ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ٧٨

^(٩٤٥) فياض ، عبد الله ، المصدر السابق ، ١٩٦٣ ، ص ٢١٢ .

^(٩٤٦) كوثولف ، ل . ن ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة د . عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٧ .

^(٩٤٧) البصير ، محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقية ، بغداد ، ١٩٢٤ ، ج ١ ، ص ٥٥ .

^(٩٤٨) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

^(٩٤٩) المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ .

^(٩٥٠) فياض ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

^(٩٥١) البصير ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

الياسري " واتفقوا على ارسال " هادي زوين مع المصلح عبد المحسن شلاش " الى مدينة بغداد لغرض تنسيق الجهود الوطنية بين احرار بغداد والنجف ، وفي ٢٢ / نيسان / ١٩٢٠ عقد الوفد الاصلاحى اجتماعا عرض فيه رغبات التيار الاصلاحى النجفى ، فوافق البغداديون على تنسيق جهودهم وقرروا ايفاد جعفر ابو التمن لدراسة الجهود والوضاع والحماس فى منطقة الفرات الاوسط ووصل ابو التمن يوم ١ / ايار / ١٩٢٠ وعقد اجتماعا مع زعماء الفرات ورجال التيار الاصلاحى النجفى فى مدينة كربلاء وعرف ذلك الاجتماع بـ " مؤتمر كربلاء " وعند عودة ابو التمن الى مدينة بغداد بتاريخ ٩ / ايار / ١٩٢٠ قدم تقريره حول جولته وطمان الوطنيين البغداديين بخصوص النزعة الثورية المتأججة عند ابناء الفرات الاوسط^(٩٥٢).

اتفق الحلفاء باجتماعهم المنعقد فى مدينة " سان ريمو " الايطالية بتاريخ ٢٥ / نيسان / ١٩٢٠ على وضع العراق وفلسطين تحت الانتداب^(٩٥٣) البريطانى واصبحت الوصية تحت اشراف عصبة الامم المتحدة^(٩٥٤). ثم انتشرت الشائعات بأن نظام الانتداب لم يكن سوى ضم العراق الى الهند بثوب جديد وان خطة الاحتلال الهندية او البريطانية هي واحدة كما ان وصول خمسمائة وخمسين امرأة بريطانية الى العراق وهن زوجات وقريبات الموظفين يدل على ان البريطانيين عازمين على الاقامة طويلا^(٩٥٥).

واهم ما اسفر عن " مؤتمر كربلاء " تشكيل وفود فى كل منطقة من العراق لتنظيم اراء الشعب العراقى ، وعدم اتصال زعماء ورؤساء القبائل بدور الحكومة ونقل المجتهد المصلح محمد تقي الشيرازى من سامراء الى مدينة كربلاء لضمان سلامته وتعزيز النشاط الوطنى . الا ان التيار الاصلاحى النجفى وضع صياغة جديدة تعزز مقررات المؤتمر وهي :

١. ان يقام ببغداد وبقية المدن العراقية المآتم والمناقب والشعائر الدينية الاخرى شكلا ولكن بمضمون وطنى وثورى هدفه زيادة الحماس الوطنى والهيب المشاعر .
 ٢. ان تكون الخطب الدينية خطب سياسية اصلاحيية تندد بالاستعمار وتكون نواة لاقامة المظاهرات وانتخاب الوفود المفاوضة . وكان لسان المصلحين الناطق بهذه المقررات الجديدة المصلح عبد الكريم الجزائى التى وضعت مساء يوم الاجتماع نفسه " اجتماع مؤتمر كربلاء "^(٩٥٦) .
- ونظم المصلح محمد رضا الشيببى حلقة سياسية اصلاحيية تنقيفية ضمت كلا من المصلحين محمد باقر الشيببى والاخوين حسين وسعيد آل كمال الدين وسعد صالح ومحمد عبد الحسين وعبد الرزاق عدوه ومحمد رضا الصافى واحمد الصافى النجفى ومحمد باقر الحلى وامتد نشاطهم الى مدينة كربلاء ليلتقى تنظيمهم مع حلقة المصلح محمد علي الحسينى التى تألفت من احمد كاظم الخرساني وعبد الحسين الشيرازى والسيد عبد الوهاب^(٩٥٧) .
- ويقول نائب الحاكم الملكى (المدنى) فى العراق السير ارنولد تاليوت ولسن عن تأثير التيار الاصلاحى النجفى على الوجود البريطانى فى العراق وترويجه للمفاهيم الوطنية اللاهبة فى تلك المدة : " لقد لزم السيد محمد كاظم اليزدى كبير المجتهدين الصمت ، ولكن المجتهدين الذين هم دونه قد اتفقوا مع قادة الحركة الوطنية فأثروا فى الجماهير مستعملين حججا دينية وجنسية وتمكنوا بهذه الوسائل ان يخفوا معالم الاحتلال الانكليزى العسكرى للبلاد وكانت الحجج التى استعملت ضدنا متشابهة على الاغلب مادة واسلوبا مع تلك التى استعملت لغرض انقاذ الاراضى المقدسة من الصليبيين فى القرن الحادى عشر "^(٩٥٨).

وفكر التيار الاصلاحى النجفى مجددا فى امكانية التعاون والتآزر مع التيار المحافظ فى سبيل القضية الوطنية فى الحرية والاستقلال ومحاولة جذب زعيمهم كاظم اليزدى الى صفوفهم لكنهم لم ينجحوا فقررروا " ان يجروا عالما فاختروا الشيخ محمد تقي الحائرى " الشيرازى " فى سامراء وكلفوا الجزائى [عبد الكريم] والسيد علوان [الياسرى] ان يكتبوا لابنه " محمد رضا " استعداد الناس لتقليده "^(٩٥٩) . وفى الوقت نفسه نشر المصلحون النجفيون العديد من النشرات مفادها ان العديد من العامة وخاصة الوجهاء وشيوخ العشائر ومن بينهم " السيد نور

^(٩٥٢) " الاقتصاد " ، بغداد ، ٢٧ / حزيران / ١٩٣٥ ، العدد (٥٧) ، ص ٢٠ ؛ علي ، عباس ، المصدر السابق ، ص ٥٥ ؛ البصير ، محمد مهدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛ الحسينى ، الثورة العراقية ... ، المصدر = السابق ، ص ٦٢ ؛ فياض ، المصدر السابق ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ - ص ١٩٨ ؛ نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤ ؛ البزركان ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

^(٩٥٣) هي نظرية سياسية وضعها الجنرال " سمطس " حاكم جنوب أفريقيا وأقرته عصبة الأمم المتحدة ونصت على أن يصار الى تنقيف الأمم والجماعات التى انفصلت عن بعض البلدان التى احتلتها ريثما تصبح أهلا للحكم الذاتى ، بيل ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

^(٩٥٤) الحسينى ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ٥٤ - ص ٥٥ .

^(٩٥٥) ايرلاندى ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

^(٩٥٦) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٢٩ ؛ الحسينى ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

^(٩٥٧) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

^(٩٥٨) مقتبس من فياض ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ؛ النفيسى ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

^(٩٥٩) كمال الدين ، حسين ، مذكرات ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٥ .

الياسري " قد عدلوا عن السيد كاظم اليزدي وتقليد المجتهد الديني محمد تقي الشيرازي^(٩٦٠) . ويمكن تسوية خطوة التيار الإصلاحية النجفي لاتخاذ هذا المسلك النادر :

١. أنهم مضطرون لاجاد زعيم ديني يقود نضالهم الوطني وبخاصة ان الشيرازي له باع في دور الحركة الاصلاحية النجفية ١٩٠٨ - ١٩١٤ ولكننا لا يمكن ان ننكر مغزى هذا الامر بأن التيار الإصلاحية النجفي يملي رغباته الوطنية بوساطة هذا الرجل وبخاصة أنه الرجل الثاني بعد كاظم اليزدي بتلك المدة .
٢. تصاعد المد الوطني التحرري والمطالبة بحقوق البلاد المشروعة يقابله عدم تعاون التيار المحافظ في مشاريعه العادلة .

استمر التيار الإصلاحية النجفي في تضافر الجهود مع احرار بغداد ، ومن تلك الجهود ضرورة توفير قائد لنشاطهم السياسي وهذا التفكير سبق وان طرحه المصلح محمد علي بحر العلوم منذ اواسط عام ١٩١٨ حينما اتصل مع احرار بغداد " محمد مهدي الصدر ومهدي الخالصي وجعفر ابو التمن " وكان النقاش يدور حول امكانية نقل المجتهد محمد تقي الشيرازي^(٩٦١) من سامراء الى كربلاء لتنفيذ المنهاج الوطني التحرري للحركة الاصلاحية النجفية^(٩٦٢) . وطرح هذه الفكرة بعد زيارة نجل الشيرازي " محمد رضا " الى بغداد ١٥ / آذار / ١٩١٩ والنقى محمد مهدي الصدر وجعفر ابو التمن وعلي البزركان ، وبالفعل تمت الموافقة على نقله الى مدينة كربلاء فالتف حوله من رجال التيار الإصلاحية النجفي كل من " محمد رضا الشبيبي واخوه محمد باقر ومحمد علي الحسيني وعبد الكريم الجزائري وجواد الجواهري ومحمد علي بحر العلوم " وكان أول عمل لهم استمرار تقوية صلاتهم مع حزب حرس الاستقلال^(٩٦٣) .

ويمكن تفسير دوافع خطوة التيار الإصلاحية النجفي في اختيار مدينة كربلاء بدل مدينة النجف على الرغم من ان الاخيرة مهد النشاط السياسي للتيار الإصلاحية النجفي بما يأتي :

١. وجود التيار المحافظ في مدينة النجف بزعامة محمد كاظم اليزدي . لذا فإن الحركة الاصلاحية النجفية تخشى ان يسبب وجود المصلح محمد تقي الشيرازي الى انقسام مدينة النجف الى معسكرين متناحرين في ظروف تعد الوحدة فيها هدفا اساسيا مهما لدى المصلحين .
 ٢. جعل مدينة كربلاء قاعدة جديدة للنشاط السياسي للحركة الاصلاحية النجفية .
 ٣. ان فكرة الحركة الاصلاحية النجفية بنقل المصلح محمد تقي الشيرازي الى مدينة كربلاء وجدت قبولا واستحسانا من قبل اهالي مدينة كربلاء وبخاصة وجود المصلح محمد علي الحسيني فيها .
 ٤. قرب مدينة كربلاء من مدينة بغداد مما يمكن من تفعيل النشاط السياسي بشكل اكبر .
- واخذ المصلحون النجفيون بعد استقرار المصلح محمد تقي الشيرازي بمدينة كربلاء تنظيم شؤونهم السياسية الوطنية فاجتمعوا في مدينة النجف بدار علوان الياسري بتاريخ ١٦ / نيسان / ١٩٢٠ وقرروا ما يأتي :
١. تأسيس جمعية باسم " الجامعة الاسلامية " مركزها كربلاء ولها فروع في كافة انحاء العراق يرأسها المصلح محمد تقي الشيرازي .
 ٢. توزيع منشور بتوقيع المصلح محمد تقي الشيرازي يأمر بالوحدة وجمع الشمل والمساندة في كل المهام . جعل يوم الجمعة " يوما للشعب " تعطل فيه المكاسب وتنتشر المنابر في السوح العامة ويتبارى الخطباء بما يستلزم الاثارة والتحضير للثورة^(٩٦٤) .
 ٣. يوعز الى قسم من افراد قبائل الفرات الاوسط بعدم الطاعة التامة للحكومة الوطنية .
 ٤. الخروج بالنهضة من نطاقها الضيق وتعريف الى سائر الاقطار العربية باهداف العراق الوطنية^(٩٦٥) .
- وانطلق الخطيب صالح الحلبي في مساجد بغداد يدعو الى وجوب تعطيل الاشغال يوم الجمعة وجعله يوما وطنيا ضد الوجود البريطاني^(٩٦٦) .

^(٩٦٠) كمال الدين ، سعيد ، صفحات من مذكرات سعيد كمال الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٢١ .

^(٩٦١) ولد بشيراز ١٨٤٠ هاجر الى كربلاء عام ١٨٥٥ وتعلم على اعلامها ثم هاجر الى مدينة النجف ودرس = على يد علمائها ثم أصبح أحد أتباع المرجع محمد حسين الشيرازي وأصبح من تلامذته فأوكل اليه التدريس في مدينة سامراء وبعد وفاة هذا المرجع سنة ١٨٩٥ اتجهت الى محمد تقي الشيرازي الانظار فهاجر الى كربلاء الا ان مرجعيته اتسعت بعد وفاة المحافظ كاظم اليزدي ١٩١٩ وهو مصلحا مؤيدا لتوجهات التيار الإصلاحية النجفي منذ عام ١٩٠٨ بل كان المساند الأقوى في توجهاتهم السياسية في ثورة العشرين توفي بمدينة كربلاء ١٩٢٠ .
نظمي ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .

^(٩٦٢) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

^(٩٦٣) البزركان ، المصدر السابق ، ١٩٩١ ، ص ٩٦ - ص ٩٧ ؛ نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٥١ .

^(٩٦٤) الشرقي ، علي ، الأحلام ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

^(٩٦٥) فراتي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

^(٩٦٦) النجلي ، كاظم ، أحداث ثورة العشرين كما يرويها شاهد عيان ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ١٦ ؛ الورد ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٦ .

واتمّرت جهود التيار الإصلاحى النجفى ، اذ اجتمع رؤساء القبائل الفراتية بدار المصلح محمد تقى الشيرازى واستفتوه فى اعلان الثورة فاراد ان يعرف استعدادهم فقال : " ان الحمل لثقيل واخشى ان لا تكون للقبائل قابلية المحاربة مع الجيوش المحتلة " فطمأنه الزعماء بأن فيهم الكفاءة فقال : " اذا كانت هذه نواياكم وهذه تعهداتكم فانه عونكم " (٩٦٧) . فلقد استطاع التيار الإصلاحى النجفى باشاعة واقناع العامة بأن اللجوء الى القوة المسلحة ضد البريطانيين هو الحل الوحيد لقضيتهم فضلا عن أنه عمل مشروع بموجب الشريعة الاسلامية (٩٦٨) .

وبعد تأسيس القيادة والقاعدة الثورية استمرت الحركة الاصلاحية النجفية بمواصلتها التفاهم السياسى مع الوطنى فى مدينة بغداد ، اذ ارسل المصلح محمد تقى الشيرازى رسالة الى جعفر ابو التمن جاء فيها : " ان حركتكم الاسلامية فى بغداد اعمت قلوبنا غبطة ... وينبغى عليكم ايضا المحافظة على حقوق المسيحيين واليهود لنلا تعطوا العدو حجة حول سوء معاملتكم للأقليات " (٩٦٩) . واملى التيار الإصلاحى النجفى على الوطنى فى بغداد نشر المناشير الوطنية ، اذ يقول طالب مشتاق " جاءني يوما والثورة مشتعلة فى منطقة الفرات صادق حبه وبيده ورقة قدمها الى وقال : أنها وردتنا من النجف ويطلبون الينا طبع ما لا يقل عن مئتي نسخة منها ، وقرأتها واذا هي منشور بحث القبائل وكل الناس على القتال ضد الانكليز ومقاومة الاستعمار بكل اشكاله والوانه " (٩٧٠) .

اصبح التيار الإصلاحى النجفى بعد اندلاع ثورة العشرين على درجة عالية من التنظيم ؛ اذ يحصل بصورة منتظمة على معلومات واحداثيات عن الحركات والوامر العسكرية والسياسية لجيش الاحتلال البريطانى (٩٧١) ، واصبح المصلح سعد صالح العضو بحزب حرس الاستقلال ناشرا ومنتقفا بمبادئ الحزب فى صفوف جهاز التيار الإصلاحى النجفى (٩٧٢) . حتى أنه استطاع بمساعدة المصلح محمد باقر الشيبى بانشاء جمعية " الشيبية العراقية السرية " تحمل مبادئ حزب حرس الاستقلال نفسها (٩٧٣) .

وبذل التيار الإصلاحى النجفى جهودا مضمّنية بغية تشكيل مؤتمر عراقى يعمل على استقلال العراق وتأسيس حكومة عربية يرأسها ملك عربى مسلم فاجتمعوا بتاريخ ٣٠ / ايار / ١٩٢٠ وقرروا ضرورة استغلال العاطفة الدينية لتحقيق اهدافهم السياسية ثم اجتمعوا بتاريخ ٤ / حزيران / ١٩٢٠ وقرروا استمرار نشاطهم السياسى وترشيح ممثلين يمثلون نشاط الحركة الاصلاحية النجفية فوقع الاختيار على المصلحين عبد الكريم الجزائرى وجواد الجواهرى وعبد الرضا آل راضى وعبد المحسن شلاش وقسم من الاشراف وزعماء القبائل : السيد نور الياصرى والسيد علوان الياصرى ثم انتزع التيار الإصلاحى كتابا قانونيا يؤيد بأن هذه الشخصيات تمثل ارادة الناس فى التعبير عن حقوقها المشروعة (٩٧٤) . واجتمع المصلحون النجفيون يوم الخميس ٩ / حزيران / ١٩٢٠ بدار عبد المحسن شلاش وقرروا تحرير صورتين تقدم واحدة الى نائب الحاكم الملكى العام ولسن بتوسيط حاكم لواء الشامية والنجف " نوربرى " . وفى يوم الجمعة ١٠ / حزيران / ١٩٢٠ اجتمعوا بنفس الدار بسبب طلب نوربرى ان يكون صباح الغد السبت ١١ / حزيران / ١٩٢٠ موعدا للاجتماع مع الحركة الاصلاحية وهذا الامر اجبر المصلحين على ان يعقدوا اجتماعا اخر بنفس الدار وحتى الساعة الرابعة ليلا قرروا فيه :

١. ان تجرى احداث الاجتماع بصورة سلمية بلا اضطرابات ، ومظاهرات او تعطيل للاسواق .
٢. ان يكون المتحدث باسم الوفد المصلح جواد الجواهرى .
٣. بعد تسليم ورقة المطالب الوطنية من الضرورى اخذ مستمسك او تعهد ورقى من الممثل البريطانى لكى تصبح المطالب رسمية (٩٧٥) .

- وفى اليوم الثانى اجتمع الطرفان " الوفد الوطنى ونوربرى " وطالب المصلحون النجفيون بما يأتى :
١. اننا نطالب ان يؤلف الشعب باختياره مؤتمرا عراقيا قانونيا يجتمع اعضاؤه فى عاصمة البلاد بغداد مهمته تأليف حكومة عربية مستقلة كل الاستقلال عارية عن كل تدخل اجنبى يرأسها ملك عربى مسلم .
 ٢. نطلب رفع الحواجز عن ارتباط الشعب العربى العراقى وتفاهمه مع الشعوب الاخرى .
 ٣. اطلاق سراح العلماء والثائرين المعتقلين والمبغدين ومنهم " محمد رضا الشيرازى " .
 ٤. رفع كافة مراكز المراقبة والتفتيش والثكنات العسكرية فى منطقة الفرات الاوسط .

(٩٦٧) مقتبس من حرز الدين ، المصدر السابق ، ١٩٦٤ ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ؛ الحسنى ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .
(٩٦٨) كوتلوف ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .
(٩٦٩) مقتبس من " الاقتصاد " ، (مجلة) ، بغداد ، ٢٧ / حزيران / ١٩٣٥ ، العدد (٥٧) ، ص ١٨ ؛ الياصرى ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .
(٩٧٠) مشتاق ، طالب ، المصدر السابق ، ص ١١١ .
(٩٧١) " الاستقلال " ، (صحيفة) ، النجف ، ٥ / تشرين الأول / ١٩٢٠ ، العدد (٣) ، ص ١ - ص ٢ .
(٩٧٢) كاشف الغطاء ، علي ، المصدر السابق ، ص ٦٢ - ص ٦٣ .
(٩٧٣) علي ، عباس ، المصدر السابق ، ص ٤٨ - ٤٩ .
(٩٧٤) الياصرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
(٩٧٥) البصير ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ ؛ الحسنى ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ص ٩٨ - ص ٩٩ ؛ كمال الدين ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٤٣ - ص ٤٤ .

٥ . نطلب تمكين الامة من عقد اجتماعاتها واقامة منتدياتها في سائر مناطق العراق (٩٧٦).

فترجى " نوربري " اعطاه مهلة زمنية حتى يوم الاثنين ١٤ / حزيران / ١٩٢٠ للمذاكرة بشأنها ، الا أنه في يوم الاحد كشف البريطانيون عن خداعهم ، اذ ارسل الحاكم نوربري كتاب اعتذار عن البيت في امر المطالب الوطنية فتعمد التيار الإصلاحي النجفي مخاطبة السلطات البريطانية في بغداد وتعمد نشر المطالب الوطنية في طول البلاد وعرضها (٩٧٧).

وبدأت مرحلة جديدة للتيار الإصلاحي النجفي بالكشف عن الزيف البريطاني وخداعهم اذ اعلن البريطانيون الاحكام العسكرية في قمع الروح الوطنية فبعد اعتقال نجل المصلح محمد تقي الشيرازي وعدم اطلاق سراحه بسبب المظاهرات الصاخبة في مدينة كربلاء التي اعتقل على اثرها " محمد رضا " دعا لاجله المصلح محمد علي الحسيني الى ضرورة الانضاج الكافي للعوامل المفجرة للثورة (٩٧٨).

وارسل التيار الإصلاحي النجفي نتيجة هذه التطورات الملهبة للمشاعر احد رجالات الشعر واكثرهم الهابا للمشاعر الوطنية وهو محمد باقر الحلبي (٩٧٩) برفقة هادي زوين الى زعيم قبائل المشخاب السيد " علوان الياسري وعبد الواحد آل سكر " في ٢٦ / حزيران / ١٩٢٠ وبدءوا باثارة العامة مذكريهم ببطولات العرب وامجادهم وزعيم قبائل الشامية الحاج " رايح العطية وحمود البدن " واجتمع زعماء المنطقتين فضلا عن حضور بعض زعماء الديوانية " الخزاعل " بزعامة " محمد العبطان " و " سلمان العبطان " وقبيل حضور الحاكم العسكري لمنطقة ابو صخير " هوبكنز " للتفاهم مع القبائل المجتمعة بدار كاظم آل سكر برفقة " نوربري " اضافة الى حاكم ابو صخير " مصطفى حزمة السوري " - اتفقت القبائل المجتمعة مقاطعة البريطانيين وعند وصولهم انشد الحلبي :

بني يعرب لا تأمنوا للعدا مكرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة
خذوا حذرکم منهم فقد اخذوا الحذرا
ويبعون ان حانت بكم فرصة غدرا

ومن مات دون الحق والحق واضح
اذا لم ينل فخرا فقد ربح العذرا (٩٨٠)

وباسلوب ذكي خاطب الحلبي قبيلة الخزاعل اذ قال : " يا زعماء القبائل ان قبيلتكم كانت تسمى خزاعة وقد دخلت في بيعة النبي محمد (ص) . قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) " لا ينصرني ربي ان لم انصر خزاعة " فمتى تنتصرون ؟ نعم يمكنكم الانتصار له في هذه الدنيا أما أن لكم ان تنصروا محمدا ؟ فثار أحد الزعماء ملتهبا حماسا [سلمان العبطان] وسل سيفه وهجم على محمد باقر الحلبي وهز سيفه قائلا : " عد وجهك انه اخو فاطمة " فخشى الحكام البريطانيون من تفاقم الاحداث ففروا خوفا على حياتهم وتعالق اصوات الاضطرابات ومنها " الهوسات " واحدها الهوسة السياسية ذات المعنى الناقد : " بس لا يتعلك بامريكه " (٩٨١) ويرى الباحث أنها نقد موجه للتيار الإصلاحي النجفي لا للبريطانيين .

ولغرض تقوية الصلات التنظيمية وتحشيد الصفوف الوطنية اصبح المصلح محمد باقر الشيببي الوسيط السياسي بين بغداد والنجف وكان رحوم الضالعي - وهو من شيوخ الرميثة - وسيطا بين التيار الإصلاحي النجفي وقبائل الرميثة (٩٨٢) . وهادي مكوثر مبعوث للواء الغراف والناصرية (٩٨٣) . وكان صدر الدين مبعوث التيار الإصلاحي النجفي لاستتارة القبائل في مدينة سامراء واستطاع استمالة الشيخ حبيب الخيزران شيخ قبيلة عزه " الذي حلف بالقرآن الكريم أنه سيخلص في الولاء لمبعوث النجف والتعاون وراح الخيزران يرسل من قبله مبعوثين الى مختلف انحاء اللواء يدعوا القبائل الى الانضمام الى مبعوث النجف والتعاون المخلص معه " (٩٨٤) . وابقوا اتصالا

(٩٧٦) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ؛ الحسيني ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ ؛ تويج ، عبد الرسول ، مذكرات ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٤ ؛ الياسري ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٩٧٧) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ، المصدر السابق ، ص ٥١ ؛ الحسيني ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ص ١٠١ .

(٩٧٨) الحسيني ، المصدر نفسه ، ص ١٠٤ ؛ الياسري ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

(٩٧٩) هو أحد الشخصيات الوطنية الذي فر من قبضة البريطانيين في مدينة كربلاء بعد حملة اعتقال ابن المصلح محمد تقي الشيرازي (محمد رضا) وسكن مدينة النجف ثم بعثه التيار الإصلاحي النجفي برفقة هادي زوين لاستتارة القبائل الفرثية وتكوين موقف وطني متماسك واحد ضد سلطة البريطانيين . حرز الدين ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(٩٨٠) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٥٨ ؛ الحسيني ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٩٨١) كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٥٩ ؛ الحسيني ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ١١٤ ؛ الياسري ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٩٨٢) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٩٨٣) النفيسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٩٨٤) مقتبس من النفيسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ - ص ١٤٩ .

مستمرًا مع قبائل الفرات الأوسط بوساطة الشيخ علوان الياسري^(٩٨٥). ووافق التيار الإصلاحى النجفى المصلح على الشرقى الى قبائل الناصرية والعمارة^(٩٨٦).

واثر التيار الإصلاحى النجفى على المصلح محمد تقى الشيرازى باصدار فتوى تعلن الثورة ونصها "مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والامن ، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز من قبول مطالبهم"^(٩٨٧).

واستطاع حزب حرس الاستقلال بالتعاون مع التيار الإصلاحى النجفى ورؤساء القبائل في الفرات الأوسط تأليف هيئة تنسق العمل الوطنى بينهم سميت " مكتب الثورة " في اواخر حزيران ١٩٢٠ وقد وضع على عاتق المكتب مسؤولية الاعداد للثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطانى^(٩٨٨). ثم أسس في مدينة كربلاء مكتب تسلم ادارته المصلح محمد على الحسينى^(٩٨٩).

وابتداءً شرر الثورة المسلحة في بلدة الرميثة وحدثت هناك معارك اوجعت البريطانيين^(٩٩٠). واسند التيار الإصلاحى النجفى رئاسة " مكتب الثورة " في مدينة النجف للمصلح محمد رضا الشيبى وعضويته المصلحين سعيد كمال الدين واخيه حسين وسعد صالح ومحمد باقر الشيبى وعبد الرزاق عدوه ومحمد عبد الحسين ، ووزعت النشرات السرية والصحف العربية الواردة من دمشق والقاهرة الحاوية على المبادئ الوطنية والقومية ونشر المكتب علم الثورة بعد اتمامه حسب الهيئة التي ورد بها من دمشق . وعلق على سطح سوق الخياطين ورسم على جدران مكتبة " عبد الحميد زاهد " ووزع على كافة المدن العراقية وهو علم الثورة العربية ١٩١٦^(٩٩١). وبهذا تكون النجف أول مدينة في العراق رفعت علم الثورة العربية ابان ثورة العشرين .

وقد اطلق التيار الإصلاحى النجفى على تنظيمهم الثوري " الحزب الوطنى " وسار ركب المصلحين يقودون الثوار الى مدينة المسيب حاملين علم الثورة العربية وصار العلم عنوان الثورة ودليلها على تحرير المناطق وسيادة الحكم الوطنى في تلك المناطق وقام المكتب بنشر مقالات المصلح محمد باقر الشيبى وتتضمن سير المعارك والانتصارات العربية بغية رفع معنويات العامة^(٩٩٢).

وكان للوطنى جعفر ابو التمن مساهمة في تشكيل الحكومة المؤقتة للثورة في مدينة النجف ومساعدة التيار الإصلاحى النجفى في تأليف مجلسين الأول تشريعى والاخر تنفيذى ولتنفيذ هذا المشروع كونت لجنة من المصلحين عبد الكريم الجزائرى وجواد الجواهرى ومهدي كاظم الخرساني وجعفر ابو التمن وعبد المحسن شلاش وانتهوا الى ان المجلس التشريعى يتألف من ثمانية ينتخب من كل محلة اثنان أما عدد اعضاء المجلس التنفيذى فيكون اربعة هم رؤساء المحلات الاربعة في المدينة على ان يكون اعضاء المجلس التشريعى غير رؤساء المحلات المذكورين ، وفي ٢٦ / آب / ١٩٢٠ اجرى الانتخاب واسسوا حرسا وطنيا للمحافظة على المدينة^(٩٩٣).

وكانت هناك صلات ثورية وتنظيمية بين قبيلة الزوبع وحركة التيار الإصلاحى النجفى اذ : " كان ليشمان [الكونويل لجمن] يشك في ولاء قبيلة زوبه [الزوبع] وكان هناك من الدلائل على عدم اخلاصها ما داخله من شك في امرهم ذلك بأن قبيلة زوبه [الزوبع] كانت قبيلة تميل الى الحركة الوطنية في النجف وأنها ذات اتصالات مع النجف المركز التحريضى السياسى في منطقة الفرات الأوسط"^(٩٩٤).

وبعد تطور المعارك الحربية طلب البريطانيون هدنة ٢٠ / آب / ١٩٢٠ فكر زعماء القبائل بعقدتها الا ان التيار الإصلاحى النجفى رفضها محذرا القبائل الوقوع في حبال البريطانيين فنصحهم المصلح عبد الكريم الجزائرى بقوله : " الهدنة حسنة ولكنكم لو سألتمونا او سألتم العلماء عن عقدها مع هؤلاء والتزامهم بشرائها فلا نجيبكم على ذلك ، لا تأتمنهم"^(٩٩٥). الا أنه لا ينكر ان بعض المصلحين اقتنعوا بالسلم ومنهم جواد الجواهرى^(٩٩٦).

(٩٨٥) كمال الدين ، سعيد ، مذكرات ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٩٨٦) عواد ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٩٨٧) مقتبس من الحسينى ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية ... ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ ؛ الياسرى ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(٩٨٨) كوتلوف ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٩٨٩) فراتى ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٩٩٠) عن تفاصيل المعارك الحربية بين الثوار والاحتلال البريطانى وأحداثها ينظر : الوردى ، على ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق (حول ثورة العشرين) ، بغداد ، ج ٥ ، ١٩٧٧ ، ص ٢١٥ ؛ البصير ، محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقية ، بغداد ، ١٩٢٣ ، ج ١ ، ص ٢١٣ ؛ كوتلوف ، ل . ن . ، ثورة العشرين الوطنية للتحريضية في العراق ، ترجمة عبد الواحد كرم ، بغداد ، ص ١٨١ .

(٩٩١) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٨ .

(٩٩٢) كمال الدين ، محمد على ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٩٩٣) الدراجى ، عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ١٢١ ؛ كمال الدين ، محمد على ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٩٩٤) النفيسى ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٩٩٥) مقتبس من كمال الدين ، محمد على ، مذكرات ... ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٩٩٦) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٤٩٤ .

ومن الانقسامات السلبية الأخرى الخلاف الذي وقع بين المصلح محمد باقر الشببي وبين المصلح علي الشرقي ؛ فقد تعرض الشرقي الى انتقادات كثيرة وبخاصة من قبل المصلح محمدباقر الشببي بأنه صديق زعيم قبائل العبودة " الشيخ خيون آل عبيد " وعدم جذبهم الى صفوف الثورة^(٩٩٧) . فيعد اخفاق الشرقي اخفاقا للتيار الإصلاحى النجفي في منطقتي " الناصرية " والعمارة"^(٩٩٨) .

ثانيا : موقف التيار الإصلاحى النجفي من الحكم الوطنى الأول ١٩٢١ - ١٩٣٢ :

لزم التيار الإصلاحى النجفي جانب التحفظ والحذر في مسألة ملكية العراق ومن سيتولى الحكم ، وهذا التحفظ اخذ شكله بعد فشل ثورة العشرين عسكريا فضلا عن التحركات الدبلوماسية البريطانية في اختيار من يتولى حكم العراق التي انتهت بنتيجة اختيار فيصل بن الحسين ملكا على العراق^(٩٩٩) . ولكن نظرة التيار الإصلاحى النجفي في ملكية فيصل بن الحسين يشوبها الشك والريبة ، وعلى الرغم من ذلك يعد عند التيار الإصلاحى النجفي افضل مرشح لعرش العراق ، لعدم انتمائه الى أي فئة او حزب سياسي في العراق وهو ما ينطبق عليه المثل " اهورن الشرين " . ويظهر لنا تساؤل عن هذا الموقف المتغير للتيار الإصلاحى النجفي وسبب هذا الشك في فيصل بن الحسين وبخاصة ان المصلحين النجفيين كانوا يدعون في مطالبهم الوطنية منذ عام ١٩١٨ الى حكومة عربية يرأسها احد انجال الشريف الحسين بن علي مقيدة بمجلس تشريعي ، ويمكن الاجابة على هذا التساؤل بأن التيار الإصلاحى النجفي قدم توضيحات غالبة في ثورة العشرين وقاد حماس العامة ووجهها وجه ثورية انتهت برضوخ المحتل البريطانى الى مطالبه الوطنية ، وبخاصة بعد انتشار اشاعة بين الناس ان فيصلا هو مرشح البريطانيين ، وكانت نتيجة هذا الموقف المتشكك قد ظهر عند وصوله الى العراق وعند زيارته مدينة الناصرية ان تنحى العامة وعلماء الدين عن لقائه في محطة أور (في الناصرية) . اذ استقبله عدد قليل من الناس وكان استقبالا فاترا ، أما في مدينة الديوانية فقد كان استقبالا خاليا من الحماس في حين كان استقبال اهالي النجف وكربلاء استقبالا فيه كثير من الجفاء ؛ " ففي مدينة النجف لم يقتصر فيها على مجرد التحفظ بل تعداه الى اظهار شيء من الجفاء والعداء الظاهرين "^(١٠٠٠) . وهو امر يوضح ان التيار الإصلاحى النجفي مدرك للمخططات البريطانية من شكل الحكم الذي تبغيه في العراق .

يمثل الحكم الوطنى الأول في العراق مرحلة جديدة اصبحت الامة بموجبه مرنة تتأثر بكل اراء او حدث يتعرض الى مصالحها ، لذا فإن التيار الإصلاحى النجفي حاول وضع هذه الامة الناشئة موضع الانتباه على كل حدث مراعين التجدد والاصلاح مع ضرورة تهيئة النفوس ، وضرورة خلق امة واعية مدركة لما يحيط بها تعمل على توسيع التعليم وتنويعه وعرس النظام في نفوس الناشئة اذ ان ترسخ النظام يوجد الحريات ولا بد من غرلة التركة العتيقة واختيار الفاضل والنافع حتى يتجدد ما في العقول من اراء ومفاهيم لضمان التحديث والتطور المنشودين^(١٠٠١) .

ولكن اصبحت ادارة الحكم الوطنى الأول اشبه بحكم انضباطي متشدد يفرض الحماية والمراقبة على قضايا الاصلاح والاعمار والانشاء والتثقيف وحرية الفكر^(١٠٠٢) . وعلى الرغم من الموقف السلبي الذي انتهجته تلك الادارة بقي التيار الإصلاحى النجفي يقف من مفاهيم الانتداب والوصاية والحماية موقفا رافضا اذ عد هذه المفاهيم مساوية للاحتلال المباشر .

اتخذ الملك فيصل بن الحسين في العراق سياسية التوفيق بين اتجاهين متعاكسين الأول ضمان المصالح البريطانية في العراق والثاني استرضاء الوطنيين في العراق في الوقت نفسه^(١٠٠٣) . لذا يمكن عد النظام الملكى في العراق في ذلك الوقت رافضا للتوجهات الاصلاحية النجفية^(١٠٠٤) ، ويمكن تفسير هذا الرفض بأن الحركة الاصلاحية النجفية تبغى احداث تغييرات داخل المجتمع سياسية كانت ام اقتصادية او اجتماعية ؛ فهي تبغى الاعمار والحرية والفكر والنظم الدستورية الحديثة وهي الامور التي جعلت سمة التيار الإصلاحى النجفي في هذا العهد سمة " حركة

^(٩٩٧) عواد ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

^(٩٩٨) الخليلى ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

^(٩٩٩) D. K. W., The files of the Royal Palace, fold (37), sor (13), Document is the property of his Britannic majesty's Government, printed for the colonial office, report on middle east conference held in CAIRO and JERUSALEM, document (1), 30 – June – 1921, p. (4).

^(١٠٠٠) مقتبس من النفيسى ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ ؛ بيل ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

^(١٠٠١) الشرقي ، علي ، الأحلام ، ص ١٩٧ .

^(١٠٠٢) الحيدري ، ضياء الدين ، الإدارة والإداريون في العراق ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٥ .

^(١٠٠٣) الحسنى ، عبد الرزاق ، تاريخ العراق السياسى الحديث ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٨ ؛ بيل ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

^(١٠٠٤) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٥٩ .

معارضة^(١٠٠٥) لذا نجد ان المصلحين النجفيين تعاطفوا مع حركة المعارضة منذ عهد أول رئيس وزراء في الحكومة المؤقتة [عبد الرحمن النقيب ٢٤ / تشرين الأول / ١٩٢٠]^(١٠٠٦). ساند التيار الإصلاحي النجفي تأليف الاحزاب الوطنية، اذ اكد المصلح محمد رضا الشيبلي احد المجتمعين في دار جعفر العسكري " وزير الدفاع " في الحكومة المؤقتة بتاريخ ٢٥ / تشرين الأول / ١٩٢٠ ضرورة تشكيل الاحزاب الوطنية في العراق، ومن المجتمعين ناجي السويدي وجلال بابان ومحمد مهدي البصير ونوري السعيد وحلمي الباجي وبهجت زينل^(١٠٠٧).

وكان مفهوم السياسة في فكر التيار الإصلاحي النجفي نظرة انسانية قائمة على سياسة الاقوياء المعتمدين على الصدق في النية والاستقامة في العمل والصراحة في الرأي وانتهاز الفرص بالشكل المشروع للفوز بالمطالب الوطنية لذا عدوا المصلح السياسي هو المثل الاعلى في الاخلاق وان السياسة بنظر التيار الإصلاحي النجفي هي كسب رضا الناس وثقتهم^(١٠٠٨).

وتعدت الرؤى التي تراها الحكومتان البريطانية والعراقية للمعاهدة البريطانية العراقية الأولى عام ١٩٢٢، فبريطانيا تريد ان تصوغ المعاهدة بصك الانتداب وياقل كلفة وادنى معارضة، أما العراقيون فكانت تتجسد نظرتهم للمعاهدة بصلات متكافئة مع الحكومة البريطانية^(١٠٠٩). وموقف التيار الإصلاحي النجفي من هذه المعاهدة موقف التحفظ الذي يقترن بضرورة تفضيل المطامح والمصالح والرغبات الوطنية قبل كل اتفاق وتجسدت هذه الرؤيا عندما ابرقت قبائل " الحلة - الديوانية - والنجف و كربلاء " برقيتين بتاريخ ٤/ اب/ ١٩٢٢ الأولى للملك فيصل بن الحسين^(١٠١٠)، والاخرى للمندوب السامي في العراق " بيرسي كوكس "^(١٠١١). ومن الملاحظ ان هاتين البرقيتين كتبا بأسلوب وصياغة متأثر بالتيار الإصلاحي النجفي فمن حيث صياغتهما نجد مطالب وطنية قوية من حيث العبارات المباشرة " رفض الانتداب، اسقاط الوزارة التي تصدق المعاهدة غير المرضية للمطالب الوطنية، ازالة أي نفوذ وسلطة اجنبية عن البلاد، حرية الصحافة، رفض التدخل الاجنبي " .

والموقف الاخر للتيار الإصلاحي النجفي من معاهدة " ١٩٢٢ " يتمثل بكتاب المصلحين النجفيين " عبد الكريم الجزائري، مهدي كاظم الخرساني، جواد الجواهري، صالح كمال الدين " الى رئيس الوزراء " عبد الرحمن النقيب " في ٢١ / تموز / ١٩٢٢ التي تدعو الى اهمية الاستقلال السياسي والابتعاد عن كل تبعية اجنبية ومما جاء في هذا الكتاب: " ... فبناء على ذلك كل قرار او معاهدة او قانون انتخاب يقع بدون ان ينشر فيقع موقع القبول عند الامة فذلك كله ينافي مبادئها واستقلالها وهي مجبورة : عليه لا ينفذ عليها وتستعين بالله على رفضه ... "^(١٠١٢).

فضلا عن الموقف الذي وقفه المصلح ابو الحسن الموسوي عند رفضه عقد مثل هذه المعاهدة واتفق مع رجال التيار الإصلاحي يوم ١٨ / اب / ١٩٢٢ لمناقشة قضية الوزارة التي تهدان البريطانيين وضرورة اسقاطها، وحاولوا ايصال صوتهم بطريقة رسمية وبدون مشاكل فاستدعوا متصرف الحلة " علي جودت الايوبي " للحضور الى النجف ليعلموه برأيهم بصراحة حول المعاهدة والوزارة التي تصادق عليها حتى أنهم هددوا باعلان ثورة كما كانت سنة عام ١٩٢٠ وحضر المتصرف ذلك الاجتماع ووافق على نقل ما حمل من مطالب وبعد مغادرته بطشت الشرطة بهم فعدوا اجتماعا اخر بدار محسن ابو طيبيخ^(١٠١٣) في مساء اليوم نفسه ١٦ / اب / ١٩٢٢ وواصلوا

(١٠٠٥) المصدر نفسه، ص ١٥٩ .

(١٠٠٦) الخليلي، هكذا ...، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٧ .

(١٠٠٧) الحسيني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، بيروت، ط٥، ١٩٨٢، ج٣، ص ٢٣٩ .

(١٠٠٨) كمال الدين، محمد علي، سعد صالح، المصدر السابق، ص ٩ .

(١٠٠٩) الحسيني، تاريخ العراق ...، المصدر السابق، ط٢، ج١، ص ١٠ .

(١٠١٠) نص البرقية الموجهة للملك فيصل بن الحسين بتاريخ ٤ / آب / ١٩٢٢ : " بغداد - لجلالة ملكنا المقدي فيصل الأول دامت سلطنته نطلب من جلالتمك تنفيذ المواد الآتية : أ - رفض الانتداب واعتراف حكومة بريطانيا العظمى بالغانه رسميا . ب - اسقاط أية وزارة تصدق معاهدة غير مرضية بنظر الامة وتعيين وزارة وطنية تطمئن الامة بأعمالها ج - ازالة أية سلطة اجنبية على الحكومة العراقية . د - اطلاق حرية الصحافة " . الحسيني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، ط٣، بيروت، ج١، ١٩٦٥، ص ٨٤ .

(١٠١١) نص البرقية الموجهة للمندوب السامي البريطاني في العراق " بيرسي كوكس " بتاريخ ٤ / آب / ١٩٢٢ : " بغداد - فخامة المعتمد السامي لحكومة بريطانيا العظمى المفخم، نعرض لفخامتكم حسبما وعدت حكومة بريطانيا العرايين تتويج ملك العراق فيصل بن الحسين ... نود أن نرفقكم على رغائب الامة : أ - رفض الانتداب رفضا تاما واعلان حكومة بريطانيا العظمى بالغانه رسميا . ب - مراجعة حكومة جلالة ملك العراق لوزارة الخارجية الانكليزية لأن مواجبتها لوزير المستعمرات مخالف للاستقلال التام . ج - رفع تدخل أية سلطة اجنبية لأن أعمالهم لا يمكن ان تطابق سياسة بريطانيا العظمى وللامة في نفس الوقت الكفاءة لادارة شؤونها وبهذا تطمئن " . الحسيني، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٥ . وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحسيني، المصدر نفسه، ١٩٥٧، ج٢، ص ٢٠ .

(١٠١٢) الحسيني، تاريخ الوزارات ...، المصدر السابق، ج١، ص ٨٥ .

(١٠١٣) هو السيد محسن بن السيد حسن بن السيد علي بن السيد ادريس الملقب بـ " أبو طيبيخ " بن السيد عبد العزيز بن هادي الموسوي، ولد ببلدة الخرم (غماس) احدى ضواحي الديوانية سنة ١٨٧٦ وبسبب علاقات والده ببعض القبائل والزيارات المتكررة لبعض الدوائر الحكومية كونت لدى السيد محسن خبرة واسعة وموهبة وفراسة ومقدرة من الهمة والطموح فجعله والده وصيا على أملاكه على الرغم من وجود أخيه الكبير . شارك بمعظم القضايا الوطنية وهو أحد المجاهدين في الشعبية ١٩١٤ وثورة العشرين وغيرها من المواقف الوطنية للمزيد من التفاصيل ينظر : المدني، عز الدين عبد الرسول، محسن أبو طيبيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة الكوفة، ١٩٩٩؛ وينظر : أبو طيبيخ، أحمد كامل، السيد محسن أبو طيبيخ، سيرة وتاريخ، بغداد، ١٩٩٩، ص ٤٨ - ص ٤٩ .

نشاطهم السياسي وارسلوا برقية احتجاج الى وزارة الداخلية يشكون فيها تصرفات متصرف كربلاء " عبد العزيز القصاب " وشرطته التي اجبرت المصلحين وزعماء القبائل ومنهم " محسن ابو طيخ " بالفرار الى ابي صخير ومواصلة نشاطهم الا انه تشتت بعد حملة التشدد التي قامت بها الحكومة^(١٠١٤).

هذا الامر ولد اصطدام الملك فيصل بن الحسين بجدار الوطنية في العراق ومعرفته ان الحركات الوطنية ترفض التعاون مع الاحتلال البريطاني وهو احد الاسباب القوية لاستقالة الحكومة في ٢٠ / اب / ١٩٢٢ ، فقد الوطنيون هذه النتيجة ضربة وطنية موفقة ضد عاقدى المعاهدة ومؤيديها^(١٠١٥).

وعلى الرغم من كل المعوقات التي تعرضت لها الحكومتان البريطانية والعراقية عقدت المعاهدة بتاريخ ١٠ / تشرين الأول / ١٩٢٢ بنتائج مخيبة للامال الوطنية اذ اخضعت سياسية العراق الداخلية والخارجية لمشيئة البريطانيين والمالية والعدلية والدفاعية بيد المندوب السامي وفي ايدي المستشارين البريطانيين في الوزارات العراقية وفي مديرياتها العامة وتعهدت بريطانيا بادخال العراق في عصبة الامم وفي موعد لم تحدده وحددت المعاهدة لعشرين عاما^(١٠١٦). وكان عقد هذه المعاهدة نتيجة الضغوط المتعددة التي تفرضها الادارة البريطانية منها حبك الدسائس والمؤامرات المتمثلة بدفع غارات الوهابيين في ١١ / آذار / ١٩٢٢ على مناطق العراق الحدودية المتمثلة " بالنجف والسماوة " لتضغط بذلك على العراقيين بحجة تخليصهم من تلك الغارات كونهم غير قادرين في الوقت الحاضر على التصدي لخطرهم ولكن اصبحت لدى التيار الإصلاحى النجفي بصورة خاصة ولدى العراقيين بصورة عامة قناعة بأن الوهابيين ما كانوا ليتحركوا لولا موافقة بريطانية على تحرشاتهم ودفعها لهم^(١٠١٧).

ساند التيار الإصلاحى النجفي " الحزب الوطني " الذي أسسه " جعفر ابو التمن " وافتتح لهذا الحزب فرع تبناه التيار الإصلاحى النجفي في مدينة النجف^(١٠١٨). وساند التوجهات الوطنية التي تبناها حزب الاستقلال السري ، ومنها التأييد للكتاب السري الوطني الموجه الى الملك فيصل الأول يثير فيها انتباه الملك الى كثرة الهنود في العراق وان عددهم يزداد يوما بعد يوم مقابل اهمال المثقفين العراقيين وحرمانهم من الوظائف واغلاق ابواب الدوائر الحكومية بوجههم فضلا عن تدهور الحالة الاقتصادية في العراق وتزايد عدد العاطلين ، وكلف حزب " حرس الاستقلال " مؤيدهم طالب مشتاق بطبع الكتاب وهو يومئذ السكرتير الخاص لوزير المعارف محمد علي الحسيني الذي باركه وايده عند اكتشافه الامر ، وعمل على دفعه لتقديم الكتاب الى الملك فيصل ، اذ قال له مساندا : " لا ضير عليك يا بني انك كنت تطبع حقا كتابا سرىا طلبت اليك انا نفسي كتابته واوصيتك ان لا يراه احد مطلقا فاذهب وشأنك والله معك " ^(١٠١٩).

استمر المصلحون النجفيون المطالبة بالمزيد من الاحزاب السياسية في العراق. اذ طالبت صحيفة " النجف " بضرورة اتخاذ الخطوات الجادة لاجاد قانون يكفل تأسيس الاحزاب السياسية بحرية تامة فيخلاف ذلك - وعلى حد تعبير المصلح يوسف رجب - يصبح الشعب " من دون الاحزاب في عداد الموتى " ^(١٠٢٠). وهي السبيل الوحيد لاشراك المواطنين في السلطة وممارسة حقوقهم^(١٠٢١).

أما موقف التيار الإصلاحى النجفي من الهجمات الوهابية ١١ / آذار / ١٩٢٢ . فبعد عقد مجلس الوزراء اجتماعه في ٢٧ / آذار / ١٩٢٢ نصحهم المصلح محمد علي الحسيني بضرورة تدارك الموقف وطلب ايضاح موقف الحكومتين العراقية والبريطانية وبيان الرد على تلك الهجمات^(١٠٢٢) ، وكانت غارات الوهابيين ١١ / آذار / ١٩٢٢ مثار جدل في صفوف التيار الإصلاحى النجفي في شكل مواجهتهم وبخاصة ان الاشاعات الطائفية لعبت دورها بين العامة بأن هؤلاء جاءوا بقوة لا تجابه لتدمير العتبات المقدسة ، الا ان التيار الإصلاحى النجفي ادرك ان العمل بصورة منفردة لا ينفع الا بشكله التام ، ثم ان المصلحين النجفيين مدركون وواضعون نصب اعينهم أنهم تحت ظل حكومة وطنية تحافظ على كيان البلد وتصون كرامته ، لذا عزموا على ترتيب اجتماع موسع في دار المصلح محمد تقي الشيرازي في مدينة كربلاء بتاريخ ٩ / نيسان / ١٩٢٢ ، واستدعوا زعماء قبائل الفرات الاوسط ووجهائه وتم الاتفاق على ما يأتي :

١. التصدي للهجمات الوهابية .
٢. تجديد الثقة بسياسة الملك فيصل بن الحسين .

(١٠١٤) المدني ، المصدر السابق ، ص ٥٦ - ص ٥٧ .
(١٠١٥) الحسيني ، تاريخ العراق ... ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .
(١٠١٦) " آفاق عربية " ، (مجلة) ، بغداد ، ١٩٧٨ ، العدد (٩) ، ص ٣٣ .
(١٠١٧) الحسيني ، تاريخ الوزارات ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٠ .
(١٠١٨) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٧ .
(١٠١٩) مقتبس من مشتاق ، طالب ، المصدر السابق ، ص ١١٤ - ص ١١٥ .
(١٠٢٠) " النجف " ، (صحيفة) ، ٣ / كانون الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٤) ، ص ١ .
(١٠٢١) " النجف " ، (صحيفة) ، ١٠ / كانون الأول / ١٩٢٦ ، العدد (٦٥) ، ص ١ .
(١٠٢٢) الحسيني ، تاريخ العراق ... ، المصدر السابق ، ط ٥ ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ .

٣. طلب تعويضات لعمليات النهب والسلب التي مارسها الوهابيون على الحدود العراقية الحجازية^(١٠٢٣) .
في ١٢ / نيسان / ١٩٢٢ عقد اجتماع اخر برعاية التيار الإصلاحى النجفي في مدينة كربلاء وخرجوا بتوقيع وثيقتين رفعت الأولى الى الملك " فيصل بن الحسين " وبقيت الثانية عند رجال التيار الإصلاحى النجفي وغير الملك على المجتمعين بالارتياح الكامل لوجود مشاعر وطنية تعمل على حفظ وحدة العراق وسلامته^(١٠٢٤) .
وموضوع هاتين البرقيتين حسب الاهمية التي جاءنا بها :
١. معاهدة ١٩٢٢ والسياسة البريطانية الغاشمة في العراق .
٢. الغزوات الوهابية على الحدود العراقية^(١٠٢٥) .
وهو امر يكشف لنا عن خطأ " ايرلاند " باعتقاده ان الاجتماع هو لغرض التصدي للوهابيين وحسب^(١٠٢٦) .
بل ان حقيقته تنصب ضد معاهدة ١٩٢٢ وبالوقت نفسه ضد اداة البريطانيين " الوهابيين " لذا يكون كلا الحدثين مرتبطا جدليا بالآخر .

اصدر الملك فيصل بن الحسين ٢١ / تشرين الأول / ١٩٢٢ ارادته الملكية في الشروع بانتخابات المجلس التأسيسي، فأخذ المشاورون البريطانيون يسعون جمع اعضاء المجلس التأسيسي من اتباع مؤيدي التحالف البريطاني العراقي على وفق المعاهدة ١٩٢٢ ، فرفض التيار الإصلاحى النجفي شكل هذه الانتخابات بحجة ان قانون انتخاب اعضائه لا يعطي الحرية الكاملة للفرد في ابداء صوته ، ثم ان الانتخاب يجري على الذين هم من مؤيدي المعاهدة فضلا عن ان الصحافة وحرية الرأي يخضعان الى نوع من الحكم العرفي ، لذلك نشرت - وتأثير المصلحين النجفيين - الفتاوى المانعة للاشتراك في الانتخاب حتى يجاب الى المطالب الوطنية ومن هذه الفتاوى " لا يجوز الانتخاب ومن انتخب خرج من ربة الاسلام "^(١٠٢٧) وكانت ذات تأثير فعال اذ توقفت الانتخابات في بعض المدن العراقية وبخاصة في النجف وكربلاء والحلة والكوفة بل حتى في الموصل و العمارة و المنتفك^(١٠٢٨) .

وقال المصلح محمد جواد الجزائري بحق تلك الانتخابات قصيدة تعبر عن رفض الانتخابات منها :

تغالطنا اصول الانتخاب	على تأسيس مجلسنا النيابي
تغالط حول مبدئنا المفدى	ومبدؤنا استقر على حسابي
تغالطنا عليه وفيه غنى	و طوح للملاحادي الركاب
اصول سياسة لفقت شركا	لصيد العراق بغير العراق
يقود زمامها الغربي حتى	يتاح له الدخول بكل باب
حذارك أيها العربي منها	حذارك من حوادثها الغضاب
تنحي يا اصول الغدر عنا	فلمست اصول شرعا الانتخاب
مشيت على مغالطة ولكن	مشيت على اسمها مشي الغراب ^(١٠٢٩)

واعترف ايرلاند بأن المجلس الذي بذل البريطانيون جهدا لجمعه هو اداة سياسية استعمارية ، اذ قال :
وهكذا اريد بالمجلس ان لا يصبح اداة للحكم فقط بل وسيلة من وسائل السياسة ايضا تحافظ على المعاهدة وتسهل امور الادارة بموجب الالتزامات التي اخذتها بريطانيا العظمى على عاتقها كدولة منتدبة^(١٠٣٠) .

وكان التيار الإصلاحى النجفي يمت بصلات سياسية باحد اقطاب السياسة العراقية وهو ياسين الهاشمي^(١٠٣١) الذي يحظى بالتأييد والمساندة من المجالس النجفية وبخاصة مجلس المصلح عبد الكريم الجزائري

(١٠٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٥ ؛ الحسين ، الوزارات ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٠ .
(١٠٢٤) الحسين ، تاريخ الوزارات ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٤ .
(١٠٢٥) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
(١٠٢٦) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .
(١٠٢٧) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٨٦ .
(١٠٢٨) المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ ؛ الحسين ، عبد الرزاق ، تاريخ العراق ... ، المصدر السابق ، ط ٥ ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ؛ ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .
(١٠٢٩) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٨٦ .
(١٠٣٠) مقتبس من ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
(١٠٣١)

ولد ببغداد في محلة (البارودية) عام ١٨٨٢ وقضى طفولته فيها وشطر من حياته الأولى وكان يشترك مع صبيته بالعبابهم وعراكمهم ودخل الكتاتيب وأثر دراستها الدينية في تفكيره ، وفي سنة ١٨٩٠ انتقل الى المدارس الحكومية وهي الرشدية العسكرية ذات الخمسة صفوف بالمرحلة الابتدائية التي اكملها بنجاح وفي سنة ١٨٩٥ دخل المدرسة الإعدادية العسكرية واستطاع اتقان اللغتين التركية والفرنسية وتعلم بنفس الوقت الرياضيات والاقتصاد والتاريخ ثم في سنة ١٨٩٩ ذهب الى اسلام بول ودرس في كليتها الحربية تخرج منها برتبة ملازم عام ١٩٠٢ ثم دخل كلية الأركان الحربية وتعرف على عزيز علي المصري وجعفر العسكري وعلي جودت ونوري السعيد وجميل المدفعي تخرج منها عام ١٩٠٥ برتبة ضابط ممتاز ولكن بدون رتبة الأركان لارتكابه عدة مخالفات لا تتسجم مع الروح العسكرية بسبب وجود الصحف بين أوراقيه وعدم اطفائه المصباح في الوقت المحدد كان بارز النشاط في الحياة السياسية في الحكم الوطني بالعراق الا انه اتخذ خطة المعارض . للمزيد من التفاصيل ينظر : القيسي ، سامي عبد الحافظ ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية ١٩٢٢ - ١٩٣٦ ، البصرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٥ .

الذي يستقي منه الهاشمي التوجهات الاصلاحية وي طرحها على الطاولة السياسية في بغداد^(١٠٣٢) ، وقد استفاد الهاشمي في علاقته بالتيار الاصلاحى النجفي ، فجهود المصلحين النجفيين التفت حوله اكثر قبائل الفرات الاوسط ، اذ قام التيار الاصلاحى النجفي وبوساطة مجالسه بدعاية منظمة للسياسية الهاشمية المعارضة ، وتحدث جعفر الخليلى عن هذا التفاهم بين الهاشمي والمصلح عبد الكريم الجزائري بأنه " نتيجة التفاهم السياسى الذى كان قد تم بينه وبين الهاشمي في النجف وفي بيته نفسه [مجلسه] "^(١٠٣٣) .

وطالبت الحكومة التركية في مؤتمر " لوزان " في سويسرا سنة ١٩٢٣ بالحاق الموصل بأراضيها كونها خارج النفوذ البريطانى عند اعلان هدنة " مودروس سنة ١٩١٨ " ، فعمل التيار الاصلاحى النجفي على مجابهة هذه المشكلة بتهيئة الراى العام و ابراق كتب الاحتجاج الى مختلف الاوساط السياسية في بغداد تطالب بضرورة حسم قضية الموصل لصالح العراق ونظمت القوائد الملهبة للمشاعر الوطنية ومنها ما انشده المصلح محمد علي اليعقوبي مخاطبا المجلس التأسيسي :

يا أيها النواب صونوا شعبكم
بالاتحاد وبالحمى والبأس
الموصل الحدباء رأس بلادكم
والجسم يفنى بعد قطع الرأس^(١٠٣٤)

ووقع حل مشكلة الموصل بعهدة السياسى المتعاون مع التيار الاصلاحى النجفي وهو " ياسين الهاشمي " عند تسنمه منصب رئاسة الوزارة الهاشمية الأولى في ٤ / اب / ١٩٢٤ فأملوا عليه بكتب وتوجيهات بضرورة الحفاظ على أرض الموصل بوصفها جزء من العراق لا يتجزأ ومن دون قيد او شرط وتوصلت الوزارة الى تحويلها الى قضية دولية فأوفدت عصبة الامم لجنة دولية للتحكيم التي اقرت اخيرا عروبة أرض الموصل ، ومن نتائج هذه القضية السياسية ابرام اتفاق نفطي يقضي باعطاء امتياز النفط في الموصل الى " شركة النفط التركية " والذي تم الاتفاق عليه بتاريخ ١٤ / اب / ١٩٢٥ تحت ضغط الحكومة البريطانية وتهديدها بسلخ الموصل فيما لو رفضت الحكومة الهاشمية اعطاء الامتياز فكان لهذا الاجراء دوره السلبي في توتر العلاقات بين ياسين الهاشمي ورئيس الوزراء وبين المصلح محمد رضا الشبيبي بسبب اشتراط الحركة الاصلاحية النجفية عودة الموصل دون قيد او شرط فاستقال المصلح محمد رضا الشبيبي من وزارة المعارف فضلا عن اتهامات ياسين الهاشمي للشبيبي بأنه مثير للراى العام وتكدير صفو الوزارة الهاشمية في مدينة النجف ذات التأثير المباشر على قبائل الفرات الاوسط^(١٠٣٥) . وكتب المصلح محمد رضا الشبيبي في جواب استقالته: " صاحب الفخامة رئيس مجلس الوزراء الموقر بعد التحية : حيث أنه لا يسعني الموافقة على اتفاقية شركة النفط التي هضمت بموجبها على ما اعتقد حقوق العراق فأني اتقدم الى فخامتكم بانسحابي من المجلس الموقر هذا ولفخامتكم مزيد الاحترام "^(١٠٣٦) .

ورفض التيار الاصلاحى النجفي الدسائس التركية برفضه مقابلة الوفد التركى القادم مباشرة الى مدينة النجف بتاريخ ١٥ / تشرين الاول / ١٩٢٥ لمقابلة المصلحين النجفيين ومنهم ابو الحسن الموسوي الذي أغلق جميع ابواب الحوار بوجههم^(١٠٣٧) .

ونقلت " صحيفة النجف " صور معبرة عن احتفالات مدينة النجف بانتصار قضية الموصل لأنها تمثل جزءا من الحس الوطنى في نفوس المدينة حتى وصفت بأنها تقع في " صلب وحدة الوطن "^(١٠٣٨) . ووقف التيار الاصلاحى النجفي من المعاهدة البريطانية العراقية الثانية ١٩٢٦ موقف المتشكك لأنها اقرنت بقضية الموصل . اذ رفض قرار لجنة التحكيم في مادتها الثانية التي تنص على القول " بدعوة مجلس عصبة الامم حكومة بريطانيا ان تعرض معاهدة جديدة مع حكومة العراق تضمن تمديد اجل نظام الانتداب لمدة خمسة وعشرين عاما كما هو مبين في معاهدة التحالف بين بريطانيا والعراق التي صدقها المجلس التأسيسي ٢٧ / ايلول / ١٩٢٤ " ،

^(١٠٣٢) كان زعيم المعارضة الوطنية السيد ياسين الهاشمي يستلم توجيهاته من قبل التيار الاصلاحى النجفي بوساطة أحد رجالات الإصلاح البارزين وهو المصلح عبد الكريم الجزائري في مسائل سياسية مهمة وبخاصة ما يتعلق باستقلال العراق ومعاهداته مع البريطانيين ووجود المستشارين البريطانيين في الدوائر والانتخابات والتعليم وغيرها من المهام الوطنية التي كانت تطرح على ياسين الهاشمي في مجلس المصلح عبد الكريم الجزائري . للمزيد عن التفاصيل علاقة ياسين الهاشمي مع المصلح عبد الكريم الجزائري ينظر : المحامي ، كاظم معله ، بين الجزائري والهاشمي ، " القادسية " ، (صحيفة) ، العدد (٢٩٥٣) ، بغداد ، ١٩٩٢ / ٧ / ٥ ، ص ٢ .

^(١٠٣٣) الخليلى ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

^(١٠٣٤) الشرفي ، طالب علي ، النجف الأشرف ... ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

^(١٠٣٥) الحسنى ، تاريخ وزارات ... ، المصدر السابق ، ط ٣ ، ج ١ ، ص ٢١٧ ؛ الحسنى ، تاريخ العراق ... ، المصدر السابق ، ط ٥ ، ج ٣ ، ص ٣٥ ؛ الخليلى ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

^(١٠٣٦) الحسنى ، تاريخ وزارات ... ، المصدر السابق ، ط ٣ ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

^(١٠٣٧) D. K. W., The files of the Royal Palace, fold (379), from Nasiriyah, No. (118), To Air staff Intelligence, TURKISH AGENTS AND THE ULIMA, Document (16), 19 – 12 – 1918, p. (20).

^(١٠٣٨) " النجف " ، (صحيفة) ، ١٨ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٦) ، ص ٣ .

وعلى الرغم من مناورات الحكومة السعودية الثانية^(١٠٣٩)، اضطرت الوزارة الى قبول هذه المعاهدة بتاريخ ١١/كانون الثاني/١٩٢٦، ووقف المصلح محمد رضا الشبيبي واخوه محمد باقر الشبيبي المنتميان الى "حزب الشعب"^(١٠٤٠) موقفاً متشدداً رافضاً السياسة البريطانية الانتهازية مؤكداً: "ان الحكومة البريطانية هي نفسها ملزمة بالاحتفاظ بولاية الموصل لاقتضاء مصالحها واستغلال معادنها خاصة النفط الذي تتوقف عليه حياة اسطولها البحري في البحر المتوسط"^(١٠٤١)، ورفضاً امر هذه المعاهدة لأنها تؤدي الى ربط الشعب العراقي بالاستعمار وتحميل الشعب ما لا طاقة له وتستنزف ثرواته^(١٠٤٢). ولكن المصلح عبد المحسن شلاش صوت لصالح المعاهدة والموافقة على ابرامها فضلاً عن سبعة وخمسين نائباً بمجلس النواب الذي حرصوا على الحفاظ على أرض الموصل بكل ثمن وتضحية^(١٠٤٣).

وقدمت الى النجف اشاعات من بغداد تفيد ان الوهابيين قد خربوا قبر الرسول محمد " صلى الله عليه واله وسلم " فأثار التيار الإصلاحي موجة من الاضطرابات التي تزامنت مع زيارة الملك فيصل بن الحسين لمدينة النجف بتاريخ ٢٠ - ٢٢ / كانون الثاني / ١٩٢٧ فاعلقت المحلات العامة واقامت المظاهرات وشجت الجوامع بالسواد والغيت الاحتفالات وعند اجتماع الملك بزعيم التيار الإصلاحي النجفي ابو الحسن الموسوي الذي طلب من الملك :

١. تعزيز لائحة التجنيد الاجباري التي ستقدم قريباً الى المجلس النيابي .
 ٢. توجيه النشاط السياسي والديني لاجهاض تحركات " الوهابية " والحد من نشاطهم .
- ووافق الملك على المبدأ الثاني واعتذر عن الأول^(١٠٤٤)، واستخدم البريطانيون كعادتهم ورقة الوهابيين لتنفيذ سياساتهم في محاولة الحصول على ما يبيغونه من معاهدة، ورفض التيار الإصلاحي النجفي هذا الموقف فتعاون المصلح محمد رضا الشبيبي من جديد مع ياسين الهاشمي في تنظيم الاضطرابات في مدينة النجف واثارة الرأي العام فيها^(١٠٤٥).

ووقف التيار الإصلاحي النجفي من الكتاب المنهجي الذي ألفه احد المدرسين المستقدمين من سوريا ويدعى " انيس زكريا النصولي"^(١٠٤٦)، وكتابه يدعى بـ " الدولة الاموية في الشام"^(١٠٤٧) عام ١٩٢٧ موقفاً رافضاً

(١٠٣٩) اثر صدور قرارات عصبة الامم المتحدة بشأن قضية الموصل ابرق رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون الى الحكومة البريطانية بالموافقة بعهدة المعاهدة في ٢٩ / كانون الأول / ١٩٢٥ الا ان ينظر في القضايا المتنوعة من المعاهدة السابقة (الموظفين - المالية - العديلية) وضرورة ادخال العراق عصبة الامم الا ان البريطانيين رفضوا هذه المطالب فأبرق السعدون الى الملك قرار استقالته الا انها رفضت فرجع الى البرلمان ليقود مع حزبه (التقدم) الضغوط على النواب مذكراً بقضية الموصل والخوف من ضياعها . الحسني ، تاريخ العراق ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(١٠٤٠) هو حزب المعارضة الذي يقوده ياسين الهاشمي الذي ألفه في ٢٠ / ٢ / ١٩٢٥ رفض قبول المعاهدة الثانية اضافة الى انه منافس لحزب التقدم ورئيسه عبد المحسن السعدون الذي ألفه في ١٦ / تموز / ١٩٢٥ والتيار الإصلاحي النجفي متعاطف مع حزب الشعب ويتفق في نشاطه السياسي ومن الأعضاء المصلحين فيه محمد رضا الشبيبي واخيه محمد باقر الشبيبي ومن أعضائه عبد المهدي المنتفكي . الحسني ، عبد الرزاق ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، ج ٢ ، ص ١٠٧ . وللمزيد عن تفاصيل علاقة التيار الإصلاحي النجفي وحزب الشعب وزعيمه ياسين الهاشمي ينظر : المحامي ، كاظم معله ، بين الجزائري والهاشمي ، " القادسية " ، (صحيفة) ، بغداد ، ٥ / تموز / ١٩٩٢ ، العدد (٣٩٥٣) ، ص ٤ .

(١٠٤١) الحسني ، تاريخ العراق ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٧ . الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٦٥ ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(١٠٤٢) الحسني ، تاريخ العراق ... ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(١٠٤٣) الحسني ، تاريخ الوزارات ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(١٠٤٤) المدني ، المصدر السابق ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(١٠٤٥) الخليفي ، هكذا ... ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .

(١٠٤٦) هو أحد المتعلمين السوريين من أسرة تجارية غنية سكنت في بيروت وهو متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٢٤ وهو مهتم بالدراسات التاريخية الإسلامية العربية فنشر للصحف العربية وخاصة المصرية (الهلال - المقطف - الزهراء) فصولاً من التاريخ العربي الاسلامي وهو صاحب الكتاب الذي فاز به بالمركز الأول في المسابقة التي نظمتها الجامعة الأمريكية عنوانه " أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر " انتدبته حكومة العراق للتدريس في المدارس الثانوية (مادة التاريخ) سنة ١٩٢٦ فدرس بالموصل ثم انتقل الى بغداد ليدرس مادة التاريخ الاسلامي في الصفوف الثانوية المركزية ودار المعلمين . ألف كتاب في تاريخ الدولة الاموية سنة ١٩٢٧ ويدعى " الدولة الاموية في الشام " والذي أثار موجة من الانقسامات داخل صفوف المجتمع العراقي . العمري ، عمري ، حكايات سياسية ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(١٠٤٧) اطلع الباحث على ثنايا هذا الكتاب وهي النسخة الأصلية التي طبعت بدار السلام في بغداد عام ١٩٢٧ واستهل بمقدمة تعريفية بالكتاب وطريقة بحثه والغاية التي ينشدها الباحث من كتابه وهي خطوط توضح المغزى من تأليفه الكتاب اذ قال : " اننا لم نقسم فصوله حسب السنين أو الملوك أو الحداثات أو الفتن أو الحروب كما فعل غيرنا ولم نهتم في جمع الحقائق حولها فنجعلها نقطة الدائرة الذي يدور عليه كلامنا بل رتبنا كتابنا هذا حسب حركات تعتقد انها صورة حية للمبادئ والأفكار التي قام بها الأمويين في العصر الذي سادوا فيه وتغلّبت مدنيتهم على العالم المعروف يومذاك " أما أهم الأعمدة التي كتب عنها كتابه ١ - تأسيس الدولة الأموية ٢ - مأساة الامام الحسين (عليه السلام) ٣ - الحركة الزبيرية ٤ - سياسة الشدة ومظاهرها ٥ - الفتوح الأموية ٦ - العمل والإصلاح في الدولة الأموية ٧ - العمران الأموي ٨ - الأحوال الاجتماعية في العصر الأموي ٩ - الأدب الأموي ١٠ - أسباب سقوط الدولة الأموية . وإذا بحثنا في مقدمته نجدته يشدد على نقطة أثارها باهتمام شديد اذ قال : " اننا جربنا ان نعمل العقل والبصيرة فيما كتبناه فلم نشيد بفضل من لبسوا من الفضل في شيء ولم نجعل لعلاقتنا الدينية والطائفية والسياسية والاجتماعية تأثيراً في تدويننا التاريخي اننا أردنا ان نثبت الحقائق ونفسرها حسب اجتهادنا " ! ووجدنا بعض نقاط الاختلاف التي اعترض حولها العامة =

= وأثارت الاضطرابات وأشعلت نار الطائفية والتي تشدد التيار الإصلاحي النجفي حولها : ١ - التحيز والتملق ٢ - وضع تسميات حديثة معاصرة على أحداث تاريخية اسلامية سابقة بل العكس فلقد لطح هذه الأحداث بتسمياته المعاصرة منها " الحرب الأهلية " و " الدكتاتورية " و " النزاع بين معاوية وعلي " ٣ - السب والشتم لشخصيات تاريخية معروفة ٤ - التضليل وإخفاء الحقائق ٥ - إثارة الطائفية والعنصرية في نفوس العامة فيما كتبه : " وإذا تتبعنا مصدر هذه الفتن نتحققنا ان محركها الأكبر هو استثمار الزعماء والأحزاب للصفات الدينية في سبيل الوصول الى غاياتهم السياسية " .

لاصداره وعده امرا سياسيا خطيرا اذ يعمل على اشعال فتيل الطائفية والمذهبية وتمزيق وحدة الصف بين الشعب العراقي واحتج التيار الاصلاحي النجفي بشدة لاصداره وطرح هذا الاحتجاج عند زيارة الملك فيصل بن الحسين الى مدينة النجف في ٢٠ / كانون الثاني / ١٩٢٧ بل ان المصلحين التمسوا من جلالته طرد المدرس المذكور والغاء منهجية كتابه ، ووضحوا ما في ثناياه من دس وتفروق وحذروه من مغبة عدم القيام بعمل يزيل خطره ، ولضغط المصلحين النجفيين والعامه فصله وزير المعارف عبد المهدي المنتفجي من سلك التدريس وابطل منهجية كتابه ونص كتاب فصله : " لا مجال للدفاع عن قضيتك ، تسدد لكم وزارة المالية حسابكم عاجلا ، انصحوا اصدقاءكم السوريين والعراقيين من الاساتذة ان لا يعترضوا فتصبيهم العقوبة الشديدة " (١٠٤٨).

وقال حينها الشاعر محمد مهدي الجواهري عند اعلان قرار الفصل مادحا للوزير :

حي الوزير وحي العلم والأدبا
وحيها ضربة للجهل قاضية
مجالس العلم قد عجت بها طربا
وحيه ناهضا غيران ملتها (١٠٤٩)

تعرضت " صحيفة النجف " لقضية النصولي بوعي وطني واسع يدل على الحرص الشديد في الدفاع عن الوحدة الوطنية وردع كل المحاولات التي تمس وحدة هذا الكيان ناقدة الاقلام الصحفية في تفخيم الموضوع وتوسيعه بغية احداث فرقة داخل المجتمع لا تفيد الا الاجنبي المغرض (١٠٥٠) ، واشعرت " صحيفة النجف " الوزارة العسكرية بضرورة تنفيذ واجباتها من الحزم والقوة والاخلاص في هذه القضية (١٠٥١).

ووقف التيار الاصلاحي النجفي ضد معاهدة ١٩٣٠ التي ابرمها رئيس الوزراء نوري السعيد في عهد حكومته المشكولة في ٢٣ / آذار / ١٩٣٠ ووقع على بنودها المجحفة بالحقوق الوطنية في ٣٠ / حزيران / ١٩٣٠ ولم يتخلف عن هذا الموقف الا المؤيد للاصلاح وهو سعد صالح الذي وافق على سياسية نوري السعيد بعقد المعاهدة معتقدا بأنها معاهدة تضمن استقلال العراق ودخوله الى عصبة الامم الا ان الموقف الواضح للحركة الاصلاحية النجفية هو الرفض التام لما لا يضمن الحقوق الكاملة في الحرية والاستقلال مما ادى الى تشديد الحكومة الوطنية من ضغوطها وقبضتها على رجال الاصلاح في مدينة النجف (١٠٥٢).

وانتقد التيار الاصلاحي النجفي سياسة البلاط الملكي القائمة على التمسك لما يدعى بالانظمة والمشائخ وتشجيع نظامهم بقانون القبائل او غيره من الانظمة الرجعية الطامعة في الاثرة والتوسع والنفوذ ، ويبدو انها كانت سياسة قبلية اكثر مما تكون متمدنة اذ كانت مبتعدة عن الحواضر العراقية المهمة كالنجف و كربلاء بل كانت تقرب الجماعات الثرية وتشجع تكوينها والحفاظ على هيأتها (١٠٥٣) . وفي الوقت نفسه تخدم السياسة البريطانية وتشجعها ؛ ففي تقرير لها لسنة ١٩٣١ ابرزت عددا من القبائل في منطقة الفرات الاوسط " عبد الواحد آل سكر وعبادي آل حسين وسماوي الجلوب " من زعماء آل قتلة " ، ومرزوق العواد " من العوابد " وعمران وعلوان آل سعدون " من بني حسن " وسعدون آل ريسان " من الاكرع " وشعلان العطية " شبانه - الاكرع " وصال الفاضل " الاكرع " ، وسيد محسن ابو طيبخ " أبو طيبخ " ويشير التقرير الى ان سياستها الاستعمارية في التفارقة وسياسة ضرب القبيلة باخرى ، اذ جاء فيه : " بالرغم من ان القائمة مخيفة وتشير الى حقيقة ان الخلافات الشخصية قد هبطت فان هذا الامر في حالته غير مشجع في الوقت الحاضر " (١٠٥٤).

ثالثا : موقف التيار الاصلاحي النجفي من القضايا القومية :

المصلحون النجفيون ومبدأ القومية العربية :

ينظر التيار الاصلاحي النجفي للقومية العربية على أنها مبدأ يقوم على مفاهيم جليلة خالصة تشعر الفرد بميول نفسية متأصلة تتجه نحو رابط ذهني من بواعث الذكريات التاريخية [الوحدة التاريخية] والانفعال لمدلولاتها على اختلاف مبادئهم واديانهم [وحدة الشعور] ودمج ابناء هذه الامة في وحدة عقلية نابعة من اللغة العربية التي

أي بمعنى انه صيغ جميع الأحداث الاسلامية في عهد الدولة الأموية بالطابع السياسي ٦ - اعتماده على بعض المصادر الضعيفة منها " الحيوان " للجاحظ . للمزيد من التفاصيل ينظر : النصولي ، أنيس زكريا ، الدولة الأموية في الشام ، بغداد ، ١٩٢٧ .

(١٠٤٨) العمري ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

(١٠٤٩) ديوان الجواهري ، ص ٢١٤ .

(١٠٥٠) " النجف " ، (صحيفة) ، ٤ / شباط / ١٩٢٧ ، العدد (٧٢) ، ص ١ .

(١٠٥١) المصدر نفسه ، ص ١ .

(١٠٥٢) الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٧ .

(١٠٥٣) الشرقي ، علي ، الأعلام ، ص ١٧٨ .

(١٠٥٤) D. K. W., The files of the Royal Palace, fold (385), From S. S. O. DIWANIAH, To Air staff Intelligence, MIDDLE EUPHRATES, Document (3), p. (32).

تضم تحت ظلالتها ومخارج حروفها جميع الاحاسيس والاغراض والآمال وكل ما تريد ان تعبر عنه تلك الامة مما تزخر به مشاعر ابناؤها [وحدة اللغة] وقيام فلسفة منطقية توجه عقول ابناء هذه الامة الى مثلهم الأعلى وتحميها من الولوج بمذاهب فلسفية اخرى لا تتماشى مع قيمها والمعاني الروحية التي تنشدها [وحدة المشيئة او المصالح المشتركة] ؛ فالتيار الإصلاحى النجفي يدعوا الى هذه الوحدة وهذه القومية البعيدة عن روابط الدم او الدين او العرق^(١٠٥٥) . وهي نظرة توفيقية بين القومية والاسلام لمعالجة الاوضاع المتردية في الوطن العربي فعملوا على فضح الاستبداد العثماني وضعفه وتشجيع البوادر القومية^(١٠٥٦) . وكذلك كان منحى توفيقيا بين العلم والدين والوطنية ومبادئ الاصلاح والتحديث ؛ فالعلم عند الاسلام هو القومية فمن يدافع عنه يعلى شأن العرب لكونه نتاج العقلية العربية والذي عالج مشكلات العرب في الجزيرة العربية^(١٠٥٧) . وبذلك جمع التيار الإصلاحى النجفي تطور المسلمين بتطور العرب ويؤكد ان انحطاط العرب هو تركهم كتاب الله وسنن نبيه^(١٠٥٨) وهذا يضعنا امام حقيقة ثابتة هي ان التيار الإصلاحى النجفي هو أول من وضع القومية العربية باطار اسلامي يضمن التحديث ويوظف المشاعر القومية .

وتحدى السيد طالب النقيب " نقيب البصرة " بعد انقلاب الاتحاديين ١٩٠٨ سلطة جمعية الاتحاد والترقي وصفة هذا التحدي صفة القومية العربية التي اتخذت خطأ معارضا للعثمانيين^(١٠٥٩) ولا يخفى ان التيار الإصلاحى النجفي ذو علاقة وطنية بالسيد طالب النقيب اذ كان يشجعه على هذا الخط وكانت صلة الوصل بينهم احد رجالها وهو المصلح علي الشرقي^(١٠٦٠) . وهذا امر يضعنا امام حقيقة ان التيار الإصلاحى النجفي يدعم حركة القومية المنبثقة في مدينة البصرة وهي المدينة التي انتخب رجالها جميعا سنة ١٩١١ لمجلس " المبعوثان " من الصف المعارض لسياسة الاتحاديين وهم اسرة آل النقيب في البصرة وعلى رأسهم طالب النقيب^(١٠٦١) .

كان لعنصرية الاتحاديين دور مهم في نمو الوعي القومي عند رجال التيار الإصلاحى النجفي، فاجراءاتهم التعسفية استفزت مشاعر العروبة في داخلهم وعمقت احاسيسهم بمبدأ القومية^(١٠٦٢) الا ان هذا الامر لم يخرج عن المطالبة بالاستقلال التام حتى نشوب الحرب العالمية الأولى^(١٠٦٣) ويمكن تسويغ ذلك بأنهم ارادوا الحفاظ على وحدة الدين والرابطة الاسلامية بين العامة ، والخوف من النوايا الغربية " يساعده في ذلك العجز العسكري العثماني " في التدخل المباشر بشؤون الدولة العثمانية وولاياتها .

موقف التيار الإصلاحى النجفي من الاحتلال الايطالي لليبيا :

تعرضت ليبيا الى عدوان اوربي اسفر عن احتلالها في ٢٩ / اب / ١٩١١ على يد الاستعمار الايطالي^(١٠٦٤) الذي خلق ردود فعل كبيرة في مدينة النجف اذ خرجت التظاهرات والقيت القصاصد الحماسية ودعا الخطباء الى نبذ الخلافات وتوحيد الجهود ثم دعا التيار الإصلاحى النجفي الى جمع التبرعات فتم جمع ١٤٢ ليرة ذهبية خلال يوم واحد^(١٠٦٥) . وافقى التيار الإصلاحى النجفي بوجوب الدفاع والجهاد عن هذا البلد العربي المسلم وبعض ما جاء في الفتوى التي اصدرها زعماءه محمد كاظم الخراساني ومحمد سعيد الحويبي ومحمد جواد الجواهري : " ... أيها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والمحافظون لبيضة الاسلام لا يخفى عليكم ان الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الاسلام وثغوره مما قام اجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه قال الله سبحانه: " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله " هذه جنود ايطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من اعظم الممالك الاسلامية واهمها وخربوها وابدوا ابنيتها وقتلوا رجالها ونساءها واطفالها ما لكم تلبغكم دعوة الاسلام فلا تجيبوه ؟ وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون ؟ أ تنتظرون ان يزحف العدو الى بيت الله الحرام وحرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والائمة عليهم السلام ويمحو الديانة الاسلامية ... " ^(١٠٦٦) .

(١٠٥٥) العجلي ، المصدر السابق ، ص ٣٧ ؛ نظمي ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(١٠٥٦) " العلم " ، ٢٠ / ايلول / ١٩١٠ ، العدد (٨) ، ص ٣٧٤ .

(١٠٥٧) المصدر نفسه ، ٣ / كانون الأول / ١٩١٠ ، العدد (٩) ، ص ٣٩٠ .

(١٠٥٨) المصدر نفسه ، ٢٥ / حزيران / ١٩١٠ ، العدد (٥) ، ص ٢٣٤ .

(١٠٥٩) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

(١٠٦٠) فراتي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ ؛ عواد ، عبد الحسين مهدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦ ؛ كمال الدين ، محمد علي ، التطور الفكري ... ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(١٠٦١) ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

(١٠٦٢) ويسين ، ناهدة حسين علي ، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير (١٨٣١ - ١٩١٧) ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص ٤٨ .

(١٠٦٣) برو ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(١٠٦٤) للمزيد عن تفاصيل هذا العدوان ينظر : العقاد ، صلاح ، المغرب العربي دراسة في تأريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، ط٥ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

(١٠٦٥) ويسين ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(١٠٦٦) " العلم " ، ٢٣ / تشرين الثاني / ١٩١١ ، العدد (٦) ، ص ٢٤٦ .

ولم يكتف التيار الإصلاحى النجفى بهذا الحد بل نشط شعراؤه وبرزهم المصلحون محمد رضا الشيبى ومحمد باقر الشيبى وعلى الشرقى ومحمد حسين آل كاشف الغطاء ومحمد على اليعقوبى وسعيد كمال الدين . وارسال رسولين الى ليبيا هما مسلم زوين و عزيز بك " قائمقام النجف " المستقيل عن حزب " الاتحاد والترقى " لدراسة امكانية الاشتراك فى الجهاد^(١٠٦٧) . وانشد المصلح على الشرقى قصيدة " رفيف الارواح " محتجا على غدر الايطاليين للعالم الاسلامى ومنتقدا تصرفاتها الاستعمارية داعيا ابناء العمومة للوقوف صفا واحدا للدفاع عنها وطرد الاجانب منها ، اذ قال :

ما لروما فلا استوى عرش روما
جبنتم عن نضال كل قوى
نطحتم برقة و برقة واحات
أبني العرب لا براح عن الحرب
ورمال الصحراء لا ترهب الأشباح
فتلت ذيلها و عجت نباحا
فاغارت على الزوايا اكتساحا
من النخل ما عرفن النطاحا
و الا عن الفخار براحا
ان جلن جيئة و رواحا^(١٠٦٨)

وكان رباط القومية العربية بين الحركة الاصلاحية النجفية ورجال الوطنية فى اليمن هو رباط الشعر ؛ فالنجفيون الهبوا المشاعر القومية العربية والحرية وروح الاستقلال عند " امراء اليمن وائمتها "^(١٠٦٩) وخير ما عبر به المصلحون النجفيون عن ارادتهم القومية هو الصحافة فمجلة " العلم " ، وبقلم محررها المصلح محمد على الحسينى ورجال الاصلاح " بتواقيع مستعارة " دور فى اعطاء القضايا القومية الاهتمام الكافى ؛ فمن دعواتهم القومية الدعوة الى النهوض والاستقلال وتحرير الامة من براثن الاحتلال^(١٠٧٠) ، ونشرت استعداد امراء اليمن ورجالها لحملة الجهاد ضد الايطاليين والدفاع عن ليبيا فقد نشرت برقية امام اليمن المتوكل على الله يحيى والامير محمد بن ادريس الى الصدارة فى الدولة العثمانية جاء فيها : " بلغنى ان بعض الاجانب يتجاوزون على طرابلس الغرب والحديدة فانا على اهبة الاقدام بمائة الف فدائى مبارز حتى يمن الله باعلاء كلمته "^(١٠٧١) ، وسبق هذا الطلب مناجاة التيار الإصلاحى النجفى لامام اليمن المتوكل على الله بصفته واحدا من امراء العرب وتناشد الامام فيها الاتحاد والتضامن والوقوف صفا واحدا لمواجهة خطر العدوان الايطالى وضرورة الذب عن أرض العربىة والدفاع عن مقدساتهم : " الامام يحيى اتحد معنا لدفع ايطاليا "^(١٠٧٢) .

ونشرت مجلة " العلم " ردود الفعل عن جماهير اليمن عند دخول الايطاليين لليبيا بغية رفع المعنويات الوطنية وتشجيعها للمعاني القومية الصادقة والتدليل على التواصل القومى بين رجال الحركة الوطنية فى اليمن ورجال الحركة الاصلاحية فى النجف فنشرت " العلم " : " ورد نبأ من الحديدة يفيد ان السيد الادريسي استاء من اعتداء الايطاليين وارسل كتابا الى قائد القوة العمومية فى اليمن يطالب منه مساعدته للسفر مع اربعين الف مجاهد الى السواحل الايطالية بالسنايق للجهاد "^(١٠٧٣) . وعلى اثرها نظم التيار الإصلاحى النجفى مظاهرات صاخبة فى مدينة النجف استنكارا على تدخلات الاجانب واستعمارهم وعقدت اجتماعات ومباحثات بل وصل الامر الى تشكيل لجان للتطوع فى مدينة النجف^(١٠٧٤) .

المصلحون النجفيون والثورة العربية فى الحجاز :

وأيد التيار الإصلاحى النجفى الثورة العربية ١٩١٦ التى اندلعت فى الحجاز بقيادة الشريف الحسين بن على^(١٠٧٥) وبخاصة ان هذه المدة تزامنت فيها الرغبة الشديدة فى التخلص من الاستبداد العثماني وعبوديته^(١٠٧٦) ، فساند المصلحون النجفيون ثورة الحسين وتتبعوا اخبارها وسير معاركها بالرغم من تعمد البريطانيين تعقيم احداثها على العراقيين ولكنهم نشروا اخبارا قليلة بين صفوف العراقيين محاولة منهم لتشجيع روح الكراهية ضد العثمانيين وطردهم ، ولكن بشكل عام فإن البريطانيين منعوا نشر اخبار الثورة و احداثها : " لأنها تخلق شعورا عربيا قوميا فى العراق يصطدم بالسياسة البريطانية "^(١٠٧٧) . أما كيف تصل اخبار ثورة الحسين الى صفوف الحركة الاصلاحية

(١٠٦٧) ويسين ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ؛ كمال الدين ، محمد على ، ذكرى السيد عيسى ... ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(١٠٦٨) عواد ، عبد الحسين مهدي ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ - ص ١٨١ .

(١٠٦٩) " العلم " ، ٢٣ / تشرين الثاني / ١٩١١ ، العدد (٦) ، ص ٢١٨ .

(١٠٧٠) الدعوى ، مليحة عزيز ، الحس القومى فى الشعر النجفى المعاصر ، اطروحة دكتوراه ، كلية القائد للنبات - جامعة الكوفة ، ١٩٩٥ ، ص ٣٢ .

(١٠٧١) " العلم " ، ٢٣ / تشرين الثاني / ١٩١١ ، العدد (٦) ، ص ٢٤٨ .

(١٠٧٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

(١٠٧٣) " العلم " ، ٢٤ / تشرين الأول / ١٩١١ ، العدد (٥) ، ص ٢٨٥ .

(١٠٧٤) الوردي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ .

(١٠٧٥) كمال الدين ، التطور الفكرى ... ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(١٠٧٦) نظمي ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(١٠٧٧) مقتبس ، ايرلاند ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

النجفية فكان ذلك عن طريق عرب البادية الذين كانوا على اتصال مع القوى الوطنية في العراق فضلا عن الصحف المهربة من مصر وسوريا^(١٠٧٨).

وأيد التيار الإصلاحى النجفي الروح الوطنية المتصاعدة في مصر نهاية الحرب العالمية الأولى اذ قال المصلح محمد باقر الشيبى للوطنيين في مصر من قصيدة " عذري واضح " :

قسما بالوفد يا سعد وما
نحن قوم واحد في وطن
نسب ما بيننا متصل
دجلة كالنيل في نكبتها
يحمل الوفدين من مجد وفخر
لم تفرقه عراقي و مصري
و صلوات لم تشب يوما بنكر
إي و مسعاك و بغداد كمصر^(١٠٧٩)

وبسبب ما اصاب الامة العربية من عوامل التدهور والانحلال اخذت معالم شعلتها الحضارية بالانطفاء فناشد التيار الإصلاحى النجفي مروءة العربي وشهامته مذكرا اياه بأنه ينتمي الى امة اصيلة ترفد في مدة ما لكنها لا تموت داعيا الى النهوض والتجدد لمقاومة كل شكل من اشكال التدهور والجهل ويستغرب المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء عن انقسام عرى وحدة العروبة وتفككها وتوقف رسالتها الانسانية اذ قال :

يا عز مات العرب البواصل
قومي فلا موضع للعود او
فيا بقايا يعرب حسبكم
انتم فروع دوحة واحدة
هبي لحل هذه المشاكل
يسكن علي هذا المراحل
من رقدة الجهل او التجاهل
فكيف قطعتم عرى التواصل
لكنها سياسة من خاتل
فيا لها اخوة لعاقل^(١٠٨٠)
ما فرقتم اديانكم بينكم
على الاخاء العربي اجتمعوا

المصلحون النجفيون وقضية المغرب :

فرضت فرنسا في ٣٠ / آذار / ١٩١٢ الحماية على المغرب الاقصى فبسبب هياجا وطنيا وقوميا في مدينة النجف اذ نظم التيار الإصلاحى النجفي على أثرها المظاهرات والاحتجاجات المناهضة للغزو الفرنسي ومناشدة العرب الوقوف صفا واحدا لنصرة مراکش^(١٠٨١).

كان المغرب العربي ضمن حلقة التنافس الاستعماري الاوربي ذلك الاستعمار الذي اتفق على تقسيم هذا الكيان العربي الى مناطق نفوذ بين فرنسا واسبانيا في اتفاقية ٣ / تشرين الأول / ١٩٠٤ التي حظيت اسبانيا بموجبها بالقسم الشمالي من مراکش " منطقتي الريف وجباله " الامر الذي حدا بها الى تنفيذ الاتفاق باستعمار مقبوت ولكنها جوبهت بمقاومة شعبية عربية باسلة بقيادة المجاهد عبد الكريم الخطابي سنة ١٩٢٠ واستمرت حتى عام ١٩٢٦ الا ان الاسبان اتفقوا مع الفرنسيين لاجهاض الثورة ، وبالفعل قضوا عليها و اخر عام ١٩٢٦^(١٠٨٢) . هذه الملحمة القومية تركت أثرا واستجابة في نفوس رجال التيار الإصلاحى النجفي الذين تابعوا اخبارها ودعمها بالقصائد والمقالات الصحفية حاثين دائما ابطال المغرب العربي على المقاومة ومواصلة جهادهم الوطني فبعد اجهاض الثورة نظم التيار الإصلاحى النجفي المظاهرات الاحتجاجية رافضا سياسة البطش التي استعملها كلا المستعمرين الفرنسي والاسباني^(١٠٨٣) . ونشروا في صحيفتهم " النجف " نقدا لاذعا لتصرفات الفرنسيين والاسبان في مواجهة عبد الكريم الخطابي التي تتسم بالوحشية والعنف: " أي ذنب جناه اخواننا الريفيون عند قيامهم ودعوتهم لتحرير انفسهم من رق

(١٠٧٨) المصدر نفسه ، ص ١٨٤ .

(١٠٧٩) الهلالي ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(١٠٨٠) بصري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(١٠٨١) ويسين ، المصدر السابق ، ص ٥٣ ؛ وللمزيد عن مراحل الاستعمار بالمغرب العربي ينظر : العقاد ، صلاح ، المغرب العربي بين التضامن الاسلامي والاستعمار الفرنسي ، القاهرة ، ج ١ ، بلا .

(١٠٨٢) للمزيد عن تفاصيل الثورة العربية في المغرب العربي ودور المجاهد عبد الكريم الخطابي ينظر : العقاد ، صلاح ، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢٦ .

(١٠٨٣) " النجف " ، (صحيفة) ، ١١ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٥) ، ص ٣ .

عبودية الاسبان والفرنسيين لهم ولا يكادون يزيلون الاسبان عنهم حتى قامت عليهم فرنسا الزاعمة أنها اعظم الدول تمدنا ورقيا فحملت على الريف بكل ما تملك من حول وطول وآلات وغازات وسموم حتى شقت البطون وقتلت الاطفال^(١٠٨٤).

وساند التيار الإصلاحى النجفي المقاومة العربية التي ابداهها الوطنيون في المغرب العربي بقصائد تدل على معانيها القومية ، اذ انشد المصلح محمد علي اليعقوبي :

اتى البرق لنا ينب
وقفتم في ميادين الـ
الا يا عز مات العر
فأن العز ما نيد
ئ عنكم بالذي ينبي
وغى جنبنا الى جنب
ب للعلاهبي
ل بغير المرهف العضب^(١٠٨٥)

المصلحون النجفيون واليمن :

ووقف التيار الإصلاحى النجفي موقفا قوميا تجاه اليمن وحضارتها مدافعا عن المعالم الحضارية ورموزها وتقاليدها ، اذ تعرضت اليمن الى حملة استشراقية غربية تحاول تشويه الصورة الحضارية لليمن باتهامات باطلة تحاول تشويه صورة هذا البلد الاصيل فهذه الاتهامات تضع اليمن في مواضع الرجعية القبلية والانحطاط الخلقى والهمجية والاستغلال والاقطاع وغياب الواعز الديني والخلقى والابتعاد عن الانفتاح والتحديث والانغلاق حول سور من المفاهيم والتقاليد العربية ، ومن هذه الكتابات الاستشراقية التي تصدى اليها التيار الإصلاحى النجفي كتاب " ملوك العرب " لمؤلفه امين الريحاني الذي وضع الآراء الاستشراقية حول اليمن^(١٠٨٦) واكد التيار الإصلاحى النجفي ان تلك الافكار والمفاهيم الطاعنة بحضارة اليمن هي غايات مدسوسة وغير مستندة على حقيقة واضحة ، بل هي افكار بعيدة عن الحقيقة ، ووضعوا تفسيراً لهذا الانغلاق بأنه نابع من حرصها على حماية ثقافتها وعرويتها وديانتها الاسلامية من اشكال الانفتاح الذي يلوح به المستشرقون ليكون بابا يفتحونه امام الاستعمار^(١٠٨٧) . ويفسر الباحث سبب اختيارهم لليمن لأنها مهد حضارة العرب وتاريخهم الاصيل .

ومن انتقادات المصلحين النجفيين في صحيفة النجف لكتاب الريحاني مقالة تحت عنوان " الريحاني في ميزان النقد في كتابه ملوك العرب " وسمت عباراته الطاعنة بـ " السوداء " منها : " أنه يتداني الى ان يחדش حتى في عفة حرائرهم "^(١٠٨٨) . وخير مصلح رادع لهذه الاحكام المدسوسة المصلح الذي اخفى اسمه بتوقيع " ابو حارث " وهو المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء ومن ردوده على تلك الكتابات : " ان اليمن بلاد الحق والعدل والدين والصدق والوفاء فلا خمر ولا فسق ولا زنا ولا قتل ولا سرقة ولا رياء ولا رشوة ولا اغتصاب "^(١٠٨٩) . وقال بحق الريحاني ويقارنه بالمستشرقين الغربيين الذين يحاولون تشويه صورة العروبة والاسلام اذ قال :

هب عذرت " الغربي " ان نال يوما من " بلادي " ما نال في غير حق
كيف عذري لمن رماها فأصمى " قلبها " في سهامه وهو " شرقي "^(١٠٩٠)

المصلحون النجفيون وقضية فلسطين :

فكرت ادارة المجلس الاسلامي الأعلى برئاسة مفتي فلسطين " السيد محمد امين الحسيني " بوجوب عقد مؤتمر اسلامي في القدس يتولى ايجاد الحلول لقضية فلسطين وما يتعلق بها . وقد شكلت هناك لجنة تحضيرية لهذا الغرض . وسافر المدعوون من العراق^(١٠٩١) الى فلسطين في ٧ / كانون الأول / ١٩٣١ ومثل التيار الإصلاحى النجفي المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء الذي نادى بالوحدة الاسلامية ومقاطعة المنتجات الصهيونية وأم^(١٠٩٢) مصلحنا الجليل المسلمين في صلاة الجمعة وانبرى تحت لوائه مختلف المذاهب الاسلامية وخطب بهم خطبة سياسية

(١٠٨٤) " النجف " ، (صحيفة) ، ١١ / حزيران / ١٩٢٦ ، العدد (٤٥) ، ص ٣ .

(١٠٨٥) مركز دراسات الكوفة ، (الأرشيف الوثائقي) ، ملف محمد علي اليعقوبي ، رقم (١) ، ص ١٦ .

(١٠٨٦) الحكيم ، حسن عيسى ، كاظم مسلم العامري ، موقف النجف الأشرف وصحافتها من أحداث اليمن بين ١٩١٠ - ١٩٢٦ ، دراسات يمنية العدد (٥) ، مركز دراسات الكوفة ، ٢٠٠١ ، ص ١٠ .

(١٠٨٧) " النجف " ، (صحيفة) ، ١٤ / أيار / ١٩٢٦ ، العدد (٤١) ، ص ٢ ؛ المصدر نفسه ، العدد (٤٥) ، ص ٢ .

(١٠٨٨) " النجف " ، (صحيفة) ، ٢٥ / أيار / ١٩٢٦ ، العدد (٤٢) ، ص ١ .

(١٠٨٩) المصدر نفسه ، ص ١ .

(١٠٩٠) المصدر نفسه ، ٢٨ / أيار / ١٩٢٦ ، العدد (٤٣) ، ص ٢ .

(١٠٩١) الأعضاء العراقيون هم المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء و ابراهيم الواعظ وحسين رضا وبهجت الأثري وماجد القره غولي والسيد عبد الرسول آل كاشف الغطاء والسيد نعمان الأعظمي والسيد حبيب العبيدي . الواعظ ، الروض الأزهر في تراجم السيد آل جعفر ، ص ٥٣٠ .

(١٠٩٢) من الإمامة (لسان العرب) (أمم) .

دينية اصلاحية يدعو بها الى الوحدة الاسلامية و انقاذ فلسطين^(١٠٩٣) . وبعد انتهاء اعمال المؤتمر الاسلامي في القدس قرر بعض اعضائه التوجه الى مدينة النجف برفقة المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء وهم : " ابراهيم الواعظ ، بهجت الاثري ، وسعيد الحاج ثابت ، نعمان الاعظمي " . واستقبلهم رجال التيار الاصلاحى النجفي و اقاموا حفلا تكريما لهم واجتمعوا على اثره و نادوا بتوحيد الصفوف والعمل الجاد لاجل تحرير فلسطين من الصهيونية^(١٠٩٤) .

ودعا المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء الى ضرورة الوحدة العربية وتماسكها بغية مواجهة جميع التحديات والمصاعب التي تواجهها ، وتجسدت تلك الدعوة القومية بخطبة القاها بجامع الكوفة سنة ١٩٣١ ، اذ قال : " ... فاذا ارتبطت افراد الامة بعضها ببعض ارتباطا يوجب لها الوحدة الحقيقية تعيش بروح واحدة وترمي الى هدف واحد وتكون بمثابة الجسد الواحد الصالح الصحيح الذي يسعى كل فرد من المجموع لخدمة المجموع و اذا تألم فرد منه تألمت جميع افراده كما قال صلوات الله عليه : " المؤمن من المؤمن كالعضو من الجسد اذا تألم عضو اصاب سائر الجسد بالسهر والحمى " هناك تصوير الامة بافرادها كأنها بنيان مرصوص فتضاعف القوة وتتوحد القوى ولا يتسرب اليها شيء من الفساد وتدرأ الاخطار والكوارث عنها بفضل قوتها المجتمعة وصارت امة صحيحة حية صالحة قوية ، لها مجدها وكيانها وعزها وشأنها أما اذا كان كل فرد قد انقطعت علاقته من المجموع وزال ذلك الرابط وتمزقت تلك الوحدة وصار كل فرد فضلا عن أنه يشتغل لنفسه ويعمل بمفرده - يسعى الى هدم اخيه والاضرار به وخرابه فقد خرب بيت الجميع وانهدم صرح الامة من اساسه وهوى على رأسه ، ففسدت الامة أجمعها وزال عنها كل عز وملكة ووقعت في أسوأ الهلكة وأصبحت فريسة للذئاب وطعمة للكلاب - كما اصبحتم تشاهدون كل هذا بأعينكم ... " ^(١٠٩٥) . ويؤكد ان الوحدة العربية لا تتحقق الا بقيامها على دعامتين رئيسيتين فاذا تحققنا أصبحت الامة قوية حصينة تضاهي جميع الامم القوية وتحل جميع مشاكلها القومية والدعامتان هما " الاتحاد والاقتصاد " فاذا اتحدتم سعدتم واذا اقتصدتم سعدتم واذا اتفقتم وفتتم واذا اختلفتم تلتفتتم " ^(١٠٩٦) .

وحذر المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء من خطر الصهيونية وشرورها ، اذ عرفها " بأنها من اعظم البوائق و اعظم البلاء جمعية اقوام متفرقة اعداء الاسلام في بلاد المسلمين يجمعون اموال المسلمين ويملكون اراضيهم والمسلمون مشغولون عنهم ليس الصهيونية بلاء على فلسطين وحدها بل هي بلاء على العالم اجمع يجمعون الاموال بكل حيلة ووسيلة ويرسلونها الى اخوانهم في فلسطين لينشئوا فيها وطنا قوميا " ، ثم يناجي المصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء ابناء العروبة والاسلام لمجابتهم بقوله : " اين حميتكم ايها المسلمون واين غيرتكم واين جمعياتكم واين جهودكم ؟ " ^(١٠٩٧) وهي المناشدة التي طالما نادى بها ابناء العراق في محاولة الوقوف مع ابناء العروبة ووقفه قومية عربية صادقة لحل القضية الفلسطينية .

وتمنى المصلح سعيد كمال الدين تحقيق امنيته القومية بتكوين الوحدة العربية ، وعبر عنها بأنها فرحة تكتب في صفحات التاريخ وتصبح للعرب ولادة جديدة مليئة بمعاني النصر والكرامة ، اذ قال :

متى اراها في الحياة تحققت
أ يجمع شملي من عراق و تونس
مع اليمن الميمون ثم مراکش
فننسج للتاريخ ثوبا مجددا
فأذهب مرتاح الضمير الى قبيري
مع الشام مع لبنان مع نجد مع مصر
أ يجمع هذا الشمل يا فرحة العمر
تطرزه كف الكرامة والنصر^(١٠٩٨)

وبهذا تظهر لدينا جملة من النتائج عن النشاط السياسي للحركة الاصلاحية النجفية للمدة ١٩٢٠ - ١٩٣٢

١. ان بعض رجال التيار الاصلاحى النجفي خدع وغر بالمبادئ الاربعة عشر للرئيس الامريكى " ودرو ويلسن " وهو جانب سلبي يتعلق بالآمال لهذه النظرية السياسية ولكن من الناحية الاخرى " ايجابيا " ان القبائل العراقية الفراتية ادركت حقيقة هذه المبادئ ومقتنعة بشكل سياسي واع ان العمل المسلح هو الخيار الصحيح لاسترداد مطالبهم الوطنية .
٢. ان التيار الاصلاحى النجفي مؤمن بقدره القبائل الفراتية في تحقيق عمل سياسي عسكري .

^(١٠٩٣) الواعظ ، مصطفى نور الدين ، المصدر السابق ، ص ٥٣١ .

^(١٠٩٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .

^(١٠٩٥) كاشف الغطاء ، عبد الحلیم ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

^(١٠٩٦) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

^(١٠٩٧) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

^(١٠٩٨) الخاقاني ، المصدر السابق ، ١٩٦٣ ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

٣. ان قضية اخفاق المصلح علي الشرقي في كسب جانب قبائل العبودة وزعيمهم " خيون العبيد " لم تكن - كما ادعى المصلح محمد باقر الشيبلي - بالتواطئ والخيانة وغيرهما من الاتهامات الاخرى من قبل التيار الإصلاحى النجفي بل لما للسياسية البريطانية الماكرة التي ضمنت ولاء هذا الشيخ وقبيلته^(١٠٩٩).
٤. ان التيار الإصلاحى النجفي غير مقتنع بملوكية فيصل بن الحسين بعد الكشف عن عزم الادارة البريطانية وهدفها في تنصيبه ملكا على العراق .
٥. ان التيار الإصلاحى النجفي رافض لجميع المعاهدات التي عقدت بين البريطانيين والحكومة الوطنية ١٩٢١ - ١٩٣٢ .
٦. ان التيار الإصلاحى النجفي يشجع قيام الاحزاب السياسية والجمعيات الوطنية وهو دليل على أنه مؤمن بالمبادئ الديمقراطية الحرة .
٧. ان التيار الإصلاحى النجفي يريد استرداد الموصل بدون قيد او شرط .
٨. ان التيار الإصلاحى النجفي ذو اتصالات مع السيد طالب النقيب " نقيب البصرة " وبوساطة المصلح علي الشرقي من اجل توحيد العمل للمصلحة الوطنية والقومية .
٩. ان التيار الإصلاحى النجفي ضد كل حركة فكرية غربية استشرافية تعمل على ضرب الوحدة العربية وحضارتها .

الخاتمة

^(١٠٩٩) للمزيد من التفاصيل عن دور السياسة البريطانية وردة فعل العامة حول مواقف بعض الشيوخ في جنوب العراق ومنهم (خيون العبيد) شيخ عشيرة العبودة من أحداث ثورة العشرين ومن تلك الردود القصائد الشعبية ومنها :

يا خيون شنوه المانعك لليوم	تندله فرض مثل الصلاة والصوم
أظن ابليس عثك بالطمع والنوم	سو جنة عاد تسكن بيهه
ظل خيون جاعد شنوه المعطلك	يكنز للدنيا ودينه مبطله
قصور يريد فضه لو ذهب يحطه	يكنزه وبه يجوونه

ينظر : الفياض ، عبد الله ، المصدر السابق ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢٢ .

خلال دراستنا للحركة الإصلاحية النجفية تجلت لنا جملة من الاستنتاجات وهي : إن حركة التيار الإصلاحية النجفية انبثقت بعد عام ١٩٠٨ نتيجة توفر الظروف لطرح دعواته ورغبته في زرع بذور النهضة في مجتمعهم لمحاولة انقاذه من الترسبات الدخيلة التي شجع الاحتلال العثماني سيادتها لا على المجتمع النجفي فحسب بل العراقي بشكل عام ، وحمل رسالة انسانية مدنية الصفة تصب في خدمة المجتمع ورفع مستواه تحت ظل الحرية والاستقلال ، ولدت هذه الرسالة على أيدي جماعة ذو فكر متحرر ومتيقظ لما يحيط بمجتمعهم ، وسبب عدم طرح نشاط اصلاحي قبل عام ١٩٠٨ فيرجع الى : ١ - قوة التيار المحافظ الذي عكس جو البيئة المحافظة المغلقة على المجتمع النجفي ؛ ٢ - تشدد قبضة العثمانيين حتى عام ١٩٠٨ وهو العام الذي اندلعت على أثره ثورة دستورية في الدولة العثمانية سمحت بنشاط الحركات الفكرية . وكان للظروف الداخلية نصيبها في ولادة الحركة الإصلاحية النجفية فمدينة النجف معروفة بمكانتها الدينية والعلمية فضلا عن ما أفرزته هذه الروح العلمية في بناء المدارس والجامع وتوسع نطاق الهجرة إليها حتى يكاد لكل أسرة نجفية مجلس علمي ، وتبنى رجال التيار الإصلاحية النجفي منحىً توفيقياً ما بين الشرائع الإسلامية والأصالة مع متغيرات العصر وحاجته وكان رجاله قلة ولكنهم النخبة (رجال الدين ، الأدباء ، المفكرون ، الصحفيون) ، على عكس التيار المحافظ الذي تميز بالكثرة وبخاصة العامة البسيطة وهم بتقديرنا درع بشري لنشاطه .

استثمر التيار الإصلاحية النجفي وسائل متعددة بغية طرح رسالته الإصلاحية ومن تلك الوسائل " الصحافة " فمنذ بدايات نشاطه استثمروا مجلة (العلم) النجفية ١٩١٠ - ١٩١٢ وسمة الطرح فيها هي " طرق باب المعرفة " إذ نشرت فيها معارف العالم المتقدم وعلومه وشرائع الإسلام وسبب اعتمادها باب العلم والمعرفة لأن التيار الإصلاحية النجفي يرى أن العلم خير منقذ لمجتمعهم والمدة التي صدرت فيها سنتين ويرجع ذلك الى مقاومة المحافظين لها ورفضهم لتوجهاتها الإصلاحية ، حتى أن أسماء بعض المصلحين تخفى بتواضع مستعارة ، واستثمر المصلحون النجفيون صحيفة (النجف) لظروحاتهم واتخذت العلم والمعرفة هدفاً لتوعية المجتمع وارشاده فضلاً عن ذلك أن محررها " يوسف رجب " مؤيد جريء للتيار الإصلاحية النجفي ، وسمة هذه الصحيفة هي النقد والإرشاد والتوعية ، وتعرضت لمقاومة المحافظين وسلطة الحكم الوطني بسبب توجهاتها الإصلاحية وهو الأمر الذي أدى الى تعطيلها أو تأخر صدور بعض أعدادها ، وإخفاء أسماء بعض المصلحين بتواضع مستعارة منها " أبو حارث " وهو للمصلح محمد حسين آل كاشف الغطاء ، واستثمر المصلحون النجفيون وسيلة الشعر في ظروحاتهم الإصلاحية وهو يرجع الى طبيعة الدراسة في مدينة النجف التي تفرض إتقان اللغة العربية وأدبها منهجا دراسيا في موادها الدراسية ، فالشعر اتخذ لونا إصلاحيا بسبب لغة النقد التي يحملها أو الحكمة والإرشاد التي تطرح على سامعيه والمصلحون النجفيون ضحوا ببعض قواعد الشعر من وزن أو قافية والسبب يرجع الى إن الغاية من طرح الشعر هو لأداء هدفه في الإصلاح ولو كان على حساب بعض جوانب نظمه ولكنه يبقى بإطاره الشعري ، والرسائل الإصلاحية هي إحدى الوسائل المهمة وتنسج : ١ - أنها تنطلق لردع ظاهرة معينة متى ظهرت هذه الظاهرة ؛ ٢ - تنسج بالفردية ؛ ٣ - مدعمة بالأسانيد والحجج ؛ ٤ - تمتاز بالقصر والاختصار ؛ ٥ - تمتاز بالنقد والتجريح . ووجدنا أن الرسائل الإصلاحية التي أطلقها التيار الإصلاحية النجفي تمتاز بالقلة وهو أمر يرجع الى تشدد المحافظين فضلا عن كون أكثرها أطلقت في إصلاح الجوانب الاجتماعية .

دعا التيار الإصلاحية النجفي الى استخدام أمثل النظم الاقتصادية في المعاملات التجارية ومحاولة رفع المستوى المعاشي للفرد فالأرباح الربوية أراد بها تلك المعاملات التجارية التي تقوم بها المصارف لتحقيق فائدة أكثر للأطراف المتعاملة فضلا عن أرباح المصرف نتيجة تنظيمه لتلك المعاملات وطرح مشاريع استغلال التمور واستخراج السكر منها وهذه المشاريع تنبع من حاجة المجتمع لها ، ويؤخذ على الدعوات الإصلاحية في الجوانب الاقتصادية أنها : ١ - امتازت بالقلة ؛ ٢ - لم تضع مناهج اقتصادية كافية توضح المعاملات التجارية الحديثة في ذلك الوقت وبشكل كاف ؛ ٣ - اعتمدت بعض دعواتها على الواقع الغربي . والدعوات الإصلاحية في الجوانب الاجتماعية لها نصيب أكبر بفعل مبدأ الرسالة الانسانية التي يحملها المصلحون النجفيون ، والمأخذ على دعوات المصلحين في الجوانب الاجتماعية : ١ - قلة الوسائل الإصلاحية لتوعية المجتمع ؛ ٢ - برودة نشاط المصلحين في بعض الدعوات .

كان للدعوات الإصلاحية في بعض الشعائر الدينية سببا قويا للصدام المباشر بين تيار الإصلاحية والمحافظ ، فالتيار الإصلاحية يحاول تنزيه بعض الشعائر من أعمال الشعوذة والدجل والرجوع بها الى القيم السامية الصحيحة والاعتناء بتلك القيم بينما يحاول التيار المحافظ ابقاء أعمالها وزيادتها بسبب ارتباط رزقهم بهذه الأعمال واستغل هذا الصدام بعض الدول الاستعمارية ومنها روسيا القيصرية التي أيدت التيار المحافظ وهذا التأييد يكشف لنا مصدر الأموال التي يغدقها المحافظون على أتباعهم وتأليف درع بشري مؤيد لأفكارهم .

كان التيار الإصلاحية النجفي مؤيدا قويا للتطورات الدستورية في تركيا فضلا عن دور هذا الحدث في بلورة الوعي الفكري عند أبناء مدينة النجف ، وكان للثورة الدستورية الإيرانية دور مؤثر في بلورة وعيهم السياسي

فالمصلحون النجفيون تحملوا على كاهلهم رعاية هذا الحدث وإجازة العمل بالدستور وهو أمر يؤكد إن علاقة الثورة الدستورية الإيرانية بالتيار الإصلاحى النجفى لا يتعدى الاستشارة . ووقع المصلحون النجفيون فى الأزواج الفكرى عند اندلاع الحرب العالمية الأولى بسبب حملة الجهاد ضد البريطانيين وسببه أن المصلحين النجفيين رفضوا بالسابق الهيمنة العثمانية من جانب ولكن بالوقت نفسه كان عليهم أن يتخذوا موقفا من (الجهاد) الى جانب صفوف الجيش العثماني من جانب آخر . ولكنهم تخلصوا من هذا الأزواج باعلانهم الوقوف الى جانب العثمانيين لغرض الدفاع عن حوزة الاسلام وهو نفس الأسلوب الذى نادى به التيار الإصلاحى النجفى للدفاع عن إيران ضد هجوم روسيا لشماله عام ١٩١١ ، وكان سبب الانقسام بين صفوف المصلحين فى ثورة النجف عام ١٩١٨ هو بقاء بعض الوجود العثماني فى العراق وامكانية استثمار صراعهم مع البريطانيين من ناحية والإيمان المطلق لفريق آخر من المصلحين بالقوة القبلىة فى مقارعة البريطانيين ورفضهم مبدأ إبدال احتلال باحتلال من ناحية أخرى وهو الأمر الذى أدى الى استعجال قيام ثورة النجف ١٩١٨ وهو أحد الأسباب القوية فى فشلها . وفى مسألة (الاستفتاء ١٩١٩) ظهرت لدينا النتائج الآتية :

- ١ . إن التيار الإصلاحى النجفى هو أول من نادى بوحدة العراق من شماله الى جنوبه والتمسك بعروبة الموصل وعدم التفريط بها .
- ٢ . إن التيار الإصلاحى النجفى هو أول من نادى بملوكية العراق من قبل أحد أنجال الشريف حسين .
- ٣ . إن التيار الإصلاحى النجفى مدرك لجميع المخططات الاستعمارية البريطانية فتغير ميله الى الملوكية الهاشمية بعد ثورة العشرين بسبب قناعة المصلحين النجفيين إن مقدمه كان تحت الوصاية البريطانية .

كان للتيار المحافظ النجفى توجهات وأفكار تمسك بها وحاول الدفاع عنها وهو الأمر الذى يؤكد امكانية استخراج دراسة توازى دراسة حركة التيار الإصلاحى النجفى بسبب :

- ١ . سطوته طيلة مدة ما قبل الانقلاب العثماني .
- ٢ . حملته أفكارا ومبادئ يجهد فى طرحها .
- ٣ . كان يتزعمه واحد من أبرز رجالات علماء الدين وهو " محمد كاظم اليزدي " .
- ٤ . يمتلك قاعدة جماهيرية فضلا عن علماء الدين والأدباء والمفكرين ويؤكد الباحث بتوفر معلومات للمدة ما بعد مدة دراستنا تستحق الدراسة خاصة وإن التيار الإصلاحى النجفى طرح دعواته فيها عن طريق مؤسسات إصلاحية .

قائمة المصادر والمراجع

- أولا - الوثائق غير المنشورة :
- أ - ملفات دار الكتب والوثائق .
- ١ - ملفات الاحتلال البريطاني .
- ٢ - ملفات البلاط الملكي .
- ب - مركز دراسات الكوفة (الأرشيف الوثائقي) .
- ثانيا - المخطوطات .
- ثالثا - المذكرات .
- رابعا - الرسائل والأطاريح الجامعية .
- خامسا - المؤتمرات .
- سادسا - المصادر والمراجع العربية .
- سابعا - المصادر والمراجع المعربة .
- ثامنا - المصادر الأجنبية .
- تاسعا - الدوريات
- أ - الصحف .
- ب - المجلات .
- عاشرا - الموسوعات والمعاجم .
- حادي عشر - المقابلات الشخصية .

أولا - الوثائق غير المنشورة :
أ - ملفات دار الكتب والوثائق :

A – The British occupation folds:

١. تقرير الإدارة المركزية للاحتلال البريطاني ١٩١٨ " رسالة من الشيخ جواد الجواهري الى القائمقام بأعمال الحاكم الملكي في العراق ، ملف رقم (٩٥٤) " .
2. Report The central Administrative of the British occupation 1918, "Answer A. T. Welson offg Civil commissioner, Baghdad", fold N: (954).
3. Report The central Administrative of the British occupation 1918, "Article headed, found documents in ABBAS AL-KALLILE Home's (Happiness the result of revolution) by ABBAS Mirza Khalil of Najaf", fold N (951).
4. Report The central Administrative of the British occupation 1918, " An incomplete article on (Jihad and Difa by Hasoun Ali Abdullah al- Bader al-Qutaifi)", fold N (951).
5. Report The central Administrative of the British occupation 1918, " Unanimous opinions of the Ulamas", fold N (951).
6. Report The central Administrative of the British occupation 1918, " The Shaik Said in al- Jawahir", fold N (951).
7. Report The central Administrative of the British occupation 1918, " The cypher telegram from Perasion consul General in Baghdad, To ministry foreign affairs TEHRAN regarding Najaf affairs, fold N (956).
8. Report The central Administrative of the British occupation 1918, " The special fold about Shaikh Jawad Gizair", (Requested life to India), fold N (950).
9. Report The central Administrative of the British occupation 1918, " Propose send Jawad Gizair to India", fold N (950).
10. Report The central Administrative of the British occupation 1918, "Formation about Shaikh Jawad Gizair", fold N (950).
11. Report The central Administrative of the British occupation 1918, "Forgiveness for not attending the meeting", fold N (950).

B – The folds of the Royal Palace:

1. Report an middle east conference held in Cairo and Jerusalem March – 12 – 30th 1921, "Mesopotamia", This report property of his Britannic majesty's Government.
2. Report the special services officer (Nasiriyah), "Turkish Agents and The Ulima", fold N (379).
3. Report The special services officer (Diwaniah), " Middle Euphrates", fold (385).
4. Report the special services officer (Air head quarter), "The tearing down of a Persian flag", fold N (379).
5. Report The special services officer (Nasiriyah), "Najaf and Karbala), fold N (379).

6. Report The special services officer (Bahdad), "Shi'ah Sect news, A split in the Ulama, Dispute between Najaf and Kerbala), fold N (385).

ب - مركز دراسات الكوفة (الأرشيف الوثائقي) :

١. ملفه محمد علي اليعقوبي ، رقم (١) .
٢. ملفه النجف الأشرف ، رقم (٥١) .

ثانيا - المخطوطات :

أ - دار صدام للمخطوطات :

١. ملف علي الشرقي رقم (٢٦١) :
أ - رسالة من علي الشرقي الى الأب انستاس ماري الكرمل في ٧ / شباط / ١٩١٣ .
ب - رسالة من علي الشرقي الى الأب انستاس ماري الكرمل في ٤ / حزيران / ١٩١٣ .
٢. ملف محمد حسين كاشف الغطاء ومحمد رضا كاشف الغطاء وعلي الشيخ جعفر كاشف الغطاء رقم (٣٤٧) :
أ - رسالة من محمد حسين كاشف الغطاء الى الأب انستاس ماري الكرمل في ٩ / أيار / ١٩١٣ .
٣. ملف محمد رضا الشيبلي رقم (٣٥١) :
أ - رسالتان من محمد رضا الشيبلي الى الأب انستاس الكرمل في ١٥ / كانون الأول / ١٩١٥ .
٤. ملف محمود شكري الألوسي ، رياض الناظرين ، مخطوط ، بلا ، رقم (٨٥٣٤) .

ب - مخطوطات مكتبة الدكتور حسن عيسى الحكيم :

١. البراق ، حسين ، الدرّة المضيئة في ذكر الحنّانة والنّوية ، مخطوط ، بلا (مستنسخة) .
٢. المظفر ، محمد رضا ، آراء صريحة ، مخطوط ، ١٩٥١ ، (مستنسخة) .

ثالثا - المذكرات :

١. تويج ، عبد الرسول ، مذكرات الحاج عبد الرسول تويج من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٧) .
٢. الدجيلي ، كاظم ، أحداث ثورة العشرين كما يروها شاهد عيان ، (بغداد : مطبعة الزمان ، ١٩٧٣) .
٣. زاهد ، عبد الحميد ، صفحات من مذكرات عبد الحميد الزاهد من المشاركين بأحداث الثورة العراقية ١٩٢٠ ، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٧) .
٤. صالح ، سعد ، صفحة من مذكرات السيد سعد صالح أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٧) .
٥. كمال الدين ، حسين ، صفحات من مذكرات السيد حسين كمال الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٧) .
٦. كمال الدين ، سعيد ، صفحات من مذكرات سعيد كمال الدين أحد رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٧) .
٧. كمال الدين ، محمد علي ، مذكرات محمد علي كمال الدين من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠ ، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٦) .
٨. الوائلي ، أحمد ، تجاربي مع المنبر ، (بيروت : دار الزهراء ، بلا) .

رابعا - الرسائل والأطاريح الجامعية :

١. أبو ريح ، عدنان رشيد ، الاستيطان القبلي في منطقة منخفض بحر النجف ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٧٥ .
٢. البهادلي ، محمد باقر ، السيد محمد علي " هبة الدين " الحسيني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية (١٨٨٤ - ١٩٦٧) ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ٢٠٠٠ .
٣. التميمي ، منى جابر ، شعر محمد سعيد الحبوبي (دراسة فنية) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ .
٤. الحبوبي ، أنور علي ، دور المثقفين في ثورة العشرين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .

٥. الدعيمي ، مليحة عزيز ، الحس القومي في الشعر النجفي المعاصر ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية (القائد) - جامعة الكوفة ، ١٩٩٥ .
٦. العامري ، كاظم مسلم ، الاتجاه الوطني والقومي للصحافة النجفية ١٩١٠ - ١٩٣٢ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ٢٠٠٠ .
٧. عباس ، علي هادي ، الحروب البلقانية ١٩١٢ - ١٩١٣ (دراسة تاريخية) ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٧ .
٨. علوان ، نجة عبد الكريم ، بواكير الاتجاه التوفيقي في النهضة الفكرية الحديثة في العراق ١٩٠٨ - ١٩٣٢ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة البصرة ، ١٩٩٨ .
٩. فخر الدين ، محمد جواد نور الدين ، تاريخ النجف في العصر العباسي (٧٤٩ - ١٢٥٨ م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ .
١٠. المدني ، عز الدين عبد الرسول عبد الحسين ، محسن أبو طيبيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ .
١١. النصيري ، عبد الرزاق أحمد ، دور المجددين في حركة التجديد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .
١٢. ويسين ، ناهدة حسين علي ، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير (١٨٣١ - ١٩١٧) ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد ، ١٩٩٩ .
١٣. ياسين ، نمير طه ، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٤ .

خامسا - المؤتمرات :

١. الاتحاد العام للأدباء والكتاب (فرع النجف) ، الندوة الفكرية لاستنكار المآثر العلمية والأدبية والإصلاحية للعلامة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر ، ١٩٩٧ .
٢. كلية الفقه (الجامعة المستنصرية) ، مؤتمر هيئة كتابة التاريخ المنعقد تحت شعار " الندوة القومية لمواجهة الدس الشعبي " وللمدة ٢٠ - ٢٣ / كانون الأول / ١٩٩٨ .

سادسا - المصادر والمراجع العربية :

١. القرآن الكريم .
٢. أبو طيبيخ ، أحمد كامل ، السيد محسن أبو طيبيخ (سيرة وتاريخ) ، (بغداد : مطبعة الزمان ، ١٩٩٨) .
٣. أحد خدام الشريعة المقدسة ، الإمام السيد أبو الحسن ، (النجف : المط الحيدرية ، ١٩٤٨) .
٤. أحمد ، إبراهيم خليل ، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩ - ١٩٣٢) ، (البصرة : مطبعة الجامعة ، ١٩٨٢) .
٥. أحمد ، كمال مظهر ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر (دراسات تحليلية) ، (بغداد : مطبعة البديسي ، ١٩٨٧) .
٦. الأسدي ، حسن ، ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين ، (بغداد : دار الحرية ، ١٩٧٥) .
٧. الإسلام دين الحياة ، نشرة تصدر عن مدرسة الشيرازي ، (النجف : مطبعة القضاء ، ١٩٦٨) .
٨. الأعرجي ، محمد حسين ، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ، (بغداد : دار الحرية ، ١٩٧٨) .
٩. الأميني ، محمد هادي ، عبد الرحيم محمد علي ، مصادر الدراسة عن النجف والشيخ الطوسي ، (النجف : مطبعة النجف ، ١٩٦٣) .
١٠. الأنصاري ، محمد جابر ، تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربي (١٩٣٠ - ١٩٧٠) ، (الكويت : دار عالم المعرفة ، ١٩٨٠) .
١١. ابن منظور ، ابو الفضل محمد جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٥٥) .
١٢. الارحيم ، فيصل محمد ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ، (الموصل : مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٥) .
١٣. باقر ، طه ، عبد العزيز حميد ، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، (الموصل : مؤسسة دار الكتاب للطباعة ، ١٩٨٠) .
١٤. البراك ، فاضل ، المدارس اليهودية والايرائية في العراق (دراسة عامة) ، الطبعة الثانية ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٥) .
١٥. برو ، توفيق علي ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (١٩٠٨ - ١٩١٤) ، معهد الدراسات العربية العالية ، (القاهرة : دار الهناء ، ١٩٦٠) .
١٦. البزركان ، علي ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، (بغداد : مطبعة اللواء ، ١٩٥٤) .
١٧. ، ، ، الطبعة الثانية ، (بغداد : مطبعة الأديب ، ١٩٩١) .
١٨. بصري ، مير ، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، سلسلة الكتاب الحديثة (٣٨) ، الجزء (١) ، (بغداد : وزارة الثقافة والاعلام ، بلا) .
١٩. البصير ، محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقية ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة الفلاح ، ١٩٢٤) .

٢٠. بطي ، سامي رفائيل ، صحافة العراق نتاج رفائيل بطي ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة الآداب ، ١٩٨٥) .
٢١. البهادلي ، علي احمد ، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية (١٩٢٠ - ١٩٨٠) ، (بيروت : دار الزهراء ، ١٩٩٢) .
٢٢. الترمذي ، محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح ، تحقيق أحمد شاكر وآخرين ، الجزء (٥) ، (بيروت : ب مط ، ١٩٨٧)
٢٣. التكريتي ، منير بكر ، يوسف رجب الكاتب الصحفي ، (بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨١) .
٢٤. التميمي ، محمد علي جعفر ، مشهد الإمام أو مدينة النجف ، الجزء (٢) ، (النجف : مطبعة الغري ، ١٩٥٤) .
٢٥. جمال ، أحمد محمد ، محاضرات في الثقافة الإسلامية ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧١) .
٢٦. الجميل ، مكي ، مباحث في الإصلاح ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٥٥) .
٢٧. الجندي ، أنور ، الاسلام والغرب ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٨٢) .
٢٨. حبيبان ، حميد عيسى ، حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى ثورة ١٩١٧ ، (النجف : مطبعة الغري ، ١٩٧٠) .
٢٩. حسن ، محمد سلمان ، التطور الاقتصادي في العراق (التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ - ١٩٥٨) ، الجزء (١) ، (صيدا : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥) .
٣٠. الحسني ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٦٦) .
٣١. ، ، ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩٥٢) .
٣٢. ، ، ، تاريخ الصحافة العراقية ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة الزهراء ، ١٩٥٧) .
٣٣. ، ، ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، الجزء (١) ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٥٧) .
٣٤. ، ، ، الجزء (٢) ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٥٧) .
٣٥. ، ، ، الجزء (٣) ، الطبعة الخامسة ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٨٢) .
٣٦. ، ، ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء (١) ، الطبعة الثالثة ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩٦٥) .
٣٧. ، ، ، الجزء (٢) ، الطبعة الثالثة ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩٦٥) .
٣٨. ، ، ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها المارشال ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩٧٢) .
٣٩. حسين ، فاضل ، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤ - ١٩٥٨ ، معهد البحوث والدراسات ، (بغداد : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٨٢) .
٤٠. ، ، ، مشكلة الموصل (دراسة في الدبلوماسية العراقية - الإنجليزية - التركية وفي الرأي العام) ، (بغداد : مط الرابطة ، ١٩٦٣) .
٤١. الحسيني ، أحمد ، الامام الثائر مهدي الحيدري ، (النجف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٧) .
٤٢. الحسيني ، محمد علي ، الدلائل والمسائل ، الجزء (٣) ، (بغداد : مطبعة النجاح ، ١٩٢٧) .
٤٣. ، ، ، حياة مجلة العلم في العام الأول (الملحق السنوي - السنة الأول) ، ١٩١١ .
٤٤. الحسيني ، هبة الدين ، فيض الباري أو إصلاح منظومة السبزواري (وهي أصول الفلسفة العالية) ، (بغداد : المطبعة العصرية ، ١٩٢٥) .
٤٥. الحكيم ، حسن عيسى ، كاظم مسلم العامري ، موقف النجف الأشرف وصحافتها من أحداث اليمن بين ١٩١٠ - ١٩٢٦ ، اصدار مركز دراسات الكوفة ، سلسلة دراسات يمنية العدد (٥) ، ٢٠٠١ .
٤٦. الحلبي ، يوسف كركوش ، تاريخ الحلة ، الجزء (٣) ، (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٥) .
٤٧. الحمداني ، د. طارق نافع ، التحديث في النجف بين الاصاله والتجديد ، (من ملخصات المؤتمر العلمي الاول لجامعة الكوفة المنعقد للمدة ١٤ - ١٥ نيسان ١٩٩٦) .
٤٨. الحيدري ، ضياء الدين ، الإدارة والإداريون في العراق ، (بغداد : مطبعة أسعد ، ١٩٦٣) .
٤٩. خاطر ، أحمد مصطفى ، التغيير الاجتماعي والتحديث (مدخل تكاملي لفهم واستيعاب ظاهرة التغيير الاجتماعي) ، (القاهرة : مطبعة المكتب الجامعي ، بلا) .
٥٠. الخليلي ، جعفر ، العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية ، (النجف : مطبعة الآداب ، ١٩٧١) .
٥١. الدراجي ، عبد الرزاق ، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ، الطبعة الثانية ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠) .
٥٢. الدراجي ، محمد عباس ، صحافة النجف تاريخ وابداع ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩) .
٥٣. دراسات اسلامية ، اصدار جامعة النجف الدينية ، (النجف : مطبعة القضاء ، ١٩٦٨) .
٥٤. دروزة ، محمد عزت ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، الطبعة الثانية ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩٧١) .
٥٥. الرفاعي ، عبد الرحمن ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، الجزء (١) ، (القاهرة : مطبعة النهضة ، ١٩٥٥) .
٥٦. الرضي ، الشريف ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، الجزء (١) ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي للطباعة ، بلا) .
٥٧. الرفيق صدام حسين ، حول كتابة التاريخ (نص حديث سيادته في الاجتماع الموسع لمكتب الإعلام بتاريخ ١٩ / أيلول / ١٩٧٧) ، الطبعة الثانية ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠) .

٥٨. الرهيمي ، علاء حسين ، العلم النجفية من المجالات العراقية في مرحلة الريادة والتأسيس ١٩١٠ - ١٩١٢ ، اصدار مركز دراسات الكوفة ، (النجف : مكتب المناهل ، ٢٠٠٠) .
٥٩. ، ، حقائق عن الموقف في العراق من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، مطبوع بالليزر ، ١٩٩٩ .
٦٠. زاهد ، توفيق ، التاريخ السائر في ذكرى عبد الحميد زاهد ، (بغداد : مطبعة الجامعة ، ١٩٧٨) .
٦١. زبيبة ، مكي ، يوم من أيام النجف ، (بغداد : مطبعة الديواني ، بلا) .
٦٢. الزبيدي ، ابو الفيض محب الدين بن محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق طائفة من المختصين ، (الكويت : ب مط ، ١٩٦٥) .
٦٣. زمزم ، سعيد رشيد مجيد ، رجال العراق والاحتلال البريطاني ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة منين ، ١٩٩٠) .
٦٤. السامرائي ، عبد الله سلوم ، الاسلام والقومية ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٥) .
٦٥. السفير ، علوان ، تاريخ النجف الرياضي ، (بغداد : مطبعة آب ، ١٩٩٥) .
٦٦. سلمان ، عبد الرسول ، معالم الفكر الاقتصادي ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة شفيق ، ١٩٧٤) .
٦٧. الشرقي ، حمدي علي ، تاريخ الأسر الخاقانية في النجف ، (النجف : مط النعمان ، ١٩٦٢) .
٦٨. الشرقي ، طالب علي ، النجف الاشرف عاداتها وتقاليدها ، (نجف : مطبعة الآداب ، ١٩٧٨) .
٦٩. ، ، ذكرى الشرقي رائد التجديد ، (النجف : مطبعة الجاحظ ، ١٩٩٠) .
٧٠. الشرقي ، علي ، الأحلام ، (بغداد : الشركة الأهلية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣) .
٧١. الشريس ، ناجي وداعة ، لمحات من تاريخ النجف الاشرف ، الجزء (١) ، (النجف : مطبعة القضاء ، ١٩٧٣) .
٧٢. شنون ، ابراهيم عبد الرضا ، الصفا منطقة مضيئة في النجف ، بحث مطبوع بالآلة الكاتبة ، ١٩٩٣ ، غير منشور .
٧٣. الشهابي ، مصطفى ، القومية العربية (تاريخها وقوامها) ، (القاهرة : المطبعة الكمالية ، ١٩٥٩) .
٧٤. الشهرستاني ، هبة الدين ، أضرار التدخين وشرب الدخان في نظر الطب والدين ، (بغداد : دار السلام ، ١٩٢٤) .
٧٥. ، ، تحريم نقل الجنائز (رسالة فقهية علمية إصلاحية حرة) ، الطبعة الثالثة ، (بغداد : مطبعة الشايندر ، ١٩١١) .
٧٦. صالح ، زكي ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ (دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري) ، (بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٦٨) .
٧٧. طبانه ، بدوي ، معروف الرصافي (دراسة ادبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية) ، (القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٤٧) .
٧٨. عاقل ، د. فاخر ، علم النفس التربوي ، الطبعة الثامنة ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٢) .
٧٩. العاملي ، محسن أمين ، رسالة التنزيه لأعمال التشبيه (تتضمن الكلام على ما يدخل في عمل التشبيه وإقامة العزاء للإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) من المحرمات والتحذير منها) ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩٢٩) .
٨٠. العباسي ، خضر ، شعراء الثورة العراقية (اثناء الاحتلال البريطاني في العراق) ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٥٧) .
٨١. عبد الباقي ، ابراهيم ، الدين والعلم الحديث ، (القاهرة : مطبعة الاستقامة ، ١٩٦٤) .
٨٢. عبد الحسين ، علي عباس ، النجف اصالة الماضي واشراقه الحاضر ، (بغداد : مطبعة بابل ، ١٩٨٨) .
٨٣. العجلي ، معن ، يوسف رجب فقيد الادب والعرب ، (النجف : مطبعة الغري ، ١٩٤٧) .
٨٤. العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء (٨) ، (بغداد : شركة الصناعة والتجارة ، ١٩٥٦) .
٨٥. العكام ، عبد الأمير هادي ، محاضرات في تاريخ العراق المعاصر (ألقيت في كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد ، للمرحلة الثالثة ١٩٩٧ - ١٩٩٨) ، غير منشورة .
٨٦. علوان ، علي عباس ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، (بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧٥) .
٨٧. علوان ، قصي سالم ، الشيبيني شاعرا ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٥) .
٨٨. العلوي ، محمد مهدي ، هبة الدين الشهرستاني ، تعليق حسن بن هاشم ، (بغداد : مطبعة الآداب ، ١٩٢٩) .
٨٩. علي ، عباس ، زعيم الثورة العراقية (صفحات من حياة الزعيم الصدر) ، (بغداد : مطبعة النجاح ، ١٩٥٠) .
٩٠. العمري ، خير ، حكايات سياسية ، (بغداد : دار الهلال ، ١٩٦٩) .
٩١. عواد ، عبد الحسين مهدي ، الشيخ علي الشرقي (حياته وأدبه) ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨١) .
٩٢. عيسى ، شحاته ، زعماء الوطنية في مصر في العصر الحديث ، (القاهرة : مطبعة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٧) .
٩٣. فراتي ، علي هاشم الثورة العراقية الكبرى ، (بغداد : ب مط ، ١٩٦٥) .
٩٤. الفرعون ، فرياق مزهر ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة النجاح ، ١٩٥٢) .
٩٥. الفياض ، عبد الله ، الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، (بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٦٣) .
٩٦. ، ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، الطبعة الثانية ، (بغداد : دار السلام ، ١٩٧٥) .
٩٧. ، ، محاضرات في تاريخ الإسلام والدولة الأموية ، (بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٦٧) .
٩٨. القاسمي ، محمد ، العلمانية انتشارها شرقا وغربا ، (تونس : سلسلة موافقات الدار التونسية للنشر ، ١٩٩٤) .
٩٩. القرشي ، جميل ملا عبيد ، مولد النجف والحوزة العلمية ، (بغداد : مكتب نون للطباعة ، ١٩٩٥) .

١٠٠. قزانجي ، فؤاد ، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥ - ١٩٣٠) ، مراجعة عبد الرزاق الحسيني ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٩) .
١٠١. القزويني ، امير محمد ، الاسلام وشبهات الاستعمار ، (النجف : مطبعة النعمان ، بلا) .
١٠٢. القيسي ، سامي عبد الحافظ ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية (١٩٢٢ - ١٩٣٦) ، (البصرة : مط الحداد ، ١٩٧٥) .
١٠٣. كاشف الغطاء ، عبد الحليم ، قضية فلسطين في خطب الإمام الراحل محمد حسين آل كاشف الغطاء وإرشاد المسلمين ، (نجف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٩) .
١٠٤. كاشف الغطاء ، علي ، سعد صالح في مواقفه الوطنية (١٩٢٠ - ١٩٥٠) ، (بغداد : مطبعة الراية ، ١٩٨٩) .
١٠٥. كاشف الغطاء ، محمد حسين ، الاتحاد والاقتصاد ، (النجف : المطبعة العلوية ، ١٩٣١) .
١٠٦. ، ، الدين والإسلام أو (الدعوة الاسلامية) ، الجزئين (١) (٢) ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩١٢) .
١٠٧. ، ، محاوره الامام المصلح كاشف الغطاء الشيخ محمد الحسين مع السفيرين البريطاني والامريكي في بغداد (بمناسبة زيارتهما لسماحته في مدرسته في النجف) ، (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٤) .
١٠٨. الكبيسي ، عناد اسماعيل ، الادب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين ، (النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٧٢) .
١٠٩. كمال الدين ، محمد علي ، التطور الفكري في العراق ، (بغداد : شركة الصناعة والتجارة ، ١٩٥٩) .
١١٠. ، ، ذكرى السيد عيسى آل كمال الدين ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٥٧) .
١١١. ، ، سعد صالح ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٤٩) .
١١٢. كوربا ، يعقوب يوسف ، صحافة ثورة العشرين ، (بغداد : مط السعدي ، ١٩٧٠) .
١١٣. المؤتمر الاول للطلاب العرب في اوربا لسنة ١٩٣٨ ، (بيروت : دار الأحد ، ١٩٣٨) .
١١٤. المبارك ، عبد الحسين ، ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي ، (بغداد : دار البصري ، ١٩٧٠) .
١١٥. محبوبه ، جعفر باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، (صيدا : مطبعة العرفان ، ١٩٣٣) .
١١٦. ، ، الجزء (١) ، الطبعة الثانية ، (النجف : مطبعة الآداب ، ١٩٥٨) .
١١٧. ، ، الجزء (٣) ، (النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٥٧) .
١١٨. محفوظ ، حسين علي ، الذكرى السنوية الاربعون للشيخ محمد جواد الجزائري (١٨٨١ - ١٩٥٩) ، اصدار مركز دراسات الكوفة ، مطبوع بالليزر ، ١٩٩٨ .
١١٩. محمد علي ، عبد الرحيم ، المصلح المجاهد محمد كاظم الخراساني ، (النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٧٢) .
١٢٠. المرجاني ، حيدر صالح ، النجف الأشرف قديما وحديثا الجزء (٢) ، (بغداد : مطبعة دار السلام ، ١٩٨٨) .
١٢١. مشتاق ، طالب ، أوراق أيامي ، الطبعة الثانية ، (بغداد : دار واسط ، ١٩٨٩) .
١٢٢. مغنية ، محمد جواد ، الشيعة والحاكمون ، (بيروت : دار الشمالي ، ١٩٦٢) .
١٢٣. المقدسي ، انيس خوري ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، سلسلة العلوم الشرقية (٢١) ، الجزء (١) ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٠) .
١٢٤. الملحة ، محمد علي رشيد ظاهر ، رجال المقاومة العربية في النجف ، (نجف : مطبعة الآداب ، ١٩٩٨) .
١٢٥. الموسوي ، مجيد ، الحاج عطية أبو كلل الطائي ، (بغداد : مطبعة السعدي ، بلا) .
١٢٦. الموسوي ، محمد رضا ، الثورة والإصلاح الاجتماعي (حول السياسة والتاريخ والاجتماع) ، (النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٥٨) .
١٢٧. ناجي ، عبد الجبار ، محاضرات في فلسفة التاريخ (ألقيت في كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد للمرحلة الثالثة ١٩٩٧ - ١٩٩٨) ، غير منشورة .
١٢٨. النصولي ، أنيس زكريا ، الدولة الأموية في الشام ، (بغداد : مطبعة دار السلام ، ١٩٢٧) .
١٢٩. نظمي ، وميض جمال عمر ، ثورة العشرين (الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية والاستقلالية) ، الطبعة الثانية ، (بغداد : المكتبة العالمية ، ١٩٨٥) .
١٣٠. النفيسي ، عبد الله فهد ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، (بيروت : دار النهار ، ١٩٧٣) .
١٣١. الهلالي ، عبد الرزاق ، الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشببي ١٨٨٩-١٩٦٠ ، (بغداد : شركة الطبع والنشر الأهلية ، ١٩٦٥) .
١٣٢. الهبتي ، هادي نعمان ، الاتصال والتغيير الثقافي ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٢٣) ، (بغداد : وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٨) .
١٣٣. الوائلي ، ابراهيم ، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٦١) .
١٣٤. الواعظ ، رؤوف ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ١٩١٤ - ١٩٤١ ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٤) .
١٣٥. الواعظ ، مصطفى نور الدين ، الروض الازهر في تراجم آل جعفر ، (الموصل : مطبعة الاتحاد ، ١٩٤٨) .
١٣٦. الوردي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق (حول ثورة العشرين) ، الجزء (٥) ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٧٧) .

١٣٧. ، ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (١٨٧٦ - ١٩١٤) ، (بغداد : مطبعة الشعب ، ١٩٧٢) .
١٣٨. ، ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (١٩١٤ - ١٩١٨) ، الجزء (٤) ، (بغداد : مطبعة الشعب ، ١٩٧٤) .
١٣٩. الياسري ، عبد الشهيد ، البطولة في ثورة العشرين ، (النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٦) .
١٤٠. البيزكي ، توفيق سلطان ، وآخرون ، دراسات في الوطن العربي (الحركات الثورية والسياسية) ، الطبعة الثانية ، (الموصل : مؤسسة دار الكتب للطباعة ، ١٩٧٤) .

سابعاً - المصادر والمراجع العربية :

١. انطونيوس ، جورج ، بقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) ، ترجمة ناصر الدين الاسد ، د. احسان عباس ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٦) .
٢. ايرلاندي ، فيليب ويلارد ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، (بيروت : دار الكشاف ، ١٩٤٩) .
٣. براديري ، مالك ، جيمس ماكفالن ، الحداثة (١٨٩٠ - ١٩٣٠) ، ترجمة مؤيد حسن فوزي ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٧) .
٤. بيل ، جرتروود ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٧١) .
٥. جب ، هاملتون ، الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، ترجمة كامل سليمان ، (بيروت : مكتبة الحياة ، ١٩٥٤) .
٦. ، ، علم التاريخ ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، (بيروت : دار الكتاب ، ١٩٨١) .
٧. رسل ، برتراند ، حكمة الغرب ، ترجمة دار عالم المعرفة ، الجزء (١) ، (الكويت : دار عالم المعرفة ، ١٩٨٣) .
٨. سباين ، جورج ، تطور الفكر السياسي ، ترجمة راشد البراوي ، الكتاب الثالث ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١) .
٩. فشر ، هيربرت ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع ، الطبعة الخامسة ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٨) .
١٠. فوسنر ، هنري ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الجزء (٢) ، (بغداد : دار الفجر ، ١٩٨٩) .
١١. كوتولوف ، ل . ن . ، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق ، ترجمة د. عبد الواحد كرم ، (بغداد : مطبعة الديواني ، ١٩٨٥) .
١٢. لتشوفسكي ، جورج ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، الجزء (١) ، (بغداد : دار المتنبي ، ١٩٦٤) .
١٣. لونكريك ، ستيفن همسلي ، العراق الحديث ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الجزء (١) ، (بغداد : دار الفجر ، ١٩٨٨) .
١٤. ولسن ، ارندل تاليوت ، بلاد ما بين النهرين بين ولائتين ، ترجمة فؤاد جميل ، الجزء (١) ، الطبعة الثانية ، (بغداد : دار الجمهورية ، ١٩٧١) .

ثامناً - المصادر الأجنبية :

1. David, E. Apter, Some comcatinal approaches to study of modernization, London,1963.
2. Meen, Arnrest, Iraq through the duration from mandate to independence, London, 1932.

تاسعا - الدوريات العراقية والعربية :

١ - الصحف :

اسم الصحيفة	مكان الصدور	تاريخها
الاستقلال	النجف	١٩٢٠
الاستقلال	بغداد	١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، ١٩٣٤
التوحيد	النجف	١٩٥٩
الجمهورية	بغداد	١٩٩٣ ، ٢٠٠٠
الحاصد	بغداد	١٩٣٧
الحوزة	النجف	١٩٥٨
العراق	بغداد	١٩٩٣
الفرات	النجف	٢٠٠٠
القادسية	بغداد	١٩٩٢
لواء الأخوة الاسلامية	بغداد	١٩٥٩
النجف	النجف	١٩٢٦ ، ١٩٢٧
الهاتف	النجف	١٩٣٨ ، ١٩٥٢

٢ - المجلات :

اسم المجلة	مكان الصدور	تاريخها
الاقتصاد	بغداد	١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥
الاقتصاد	كربلاء	١٩٣٥
الاسبوع	بغداد	١٩٥٨
أفاق عربية	بغداد	١٩٧٦ ، ١٩٧٨
البيان	النجف	١٩٤٦
الثقافة	القاهرة	١٩٤٠
الحيرة	النجف	١٦٢٧
رسالة الشرق	كربلاء	١٩٥٥
الرابطة	بغداد	١٩٥٦
الرابطة	النجف	١٩٧٦
طريق الشعب	بغداد	١٩٥٦
العلم	النجف	١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٢
العرفان	صيدا	١٩٤٨ ، ١٩٥٠
العلوم	بيروت	١٩٦٠
العدل	النجف	١٩٦٥ ، ١٩٦٦
الغري	النجف	١٩٤١
القادسية	جامعة القادسية	١٩٩٩ ، ٢٠٠٠
كلية الآداب	جامعة بغداد	١٩٦٣
الكوثر	النجف	٢٠٠٠ ، ٢٠٠١
اللسان	بغداد	١٩٢٠
المقتطف	القاهرة	١٩٢٤
المصرية	القاهرة	١٩٣٧
المرشد العربي	دمشق	١٩٤٠
المجمع العلمي العراقي	بغداد	١٩٨٠
المستنصرية	الجامعة المستنصرية	١٩٨٣
المؤرخ العربي	بغداد	١٩٨٩
الموقف الثقافي	بغداد	٢٠٠١

اسم المجلة	مكان الصدور	تاريخها
النجف	النجف	١٩٥٦ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١
الهلال	القاهرة	١٩٣٤

عاشرا - الموسوعات والمعاجم :

١. أمين ، أحمد ، موسوعة احمد امين الاسلامية (زعماء الاصلاح في العصر الحديث) ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، بلا) .
٢. بحر العلوم ، محمد صادق ، رجال السيد بحر العلوم المعروف بـ (الفوائد الرجالية) ، الجزء (١) ، (النجف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٥) .
٣. حرز الدين ، محمد حسين ، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ، الجزء (١) (٢) ، (النجف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٤) .
٤. الخاقاني ، علي ، شعراء الغزي أو النحفيات ، الأجزاء (١ - ٦) ، (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٤) .
٥. ، ، ، الأجزاء (٧ - ٨) ، (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٥) .
٦. ، ، ، الأجزاء (٩ - ١٢) ، (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦) .
٧. الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف) ، الجزء (٢) ، (بغداد : دار التعارف ، ١٩٦٦) .
٨. ، ، ، هكذا عرفتهم ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة الزهراء ، ١٩٦٣) .
٩. ، ، ، الجزء (٢) ، (بغداد : مطبعة الراية ، ١٩٦٨) .
١٠. ، ، ، الجزئين (٣) (٤) ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٧٢) .
١١. الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، الجزء (٧) ، (بيروت : مطبعة كوستاتوماس ، ١٩٥٤) .
١٢. القمي ، عباس ، الكنى واللقاب ، الجزء (٢) ، (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٧٠) .
١٣. المرجاني ، حيدر صالح ، خطباء المنبر الحسيني ، الجزء (١) ، (النجف : دار النشر والتأليف ، بلا) .
١٤. المطيعي ، حميد ، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ، الجزء (١) ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٥) .
١٥. ، ، ، الجزء (٢) ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٦) .
١٦. مغنیه ، محمد جواد ، مع علماء النجف الأشرف ، (بيروت : مطبعة نمم ، ١٩٦٢) .
١٧. المنجد في اللغة العربية والأعلام ، الطبعة الثانية والعشرون ، (بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٦) .
١٨. موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية (الأحلام) ، القسم الرابع ، جمع وتحقيق موسى الكرباسي ، (بغداد : مطبعة العمال المركزية ، ١٩٩١) .
١٩. الورد ، محمد باقر ، أعلام العراق الحديث (قاموس وتراجم ١٨٦٩ - ١٩٦٩) ، الجزء (١) ، (بغداد : مطبعة الميناء ، ١٩٧٨) .

حادي عشر - المقابلات الشخصية :

ت	الاسم	مكان المقابلة	تاريخها
١	جواد محمد علي الحسيني	بغداد	٢٩ / أيلول / ٢٠٠١
٢	محمد حسن الطالقاني	النجف	٢ / نيسان / ٢٠٠١
٣	مجيد البغدادي	النجف	١٤ / تموز / ٢٠٠١

ثاني عشر - الدواوين :

١. الجزائري ، محمد جواد ، ديوان محمد جواد الجزائري ، (بيروت : مؤسسة خليفة للطباعة ، ١٩٧٠) .
٢. الجواهري ، محمد مهدي ، ديوان محمد مهدي الجواهري ، (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٢) .
٣. الحبوبي ، محمد سعيد ، ديوان محمد سعيد الحبوبي ، جمع وتقديم عبد الغفار الحبوبي ، (الكويت : مطبعة الرسالة ، ١٩٨٠) .
٤. الشيبيني ، محمد رضا ، ديوان محمد رضا الشيبيني ، (القاهرة : مطبعة الرابطة الأدبية ، ١٩٤٠) .
٥. الشرقي ، علي ، ديوان عواطف وعواصف ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٥٣) .